# موسوعتك في تربية طفلك

## من الولادة حتى المراهقة

د. ديفيد كين

د. كارولين هويت

ترجمة

د. سوزان الخطيب

أخصائية علم النفس التربوي



# موسوعتك في تربية طفلك

## من الولادة حتى المراهقة



للنشر والتوزيع

المملكة الاردنية الهاشمية

وسط البلد - خلف مطعم القدس

هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ فاكس: ٤٦٥٧٤٤٥

ص.ب: ٧٧٧٢ عمان / الأردن

*E-mail : alahlia @ nets.jo*

# موسوعتك في تربية طفلك

## من الولادة حتى المراهقة

د. ديفيد كين       د. كارولين هويت

الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٤



تصميم الغلاف: غطفان طلال حاكم

الصف الضوئي

إيمان زكريا - خليوي ٥٣٤٩١٥٦ - ٠٧٩

# موسوعتك في تربية طفلك

## من الولادة حتى المراهقة

د. ديفيد كين
د. كارولين هويت

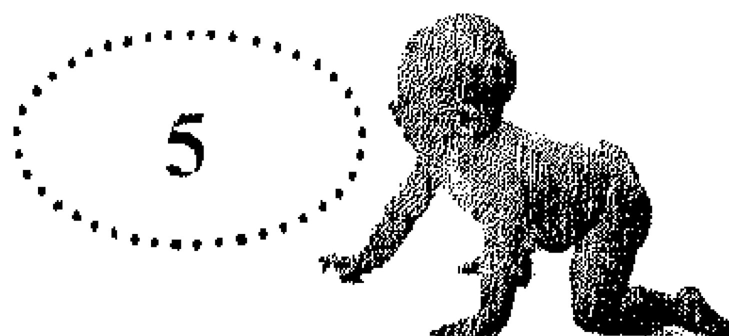
ترجمة
د. سوزان الخطيب
أخصائية علم النفس التربوي



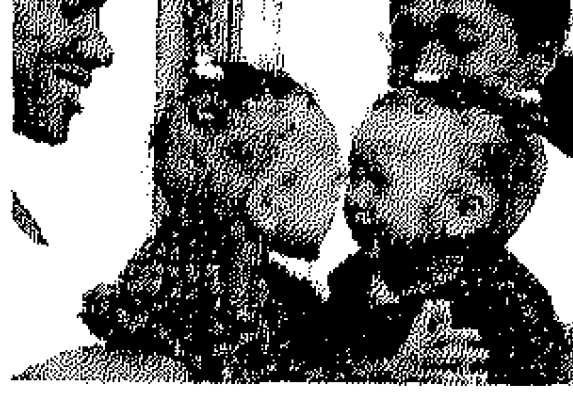



# موضوعات الكتاب





الفصل الثالث: تطور شخصية الطفل 65





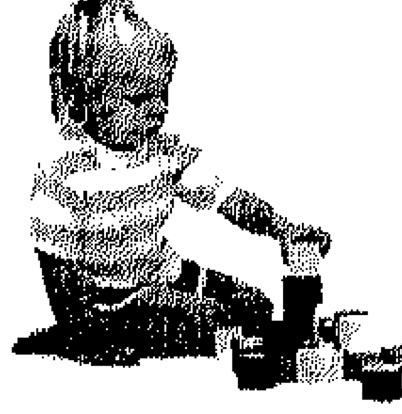
الفصل الرابع: الأسرة في حياة الطفل 91



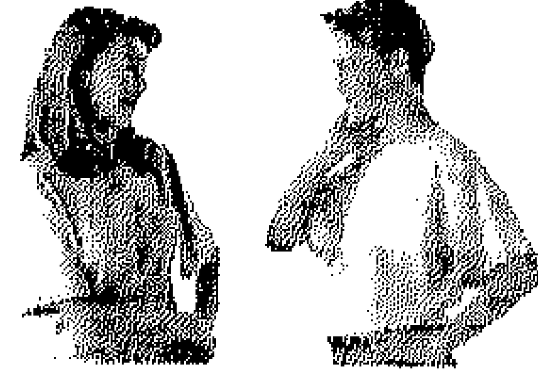


















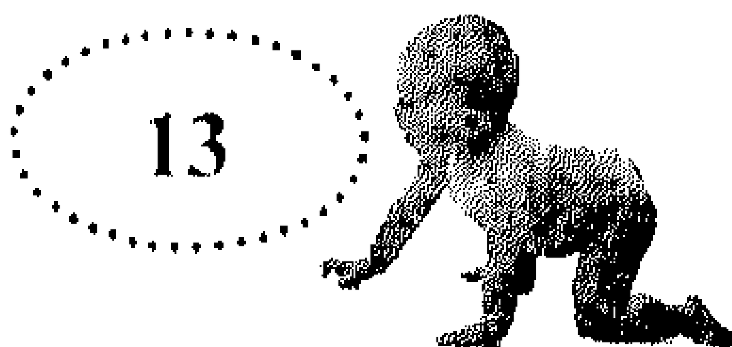












بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الكتاب

لا تزال تربية الطفل من أصعب المهمات الملقاة على عاتق الأهل. وهم يحتاجون، في معظم الحالات إلى المساعدة والنصح في بعض المواقف. والتربية ليست مشكلة الأهل وحدهم، فهي تعني أيضًا المجتمع بأسره. لذلك تسعى الدول إلى تطوير شعوبها من خلال تطوير الطرق التربوية المعتمدة، سواء ضمن العائلة أو في المدرسة. لكن بناء شخصية الطفل وتوجيهه هما من أصعب الأمور، إذ يتطلبان دراسة علمية لمراحل نمو الطفل، وبالتالي الكشف عن حاجاته وقدراته واتجاهاته وميوله، والتعرف بشكل سريع على المشاكل التي تواجهه والمساعدة على إيجاد الحلول لها من خلال توجيه سلوك الطفل والتصرف بحكمة واستغلال كل إمكانات شخصية في سبيل تكوين إنسان منتج وإيجابي وقادر على تنمية نفسه وعلى التأثير في تطور مجتمعه نحو الأفضل.

لكن: كيف يتم لنا ذلك؟

في هذا المجال، يكون للاختصاصي في علم النفس دور مهم جدًا. فهو قادر على حل مشكلات الطفل بشكل علمي وعلى توجيه سلوك الأهل بما يخدم النمو

الصحيح. لذا، وفي الحالات التي يجد فيها الأهل أنفسهم عاجزين عن إيجاد الحل الملائم، من الأفضل اللجوء إلى هذا الاختصاصي وعدم الخجل من ذلك، لأنه لا يعني أبدًا أن الطفل مجنون كما يُشاع في مجتمعاتنا، بل إن الطفل بحاجة إلى مساعدة كي يتخطى مشاكله. وبما أن المساعدة المطلوبة يجب أن تتلاءم مع الحالة، فإنه من المهم اللجوء إلى رأي العلم حتى لا نقع في أخطاء يدفع ثمنها أطفالنا.

ذلك لا يعني أن أية مشكلة تتطلب اختصاصيًا في علم النفس، فهناك الكثير من المشاكل التي يمكن للأهل أن يعالجوها إذا كانوا يعون تمامًا حقيقة ما يجري.

ويؤسفني القول أن ثقافة الإنسان العربي النفسية تجعله غير متمكن من تنشئة أولاده بصورة سوية مرنة لأحداث الحياة. ولذلك، فالزواج والإنجاب مسؤولية كبيرة، لا في إعالة الأسرة وتأمينها ماديًا فحسب، بل من خلال بناء شخصية تسعد في هذه الحياة. ويعتمد ذلك في الدرجة الأولى، على العلاقة الثلاثية بين الأب والأم والابن أو الابنة.

إن الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو توفير القدر الأكبر من المعلومات حول كل جوانب تطور الإنسان منذ الولادة حتى المراهقة، مع التركيز على الأساليب التربوية الملائمة لكل مرحلة تطورية في حياة أولادنا. من أجل ذلك اعتمدنا على جمع عدد كبير من النظريات التقليدية والحديثة، وعلى الأبحاث العلمية الجارية، كما أننا حرصنا على تأمين الناحية التطبيقية في فن التربية.

وإنـي أهيـب بالآبـاء والأمهـات بقـراءته، فهـو يعكس المشـاكل اليومـية الـتي تواجههـم، ويضع أمامهم الطرق النفسية السوية المبنية على أسس علمية في معالجة وبناء شخصيات الأبناء، دون الحاجة إلى محترفي السلوك الإنساني.

آملين أن نحقـق من خلال هـذا الكتاب مساهمة حقيقـية في إنشـاء جيل من الشـباب الواثقـين مـن أنفسـهم، والقـادرين عـلى الإبـداع، وعـلى مواجهـة كـل الضغوطات والتحديات التي يفرضها القرن الحادي والعشرين.

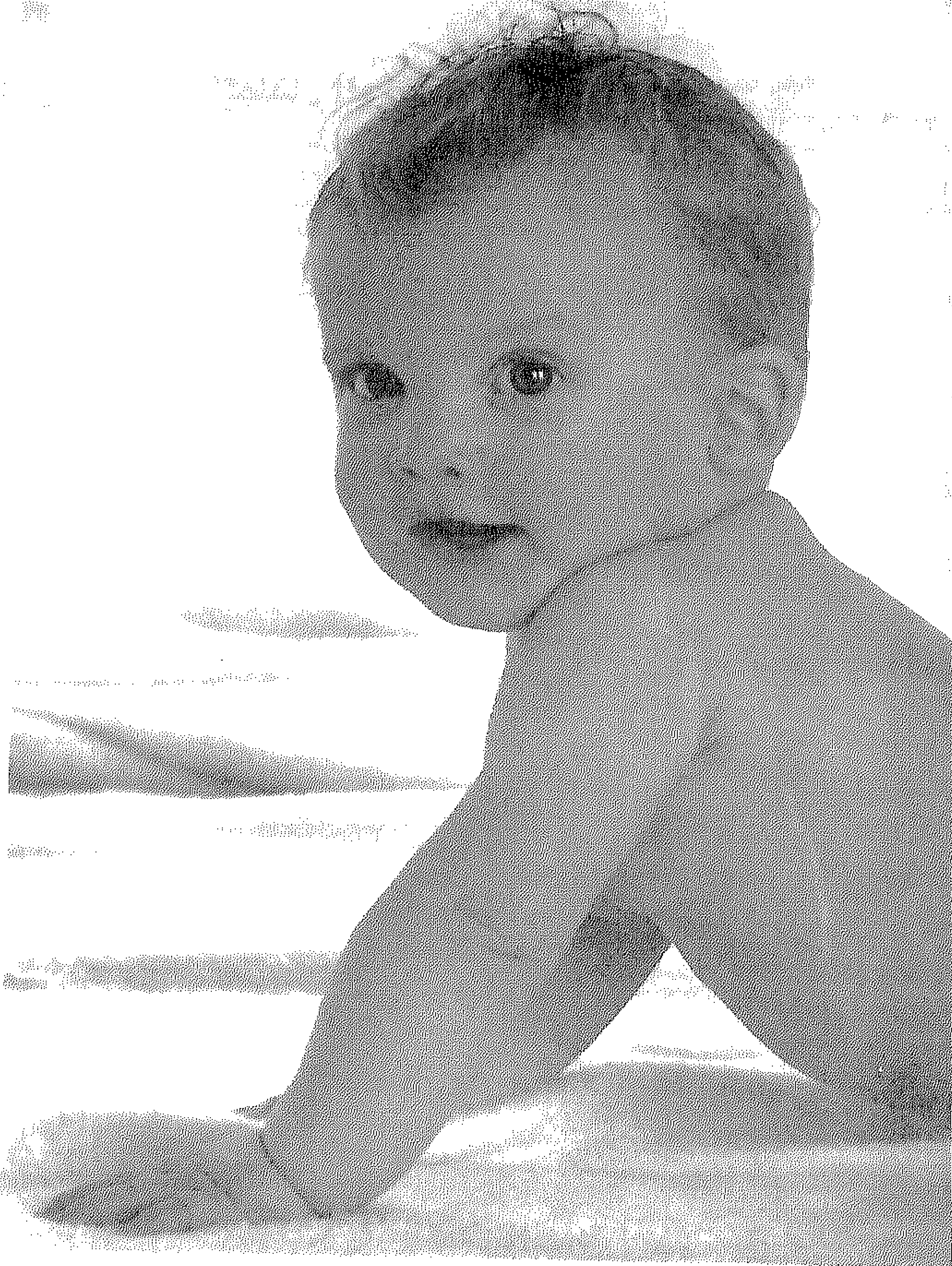
# الطـفـولــة



الفصل

١

# علــم نفــس الطفــل

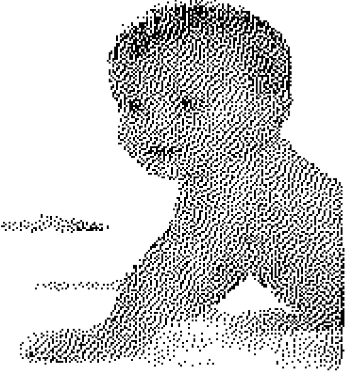


# الفصل الأول
# علـــم نفـس الطـفـــل

في كل يوم تزداد فيه الحاجة إلى أهمية دراسة علم النفس، وتتضح ضرورة تقديم الرعاية لأطفالنا ومراهقينا، حتى نبني حضارتنا على أسس سليمة من الإيمــان والعـلم والأخـلاق والعمـل والإنـتاج والكفــاح والنضــال وعـلى التوسـط والاعتدال، وحتى يشب أطفالنا أصحاء أسوياء متكيفين مع أنفسهم ومع المجتمع الذي يعيشون فيه، وحتى يتمكنوا من مواجهة صعوبات القرن القادم، وحتى يدخلوه وقد تسلحوا بسلاح الصحة والعافية والسلامة والإيمان والعلم والأخلاق ومتحلين بمشاعر الانتماء والوطنية.

تأخر ظهور علم النفس النمائي كثيرًا عن علم النفس العام الذي يرجع لقرن مضى، غير أن بذور ذلك العلم المتمثلة بالممارسات التربوية، قد رافقت ظهور الكتابة إن لم نقل الإنسان.

وترجع الأفكار حول التربية العامة والحرة إلى العهود اليونانية والرومانية، فقد نشأ مفهوم التربية الحرة في اليونان تدريجيًا، وتمثل الهدف الأساسي للتربية



اليونانية في إعداد الفرد في إطار طبيعته الخاصة ليكون مواطنًا للدولة. وأصر أرسطو على أن تمتد التربية من الولادة حتى السن الواحدة والعشرين. غير أنه رأى أن تمارس التربية التقليدية في بدايات البلوغ فيتعلم الأولاد القراءة والكتابة والحساب على أساس أن هذه المواد تشكل المنطلق المبدئي والعميق للدراسات اللاحقة. ولم ينسَ أرسطو أهمية العلوم السياسية وعلم النفس.

ظهر علم نفس الطفل، خلافًا لأكثر العلوم الأخرى، استجابة لمطالب حقول متعددة في معرفة منهجية حول الأطفال. فقد كانت ثمة حاجة إلى أداة تفيد في تمييز الذكي من متخلف العقل، كما برزت الحاجة إلى طرق ناجعة لتربية الأطفال، ووسائل مجدية لتحقيق تلك الطرق. وتحول الممارسات السلوكية للمربين إلى علم منهجي متحرر من المطالب النفعية التي دفعت إلى خلق العلم المذكور.

## أصول الدراسات المعرفية واللغوية في علم نفس الطفل:

**سير الأطفال:** إن أول البحوث المنهجية عن الأطفال أجريت من قبل أهلهم. ففي سنة ١٧٧٤ نشر بستالوتزي مذكراته التي كان يكتبها عن حياة طفله البالغ من العمر ثلاث سنوات ونصف. ولعل تلك المذكرات هي أول ما نُشر في العالم عن تراجم الأطفال.

وفي سنة ١٧٨٧ نشر تيدمان ملاحظاته عن نمو طفله فريدريك وخاصة في السنين الأولى من حياته وتتميز هذه الدراسة بالدقة العملية التي نراها الآن في الأبحاث الحديثة.



وفي سنة ١٨٣٦ نشر فروبل أول مؤسس لرياض الأطفال في العالم كتابه المشهور "تربية الإنسان" وكانت مادة دراسته تلك تعتمد في جوهرها على ملاحظة سلوك الأطفال ورصده في البيت والمدرسة معًا. وفي سنة ١٨٧٦ نشر العالم الفرنسي تين ملاحظاته عن النمو اللغوي لابنته وذلك خلال السنوات الست الأولى من حياتها.

وسجل عالم النفس برير في كتابه "عقل الطفل" مسار نمو ابنه خلال السنوات الأربع الأولى من حياته وقد اهتم مبدئيًا، بدراسة السلوك الارتكاسي وبأثر الخبرة والتدريب في تعديل ضروب ذلك السلوك. وقد دأب برير، بالإضافة إلى دراسة السلوك الارتكاسي، على ملاحظة العديد من الظواهر السلوكية الأخرى مثل لغة الطفل ولعبه. وعلى الرغم من أن بير لم يعمد دومًا إلى عزل ملاحظاته عن استدلالاته، فإن عمله ما زال يحتفظ بقيمة علمية رفيعة.

وعلى الرغم من أن العلماء يعدون بياجيه الأب الروحي لعلم نفس الطفل، فإن بالدوين كان قد سبقه إلى ملاحظة الأطفال. من جهة ثانية كان الباحثون في حقول اللغة والحركة والإحساس أفضل كتبة السيرة الذين أثّروا في الباحثين اللاحقين وفي علم نفس الطفل ذاته.

## دور علم النفس العيادي والاجتماعي وعلم نفس الشخصية في علم نفس الطفل:

أشرنا من قبل إلى قيام جذور دراسة سلوك الطفل ولغته في منهج سيرة الأطفال. ونضيف إلى ذلك أن علم نفس الطفل استمد الكثير من المعلومات حول

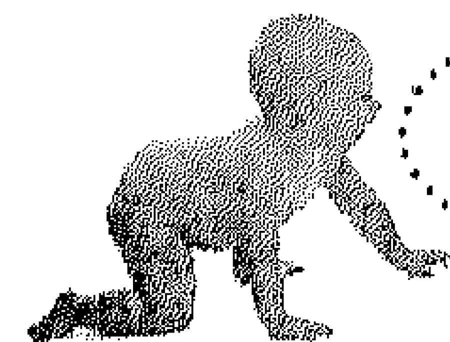




تنشئة الطفل وحياته الانفعالية والعقلية من علم النفس العيادي والاجتماعي وعلم نفس الشخصية.

لم يبدأ التأهيل الاجتماعي للأطفال في أمريكا إلا في مطلع القرن التاسع عشر. ففي الوقت الذي كان فيه روسو وفروبل الأوروبيان يناديان بطبيعة الطفل الطيبة، ارتفعت أصوات الكنيسة تهاجم التربية السمحة وتدحض الاعتقاد الشائع بصدد براءة الطفل مدعية بأن الأطفال ليسوا صغارًا على دخول جهنم بسبب سيئاتهم. وهذا ما دفع الأهل إلى تربية صغارهم على الاستقامة بقراءة الأخلاقيات وتلاوة العهد القديم والمواظبة على الكنيسة. ولكن البروتستانتية سرعان ما اصطدمت بقيم مجتمع المهاجرين الأمريكيين، فتعرض الأهل للصراع بين القيم الدينية والعلمانية، الأمر الذي ساعد على إضعاف التشدد التربوي في منتصف ذلك القرن، فتخلى المربون عن نصح الأهل بالعقاب البدني بسبب وحشيته وعدم جدواه. وبدأ الناس يرجعون خطأ الأطفال إلى فجاجة منطقهم أو إلى أخطاء في المبدأ التربوي نفسه. واستعيض عن العقاب البدني بالحب واللطف كوسيلة لتكوين الطبع الخلقي الجيد.

لم تظهر النظرة المتفائلة حول طبيعة الطفل إلا بعد الحرب الأهلية في أمريكا، حيث بدأ الناس يعتقدون أن الأطفال، شأنهم شأن الحيوانات، يتطورون نحو أوضاع طباعية أفضل مما هم فيه بتكيفهم العفوي مع الأوساط التي يعيشون فيها. وأدى نشر جاكوب آبوت في عام 1871 لكتابه "إجراءات لطيفة في تدريب الصغار وإدارتهم" إلى تأكيد التطورية الداروينية والإقلال من أثر فطرية الشر،



الأمر الذي زاد الاهتمام بتأكيد أثر الخبرة والتدريب في صناعة الطبع الخلقي للناشئة. كما أن الدراسات المتنوعة في العلوم النفسية المختلفة، وخاصة في علم النفس العيادي والاجتماعي وعلم نفس الشخصية قد ألقت الكثير من الضوء على سلوك الناشئة وأكدت النظرة المتفائلة حول طبيعة الطفل. لقد كان للنشرات التقدمية النيرة بصدد طبيعة الطفل، والتي طرحها رواد علم النفس العيادي والاجتماعي وعلم نفس الشخصية العديد من النتائج البعيدة الأثر، مثل إعادة تقويم التخلف العقلي والاضطراب الانفعالي لدى الأطفال التي عُدت أمراضًا ترجع إلى الشروط البشرية وتستجيب للعلاج، وليست أفعالاً شريرة يعاقب عليها وتخفى عن أعين الآخرين كما كان الحال في السابق. وهذه النظريات الإيجابية شقت الطريق لإقامة مراكز إرشاد الأطفال، وحركات الصحة النفسية. بالإضافة إلى ذلك كانت كتابات الاختصاصيين حول تنشئة الأطفال والعناية بهم رائدًا لأبحاث منهجية في مجالات الشخصية والنمو الاجتماعي في بعض معاهد الأطفال بعد الحرب العالمية الأولى.

**دراسة تطور الأطفال:**

**مراقبة السلوك:** وهي مراقبة وتسجيل السلوك عند حصوله. هناك عدة طرق لتنفيذ مثل هذه المراقبة، وإحدى هذه الطرق هي المراقبة الطبيعية، حيث يمضي الباحث وقتًا وفيرًا في موقع حدوث السلوك الذي يهتم به في بحثه، مثل مراقبة وتسجيل حدوث السلوك العدواني ضمن مجموعة من الأطفال في مرحلة الروضات. وإنما هناك نقطة ضعف في هذه الوسيلة، إذ إن الظرف الملائم لحدوث سلوك معين قد لا يكون متوفرًا لكل الأولاد في حياتهم اليومية.

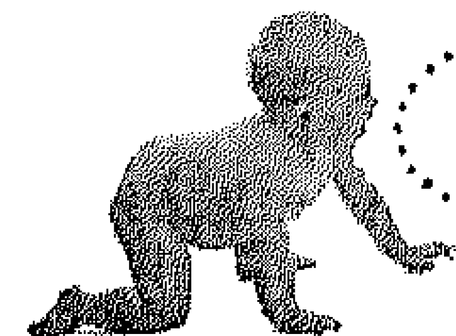




لذا، قد يلجأ الباحثون لنوع آخر من المراقبة، وهي المراقبة المنهجية، حيث يقوم الباحث عمداً بخلق الظرف المناسب لحدوث سلوك معين يرغب في دراسته. إن مثل هذه المراقبة تسمح للباحث أن يضبط بشكل فعال ظرف البحث لكن يبقى هناك أن الأطفال لا يتصرفون دائمًا في إطار الاختبار مثلما يتصرفون في حياتهم اليومية. أما الطريقة المتبعة في المراقبة المنهجية لجمع المعلومات حول سلوك معين فهي تختلف حسب الموضوع الذي يجري البحث فيه. فنرى أحيانًا أنه يجب مراقبة المجموعة ووصف كل المنحى السلوكي عند الفرد أو المجموعة خلال فترة محددة من الزمن، وأحيانًا أخرى يكون التركيز على وجه واحد من أوجه السلوك العديدة ويُسجل كل ما يتعلق بهذا السلوك بدقة كبيرة.

**التقرير الذاتي:** وهو تقنية تطلب من الفرد أن يجيب على أسئلة حول قدراته، ومشاعره، واعتقاداته، وخبراته الماضية. ويتخذ التقرير الذاتي عدة أشكال أهمها: الاستجواب العيادي حيث يقوم الباحث باستجواب الفرد من خلال حوار مرن مسلطاً الضوء على بعض نقاط ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث.

لكن هناك نقطة ضعف أساسية في استخدام مثل هذه الوسيلة، وهي مدى صحة ما يعبر عنه الفرد من أفكار ومشاعر، إذ إن البعض قد يميل إلى إرضاء الباحث بإعطائه أجوبة لا تتلاءم مع اعتقاداتهم أو خبراتهم الحقيقية. كذلك وبما أن الاستجواب العيادي يعتمد على القدرة اللغوية وقوة التعبير عند الإنسان فقد لا يكون الوسيلة المناسبة لهؤلاء الأفراد الذين لا يبرعون في ترجمة أفكارهم إلى كلمات.



**دراسة الحالة:** وهي منبثقة عن مدرسة التحليل النفسي التي تركز على أهمية دراسة الطفل الفرد. فالوسيلة العيادية تعتمد على معلومات من مصادر مختلفة مثل الاستجواب العيادي، والمراقبة، وحتى معطيات من اختبارات خضع لها الفرد. هذا وتكون دراسة الحالة غنية في وصف التفاصيل وتؤدي إلى توفير احتمالات مهمة للباحث حول عملية التطور عند الطفل.

**التصميم الاختباري:** حيث يعتمد الباحث على تصميم اختبار للتحقيق في سلوكيات أو أحداث معينة باختبار عوامل، منها المستقلة ومنها المتأثرة، بمعنى أن بعض العوامل قد تثير تغيراً في العوامل الأخرى، أي في السلوك. فإذا كان الباحث يريد التحقيق في مدى تأثير مشاهدة أفلام العنف التلفزيونية على درجة العدوانية عند الأطفال، فقد يلجأ إلى تصميم اختبار باعتماد أفلام عنف كعامل مستقل، ومراقبة سلوك الأطفال، كعامل تأثير. وهنا يستطيع الباحث أن يتلاعب بالعامل المستقل (نوع الفيلم، مدة الفيلم، درجة العنف في الفيلم..) وتسجيل أي تأثير لهذا التلاعب على سلوك الأولاد. الميزة الأساسية في التصميم الاختباري هي أنها تسمح للباحث أن يضبط بشكل موضوعي جداً كل العوامل الجانبية التي قد تؤثر على نوعية نتائج البحث، والوصول إلى خلاصة يستطيع تعميمها، من خلال إحصاءات دقيقة جداً، على شريحة أكبر من المجتمع تتعدى نموذج الأفراد الذين تم استخدامهم في دراسته.

**التصميم الزمني:** هناك اهتمام كبير جداً عند العلماء حول عملة التغيير عند الإنسان عبر الزمن، فيأتي التصميم الزمني لتلبية هذا الاهتمام، وهو وسيلة

علمية تدرس مجموعة من الأفراد بشكل يتكرر في فترات زمنية مختلفة، وهذه الفترات قد تكون بضعة أشهر، أو بضع سنوات، أو قد تتناول أجيالاً من المتابعة الدقيقة المنتظمة.

**التصميم عبر المجموعات:** وهي الوسيلة التي يعتمدها الباحثون لحل المشاكل الناجمة عن التصميم الزمني باتخاذهم مجموعات مختلفة من الأفراد في أعمار مختلفة، ودراستهم ضمن فترة زمنية واحدة. إن مثل هذه الوسيلة فعالة جدًا في وصف وتحليل التيارات السلوكية التي تميز عمرًا عن آخر، إنما تشكو من نقص كبير في المعلومات حول كيفية التطور الفردي، إذ إنها تعطي وصفًا إجماليًا لتطور السلوك ولا تأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية التي قد تؤثر على هذا التطور عند الفرد الواحد.

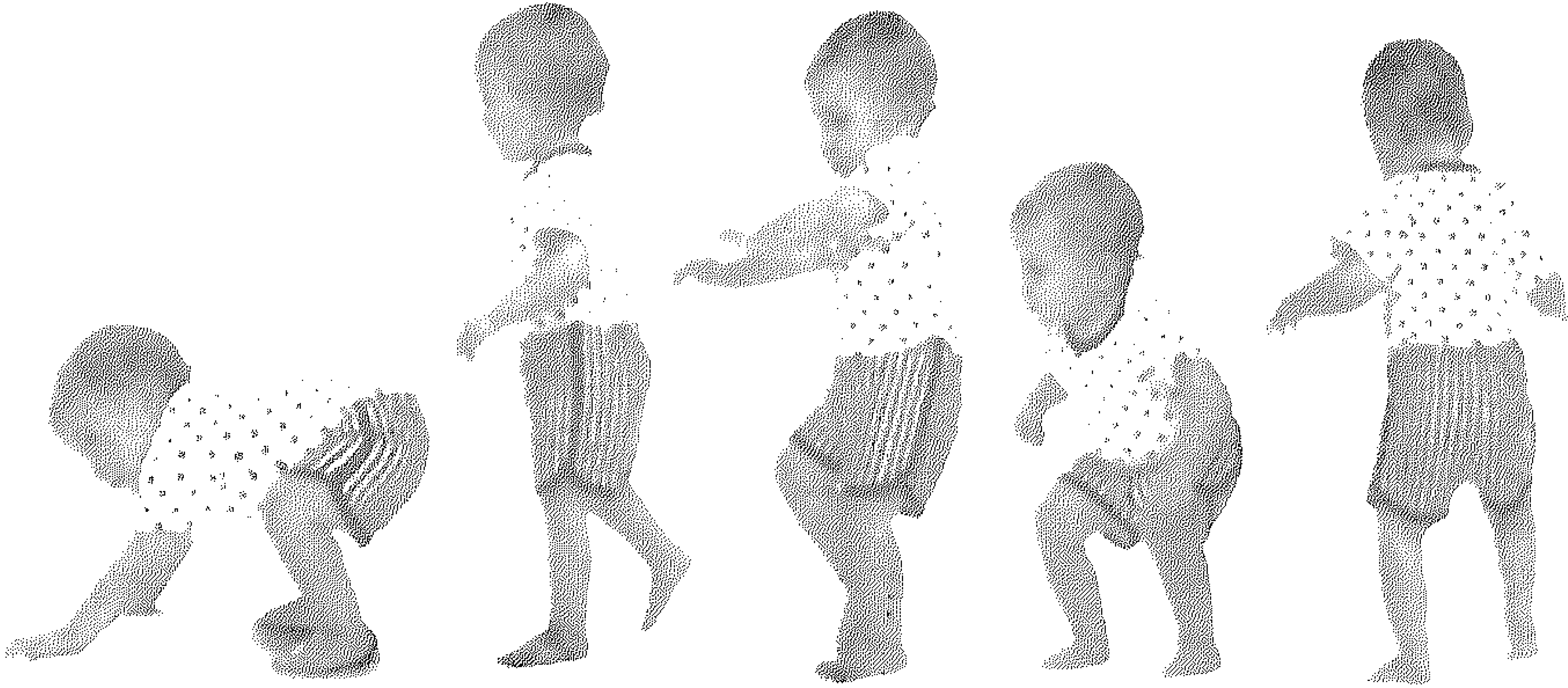
وبعد انتهاء هذه اللمحة التاريخية، أصبح القارئ قادرًا على فهم عملية التطور عند الأطفال.

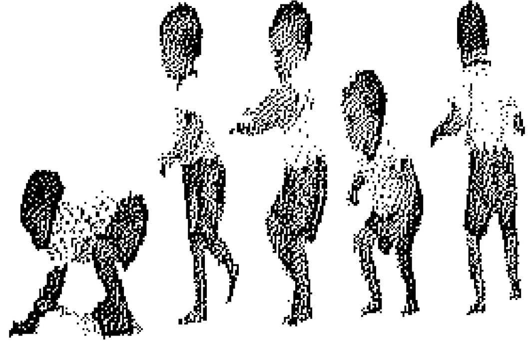
الفصل

2

# تطور نمو الطفل

التطور الجسدي والحركي - التطور الحسي - تطور اللغة - التطور الذهني





# الفصل الثاني
# تطور نمو الطفل

## أولاً - التطور الجسدي والحركي

في سنته الأولى يتمتع المولود الجديد بمجموعة مميزة من القدرات الأساسية للعيش والمهمة جدًا لإثارة اهتمام ورعاية والديه، فالمولود منذ اللحظات الأولى، ناشط في علاقته مع العالم الخارجي وفي بناء اتصاله الاجتماعي الأول.

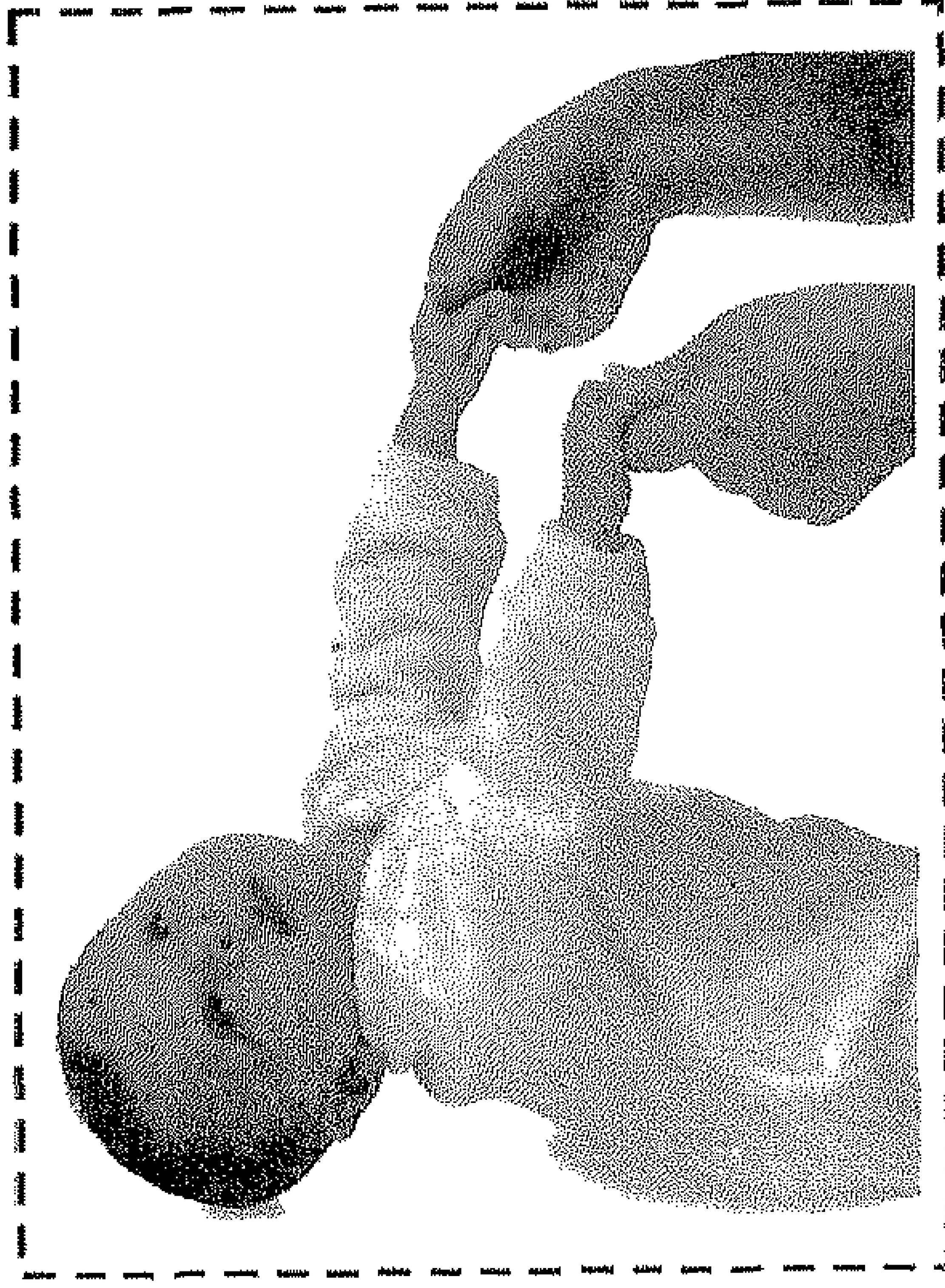
من أهم هذه القدرات ما نسميه بالانعكاسات العصبية البدائية، وهي استجابات حركية لاإرادية لمحيطه تلد معه وتتفاعل بشكل تلقائي مع الإثارات التي يتعرض لها. وهذه الانعكاسات تبقى مخزنة في المراكز الدنيا من الجهاز العصبي المركزي، ويأتي انحسارها التدريجي خلال السنة الأولى من الحياة نتيجة لسيطرة المراكز العليا والقشرة الدماغية على المراكز الدنيا. كما أننا نتطلع إلى هذه الانعكاسات كأول سلوك واضح ومنتظم يقوم به الإنسان، ويهتم الأطباء كثيرًا بفحص هذه الانعكاسات لأنها الدليل على صحة الجهاز العصبي المركزي عند المولود. فعند الأطفال الذين يعانون من خلل ما في الدماغ، تكون الانعكاسات ضعيفة أو حتى غير موجودة، وفي بعض الحالات، تكون طاغية بشكل مبالغ

ومتشنجة. كما أن الخلل الدماغي قد يُكشف عندما تبقى هذه الانعكاسات لمدة تتجاوز الفترة التطورية حيث يجب أن تختفي.

**في السنة الأولى:**

على الرغم من أن الدراسات المعاصر تشير إلى امتلاك الوليد عددًا ضخمًا من الكمالات العضوية، إلا أن علينا ألا ننسى أن الوليد الجديد ما يزال بعيدًا عن العضوية الكاملة في أكثر من مجال. إن للوليد الجديد كل الأعضاء الضرورية. لكن القلب والرئتين والقناة الهضمية لا يزال يلزمها الكثير من النمو قبل أن تتمكن من العمل في ظل الشروط الصعبة المتباينة. فلا تستطيع معدة الطفل الصغير هضم أطعمة الراشد المعقدة التركيب إلا بعد بلوغه سن المدرسة، كما أن عظام الوليد تغاير نظيرتها للطفل والراشد في كل من الشكل والصلابة. وتشير النقطة الرخوة في جمجمة الرضيع إلى نقص في تماسك الجمجمة، وهو نقص يستمر حتى نهاية الشهر التاسع تقريبًا. وقد نجد في الحالات النادرة وليدًا له بعض الأسنان، إلا أن أغلب الأطفال يولدون بلثة تبدأ تتسنن في نهاية سنتهم الأولى. أم الجهاز العصبي للصغار، فيختلف عن نظيره لدى الأطفال الكبار والراشدين. ففي الحين الذي يماثل فيه دماغ الرضيع نظيره للراشدين في كل من بنيته وعصبوناته، فإن عصبونات الأول تخلو من الغمد الشحمي العازل. ولا يكتمل تغليف العصبونات إلا في الشهر الرابع، وقد يستمر إلى بدايات الطفولة المبكرة. والمعروف بالإضافة إلى ذلك يتميز نمو الرضيع في السنة الأولى بسرعته، إذ يزن الوليد الجديد قرابة ثلاثة كيلوغرامات ويبلغ طوله حوالي الخمسين سنتمترًا، وفي نهاية الشهر الثاني

عشر يزداد وزن الطفل بمقدار ثلاثة أضعاف وزنه عند الولادة، كما يزداد طوله بمقدار ثلث طوله عند الولادة، وتتباطأ نسبة النمو تدريجيًا بعد نهاية السنة الأولى ويبلغ الطفل في نهاية سنته الثانية ربع وزن الراشد، ونصف طوله تقريبًا.



يمتلك الوليد الجديد عددًا من الأفعال الارتكاسية المتميزة السلسلة. كارتكاس مورو، الذي ينشط بتعريض الطفل لضجيج مفاجئ أو لسحب الدعم عنه، أو عن رأسه بصورة مفاجئة، فعندما يحس الطفل فقدان دعمه، تمتد ذراعاه، وتنقبض يداه في حركة تدل على أنه يحاول الإمساك بشيء لاستعادة الدعم. هناك أيضًا ارتكاس القبض، ويحدث عندما يكور الطفل قبضته حول شيء، خاصة عندما يمسك بإبهام الفرد مسلمًا نفسه لوضع الجلوس.

يتسارع النمو العضلي خلال الأشهر الأولى من الحياة كثيرًا، ويطول استيقاظ رضّع الشهر الثاني، وتشتد فعاليتهم، ولا تبقى أذرعهم وسيقانهم وأصابعهم مشدودة كما كانت عند الولادة. ويبدأ العديد منهم في تلك السن برفع رؤوسهم وصدورهم، كما يمص الكثيرون منهم إبهامهم. ويطلق ابن الشهر الثاني أولى ابتساماته الاجتماعية. ويغدو الفعل الحركي التلقائي خلال الشهرين الثالث والرابع أكثر وضوحًا. تشرح الفترة المذكورة مبدأ وجهة النمو من الرأس إلى أسفل الجذع.

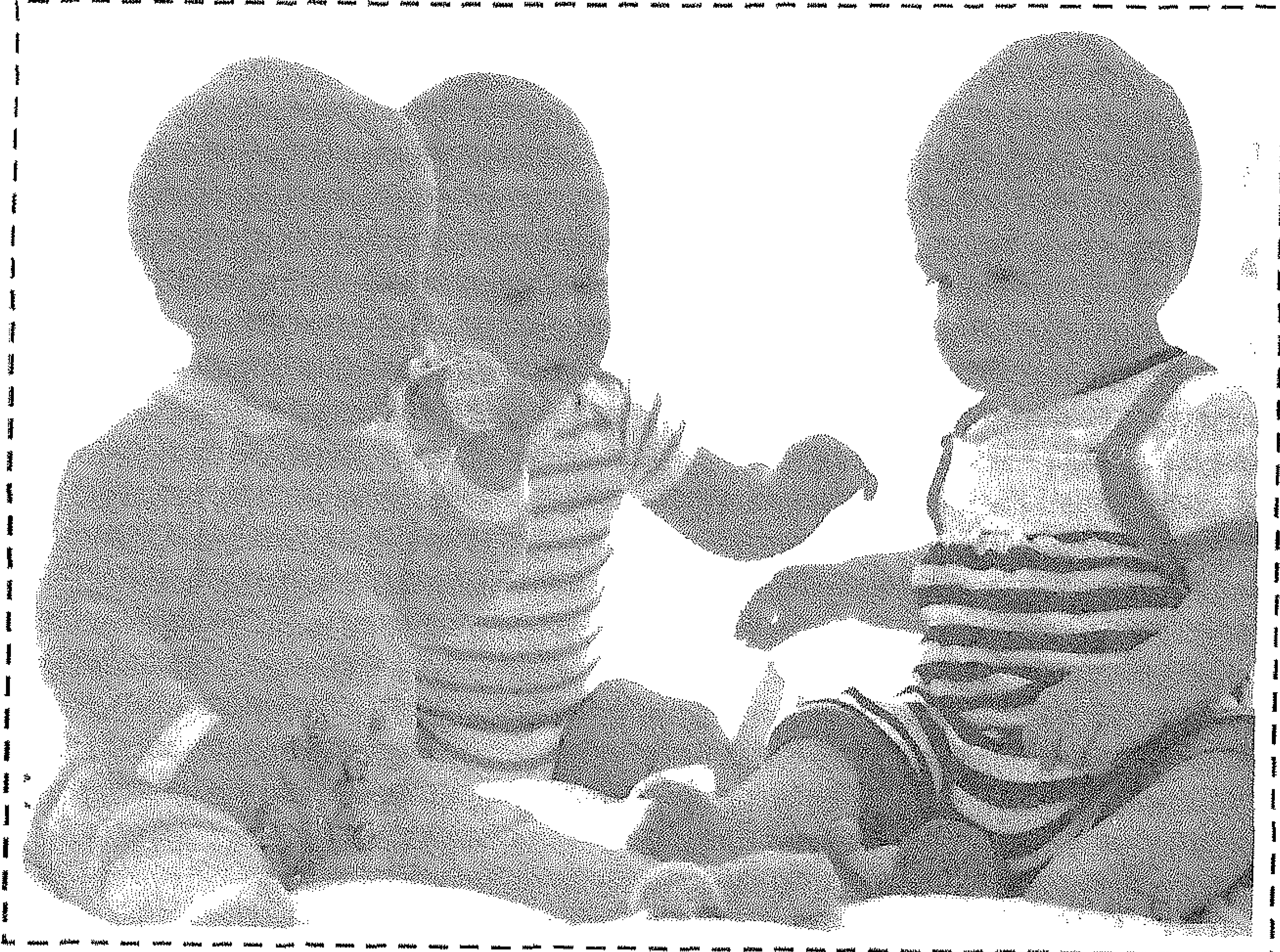
فيستطيع ابن الشهر الرابع إدارة رأسه والوصول إلى الأشياء، إلا أنه يعجز عن الزحف والمشي، لأن الفعاليتين المذكورتين تتطلبان نموًا عصبيًا حركيًا أعمق مما تتطلبه إدارة الرأس. بالإضافة إلى ذلك يجعل النمو العصبي العضلي للسان والحلق في تلك المرحلة الطفل أقدر على تناول الطعام وهضمه.



يزداد اهتمام ابن الشهر الرابع بأصابع يديه ورجليه فيبدأ يلعب بها. ويحاول الأطفال في هذه السن الالتفات، ويتمكنون منه في الشهر الخامس، كما يستطيع ابن الشهر الرابع الجلوس إن أمسك بشيء ما والمحافظة على رأسه مرفوعًا، بحيث يتطلع إلى ما يجري حوله. ويبدأ الأطفال في الشهر الخامس حركة الزحف، وبعد فعل الإمساك والقبض والهز، من الحركة العامة إضافة إلى فعل العض على اللثة الذي يظهر مع ظهور الأسنان في الشهر السادس (بايلي، 1969).

ينمي الأطفال في النصف الثاني من السنة الأولى الكثير من الأفعال المستقلة والاستجابات لعالمهم المادي والاجتماعي. وتبلغ السيطرة الحركية قدرًا كبيرًا من التكامل المتميز بحيث أن الأشياء التي ترى يقترب منها، وتمسك أو تضرب أو

تهز. وتسمح عضلات الظهر والبطن التي تتقوى في الشهر السابع، للوليد بالجلوس دون عون أو حتى بالزحف. وما أن يبلغ الوليد شهره الثامن حتى يكون قد امتلك رصيدًا ضخمًا من الحركة الدقيقة فيتمكن من شبك إبهامه على سبابته والتقاط الأشياء الصغيرة. فعلى الأهل أن ينتبهوا في هذه السن إلى إبعاد الأشياء الصغيرة عن الطفل كيلا يبتلعها.



يحاول ابن الشهر التاسع شحذ قدرته على الانتقال، إذ يصرف الكثير من وقته في سريره يتمرن على تلك الفعالية. ويندهش العديد من الأهل، الذين تركوا وليدهم جالسًا أو نائمًا، عندما يرون الطفل واقفًا في سريره، ممسكًا بحوافيه،

مبتسمًا بكثير من الرضى. وبالرغم من أن أطفال هذه السن لا يستطيعون المشي، إلا أنهم يزحفون بسرعة مذهلة، الأمر الذي يفرض الكثير من التشدد في مراقبتهم.

يستطيع أبناء الشهر العاشر أن يحبوا ويجلسوا أو ينتصبوا ويستطيع أغلب أطفال هذه السن أن يشربوا من الكأس، وأن يبتلعوا الطعام الصلب، وإن غالبيتهم ترغب في أن تأكل بنفسها.

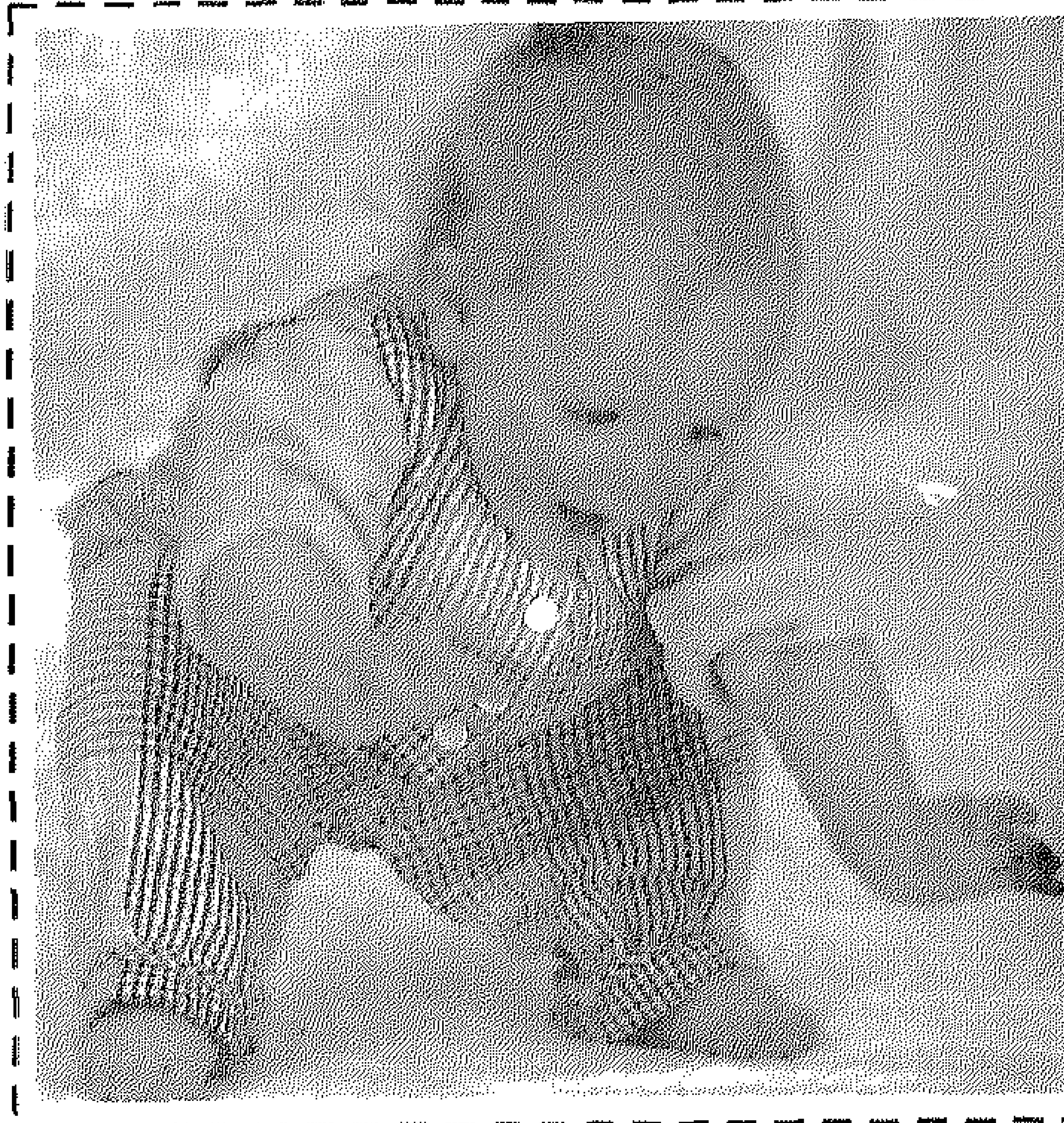
وفي نهاية السنة الأولى يكون الوليد قد حقق شوطًا كبيرًا من التقدم نحو الحركة الاستقلالية فهو يتحرك بإرادته، ويقبض الأشياء، ويمسكها ويعضّها ويبتلعها ويطلق أنواعًا مختلفة من الأصوات تقارب أصوات لغة المجتمع. ولابد من الإشارة إلى أن النمو الحسي يتوقف على النمو الحركي، ويماشيه، وسنشير إلى النمو الحسي لاحقًا.

### السلامة في التنقل

عندما يتمكن طفلك من الجلوس والزحف، فقد تغفل عينك عنه ويتأذى. إليك بعض قواعد السلامة التي تساعده على القيام باختباراته من دون خطر أو خوف. لا تضعي طفلك في مقعد نقّال فوق طاولة، ولا تتركيه على كرسيّ عال من دون أن تربطيه، أو بين المساند وحيدًا. وعندما يبدأ بالتنقّل وحده، راقبيه باستمرار، من غير أن تدفعيه أو أن تمنعيه من ذلك، ولا تلجمي باستمرار فضوله بموانع عديدة وغير مفهومة. كوني حازمة تجاه ممنوعات محددة تختارينها بحكمة، ثم اتركيه يكتشف العالم من حوله، وأبعدي عن متناوله الأشياء الصغيرة التي قد يبتلعها، وإذا رغبت في بعض أوقات الراحة، ضعيه داخل سياج اللعب برفقة لعبه.

## في السنة الثانية:

ينتقل الأطفال بعد تعلم المشي إلى مرحلة جديدة تشمل مختزنًا جديدًا كاملاً من الفعاليات الحركية ولذلك يطلق عليها اسم المرحلة الحركية. فخلال سنوات معدودة يبدأ الصغار بالقفز والركض واللعب بما يتوفر لهم من أشياء كالكرات والأقراص الحديدية وغيرها. وتظهر في تلك الفترة تفضيلات اليد والأذن والعين وتتأكد وتتقوى.



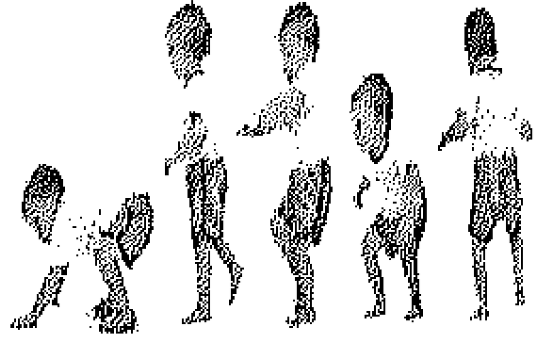
تكون قدما الطفل عند بداية محاولة المشي متباعدتين، وتكون حركتهما شاذة أو خرقاء، ولكن حركة الطفل تتحسن بازدياد التدرب على المشي فتتقارب القدمان ويستقيم المشي، بحيث أن الطفل يضع كعب القدم الأولى أمام الأخرى مباشرة. ويحتاج أبناء الثانية إلى مراقبة قدميهم بأعينهم، كي يتمكنوا من تجنب العوائق، غير أن هذه الحاجة تختفي في نهاية السنة الثالثة.

ما أن يثق الأطفال بمشيهم حتى يبدأوا المشي الجانبي والخلفي. وأغلب أولاد هذه السن يبدأون المشي على أصابعهم. ويلاحظ في حوالي منتصف السنة الثانية أن بعض الأولاد يبدأون المشي المستعجل الذي يبدو كالركض، لكن هذا في الواقع

ليس ركضًا، لأن الفرد في المرحلة الحركية لا يمتلك القوة في ساقيه والقدرة على التوازن بكلتا قدميه في الوقت نفسه. والطفل لا يستطيع الركض قبل السنة الخامسة. وتوازي جهود الأطفال للقفز نظيرتها للركض من حيث أنها تتطلب ارتفاع القدمين معًا عن الأرض. ويبدأ القفز بتجاوز الأشياء الصغيرة، إلا أن المحاولات الأولى تنتهي بتحطيم الشيء الذي يحاول الطفل تجاوزه بالقفز، الأمر الذي يجعل الصغار يحجمون عن تكرار المحاولة. وفي نهاية السنة الثانية يبدأ الأولاد القفز بكلتا القدمين. أما المهارات الحركية الأخرى مثل التسلق والإمساك وقذف الكرات فتتطلب تناسقًا بصريًا حركيًا يعجز عنه ابن الثانية. ويحاول ابن الثانية القذف والإمساك إلا أنه يطلق ذراعه بعد أن يسند مرفقه إلى جسمه. الأمر الذي يؤخر نمو هذه الفعالية إلى ما بعد الثانية.

يبدأ الأطفال خلال السنة الثانية بإظهار ضروب من تفضيلات العين واليد التي هي مظهر للنمو الحركي. فيحاول الطفل في هذه المرحلة حمل الأشياء بواحدة من اليدين، كما أنه يعاين الشيء بواحدة دون أخرى من عينيه. وليس من الواضح ما يدفع إلى هذا التفضيل الحركي الحسي، فقد ذهبت المحاولات العلمية بهذا الصدد عبثًا، وما زلنا نجهل الأسباب العضوية المسؤولة عن العسر أو علاقة العسر ببعض اضطرابات النطق كالتأتأة.

أخيرًا، فالحديث عن النمو الجسدي عند الوليد لا يكتمل إذا لم نتحدث عن دور العاطفة والإثارة اللتين تعتبران، لدى جميع الاختصاصيين النفسيين، من الركائز الحيوية في تأمين تطور سليم عند الوليد على جميع الأصعدة. وفي هذا



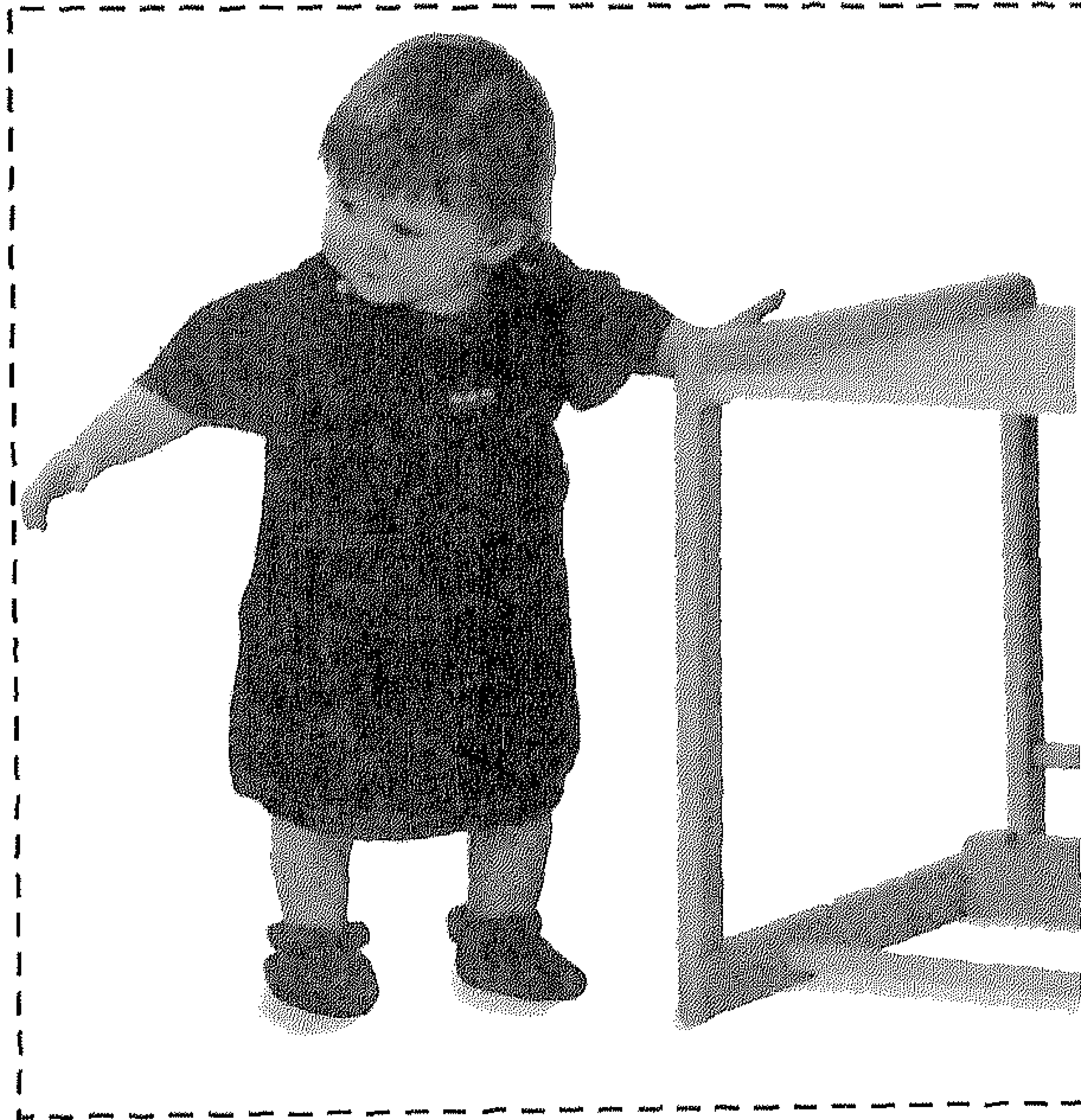
الإطار نود التركيز على تأثير المحيط الذي ينشأ ويترعرع فيه المولود الجديد، وفي الوقت نفسه على التفاعل المستمر بين المحيط والعوامل الوراثية، إذ إن هناك العديد من خصائص شخصية الإنسان التي تأتي نتيجة هذا التفاعل، مثل الاستقرار العاطفي والخجل، والشخصية الاجتماعية، وبعض الأمراض العقلية والنفسية. ومن الجدير ذكره هنا هو أن ضمن عملية النمو عند الإنسان، هناك نواحٍ من التطور تبدو لنا وكأنها بيولوجية محضة، أي إنها تخضع لروزنامة بيولوجية منتظمة، ولتنظيم وراثي محدد. ويعتقد الباحثون أن هناك عملية نضوج أساسية تبرمج مراحل النمو والتغيرات عند الإنسان بغض النظر عن الظروف المحيطة الخارجية. لكن يضيف الباحثون أن هذه العملية الأساسية قد تتزعزع إذا كان المحيط الخارجي غير سليم.

وتأتي عملية التطور الحركي بعد الولادة كأفضل مثل عن هذا التفاعل بين البرنامج البيولوجي وتأثير المحيط الخارجي، فكل الأطفال، في كل أنحاء العالم، يخضعون لنفس التسلسل الزمني في اكتساب المهارات الحركية.

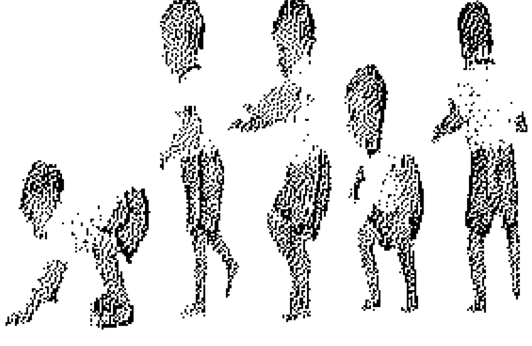
لكن يلاحظ الباحثون أنه حتى ضمن هذا النمط المنتظم من النمو الحركي، هناك الكثير من الفروقات بين الأطفال في اكتساب بعض المهارات، إذ إن النمط قد يختلف من طفل إلى آخر، وهنا يركز علماء التطور على أهمية التفاعل بين العامل البيولوجي وعامل الخبرة والتعلّم.

لنأخذ مهارة الوقوف مستندًا إلى الأثاث مثلاً، نرى أن 25٪ من الأطفال ينجزونها في عمر الخمسة أشهر والنصف، و 90٪ من الأطفال يتقنونها في عمر

العشرة أشهر. ولتفسير مثل هذه الفروقات بين الأولاد، لابد من الالتفات إلى بعض الدراسات التي أجريت في مجتمعات مختلفة تتميز بتقاليدها وطقوسها الخاصة وكذلك بنظرة معينة لتربية الأطفال، ومقارنة هذه المجتمعات بعضها بالبعض الآخر بالتركيز على مدى تأثير هذه البيئات المختلفة على نمط تطور الأولاد الذين ينشأون ضمنها.

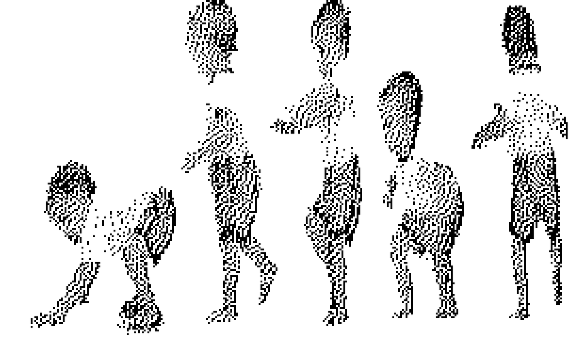


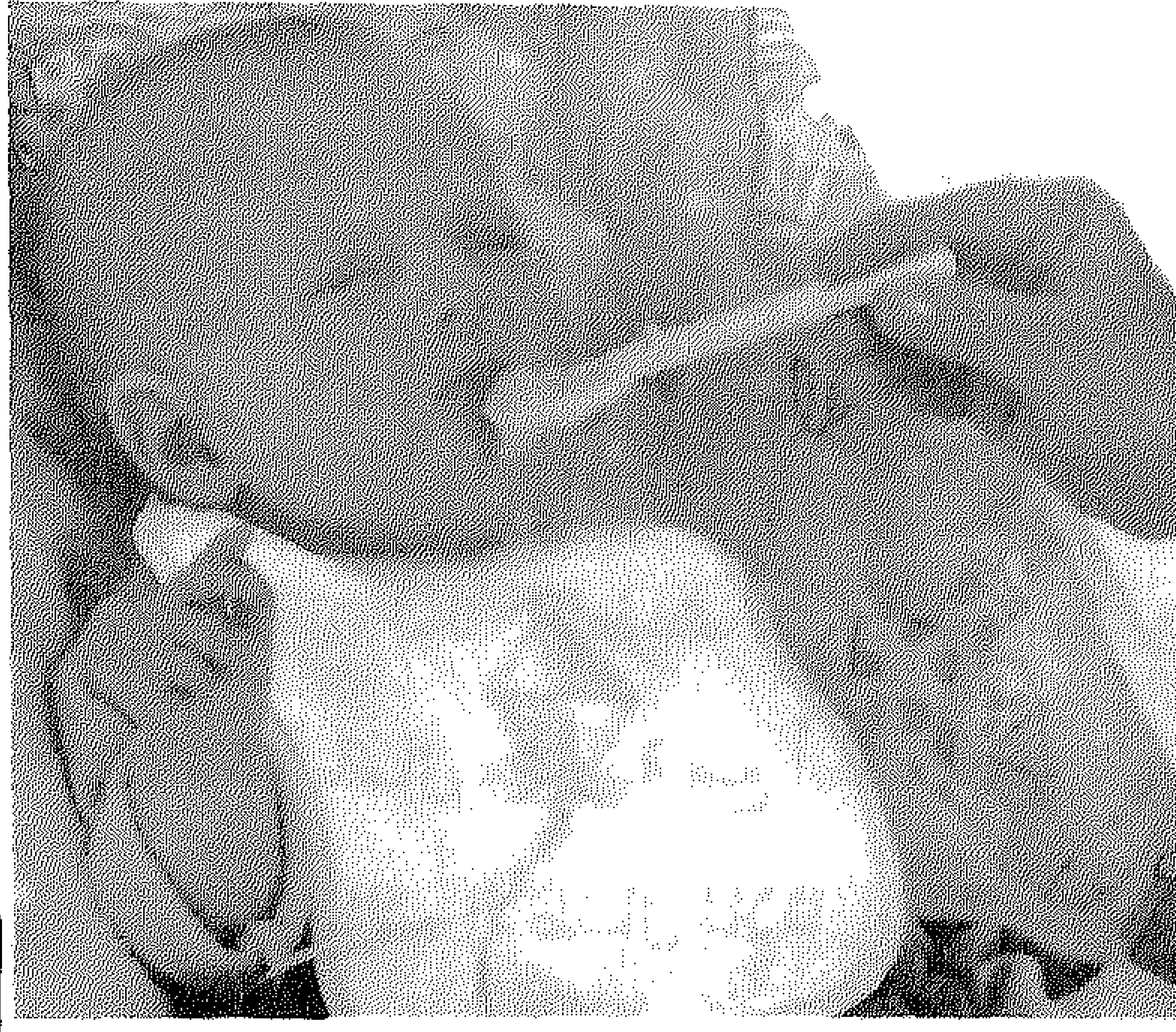
ومن هذه الأبحاث، دراسة العلاقة بين التقليد السائد في بعض المجتمعات بما يخص لفّ المولود الجديد بالقماط لفترة قد تمتد من شهر إلى ستة أو سبعة أشهر بعد الولادة، ونمط تطور الطفل من الناحية الحركية. فقد أشارت النتائج الأولية في مثل هذه الأبحاث التي أجريت منذ أكثر من خمسين عامًا أن النمو الحركي عند الإنسان لا يتأثر بمثل هذه العوامل (القماط)، فالطفل الذي خضع لاستخدام القماط في الشهور الأولى من حياته يستطيع أن يمشي في نفس العمر مثل الأولاد الذين لم يخضعوا لمثل هذه الممارسة.



## ثانياً - التطور الحسي

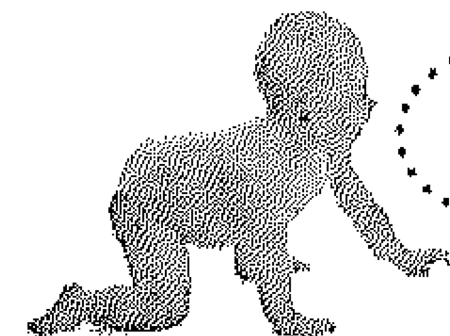
**1- حاسة اللمس:** إن حاسة اللمس مهمة جدًا في تأثيرها على النمو الجسدي، إذ إن الدراسات التي أجريت على الأطفال الخدج (الذين يولدون قبل الأوان) تشير إلى أن التدليك اللطيف لمرات عديدة يوميًا يؤدي إلى تزايد أسرع في الوزن عند هؤلاء الأطفال مقارنة مع أطفال لم يخضعوا إلى مثل هذه التدابير. وبالفعل فإن تعريض هؤلاء الأطفال للإثارات الحسية المتنوعة (سماع الموسيقى أو تسجيل لدقات القلب أو لصوت الأم وحتى الاستلقاء على فراش مائي) له تأثير إيجابي على نمو الأطفال الخدج، بمعنى أن مثل هذه الخبرات أدت حسب الدراسات إلى زيادة في الوزن، وتنظيم في نمط النوم، ومستوى أعلى من الإدراك، خلال الأسابيع الأولى بعد الولادة. هذا وإن حاسة اللمس متطورة جدًا عند الولادة. ولقد رأينا في حديثنا حول الانعكاسات كيف يستجيب المولود الجديد للمس، خاصة في المنطقة القريبة من الفم، وفي الكف وأسفل القدم. وكذلك فإن استجابة المولود الجديد للحرارة المحيطة قوية عند الولادة، ويبدو أنه حساس للمثيرات التي تكون أبرد من حرارة جسمه، كما أن استجاباته واضحة جدًا لأي تغير في الحرارة. أما بالنسبة للشعور بالألم، فالدراسات تشير إلى أن المولود الجديد يشعر بالألم بشكل حاد، فنرى مثلاً أن عملية الختان عند المولود الذكر، التي تجري حتى دون تخدير نظرًا لخطورة إعطاء مواد مخدرة في هذا العمر المبكر جدًا، تؤدي إلى ارتفاع في دقات القلب وضغط الدم وهيجان في حالة المولود وخلل في نمط نومه لساعات بعد العملية، إضافة إلى الصراخ خلال عملية الختان.

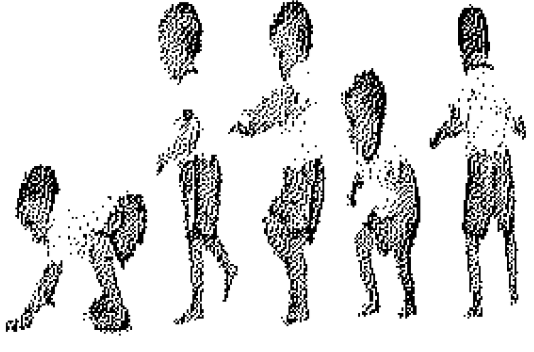




2- حاسة التذوق: يأتي المولود إلى العالم مع قدرة للتعبير عن "ذوقه"، فإذا أعطيناه ماءً محلّى نرى أن نمط رضاعته يبطؤ مع توقفات قليلة، مما يشير إلى أنه يفضل الماء المحلى، وكأنه يحاول التمتع بطعم الماء. أما إذا وضعنا ملحًا في الماء فسنلاحظ أن نمط الرضاعة يصبح متقطعًا، وكأنه يحاول تجنب هذا الطعم. كذلك فإن أسارير الوجه تتخذ تعابير معينة مما يدل على أن الرضيع يميز بين المذاقات المختلفة، فنرى ارتياحًا على وجه المولود استجابة للطعم الحلو، وتجعدًا في الشفتين نفورًا من الطعم الحامض، وتقوسًا في الفم نحو الأسفل اشمئزازًا من الطعم المر.

3- حاسة الشم: تلعب حاسة الشم دورًا مهمًا في حياة الإنسان، وعند المولود الجديد، في عملية تناول الطعام بالرغم من أن هذه الحاسة تكون أقل تطورًا إجمالاً عند الإنسان مما عند الحيوان. وتشير الدراسات إلى أن الرضيع الذي يبلغ ستة أيام من العمر مثلاً يدير رأسه نحو قطعة قطنية مبللة بحليب أمه، ولا يقوم بهذا التصرف تجاه قطعة قطنية مبللة بحليب أم غريبة عنه. إن هذه القدرة على تمييز رائحة الأم تحصل فقط عند الأولاد الذين يرضعون من ثدي أمهم. هذا وإن الأولاد الذين يرضعون من الزجاجة لديهم القدرة على التمييز بين رائحة امرأة تُرضع ورائحة امرأة لا تُرضع ويفضلون رائحة الأولى على الثانية. إن استجابة





المولود لرائحة بعض الأطعمة تشبه بشكل مدهش استجابة الإنسان الراشد، مما يشير إلى أن هناك تفضيلاً غريزيًا لبعض الروائح، فنرى مثلاً أن رائحة الموز والشوكولا تولّد ارتياحًا على وجه الرضيع، بينما رائحة البيض المعفن تجعله يعبس، كذلك إذا قربنا رائحة "الأمونياك" من أنف مولود يبلغ من العمر ست أيام نرى أنه يدير رأسه بعيدًا عن مصدر الرائحة.

4- **حاسة البصر:** لا يكتمل نمو العين عند الولادة وتستمر التغيرات الخلوية في الشبكية حتى الشهر الرابع، وهذا ما يؤثر في الحدة البصرية للرضيع. ثم إن الرضيع يميل إلى بُعد النظر لقصر المسافة بين العدسية والشبكية عما ستكون عليه لاحقًا. وهناك جوانب أخرى من الجهاز البصري يكتمل نموها مع الزمن وذلك مثل تغلف العصب البصري بالغمد الشحمي مما يؤثر في القدرة البصرية للطفل.

تنمو الحدة البصرية التي تشمل القدرة على التمييز بين خطوط مختلفة العرض خلال السنة الأولى. وقد وضع فانتس باستخدامه إجراء تفضيليًا يقيس الوقت الذي يصرفه الرضيع للالتفات إلى مثيرات مختلفة الشدة، أداة لقياس القدرة البصرية على التمييز. وجد الباحث أن بإمكان أبناء الأسبوعين أن يميزوا بين شرائط يبلغ عرضها سنتيمترًا واحدًا تقريبًا من مسافة 15 سم، كما أن بإمكانهم تمييز شريط بعرض 64/1 من السنتمتر عندما يبلغون الشهر السادس. وقد ظهر تقدم مماثل لتطور التمييز البصري في التتبع البصري. ففي حين يستطيع المولود الجديد النظر باتجاه جسم متحرك بكلتا عينيه، فإنه لا يستطيع تتبع ذات الشيء المتحرك إلا في الشهر الثالث أو الرابع.



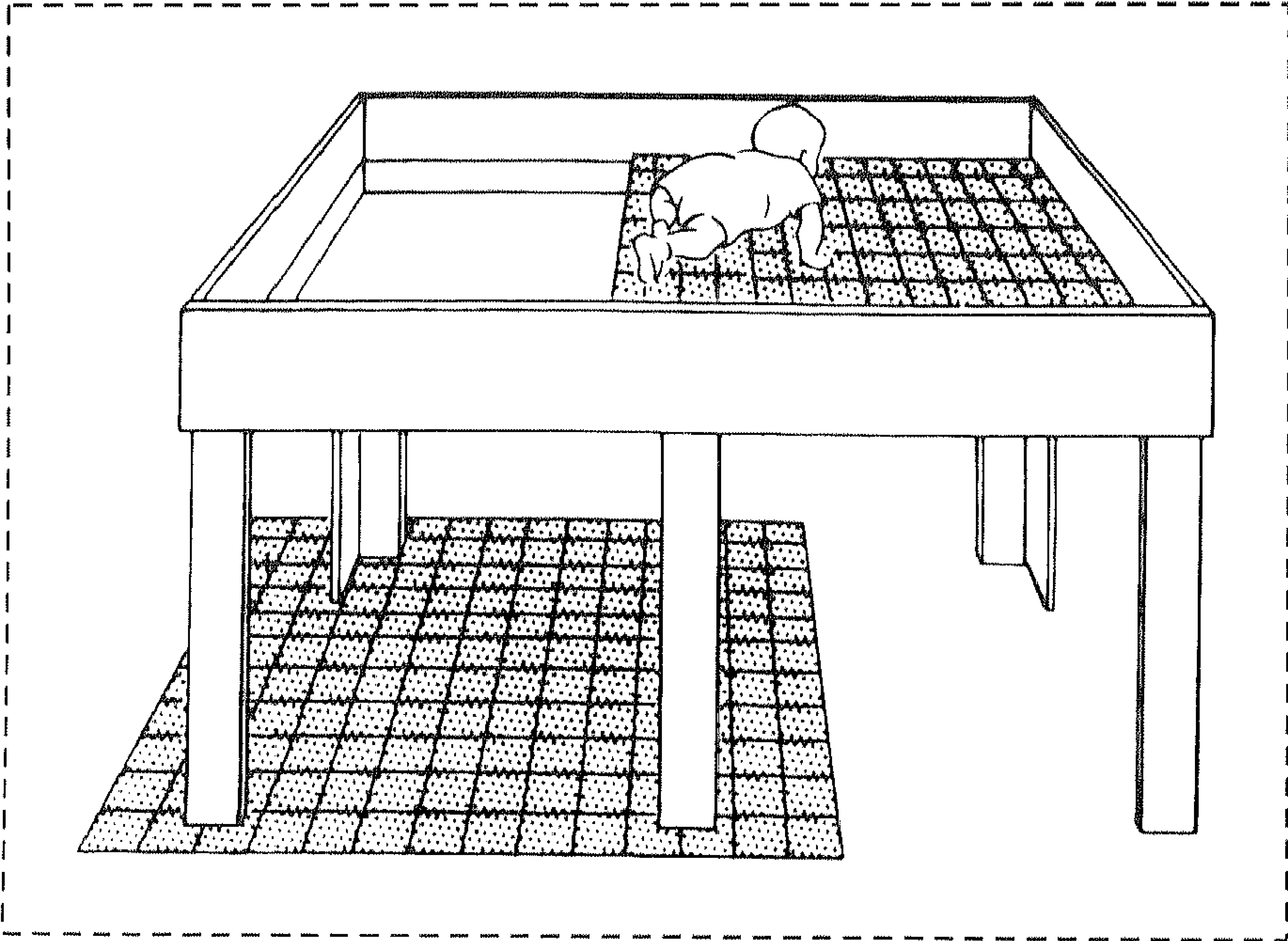
لاحظ عدد من العاملين في الدراسات النفسية أن بإمكان مختلف الأنواع الحيوانية أن تتدرب بحيث تستجيب انتقائيًا لمختلف أنماط الإثارة الحسية. ولقد بذلت جهود مكثفة لتحديد نوع المثيرات الحسية التي يستجيب لها صغار البشر أو يفضلونها. إنه من الصعب معرفة ما إذا كان الأطفال يرون الألوان فعلاً، إلا أن البنية البصرية الملائمة قائمة لديهم منذ الولادة. وقد وُجد أن أبناء الشهر الرابع ينتبهون لموجات الأزرق والأحمر لفترة أطول من انتباههم للموجات الأخرى.

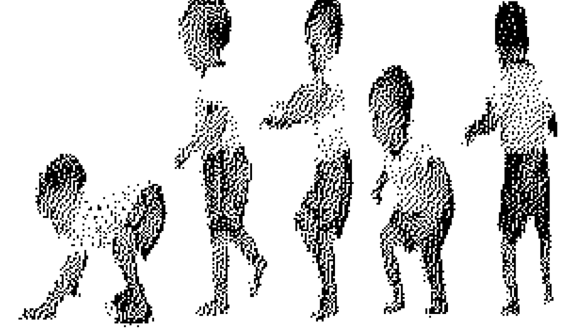
أجري عدد من الدراسات لفحص انتباه الأطفال للوجوه ولتحديد السن التي يبدأون فيها ذلك الانتباه. يبدو أن الرضع يبدأون التطلع إلى الوجوه وخاصة منطقة العين، في حوالي الأسبوع الثالث أو الرابع. ويفضل أبناء الشهر الرابع الوجوه التي تمتلك ملامح عادية على تلك التي يبدو فيها التعقيد أو التشويه.

وثمة أدلة علمية على ميل الأطفال لتفضيل المثيرات المعقدة كلما تدرجوا في العمر. تحدد تفضيلات الأطفال بعرض شكلين في حقل إدراكي محدد فوق رأس المولود. ويلاحظ تثبيت الطفل لعينيه في الشكلين عبر ثقب في الجدار. ومن الممكن مراقبة انعكاس الشكل في شبكية الطفل، والتعرف من خلالها على الشكل الذي كان الطفل يتطلع إليه، كما أن من الممكن بضبط الزمن الذي صرفه الرضيع في التحديق بالأشكال تحديد تفضيلاته لها. وجد فانتس ومساعدوه، باستخدامهم أنواعًا مختلفة من الأشكال والأشياء، ميل الأطفال منذ عمر مبكر جدًا، إلى تفضيل المثيرات التي تشكل نمطًا محددًا على المثيرات التي لا تخضع للتصنيف والتنميط. وتأكد باحثون آخرون من أن أبناء الشهر الثاني أبدوا تفضيلات واضحة

في هذا المجال. كما وجد باحثون آخرون أن أبناء الأسبوع الثالث عشر يفضلون الخطوط المنحنية على المستقيمة والمركزة على المشتتة. إلا أن الجدل ما يزال قائمًا بصدد تعقد الإدراك البصري للطفل، فعلى الرغم من الاتفاق العام حول تفضيل صغار الأطفال للمثيرات البسيطة المنمطة، فإن مسار النمو بعد ذلك يبقى غير واضح.

للنمو البصري جانب آخر يتمثل بإدراك العمق. وضع جبسون وواك في دراسة تقليدية لهما، عددًا من الرضّع على حافة جرف. شمل الجرف صفيحة زجاجية سميكة يقوم جزء منها على طاولة مغطاة رسمت عليه رقعة شطرنجية، ويمتد جزؤها الآخر عبر مساحة مكشوفة، مسند بساقين، وتحت المساحة المكشوفة المغطاة بالزجاج يوجد مزيد من الرقعة الشطرنجية التي يستطيع الطفل رؤيتها.





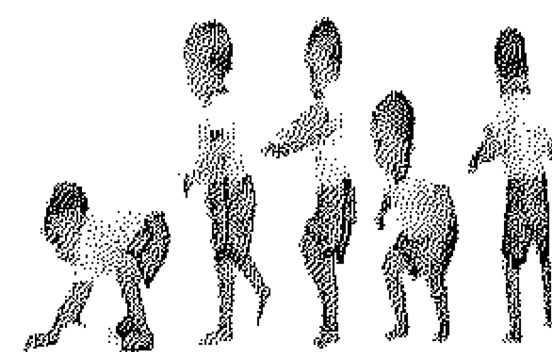
ولما كانت المربعات على الأرض أكثر بُعدًا من نظيرتها التي تشكل غطاء الطاولة، فإنها تزود الطفل بالدلائل التي تُظهر العمق، هذا إذا ما استطاع الطفل استخدامها. ولقد تبين أن الرضّع الذين وصلوا إلى عمر يستطيعون فيه الزحف (6-6 أشهر) والذين وضعوا على طرف الطاولة المغطى بالرقعة الشطرنجية، تجنبوا الزحف عبر الجانب العميق من الصفيحة الزجاجية. يستنتج من ذلك أن لأغلب الأطفال القدرة على إدراك العمق في هذا العمر.

ليس واضحًا الزمن الذي يدرك فيه الأطفال استمرارية الحجم والشكل والتي هي إجراء تصحيحي يقوم به الدماغ ليساعد الفرد المدرك على رؤية الأشياء البعيدة بالحجم نفسه الذي ترى فيه عن كثب. فلقد ادعى باور أن بعض مظاهر الشكل والحجم توفرت للرضع في الأشهر القليلة الأولى من العمر إلا أن باحثين آخرين يعتقدون أن تلك القدرات تتأخر حتى نهاية السنة الأولى. ويبدو أن الخلاف يرجع إلى استخدام الباحثين قياسات مختلفة لتحديد الحجم والمسافة. وبصورة موجزة نفسر فيما يلي أهم الملاحظات التي نتجت عن هذه الدراسات:

- إن المولود الجديد في أسابيعه الأولى يستجيب لعنصر الحركة، فإذا قربنا شيئًا من عينيه أغلقهما بطريقة دفاعية.
- إن المولود الجديد يتعلم كثيرًا عن عمق وبُعد الأشياء عندما نحمله وننتقل به في الغرفة، فهو يتبع الأشياء بعينه ويبتهج لكل ما يراه.
- يستطيع الطفل في شهره السابع أن يميز بين الأشياء القريبة والأشياء البعيدة على الصور، فتراه يحاول التقاط شيء يبدو قريبًا على الصورة ويتجاهل الشيء الذي يبدو بعيدًا. إن هذا النوع من الإدراك يكتسبه في الشهر السابع.



- إن القدرة على إدراك العمق والبُعد تتطور مع تطور قدرة الطفل على التنقل المستقل، فهناك علاقة قوية جدًا بين هاتين القدرتين، إذ إنه في بدء مرحلة الزحف والحبو عند الطفل، أي في حوالي الستة أشهر الأولى، نرى أن الطفل يقع ضحية الكثير من الحوادث وهو يتنقل من مكان إلى آخر، ولكن هذه الحوادث ما تلبث أن تزول تدريجيًا مع ازدياد الكفاءة عند الطفل. وكلما أصبح خبيرًا في الزحف والحبو تجنب الزوايا والأطراف والمواقع الخطرة. إن أهمية التنقل المستقل لا تقتصر على القدرة على إدراك العمق والبُعد عند الطفل، بل

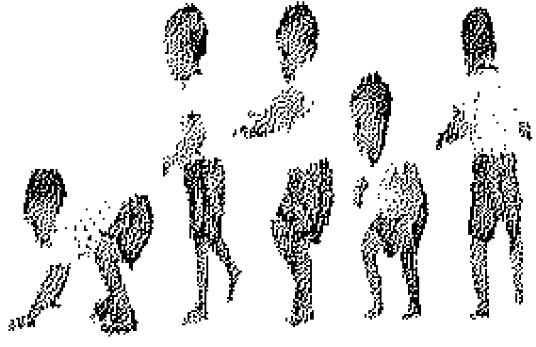


نلمسها في مجالات أخرى مثل تطوير التحديد المكاني والذاكرة، فنرى مثلاً أن الأولاد الذين يزحفون ويحبون لديهم قدرة على تذكر مواقع الأشياء والعثور على الأشياء المفقودة بصورة متفوقة على زملائهم من نفس العمر الذين لا يزحفون ولا يحبون.

5- **حاسة السمع:** يستطيع المولود أن يسمع العديد من الأصوات لكن هناك بعض الأصوات التي تثير اهتمامه أكثر من غيرها، فنراه مثلاً يفضل الأصوات المعقدة مثل صوت الإنسان على الأصوات البسيطة الفارغة. فصوت الإنسان مليء بالتغيرات والتموجات، خاصة عندما نتكلم مع الطفل، إذ أن الأم تلاعب وتمازح مولودها بصوتها مما يثير عده ردة فعل مميزة.

تكون حاسة السمع متطورة جدًا عند الولادة، وتشير الدراسات إلى أن المولود الجديد يدير رأسه نحو مصدر الصوت، والجدير ذكره هنا هو أن هذه الاستجابة تختفي عند الأسبوع السادس لتعود وتظهر في الشهر الثالث أو الرابع حيث يبدأ بالبحث بعينيه عن مصدر الصوت. هذا ويشكل اختفاء الاستجابة في الأسبوع السادس مرحلة انتقالية في عملية النضوج من العملية الانعكاسية اللاإرادية إلى محاولة إرادية ناشطة من قبل المولود لتحديد مصادر الأصوات في محيطه. وهكذا نرى أن للمولود في شهره السادس مستوى عالٍ من الإدراك والاستجابة للأصوات المقرونة بمثيرات بصرية جذابة.

تؤكد الدراسات أن المولود الجديد يستطيع التمييز بين صوتين متشابهين جدًا، بين صوت الإنسان وأصوات أخرى، وإنه يستطيع التمييز بين عدة خصائص

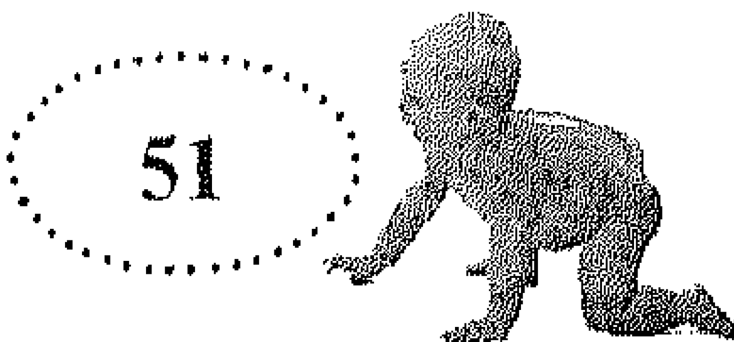


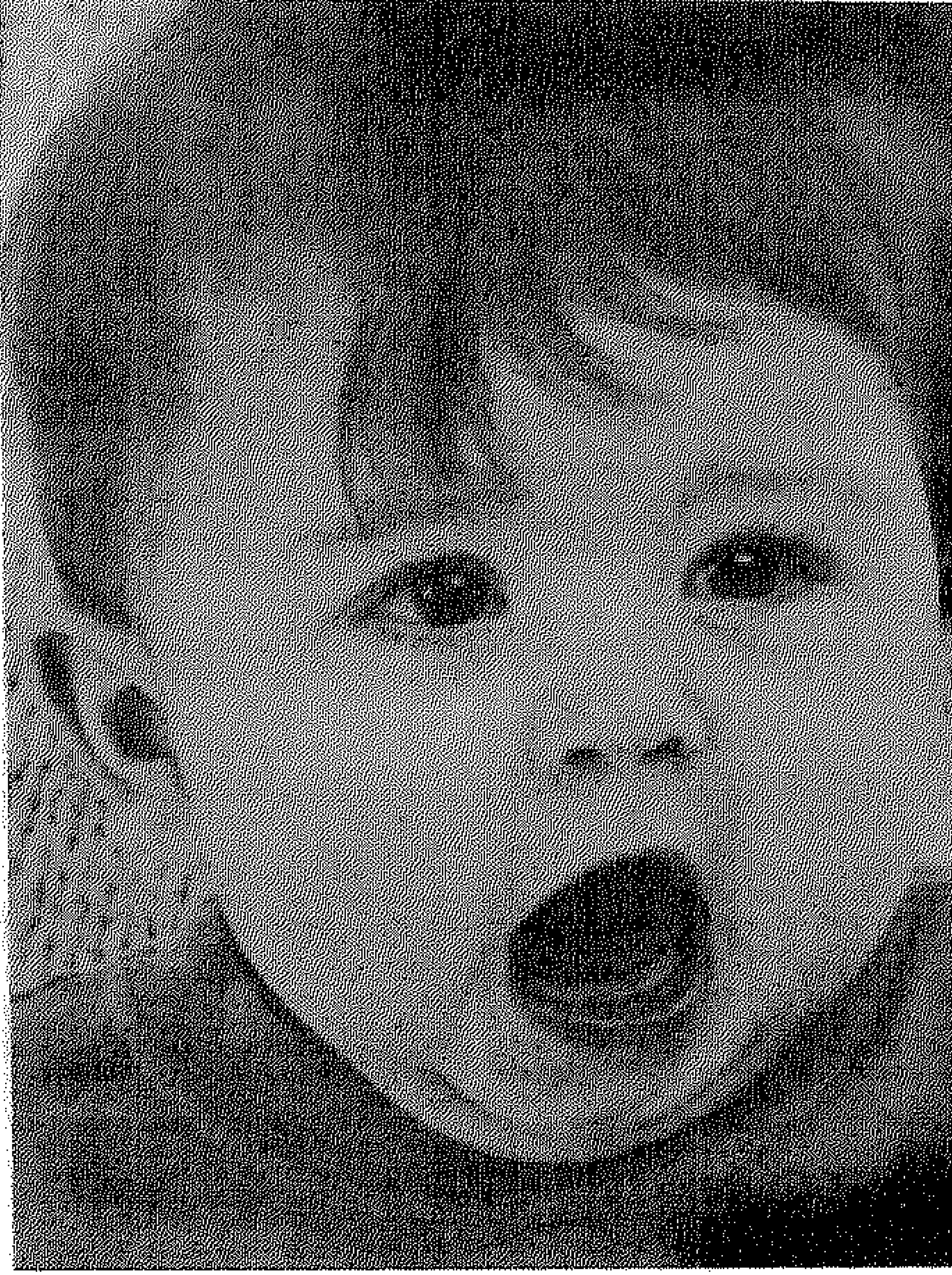
من كلام الإنسان، فمثلاً عند الشهر الأول تكون لديه القدرة على التفرقة بين لفظي الميم والنون والآ والإي حسبما تشير إليه إحدى الدراسات في هذا الإطار، وكما قلنا سابقاً أن الطفل يستطيع التمييز بين الأصوات خاصة صوت الأم، فالاختبارات التي أجريت على مواليد من بضعة أيام تشير إلى أن نمط رضاعتهم يبطؤ عند سماع تسجيل صوت إنسان أو أغنية، مما يعني أن التسجيل لفت انتباههم، بينما سماع أي صوت آخر لا يؤثر على نمط الرضاعة. كذلك فإن المولود يفضل صوت دقات القلب وأصوات الأنثى على أصوات الذكور، ويفضل صوت أمه على أصوات نساء أخريات، لكنه لا يفضل صوت أبيه على أصوات الرجال الآخرين.

## ثالثاً - تطور اللغة

**أ) كيفية اكتساب النطق:**

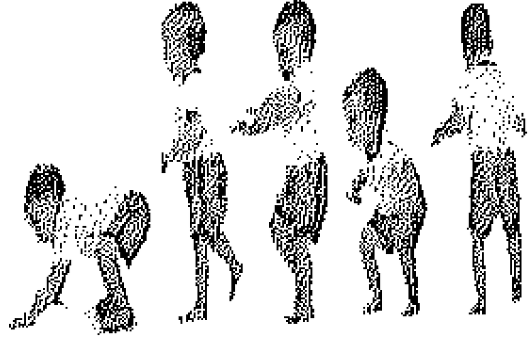
**1- من الشهر الثاني حتى الشهر الثامن:** قبل أن ينطق المولود كلمته الأولى يشعر الأهل بأنه يتجهز بشتى الطرق لهذا الإنجاز، فهو يتسمع بانتباه ويردد بعض الأصوات التي تشبه النطق، وبالطبع، عند صدور مثل هذه الأصوات يهب الأهل للاستجابة بطرق عديدة ومتنوعة هدفها تشجيع الطفل على تكرار هذه الأصوات. ففي شهر الثاني، يبدأ المولود بإصدار أصوات ناعمة نسميها المناغاة، ويرى علماء النفس أن للمناغاة قيمة شبه اتصالية مع المحيط، إذ إن المولود يناغي عندما يكون مرتاحًا وكأنه يريد أن يعبر من خلال هذه الأصوات عن مدى ارتياحه وسعادته.





عند الشهر السادس تظهر المقاطع الكلامية الأولى، وهي تشبه سلسلة طويلة من الأحرف الملتصقة ببعضها البعض مثل "باباباب" أو "تاتاتاتا" والجدير ذكره هنا أنه لا يبدو أن المولود يستخدم هذه الأصوات بغية الاتصال مع محيطه، بل تأتي هذه الإنجازات الصوتية في إطار الاختبار الذاتي، وكأن الطفل يستمتع باكتشاف قدراته الصوتية واختبار نبراته وإيقاعه ومهاراته في إصدار أصوات وألفاظ مختلفة تتطلب التلاعب بالشفتين واللسان. إن مثل هذه المرحلة الاستكشافية مهمة جداً للطفل، لأن العديد من هذه الأصوات والألفاظ، معرض المولود لكلام وحديث الآخرين في محيطه، سوف تندمج مع بعضها البعض لكي تصبح كلماته الأولى.

مما لاشك فيه أن ردة فعل المحيط لهذه الإصدارات الصوتية عند المولود لها تأثير كبير على تطور النطق عنده، فالبيئة الاجتماعية الغنية، ونعني بهذا حيث تكون استجابة الأهل لمحاولات المولود النطقية متنوعة وواضحة، توفر له ثروة لغوية تساعده على اكتساب النطق.



عند عمر الأربعة أشهر، يبدأ المولود بتوجيه نظره إلى ما تنظر إليه الأم، وعند حدوث ذلك تعلق الأم على ما يراه، هكذا يتخذ محيط الطفل أسماء. ويعتقد الباحثون أن مثل هذه العملية مهمة جدًا لاكتساب النطق باكرًا. عند بلوغه الستة أشهر، يبدي المولود اهتمامًا بالألعاب الثنائية مع والديه حيث يتوجب عليه تركيز انتباهه على ما يقوم به الأب مثلاً، ومن ثم الاستجابة، وأخيرًا انتظار استجابة الأب لاستجابته هو.

2- **من الشهر الثامن حتى الشهر الثاني عشر:** في هذه المرحلة، نشير إلى أهمية نوعية الكلام الذي يستعمله الكبار مع الطفل، ففي معظم أنحاء العالم، يأتي هذا الكلام على شكل جمل قصيرة مكونة من كلمات بسيطة مع لفظ واضح وتعابير بالوجه. كذلك فإن الأمهات إجمالاً عندما يتكلمن مع أولادهن الصغار يرددن الجمل، ويسألن الأسئلة، ويعطين تأشيرات سهلة، وكأنهن يختبرن ما إذا وصل المعنى بالشكل المناسب إلى الطفل. ولا يبدو من خلال هذا النوع من الكلام وكأن الأم تحاول تعليم الطفل النطق، إذ إن نوع الكلام نفسه نستعمله عندما نحاول التواصل مع أشخاص غرباء لا يفهمون لغتنا ولا نتقن لغتهم.

وتشير دراسات عديدة في هذا الإطار إلى أن الأولاد يفضلون هذا النوع من الكلام على الأنواع الأخرى من حديث الكبار، إذ أنه يتلاءم مع احتياجاتهم وقدراتهم الاتصالية، كما أن هناك بعض الأبحاث الحديثة التي أكدت أن استخدام مثل هذا النوع من الكلام مع الأولاد الصغار (أي قبل السنتين) يؤدي إلى تطور سريع في النطق. ومن الجدير ذكره أن كمية المحادثة التي تجري بين

الأهل والطفل تعتبر مؤشرًا ممتازًا للتطور المبكر للنطق، لأن هذا النوع من الكلام بالذات يوفر مهارات جديدة. وبالفعل نرى أن السبب الرئيسي لبطء اكتساب النطق عند التوائم هو أنهما غير معرضين لظروف المحادثة مع الأم التي تكلمنا عنها، وذلك لاضطرارها إلى تقسيم وقتها بين الولدين أو عدد كبير من الأخوة. من ناحية أخرى، قلة الصبر عند الأهل وإحباطهم لأي مجهود يقوم به الطفل للنطق قد يؤثران سلبيًا على الطفل، فيخف عنده الحماس والاندفاع للتواصل، كما قد يؤدي ذلك إلى مهارات لغوية غير ناضجة.

تمتاز هذه المرحلة - بين الشهر الثامن والشهر الثاني عشر - باستخدام الطفل للإشارات بشكل إرادي لكي يدل على الشيء الذي يرغبه، وبهذه الطريقة يدرك أنه يستطيع التأثير على محيطه (الحصول على الشيء) وعلى من فيه (جعل الشخص الآخر يعطيه الشيء المرغوب). عندما يستجيب الكبار لإشارات الطفل باستعمال الكلمة المربوطة بالشيء الذي يرغب في الحصول عليه، يتعلم الطفل أن استخدام الكلمة قد يؤدي إلى تنفيذ سريع لرغباته. وهكذا، تدريجيًا يبدأ ابن السنة بلفظ الكلمة المناسبة مقرونة بالإشارة، إلى أن تختفي الإشارة وتبقى الكلمة.

3- **من الشهر الثاني عشر حتى الشهر الثامن عشر:** في هذه المرحلة تظهر الكلمات الأولى، وهي إجمالاً كلمات ترمز إلى أشياء متحركة، أو أفعال وأصوات مألوفة. ويلاحظ الباحثون في مجال النطق أن العديد من الكلمات الأولى التي تظهر عند الطفل تكون مربوطة باكتسابات ذهنية معينة، وكأنه يتحمس لاكتساب الكلمة المتلائمة مع العملية الفكرية التي تتبلور في ذهنه. ومن الجدير ذكره أن

الطفل لا يستعمل كلماته الأولى بنفس الطريقة التي نستعملها نحن، فيكون أحيانًا استعمال الكلمة محدودًا جدًا ومقتصرًا على شيء معين (مثلاً كلمة "يارا" تعني سيارة والده فقط وليس بقية السيارات) أو يكون معممًا بمعنى أن الطفل يستخدم نفس الكلمة للإشارة إلى عدد كبير من الأشياء (مثلاً كلمة "عوعو" تعني كل الحيوانات ذات الأقدام الأربعة). كلما تطورت المفردات في لغة الطفل، استطاع أن يقوم بالتمييز الدقيق وتخف مثل هذه الأخطاء اللغوية عنده.

4- **من الشهر الثامن عشر حتى السنتين:** في البدء يكون اكتساب المفردات بطيئًا، بمعدل كلمة واحدة إلى ثلاث كلمات جديدة بالشهر، ولكن تشهد المرحلة الممتدة من الشهر الثامن عشر حتى السنتين تطورًا سريعًا في هذا الإطار، حيث إن معظم الأولاد يكتسبون بين عشر وعشرين كلمة جديدة كل أسبوع، وبالفعل عند عمر السنتين نلاحظ أن الولد يمتلك حوالي مائتي كلمة في قاموسه الخاص. كذلك فإن العام الثاني يشهد تطورًا لغويًا مهمًا جدًا وهو محاولة الطفل تكوين الجمل، وهنا يتحدث الاختصاصيون عن "اللغة التلغرافية" حيث يدمج الطفل كلمتين يستطيع من خلالهما إيصال ثروة من المعاني إلى أهله، وبالرغم من محدودية هذه الجمل من الناحية اللغوية، نلمس دهشة الأهالي أمام إبداع ابن السنتين في اختيار الكلمات ودمج بعضها بالبعض الآخر للتعبير عن احتياجاته ومشاعره.

**ب) النطق والاستيعاب:**

يؤكد الباحثون أن الفهم في كل المراحل التطورية يسبق النطق، فترى مثلاً ابن الثمانية أشهر يذهب ويبحث عن الكرة الحمراء عندما تسأله والدته "أين

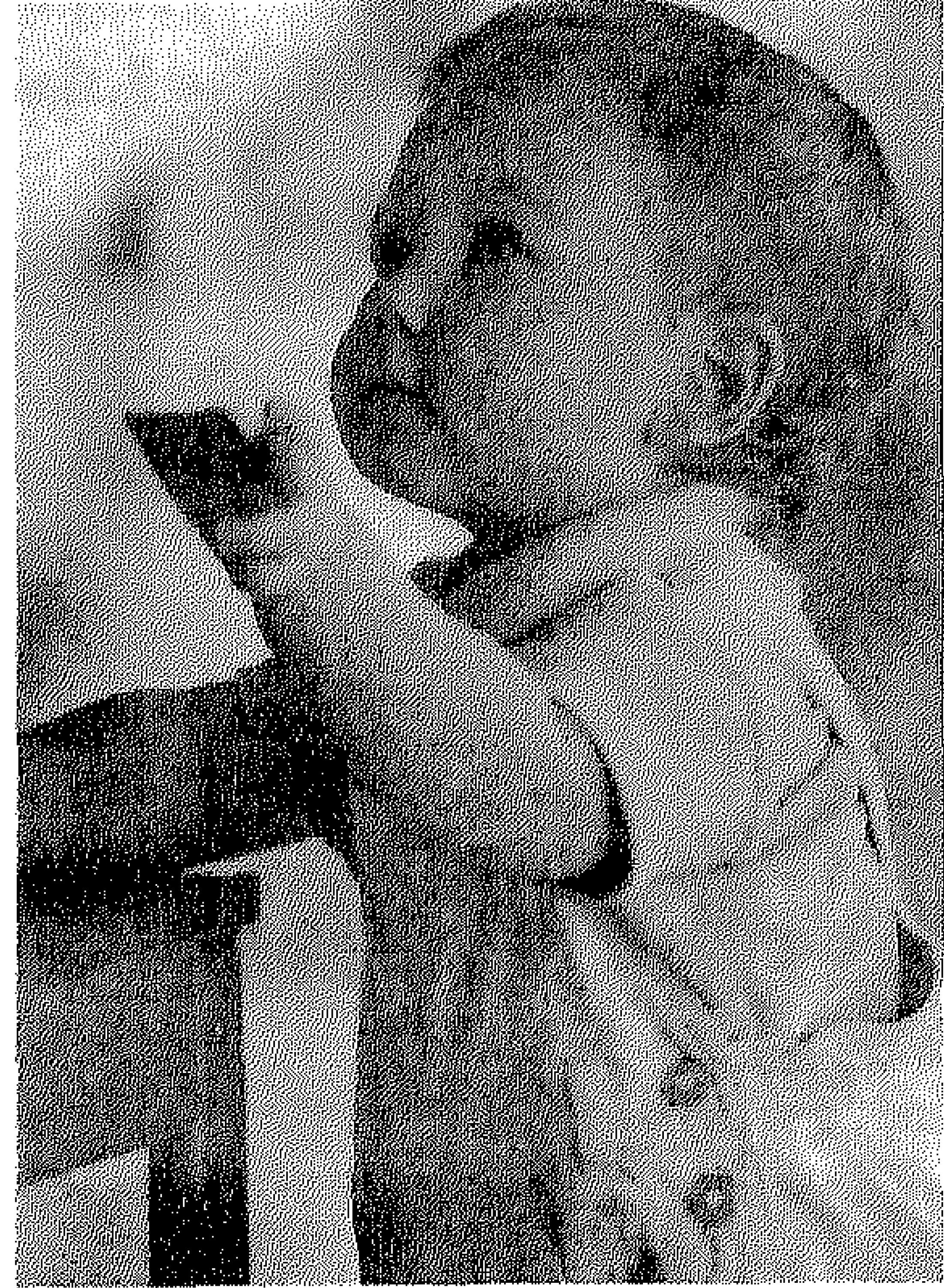
الكرة الحمراء؟" كذلك فإن ابن السنتين يلبي العديد من التأشيرات مثل "اجلب زجاجة العصير إلى هنا" أو "لا تلمس النبات"، بالرغم من أنه لا يستطيع التعبير عن كل هذه الكلمات بلغته هو.

ويفسر الباحثون هذا الأمر بأن استيعاب مفهوم معين يتطلب أن يتعرف الطفل إلى معنى الكلمة، بينما يتطلب النطق أن يتذكر أو أن يستخرج الكلمة من ذاكرته بالإضافة إلى المفهوم الذي ترمز إليه هذه الكلمة. هكذا يتبين أن نطق الكلمة أصعب من فهمها، وفشل ابن السنتين في قول الكلمة لا يعني أنه لا يفهمها. لذلك فعندما نريد تقييم تطور النطق عند الطفل يجب أن نأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، وإذا اعتمدنا فقط على ما يقوله الأطفال، قللنا كثير من تقديرنا لمعرفته اللغوية.

**ج) الفروقات الفردية:**

إن تطور النطق عند الطفل هو نتيجة مزيج معقد بين العوامل الوراثية، والبيولوجية والبيئية. نعرف مثلاً أن الإناث يتفوقن على الذكور في اكتساب المفردات في عمر مبكر. إضافة إلى عامل الجنس، هناك شخصية الطفل التي تلعب دورًا مهمًا في هذا الإطار، إذ نرى أن الطفل الخجول والمتحفظ ينتظر أن يستكمل فهمه للكلمات قبل أن يحاول النطق، والجدير بالذكر هو أنه عندما ينطق، ينمو قاموس مفرداته بسرعة هائلة، ويقوم بدمج الكلمات بعضها مع البعض الآخر بشكل شبه تلقائي.

**الفهم قبل الكلام**



قبل أن يتعلم الولد الكلام، يبدأ بفهم ما يقوله أقرباؤه، ويحاول تقليد حركاتهم وأصواتهم. لذلك ينبغي أن تباشري التكلم مع طفلك منذ صغره. بهذه الطريقة، يختزن الكلمات والجمل شيئًا فشيئًا، ويفهم معانيها، هذه الكلمات التي ستشكل لغته يومًا ما. وقبل تمكنه من الكلام، حدثيه عن اختباراتكما المشتركة، وارْوي له بعض الكتب المصوّرة وبعض الحكايات. وعند شروعه بالكلام، افسحي له مجال الحوار معك.

كما أن لكل طفل أسلوب نطق مختلف، فبعض الأطفال يفضلون الأسلوب الوظيفي بينما البعض الآخر يفضل الأسلوب التعبيري المكون بمجمله من تعابير اجتماعية وألفاظ تعبر عن احتياجات ومشاعر الطفل. وتشير بعض الدراسات إلى أن الأطفال يستخدمون الأسلوب التعبيري، وذلك لأن اللغة، إجمالاً، تحتوي على كلمات وظيفية (أسماء الأشياء والأشخاص) بنسبة أعلى من الكلمات التعبيرية. لكن من الجدير ذكره هنا هو أن هذا الفرق في نمط اكتساب النطق بين الأسلوبين غالبًا ما يزول مع تفاعل الطفل المستمر في بيئات لغوية متنوعة.

## رابعاً - التطور الذهني

رأى بياجيه أن الطفل، بين الولادة والمراهقة، يمر بأربعة مراحل من التطور الفكري، وهنا سنتحدث عن المرحلة الأولى، الممتدة من الولادة حتى عمر السنتين، وهي مرحلة التطور الحسي الحركي.

فالطفل في هذه المرحلة يفكر بعينيه، وأذنيه، ويديه، وبكل ما لديه من مهارات حسية وحركية، أي إنه يستكشف العالم حوله من خلال هذه المهارات. فكل ما يقوم به الطفل من حركات وسلوكيات في الأشهر الأولى من الحياة يأتي عشوائيًا، وتصبح هذه السلوكيات تدريجيًا أكثر انضباطًا وإبداعًا إذ أن الطفل في عمر الخمسة عشر شهرًا مثلاً، يدرك أن هناك بعض القواعد الثابتة لهذه السلوكيات، فتنتقل من كونها حركة محضة إلى مستوى ذهني، ونلاحظ أن الطفل بدأ يفكر قبل أن يفعل. لنأخذ مثلاً سلوكًا مميزًا عند الأطفال في سنتهم الأولى، كرمْي الأشياء أرضًا، فنحن نعرف أن كل الأولاد ابتداءً من عمر الستة أشهر يمضون الكثير من وقتهم في رمي أي شيء أمامهم إلى الأرض، وينظرون باهتمام إليه وهو يقع، ونلاحظ أيضًا أن مع مرور الزمن، أي في عمر السنة والنصف، يبدأ الطفل بالتفنن في عملية رمي الأشياء، فيرمي بعض الأشياء إلى الأعلى، والبعض الآخر نحو الحائط، ويستعمل القوة مع بعضها، ويكون ألطف مع البعض الآخر.

كل ذلك يشير إلى أن الطفل انتقل من مستوى الفعل إلى مستوى أعلى، هو مستوى التفكير بالفعل، أو التفكير قبل الفعل، أي بكلام آخر، تطور سلوك الطفل

من التصرف الفطري العفوي إلى التصرف غير العشوائي والمقصود. ويرى "بياجيه" أن



هناك عمليتين مهمتين تجريان في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل وهما: التأقلم والتنظيم.

1- التأقلم: أي عندما يتعاطى الطفل مباشرة مع محيطه ويتأثر بنتيجة هذا التعاطي. والتأقلم يقوم على نشاطين أساسيين هما: الاستيعاب والتلاؤم. أما الاستيعاب فيعني به بياجيه عملية فطرية موجودة عند جميع المخلوقات بهدف التأقلم من أجل البقاء، وهي تساعد الإنسان على فهم ما يحصل في عالمه بضم المعطيات الخارجية إلى هيكلية المفاهيم المتوفرة داخليًا. وحتى يستوعب الطفل، عليه أولاً أن يتقبل المعلومات الجديدة ويحاول أن يفهمها، ثم أن يلائمها مع ما عنده، فيضمها إلى المعلومات السابقة لديه.

أما بالنسبة للتلاؤم، فهي حاجة فطرية موجودة عند جميع المخلوقات، وحتى يتلاءم الإنسان، عليه أن يعدل التصاميم المعرفية الداخلية لديه لتتناسب مع المعطيات البيئية الجديدة. ويحصل ذلك عندما يدرك الطفل أن التصميم القديم أو المألوف لديه لا ينطبق بشكل صحيح مع المفهوم الجديد، فعندئذ يبحث عن تصميم جديد لمطابقة المعلومات الجديدة.

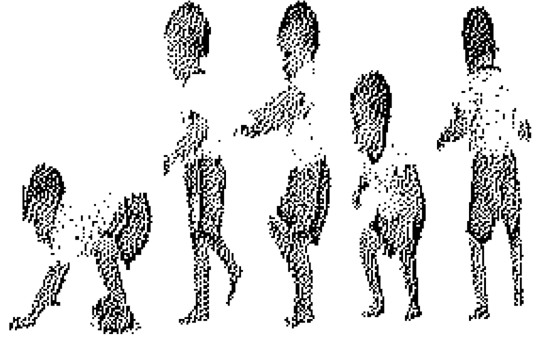
والجدير ذكره هو أن نشاطي الاستيعاب والتلاؤم مترابطان في كل لحظة من لحظات التفاعل مع العالم الخارجي.

2- **التنظيم:** بعد عملية التأقلم، تخضع المكتسبات الجديدة عند الطفل لعملية ثانية هي التنظيم، وهي عملية داخلية تجري إلى جانب الاتصال المباشر مع المحيط فيباشر الطفل بترتيب هذه المكتسبات الجديدة بعضها مع البعض الآخر وربطها بمفاهيم أخرى متوفرة لديه حيث تصبح كلها جزءًا من نظام فكري مترابط. فمثلاً بعدما تعلم الطفل أن رمي الأشياء أرضًا يختلف عن رميها تجاه الحائط يستطيع الآن أن يربط هذين النشاطين بمفهوم القرب والبُعد.

إن المرحلة الأولى من التطور الذهني حسب نظرية "بياجيه" هي المرحلة الحسية الحركية، لأن الطفل يفكر ويكوّن معرفته من خلال أفعاله المرتبطة بحواسه وحركاته، فيتعرف على العالم الخارجي من خلال التفاعل مع أمه وأبيه، ومع بعض المفاهيم الأساسية مثل: الطعام، الحمام، السرير، داخل وخارج، قريب وبعيد، فوق وتحت، بارد وساخن، ناعم وخشن.. الخ.

وفي هذه المرحلة، يكون تفكير الطفل أنويًا، أي إن المحور الوحيد هو ذاته. وفيما يلي تلخيص لأهم خصائص هذه المرحلة:

إن أول مظاهر الذكاء تتجلى عند الطفل في المرحلة الحسية الحركية، وتُعرف بالذكاء الإبداعي، حيث نرى أن الأطفال يبتكرون باستمرار وسائل للحصول على ما يريدونه. ويظهر هذا الذكاء قبل ظهور اللغة، فالذكاء اللغوي والتفكير الذي

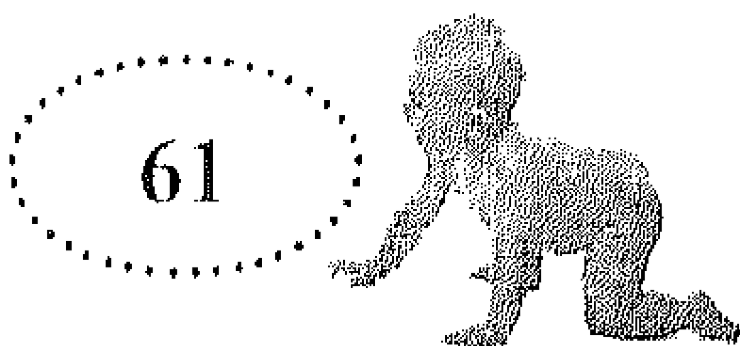


يكتسبه الأطفال فيما بعد يبنيان على أساس العمليات الفكرية الإبداعية التي تشكل الذكاء الحسي الحركي.

فبعد العشوائية وعدم الإتقان اللذين ميّزا الشهر الأول من حياة الرضيع، نراقب بين الشهر الثاني والشهر الرابع ظهور التكرار في تصرفات الطفل، إذ يتمرن على إعادة وتكرار بعض الحركات لأنها تلبي حاجاته. كما أننا نلاحظ خلال هذه الفترة أن الرضيع أصبح يميز تدريجيًا يده، وحلمة أمه، وإصبعه، وينسق حركاته بين فمه ويده من خلال تفاعله معهما. في هذه الفترة أيضًا يتتبع الرضيع بعينيه كل ما يُحرّك أمامه.

من الشهر الرابع حتى الشهر الثامن، يبدأ الطفل بالتركيز على العالم الذي يحيط به ويصبح قادرًا على تنسيق حركاته واستعمال الأشياء الخارجية، وتتمحور الحركات على النتيجة، ويصبح هدف فعل الطفل بقاء واستمرارية النتيجة التي حصل عليها، أي أنه يعيد نفس الفعل للحصول على نفس النتيجة. فمثلاً، بعدما قام بهز "الخشخاشة" بالصدفة، يمكنه الآن إعادة نفس الحركة والقيام بهزها حتى تثير سمعه.

بين الشهر الثامن والشهر الثاني عشر، يحصل العديد من التغيرات المهمة عند الطفل، إذ إنه يضيف إلى الوسائل القديمة قدرات جديدة، وتلتحم المعرفة القديمة بالمعرفة الجديدة، ويتمكن الطفل تدريجيًا من التنسيق بين جميع أعضائه، ويقوم بتوسيع وتنويع الأفعال المتكررة، فمثلاً، يمكنه الآن القيام بحركتين في آن واحد، مثل الضرب بيد والقبض باليد الأخرى.





ويعتبر "بياجيه" أن أولى علامات الذكاء تظهر عندما يبدأ الطفل بتحديد نيته وهدفه قبل أن يقوم بالفعل نفسه، فهدف الفعل هو الوصول إلى نتيجة وليس معرفة الحقيقة، كما أن الطفل يشعر في هذه المرحلة أنه المسبب لكل ما يجري حوله. ولعل أهم التغيرات الحاصلة في هذه المرحلة هي قدرة الطفل على تفقد الشيء الغائب، مما يدل على أنه أصبح الآن يدرك أن الشيء يستمر في الوجود حتى لو لم يكن ظاهرًا. فمثلاً، إذا وضعت أمامه كرة حمراء ثم أخفيتها تحت غطاء سوف يستطيع الولد أن يبحث عن الكرة تحت الغطاء، وهذا الإنجاز لا يستطيع ابن الخمسة أشهر مثلاً أن يقوم به. فقدرة الطفل على تخمين المكان الذي اختفى فيه الشيء دليل على أنه اكتسب مفهوم "استمرارية الشيء"، أي أن كل شيء يشغُل فراغًا في المكان، فيفهم تدريجيًا أن الأشياء تبقى وتستمر حتى لو لم يرها.

بين السنة والسنة والنصف، تبدأ مرحلة الاختراعات (اختراع أساليب جديدة للحصول على ما يريده) والتقليد الدقيق، كما أن في هذه المرحلة تزداد مساحة تجوال الطفل، إذ أنه أصبح الآن يمشي، وبالتالي تزداد اكتشافاته من خلال المشي يتوسع أفقه ويبدأ بإدراك العلاقات بين الأشياء وتمييزها، وتمييز العلاقة بين الأشياء وبين نفسه.

وبين الشهر الثامن عشر إلى السنتين تتحول معرفة الطفل من معرفة حسية ملموسة إلى معرفة فكرية، ويتبين ذلك من خلال النشاط الرمزي - أي التمثيل - الذي يقوم به الطفل، إذ يكون تفكيره أكثر مرونة وإبداعًا وكذلك سلوكه.

وأخيرًا، تتوج المرحلة الحسية الحركية بقدرة الطفل على اللعب التمثيلي أو الخيالي حيث يمثل الطفل نشاطات واقعية وخيالية، كالطفل الذي يمثل أنه ينام بتغميض عينيه، أو يغسل يديه بفتح حنفية وهمية وتقليد صوت المياه. لقد أبدى علماء النفس اهتمامًا كبيرًا بمفهوم اللعب التمثيلي أو الخيالي، أمثال "فيغوتسكي" الذي رأى أن اللعب الخيالي ينمو نتيجة تفاعل الطفل مع الآخرين، وأن استعداد الطفل للتواصل الاجتماعي هي التي تطور هذا النوع من اللعب عند الطفل، ويعتقد أيضًا، أن اللعب الخيالي هو وسيلة رئيسية يطور الأطفال من خلالها مهاراتهم الفكرية ويتعلمون وظائف مهمة في بيئتهم.

لذلك، يكون توفير المحيط الغني بالمثيرات للطفل عنصرًا ضروريًا لتطوير قدراته الذهنية مع تشجيعه على المشاركة الفعالة في العالم الاجتماعي حوله.

**تأثير البيئة المنزلية على ذكاء الطفل**

- التنويع في المثيرات اليومية: أي أنه بالرغم من ضرورة توفير نظام يومي مريح لنهار الطفل لتأمين شعوره بالأمان والثقة، لابد من إدخال بعض عناصر التنويع في هذا النظام لكي يتمكن الطفل من تقبل التغيرات التي قد تحصل في حياته اليومية بشكل طارئ دون أن تسبب عنده القلق.
- إشراف الأم: أي استمرار إشراف الأم على نشاطات وتحركات الطفل، متأكدة أنه لا توجد مصاعب فوق طاقة الطفل لحلها، أو مخاطر قد تؤدي إلى أذى الطفل.
- توفير مواد اللعب المناسبة: ونعني بذلك أن الأم توفر للطفل ألعابًا ونشاطات مثيرة وممتعة بالتوافق مع عمره وقدراته.
- تنظيم المحيط المنزلي: أي أن محيط اللعب المكرس للطفل يبدو آمنًا وخاليًا من المخاطر.
- تقبل الطفل: أي عدم استمرارية تدخل الأم في نشاطات الطفل أو إعاقة تحركاته الاستكشافية.
- نوعية استجابة الوالدين للطفل: أي مدى الاتصال العاطفي (مثل الحضن والتقبيل) والكلامي (تبادل الكلام، الإجابة على الأسئلة، نوعية الحوار القائم بين الطفل وأمه).

الفصل

3

# تطور شخصية الطفل

إدراك الطفل لوجوده - تطور المهارات الشخصية



# الفصل الثالث
# تطور شخصية الطفل

## أولاً - إدراك الطفل لوجوده

إذا ما راقبنا تصرف طفل أمام المرآة، يمكننا أن نفهم كيف يدرك شيئًا فشيئًا أنه كائن له وجوده المستقل. هذه المرحلة التي أطلق عليها اسم مرحلة المرآة من قبل محللين نفسانيين، مثل هنري فالون وجاك لاكان، تمر في عدة محطات بين الشهر السادس والشهر الثامن عشر.



عند بلوغه الشهر السادس، يُبصر الطفل صورة في المرآة، ولكنه لا يعرف أنها صورته وإنما يعتقد أنه وجه طفل حقيقي آخر. وإذا ما رأى في المرآة وجه أمه أو أبيه، فإنه يبتسم لهما ثم يستدير نحوهما ظانًا أنه يرى صورة مزدوجة لهما. وفي حدود الشهر الثامن، يندهش عند رؤية صورته في المرآة ولا يدرك كذلك أنه هو. وفي الشهر التاسع، يمد يده نحو صورته

ويتعجب من لمسه الزجاج، ويبدو بذلك كأنه مقتنع من وجود طفل آخر أمامه ويُحار من عدم قدرته على لمسه. كما قد يلتفت إلى المرآة أحيانًا عندما يسمع نداءًا ما.

في الشهر الثاني عشر، يفهم الطفل أن المرآة تعكس صور الأشياء التي تواجهها، ومنها صورته هو. فتغدو المرآة لعبة عنده، فيلتفت إليها، ويبتسم. ويقوم بحركات متنوعة، ويلمس المرآة أو يمرِّر عليها لسانه. وإذا ما رأى صورة أمه أو أبيه، يتأملها ثم يلتفت إلى الشخص الحقيقي. وهكذا يتوصل شيئًا فشيئًا، بين الشهر الثاني عشر والشهر الثامن عشر، إلى معرفة صورته وكذلك صور أقربائه، ويفهم جيدًا أن الصورة التي يراها عبر المرآة ليست كائنًا حقيقيًا. وتُعتبر هذه المرحلة أساسية في حياة الطفل، لأنه، بعد أن كانت لديه فكرة عامة عن شخصيته، يرى بعينيه هذه الشخصية ويلاحظ أنه فرد مختلف عن الآخرين. هذه الطريقة تسمح له، فيما بعد، بتعديل أسلوبه في التكلم.

في الشهر الثامن عشر، يتمكن الطفل من المشي، فيتنقل وحده، ويأخذ المبادرة بالابتعاد عن والديه. وهو يعالج الأشياء برشاقة وسرعة تصعب مراقبتهما، فهو يريد لمس كل شيء ليعرف كل شيء. ثم يبدأ بالتكلم ويعبر تدريجيًا عن رغباته. وبين الشهر الثامن عشر والثلاث سنوات، تتثبت شخصيته بوضوح، ولكن يبقى في حيرة بين رغبته في الاستقلالية وشعوره بالتبعية لوالديه. يحاول التفلت من سيطرتهما كما أنه يرغب بحضورهما المُطَمئن، أي أنه يكون في حالت تتسم بالاضطراب الشديد. وتسبب له كل الاكتشافات التي يحققها صدمات عاطفية،

مما يجعله في حالة متناقضة. ولذلك قد يغدو مضطربًا، شديد الانفعال، ويتخذ مواقف معارِضة لا تخلو من العدائية. ويبدو التشابه قويًا بين ما يمر به والصعوبات التي سيواجهها مجددًا في عمر المراهقة: إنه يرى نفسه جاهزًا لمواجهة العالم، ويحاول بالتالي أن يتحرر من سلطة أبويه، مع اقتناعه بأنه يحتاج إليهما. هذا الصراع الداخلي يعبر عنه أحيانًا بتصرفات عنيفة، ومن الواجب التحضير لمواجهة هذه المرحلة المضطربة.

**كوني متفهمة**

بين عمر السنة والثلاث سنوات، يمر الطفل بأزمات عاطفية مهمة. ويعتبر هذا العمر مرحلة رئيسية في تطوره يجب أن تشجعيه فيها على الكلام واللعب. ساعديه على خوض مغامرات جديدة وعلى متابعة تقدمه، فعندما ينطلق مثلاً لاكتشاف مكان ما داخل البيت أو في الحديقة، دعيه يأخذ المبادرة وحده، مع مراقبته بالسرّ. بيّني له بهدوء وصبر كيف يتعامل مثلاً مع لعبة يكتشفها، ثم اتركيه يتلهى بها بالطريقة التي يرتاح لها. ينبغي أن تظهري أنك متسامحة ومَتفهمة، وأنك حازمة أيضًا في بعض الأمور، حتى تساعديه على اجتياز المصاعب التي تعترضه.

## الرفض للتحدي:

إن كلمة "لا" التي يتعلمها الطفل في سنته الأولى تصبح لفظة أساسية في مفرداته، خلال السنتين الثانية والثالثة من عمره، ومن أجل أن يثبت وجوده، يرى من الضرورة اللجوء إلى الرفض، ويكرر أحيانًا لفظة "لا" تلقائيًا في الرد على الأسئلة والعروض التي تُقدّم له.



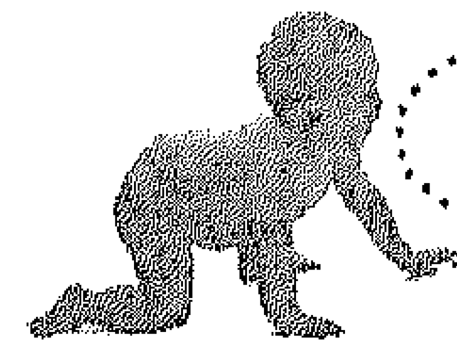

**رفض النوم**

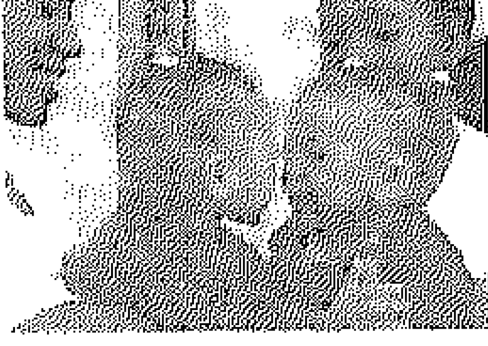
بعدما كان الطفل قد تعوّد نظام نوم خاص به مدة أشهر عديدة، ينتقل إلى حالة رفض النوم، ويعود فجأة إلى الاستيقاظ ليلاً. ففي غمرة الهدوء الليلي، يصرخ بأعلى صوته ويناديك، رافضًا العودة إلى النوم ثانية. وهو بذلك يحاول اختبار سلطته عليك.

قد تقولين لولدك: "سوف نقوم بنزهة" أو تسألينه: "هل تريد لعبتك؟" أو تعرضين عليك طعامًا: "خذ هذه الحلوى اللذيذة". وعلى كل ذلك يجيب: "لا"، على الرغم من أنه قد يكون راغبًا ضمنيًا بهذه العروض كلها. وبقوله: "لا" مسبقًا، يعطي الطفل نفسه الوقت لاتخاذ القرار المناسب، وللتفكير قبل الاختيار. وهو بهذه الطريقة، يتحدى والديه ويمتحن سلطتهما، ويدفعهما إلى التصرف تجاه موقفه، ويحملهما على تكرار الطلب، والتهديد، وحتى على توبيخه. وهو بذلك يستحوذ على اهتمامهما ويشعر بالتالي بوجوده القوي. ولا ينبغي أن يُفسّر موقف الرفض هذا على أنه انعكاس لفشل الوالدين، وإنما يعني أن الطفل يبني شخصيته شيئًا فشيئًا، ليصبح واحدًا من العائلة له كيانه المستقل والمنفصل عن أمه.

**رفض الأكل**

يحاول الطفل إظهار اعتراضه حول الطعام: يرفض تناول أنواع من الأطعمة، ويطالب من جديد بزجاجة الحليب بعد أن يكونَ قد تركها، أو يصر على أن يساعده شخص دون آخر في طعامه. وهو يفهم جيدًا أن رفضه الطعام يقلقك، وإذا جابهتِ الطفل لحمله على الأكل فقد يزداد عنادًا. والواقع أن الطفل يطالب بحق اختيار الأطعمة التي يفضلها، وبالتوقف عن الأكل عندما يشبع، ويرى أن لا حق لك في فرض الطعام عليه. في هذه الحال وفي غيرها، عليك أن تقبلي بمنحه بعض الحرية. ثقي بغريزته وهو لن يترك نفسه يتضور جوعًا، وحاولي التكيف مع تغيراته بروح مرحة أو على الأقل عالجيها بنظرة موضوعية.



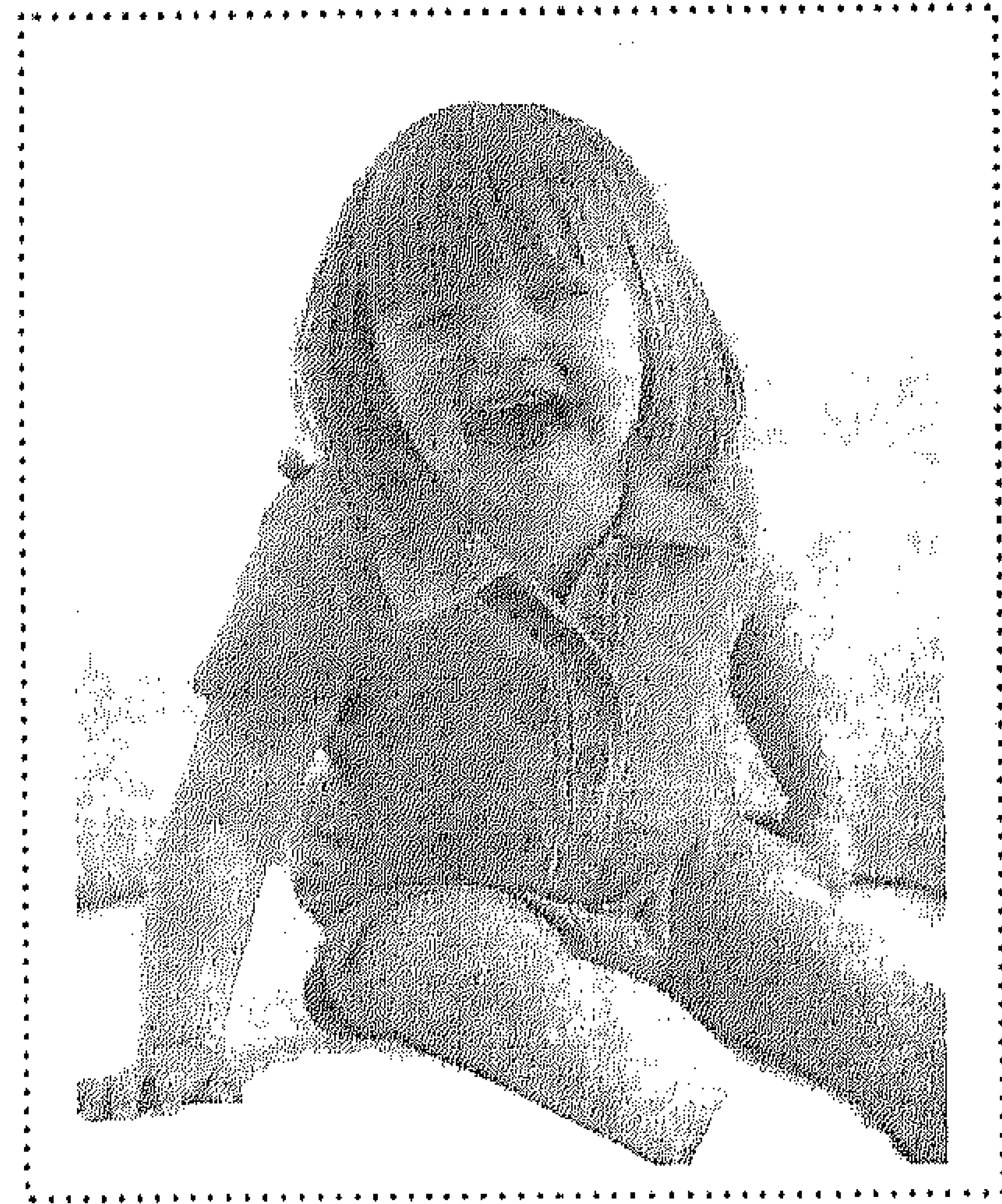




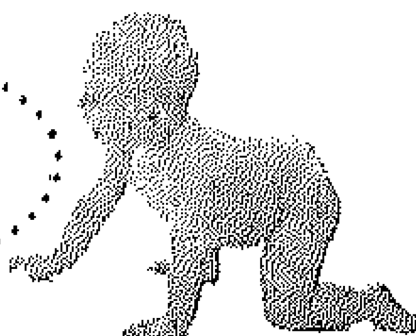
**نوبات الغضب:**

منذ السنة الأولى، يبدأ الطفل بالصراخ الحاد تحت تأثير الغضب. ولكن نوبات الغضب الحقيقية تبدأ انطلاقًا من الشهر الثامن عشر، فيصرخ الطفل ويبكي (من دون ذرف الدموع أحيانًا)، وضرب الأرض بقدميه، ويرمي نفسه أرضًا.. غالبًا ما تكون هذه النوبات العنيفة فجائية وتعود لأسباب تبدو تافهة بنظر الكبار قياسًا لرد فعل الطفل عليها.

وليست نوبات الغضب سوى تعبير عن صراع داخلي يعيشه طفلك، فهو يكون واقعًا بين الرغبة في الاستقلال والحاجة إلى التشبث بك. ولا تعتبر هذه النوبات خطيرة في أي حال، ولا تعني كذلك أن طباع ولدك سيئة.



يستحسن أن تتركي طفلك يعبر عن استيائه، وإذا ما كبت هذا الشعور فقد يعبّر عنه، فيما بعد، بشكل أعنف وبطريقة يصعب فهمها وحلها، وكالاضطراب المستديم في النوم ومصاعب الدراسة. لذلك حاولي أن ترفهي عن طفلك، وأن تشجعيه بهدوء، وتشرحي له الأسباب التي أغضبته. وإذا وجدتِ أن تدخّلك لم يعطِ نتيجته، فلا يبقى أمامك إلا أن تتركي العاصفة تمر وأن تبقي بالمقابل هادئة قدر المستطاع.



ولاشك في أنه من الصعب ألا نبالي عندما يبدأ الطفل بما يُسمى نوبة الشهق بالبكاء ردًا على معارضتك له. فالطفل يصرخ ويبكي، ويحبس أنفاسه، ويغدو لونه شاحبًا أزرق، ثم يتراخى، وقد يُغمى عليه بضع ثوان. ويعقب هذا الإغماء هدوء يسمح له باستعادة تنفسه الطبيعي، ووعيه الكامل، ولونه العادي وحيويته المعهودة. وليست نوبات الشهق بالبكاء نادرة الحدوث بين عمر السنة والثلاث سنوات، حتى وإن كانت هذه النوبات قوية، فإنها لا تترك أثرًا مقلقًا لأن التنفس لا ينقطع وقتًا طويلاً، بل يعود دائمًا بكل تلقائي وسريع. هذا النوع من النوبات يعني أن الطفل ضحية أزمة نفسية قوية ينبغي التنبه لها، من دون الاستسلام له اتقاءً لردات فعله العنيفة هذه. ويستحسن إحاطته بالعاطفة، وإبداء الاهتمام الواضح به، ولكن من دون التنازل عن سلطة الأهل. فمن أجل أن يشعر الطفل بالسلامة والحماية، يحتاج إلى أن يدرك أن هناك حدودًا لا يمكن تجاوزها.

**وحدي موقفك**

ينتظر الطفل من أهله دعمًا ومشاركة فعلية ودلائل تشير إلى وجود السلطة. بيِّني له أنك لا تقبلين كل شيء منه، ولتكن مواقفك موحدة. وإذا أنَّبتِ طفلك اليوم لعمل تقبلينه غدًا، فإنه يزداد ضياعًا وحيرة. كما أن المواقف المتناقضة التي يتخذها كل من الأب والأم، كأن يسمح الواحد بما يمنع الآخر، تجعله غير قادر على اتخاذ الموقف المناسب. فالطفل يحتاج إلى معايير ومقاييس ثابتة ليُحسن التصرف ويشعر بالأمان.

**العدائية:**

لا يصل الأطفال كلهم إلى نوبات الشهق في بكائهم، لكن كثيرين منهم يتخذون مواقف عدائية، بين الشهر الثامن عشر والثلاث سنوات. وهذه المواقف تكون تجاه الوالدين والأخوة والأخوات ورفاق دار الحضانة. إنه العمر الذي يرمون فيه لعبهم بوجه الغير، ويتلفظون بكلمات بذيئة، ويرفسون، ويضربون، يخدشون بأظافرهم، ويعضّون رفاقهم في الحضانة أو عند المربية أو في الملعب أو في أي مكان آخر. أمام هذا الواقع، يجب ألا يُردّ العنف بعنف مماثل، كالضرب وغيره. لاشك في أن الطفل يجب أن يفهم أنه تجاوز الحد، وذلك بطريقة هادئة وحازمة. ثم إن سلوكه العدائي يتوقف عادةً في أواخر السنة الثالثة، عندما يجد طرقًا أخرى للتعبير عن مصاعبه (ولا سيما الكلام) أما إذا بقيت عدائيته قوية ومستمرة فلا تترددي في استشارة طبيب نفساني من أجل وضع حد لها.

**مواقف انكفائية:**

إن الأزمات الداخلية التي يتعرض لها الطفل قد يعبّر عنها بتصرفات انكفائية أي أنها تعد رجوعًا إلى الوراء أكثر منها تقدمًا. من ذلك أنه، بعد اكتساب نوع من الاستقلالية الشخصية، يعود الطفل إلى التشبث بأمه ويرفض الانفصال عنها، أو أنه يمتنع عن تناول الطعام بالملعقة وأكل المواد الجامدة فيطالب بزجاجة الحليب. كما قد يتكلم بشكل سيئ بعد تقدمه شوطًا بعيدًا في اللغة. ومن مظاهر الانكفائية عودته إلى التبوّل وحاجته إلى الحفاض، أو رفضه البقاء وحيدًا في سريره.

يمكن اعتبار ردات الفعل هذه طبيعية، فتطور الطفل لا يتبع، في الواقع، خطًا مستقيمًا، بل يتقدم بشكل ملحوظ، ثم يتراجع لينطلق في تقدم جديد. ولاشك في أن المواقف الانكفائية لها أسبابها، وهي تساعد الطفل على مواجهة مصاعبه واضطراباته (تغيير طريقة الرعاية، ولادة أخ، مرض، استشفاء..) كما أنها قد تحدث من دون أي سبب في طريقة عيش الطفل. لذلك يستحسن أخذ تصرفاته ومواقفه بعين الاعتبار، ولا داعي للقلق بشأنها إلا إذا دامت طويلاً فتستوجب استشارة طبيب نفساني.

**التنبه الجنسي:**

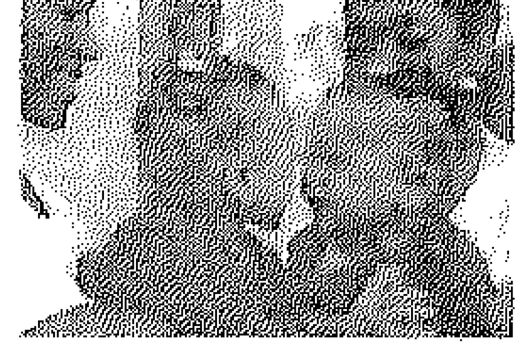
بين الشهر الثامن عشر والثلاث سنوات، يبدي الأولاد فضولاً واهتمامًا بأعضائهم التناسلية. وهم، قبل هذا العمر، يكتشفون الأعضاء التناسلية كما يكتشفون أصابعهم وأرجلهم وآذانهم. وعندما يتحررون من الحفاض، يدركون بشكل أوضح إحساسًا خاصًا متعلقًا بالأعضاء التناسلية، ويجدون لذة في تلمسها. هذه الملامسات طبيعية فلا ينفع منع الطفل عن ذلك، وإن كان اهتمامه بأعضائه بصورة متكررة وزائدة، لأن المنع يقوّي عنده الرغبة، وهذا ما قد يخلق عنده شعورًا بالذنب مقترنًا بالجنس. بالمقابل، يجب محاولة تحويل اهتمامه إلى أمور أخرى تلهيه عن ذلك. فالمهم ألا يعتاد الانصراف إلى هذا النوع من التسلية.

في حدود السنة الثانية، يتثبت كل طفل من هويته الجنسية، ويتوصل إلى فهم الفارق بين تكوين الذكر والأنثى. كما يدرك السبب الذي من أجله يخاطبه محيطه بصيغة المؤنث أو المذكر. وعندما يتمكن من الكلام، يتحدث بلغة الذكور أو الإناث،

ويعتمد تصرفًا يكون من خصائص الجنس الذي إليه ينتمي. وغالبًا ما تتبنى البنت الصغيرة حركات تتصف بالنعومة، وتحاول أن تكون فاتنة، وتميل إلى كثرة الكلام، وإلى لعب دور الأم مع دميتها. أما الصبي فيكون أكثر ميلاً إلى التمارين الرياضية، ويزهو بقوته العضلية، ويلعب بشاحنته أو كرته.



فهل يمكن تفسير هذه الفوارق في المواقف والتصرفات من خلال التكوين البيولوجي لكل من الجنسين أم أنها تتأثر إلى حد كبير بالتقاليد العائلية والمعطيات الاجتماعية التي تميز بوضوح هوية البنت عن الصبي؟ الواقع أننا ما زلنا نفتقر اليوم إلى الأجوبة الدقيقة عن هذا السؤال وإن بدا واضحًا بأن الطفل، صبيًا كان أم بنتًا، يتأثر في ميوله وسلوكه بخصائص شخصيته التي يوليها أقرباؤه أهمية بالغة. والمعروف طبيعيًا أن الطفل يتأثر حتمًا بأحد والديه الذي ينتمي إلى جنسه، فيقلد حركاته وصوته ومشيته، ساعيًا بذلك إلى لفت انتباه أبيه إن كان بنتًا أو أمه إن كان صبيًا.





**عقدة أوديب:**

تنطلق أسطورة أوديب من التاريخ الإغريقي القديم، وهي تروي قصة طفل تركه والداه عند ولادته. وعندما وصل إلى سن البلوغ، اضطر هذا الطفل، واسمه أوديب، إلى قتل رجل في أثناء عراك، ولم يدرِ أن الذي قتله لم يكن سوى والده. وفيما بعد تزوج أرملة القتيل، أي أمه. وعندما أدرك، بعد ذلك، حقيقة الأمر لم يستطع أوديب تحمل الحقيقة المرّة ففقأ عينيه. وقد استعان فرويد بأسطورة أوديب ليحلل العلاقة الثلاثية التي تربط الطفل بوالديه على الصعيد العاطفي، في اللاوعي، وفي رأيه أن هذه العلاقات تعكس أزمة ذات طابع جنسي: يُغذّي الطفل عواطف حبه للوالدة إذا كان صبيًا، أو للوالد إذا كان بنتًا، ويشعر بعواطف المنافسة والعدائية تجاه من كان من جنسه.

تعتبر الأم هدفًا للحب الأول عند الطفل، أكان بنتًا أم صبيًا. وقبل بلوغه عامه الثالث، يطلب الصبي مداعبة أمه ويحاول أن يقدم لها دلائل عن قوته. ويبدو له والده كمنافس يوحي له بمشاعر متناقضة. فهو يكون معجبًا به ويقترن إعجابه ببعض الحسد، لأن والده يسترجع منه أمه. أما البنت فترغب أيضًا في أن تداعبها أمها، وسرعان ما تلتفت إلى والدها الذي تحاول الاستئثار به. هذا التأزم يكون صعبًا لدى البنت التي لا تريد التخلي عن الاهتمام العاطفي الذي تبديه أمها. ومن أجل حل عقدة أوديب هذه، يحاول كل طفل أن يتخذ هوية الجنس الذي يشبهه، وبذلك يستطيع لفت انتباه الجنس المقابل والحصول على موافقة الجنس المشابه وتشجيعه.

### فترة هدوء:

في أواخر السنة الثالثة، يتوصل الطفل إلى التغلب على أزماته الداخلية، مما يجعله يمر بمرحلة هدوء نسبي. وبعد أن يصبح أكثر امتلاكًا للكلام، فإنه يتمكن من التعبير عن رغباته، ويصبح أكثر استعدادًا لفهم ما نريد منه وما يدور حوله. وبعد اجتيازه مراحل صعبة، يمكن أن يصبح أكثر استقلالاً وأكثر تهيؤًا لمواجهة مرحلة جديدة من نموه، وهي مرحلة اكتشاف العالم الخارجي. فهو يعلم، مثلاً، أن غياب الأم عنه لا يعني عدم رجوعها. كما تزداد ثقته بها وبنفسه خاصة، فيتمكن من مجابهة الآخرين صغارًا وكبارًا. هذا كله يعني أن الوقت قد حان لكي يكتشف العالم الخارجي، وربما للانتقال إلى المدرسة..

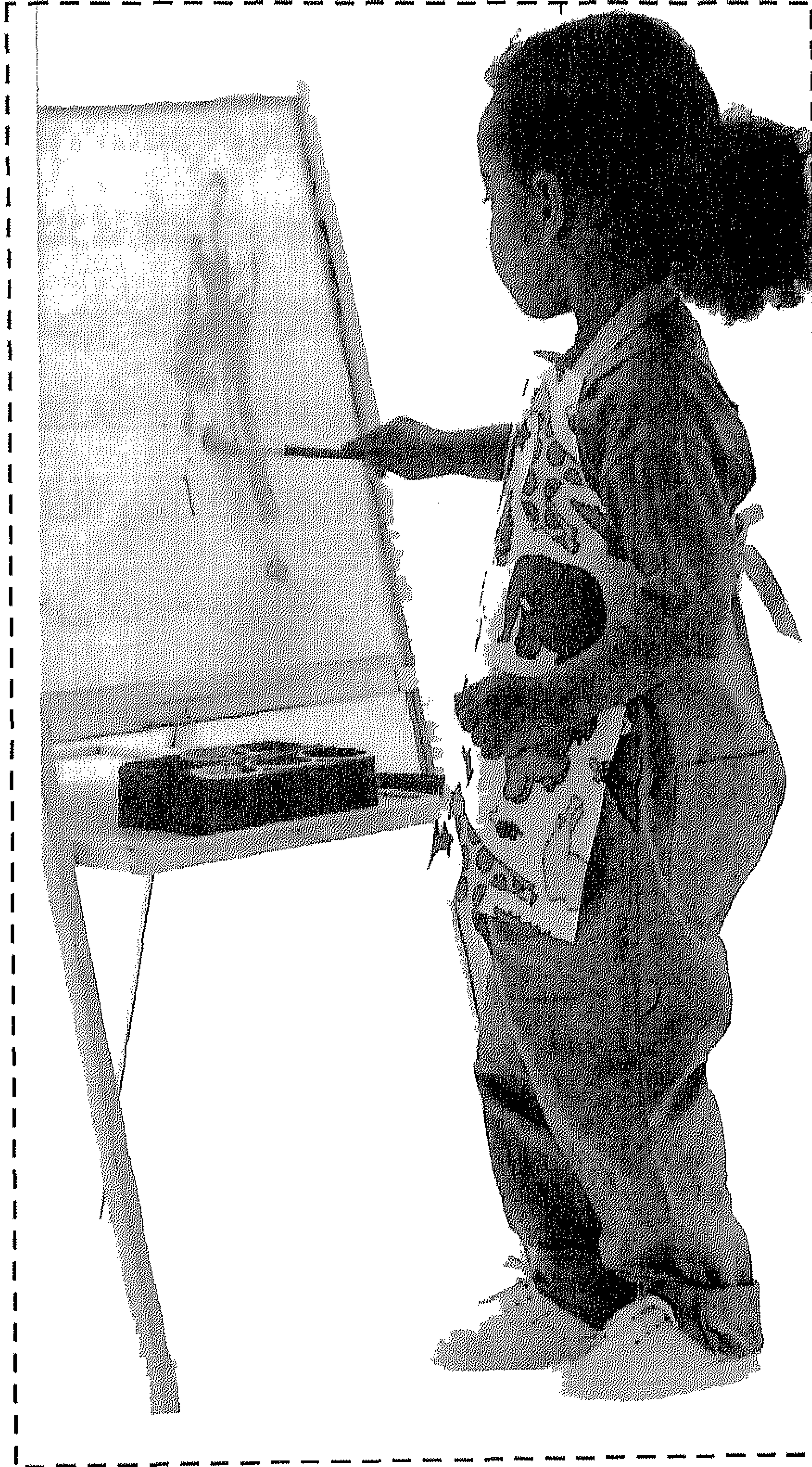
**مذكر ومؤنث**

يستطيع الطفل بسرعة وبسهولة القول ما إذا كان بنتًا أو صبيًا، كما تتثبت شخصيته بالنظر إلى هويته الجنسية. إلا أن البنت الصغيرة قد تتصرف أحيانًا كما يتصرف الصبيان، والصبي بدوره قد يتصرف بنعومة البنات ورقتهن. ولا ضرر بالتالي من أن تلعب البنت أحيانًا بالكرة أو الشاحنة، أو أن يلعب الصبي بدمية أخته، فذلك لا يؤثر لاحقًا على أنوثة البنت ورجولة الصبي.

## ثانيا - تطور المهارات الشخصية

عندما يبلغ طفلك سنته الثالثة يصبح شخصًا صغيرًا حقيقيًا، له ماضيه ومعارفه وتجاربه. يطرح سيلاً من الأسئلة عن كل ما يحيط به، حتى لو كان مجمل اهتماماته لا يزال يرتكز على نفسه. غالبًا ما يقال أن السنة الرابعة سنة سحرية؛

حيث يصبح الطفل ظريفًا جدًا وذا خيال مبدع، فلا يعود يشبه أبدًا ذلك الطفل المشاكس الذي كان منذ بضعة أشهر فقط.

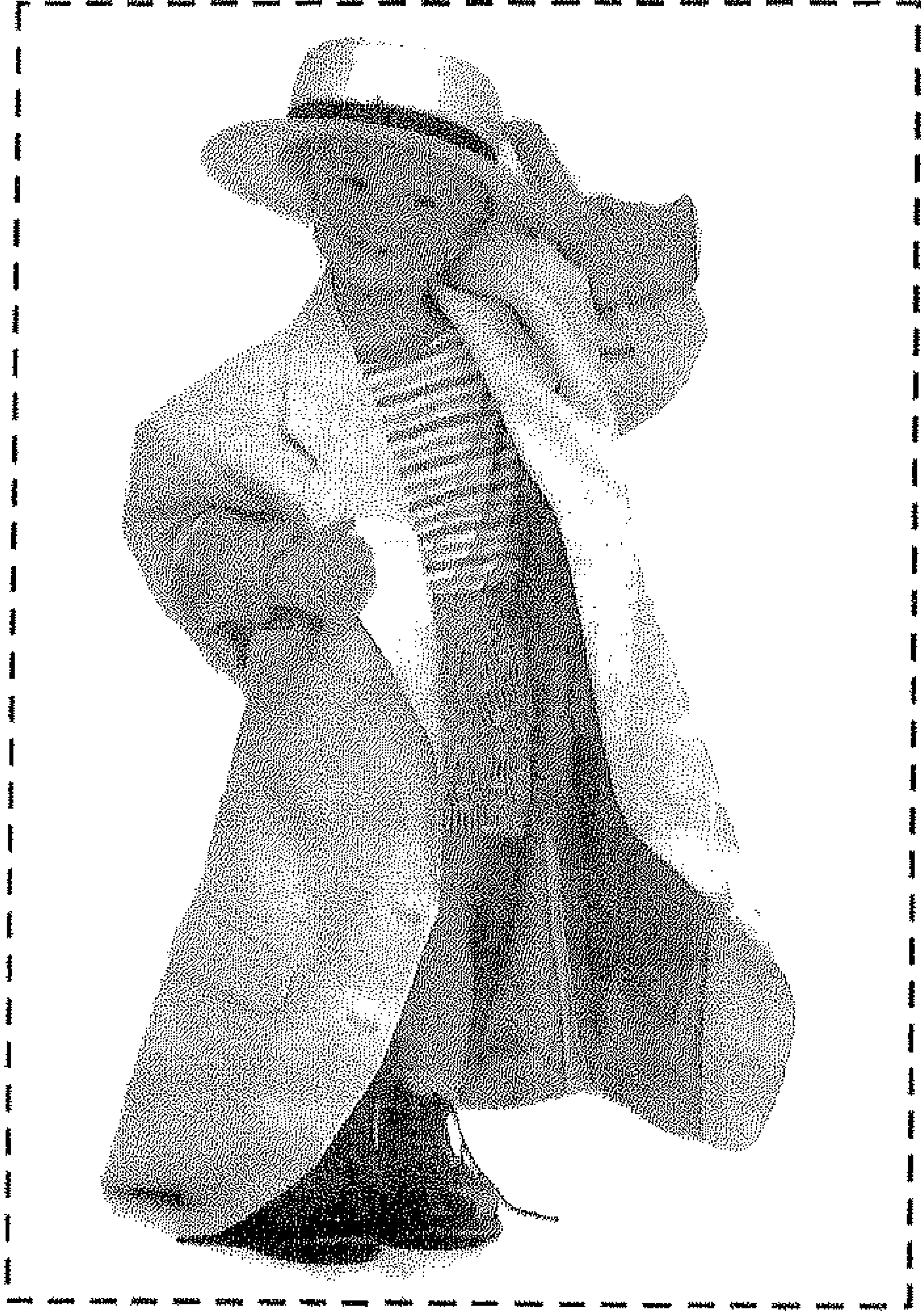


وإن كان لا يتفهم الأمور بشكل جيد بعد، إلا أنه يبدأ بتعلم الصبر، والسيطرة على غضبه واندفاعاته العدائية.

تسمى هذه المرحلة أيضًا "مرحلة العقل الأولى": يكتسب الطفل ثقة بنفسه وتصبح تصرفاته متوقعة وأقل تناقضًا. يجد متعة في الحكم على الأشياء ويحب أن يعطى حق الاختيار بين أمرين. يبذل جهدًا ليطيع أوامر والديه ويظهر قلقًا على نوعية أدائه فيسأل غالبًا: "هل هكذا جيد؟". يسهل هذا التوازن العام، الحدث الكبير في هذه



السنة، وهو الدخول إلى صف الروضة الأولى في المدرسة. يتحكم الطفل في هذه السن بجسمه ويصبح مستعدًا لسباق الحواجز. ويمشي إلى الخلف ويستلق السلالم وهو يرفع كل ساق بدورها. كما يمكنه حين يركض أن ينطلق ويقف بسرعة وينعطف فجأة. يحب أن يقود الدراجة ذات العجلات الثلاث، ويتسلق الأنفاق الخاصة بالأطفال ويتزحلق ويتأرجح. يحب أيضًا أن يخربش ويرسم ويلوّن ويلصق الصور، فقد أصبح يستخدم يديه بطريقة أكثر براعة.



بعد أن أصبح الطفل أكثر صبرًا وانتباهًا، يمكنه أن يهتم بألعاب متنوعة أكثر تعقيدًا من السابق. تزداد قدرته على التركيز ويمكنه أن يستمر طوال ساعة أو ساعتين في اللعبة نفسها. لكن أكثر ما يسليه هو "الادعاء". يختلق صديقًا وهميًا يسند إليه مغامرات لا تحصى ولا تعد. يلعب وحده أو مع رفاقه لعبة الطبيب أو العائلة أو البائع. يهوى التنكر والتبرج ووضع الأقنعة. باختصار، يحب أن يدّعي أنه شخص آخر. من ناحية أخرى يبقى متعلقًا جدًا بالألعاب التي يستطيع فيها أن يغمس يديه: مثل ألعاب الماء وألعاب الرمل والمعجون الملوّن وفقاقيع الصابون ولعبة الحلوى المصنوعة من الوحل أو التلوين بالأصابع. تبقى حاسة

اللمس مهمة جدًا عند الأطفال في هذا العمر، وتبقى يده أولى أدواته، وطريقة مميزة للاستكشاف والاكتشاف وتقييم كل تجربة جديدة.



بعد التوازن الذي يعيشه الطفل في سنته الثالثة، يدخل مجددًا في مرحلة مضطربة. في سن الرابعة، غالبًا ما يكون الطفل سعيدًا، لكنه يتحول بسهولة إلى شخص متسلط يحب التملك. لذلك يحتاج إلى الحزن واكتساب العادات والإحساس بالأمان.

كذلك يفيض الطفل نشاطًا فكريًا. يستطيع أن يحفظ شهرته وعنوانه وبعضهم يحفظ أيضًا رقم الهاتف. يتحسن مفهوم الوقت عنده فيتمكن من التحدث عن مختلف أوقات النهار ويعرف كيفية تسلسلها. يميز بين أيام الأسبوع. إنه الوقت المناسب للفت نظره إلى تقسيم السنة، تواصل الأشهر، مرور الفصل، كيف يمكن تحديد تبدّل الفصول، عودة المناسبات الكبيرة..

في هذه المرحلة يبدأ بإدراك معنى المستقبل، لكن فهم الماضي وتحديده في الزمن لا يزالان على شيء من الصعوبة. مع ذلك يبدو أن ذكرياته تنتظم وتبدأ الذاكرة بتحديد مواقعها الزمنية تدريجيًا.

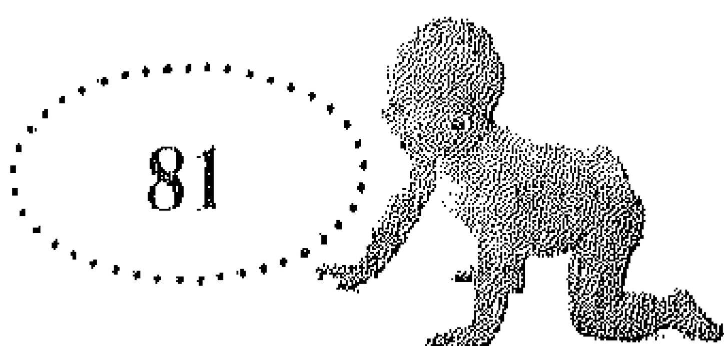




يترافق هذا التنظيم في المكان مع التنظيم الزمني. يبدأ الطفل بتحديد مكانه في محيطه. يعرف الطريق المؤدية إلى المدرسة أو إلى الفرن، ويعرف أين عليه أن يتوقف ليجتاز الطريق. معرفة اليسار واليمين تساعد الطفل على تحديد موقعه بشكل أفضل.

في هذه السن، ينمي الطفل ما اكتسبه سابقاً ويثبته، لكنه يفعل ذلك بمقدرات خيالية مدهشة. لا يزال خلاقاً جداً، خاصة إذا توفرت له الأدوات التي تسمح له بتنفيذ رغباته؛ مثل الأقلام، والتلوين، معجونة للعب، أدوات مطبخية بلاستيكية، أدوات حرفية، مجلات يقصّها، دمى متحركة باليد، قطع قماش ليتنكّر.. الخ.

يختار مشروعاً ويباشر بتنفيذه، لكنه يغير رأيه في منتصف الطريق ويصنع شيئاً آخر. يشعر بفخر كبير ما يحققه، لذلك يحتاج إلى أن يشجعه المحيطون به ويظهروا له إعجابهم بعمله أيضاً. ليست ابتكاراته يدوية فحسب. يكتنز الطفل أفكاراً كثيرة، يروي القصص لنفسه ولا يميز كثيراً بين الحقيقي والخيالي، لمساعدته على تنمية خياله يجب طرح عليه أسئلة كهذه: "ما الذي قد تقوله القطة لو تكلمت؟" أو "ماذا تشبه هذه الغيمة التي تمر في السماء؟". ثمة طريقة جيدة لمعرفة ما يفكر به عندما يطرح سؤالاً يبدأ بـ "لماذا؟"، وهي أن تعيدي له السؤال قبل أن تجيبيه: "وأنت، ماذا تظن؟ ألديك فكرة عن ذلك؟". وأخيراً تستطيع قدرته على الابتكار أن تتطور على الصعيد الجسدي. يملك الطفل في سن الرابع



إحساسًا بالموسيقى، فهو يحب الرقص والحركة. لماذا لا تطلبين منه أن يبتكر رقصة الدب أو رقصة الرجل الآلي أو رقصة الفراشة..



لا يقتصر التطور الفكري في سن الرابعة على تطور المخيلة فحسب بل يطال أيضًا التطور الفكري المنطقي. خلال هذه السنة يتعلم الطفل أن يعد حتى العشرة، الخمسة عشرة أو حتى العشرين إذا علمناه ذلك. يمكن أن يعدد ثلاثة أغراض على الأقل، كما يمكنه أن يقارن: أكبر، أقل سخونة، أسرع، الوزن نفسه.. وذلك يسهل عليه عملية المقارنة والتصنيف. بفضل ذلك سيتمكن من ترتيب أشياء وفق معيار معين.

يكثر الطفل في سن الرابعة من الكلام ويصبح طليق اللسان، لأنه يتمتع بمفردات كثيرة، يغنيها بالحال والجمل الفعلية الجديدة، والأفعال الدالة على حركة. يسأل غالبًا عن معنى الكلمة التي يجهلها، لذلك من الضروري أن تعلميه كلمات جديدة ومعانيها. كما أنها السن المناسبة للتشديد على معنى كلمات صغيرة مثل: أمام، خلف، بين، وسط، إلى جانب، قرب، لفوق، تحت، على، أكثر، أقل، مثل، الأكثر، الأقل..الخ.

ويتمتع الطفل في هذه السن بالكثير من حس الدعابة، لذلك يحب اللعب على الكلام، والكلام العبثي والسخيف. يكتشف المعاني الأخرى للكلمات ويسعد بها





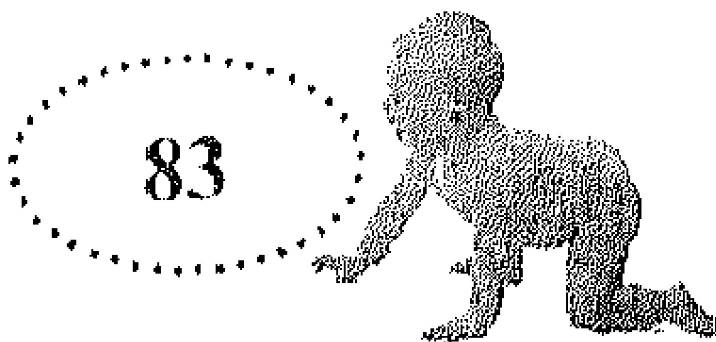
جداً. لكن ليس كما يفرح بكلماته البذيئة، باختراعاته الفهمية، ومبالغاته. لو شاركه الأهل لعبته هذه عوض التذمر من لغته، يزداد الطفل غنى بالكلمات بطريقة ممتعة، فيقيم علاقة شراكة حقيقية معها.

عندما يبلغ الطفل سنته الخامسة يدخل مجدداً في مرحلة أكثر توازناً وثباتاً، وبخاصة على الصعيد العاطفي.

تميل متطلباته الكثيرة إلى التراجع. لا يظهر براعة في حقول كثيرة فحسب، بل يقدم المساعدة بطيبة خاطر ويعاون الآخرين في تأدية أعمال مختلفة أيضاً. يصبح لطيفاً جداً نستطيع الاعتماد عليه ليقوم بمسؤوليات صغيرة. يصبح جاداً فلا يرتكب حماقات كثيرة كما كان يفعل سابقاً. يفكر قبل أن يتصرف ويحرص جداً على النجاح في عمله. إنه الوقت المناسب أيضاً لنعطيه بعض الامتيازات الخاصة بسنّه والتي سيسعد بها كثيراً ويقدّرها.

يحب الطفل في هذه المرحلة الضحك والنكات كثيراً، كما يكون عاطفياً جداً، يحب والديه ومدرّسته، ورفاقه والحيوانات. يتمتع الطفل ذو السنوات الخمس بمرونة جسدية كبيرة وتصبح حركاته أكثر ترابطاً.

وبعد، لا ينتهي تطور الطفل الفكري والعقلي في سن السادس طبعاً. لكننا نستطيع القول أن الطفل تعلم أن يفكر ويبتكر، ويتلاعب بالأفكار والمفاهيم وأن يتمرن. كذلك طوّر حس الدعابة لديه، وقدرته على الإبداع وحسه النقدي وملكة التحليل المنطقي والتنبه للتفاصيل. لم يعد العلّم برأيه عكس اللعب، وهو يعط حقاً متعة كبرى في اكتشاف أشياء جديدة.



**المرح وحب الحياة عند الطفل**

إذا كانت علاقة الطفل جيدة مع محيطه العائلي، فإنه يستطيع التعبير بوضوح عن مرحه. ومن دواعي الأسف أن نرى أمًّا تزجر ابنها بعنف لأنه يضحك: "هلاّ توقفت عن ضحكك المزعج؟"، أو لأنه يمرح: "أليس لديك عمل آخر؟". ثم إن لدى الكبار ميلاً إلى إقناع الطفل بأن الحياة تستوجب الجدية والرصانة. ولكن المهم قبل كل شيء هو أن يكون الطفل سعيدًا، وكلما تمتع بالمرح في حياته، استطاع في المستقبل مواجهة المشاكل التي تعترضه. لذا يجب توفير الأجواء المرحة، ومشاركته في حركاته وألعابه، وإظهار الإعجاب بها. بالضحك والمرح تزول من حياته أجواء الخوف، وتقوى علاقاته بعائلته، وبذلك نتوصل إلى اجتياز مختلف الأزمات.

يشكل هذا الفضول وهذا الحماس للأعمال الفكرية، والاختبار والاكتشاف أساسات متينة للسنوات القادمة.

## كيف تكون لي شخصية قوية؟

سؤال قد يوجهه المراهق لنفسه. لكن لا أحد يتخيل ما يقوله بعض العلماء من أن الطفل أيضًا يوجه هذا السؤال لنفسه منذ اليوم الأول للميلاد. إنه يسأل نفسه من خلال الصرخات الأولى التي يطلب بها الطعام أو يبحث فيها عن حنان الأم. وحتى لا نبتعد كثيرًا عن أعماق هذا الموضوع، لنبدأ من ذلك الصوت القلق المتوتر الذي توجهه أم أو يوجهه أب إلى أحد الأطباء.

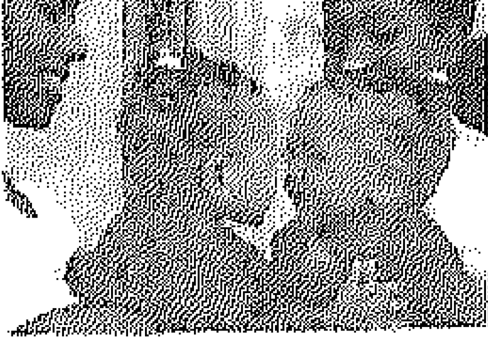
السؤال الذي على فم الأم أو الأب يقول: هل أنت تعتقد بالفعل بأن شخصية الطفل تتكون على وجه التحديد عندما يبلغ العام الثالث من عمره؟

هذا السؤال يشغل بال الآباء والأمهات وخصوصًا بالنسبة للطفل الأول عندما يشرف على نهاية العام الثالث. والأم تعترف عادة بأن تربية هذا الابن لم تكن حازمة ولا سهلة وأن هناك بعض التوترات والإزعاجات خصوصًا في العام الثاني. وكانت أكثر المتاعب بسبب الأكل والشرب والتدريب على التبول والتبرز، كل هذه الجبهات في وقت واحد. وعندما ينهزم الطفل في معركة، فإنه يحاول أن يعاند بصورة مبالغ فيها حتى ينتقم لجرح كرامته ويظل يعلن ثورات الغضب من وقت لآخر أو يحاول أن يكون حاد المزاج أو يعلن أنه خائف لدرجة تزعج الأم. وطبعًا يزيد من خطر كل هذه الألوان من المقاومة أن الأم تشعر بالتعب والضيق أمام تصرفات هذا الطفل. وعلى الرغم من أنها أم تفهم واجبها تمامًا وتحاول أن تبذل كل جهد وكل اهتمام بطفلها وهي تعي ذلك جيدًا. إلا أنها تشعر بالذنب من أجل هذه التوترات العصبية وهي تريد أن تنهي حالة الحرب بينها وبين ابنها.. لذلك نسأل بكل إخلاص: "هل هي السبب في انحراف مزاج الطفل وعناده وهل أصبح الأمل مفقودًا في أن يعود إلى الصراط المستقيم"؟

كثير من البشر ينتابهم الشك أو الضيق وأحيانًا السخط عندما يسمعون أي كلمة تشير إلى أن شخصية الطفل تتكون منذ أيام ميلاده الأولى. والحقيقة هو أننا كبشر نرفض فكرة أن هناك إنسانًا آخر يقرر مستقبلنا، أو مستقبل أطفالنا سواء كان هذا الإنسان ديكتاتورًا أو عالمًا نفسيًا. إن تلك الحقيقة تجعلنا نشعر

أننا أمام إنسان يريد أن يسرق حريتنا وأن يقتل إرادتنا.. تلك الإرادة التي نشعر نحن معها بأنها أعظم ما نملك في هذه الحياة. ولكن هذه الحقيقة تريد أن تلغي قدرتنا على الفهم والإقناع وتجعلنا مجرد دُمى خشبية يحركها غيرنا وكأننا لسنا قادرين على التعبير أو التغيير والتبديل في كل مراحل حياتنا. إننا نختار الأصدقاء. نختار المهنة. نختار الحب. نملك الخبرة. نملك تاريخًا من العمل. نملك القدرة على بذل الجهد في عملنا الذي يحقق لنا دخلاً. فكيف إذن يقول لنا أحد أن شخصيتنا تم تشكيلها منذ أيام ولادتنا؟ إن شخصيتنا من صناعتنا نحن..

ولكن لنحاول التشبث بالهدوء ولنفهم جيدًا أن الحقائق العلمية يمكن أن تكون مقنعة. إننا عندما ندرس مراحل نمو الطفل سواء كان ذلك في المدارس الابتدائية أو في كلية تدرّس علم النفس، فليس هناك ما يؤكد أن هناك ملامح للشخصية الإنسانية تتحدد في خطوط واضحة عندما يبلغ الطفل عامه الثاني أو عندما ينهي عامه الثالث، فهناك طفل هادئ وبشوش ويظل قادرًا على الاحتفاظ بحب الناس لسنوات عديدة. وهناك طفل آخر يمتلئ بالغيرة ويعمل ملحًا على تحقيق مطالبه، وتبدو فيه الرغبة في الاستقلال عن الآخرين منذ البداية. وهناك طفل ثالث شديد الحذر يحاول أن يعرف تفاصيل ما هو مقبل عليه ولا يحاول أن يفعل شيئًا جديدًا إلا بعد التأكد من قدرته على النجاح. وهناك طفل يتميز بالاندفاع، والإقدام ولا يبالي بأي خطر. إنه شجاع إلى درجة الحماقة، مقدام دائمًا. ويتمتع بروح المغامرة. وكلما كانت المغامرة جديدة كلما زاد شعوره بالسعادة. وقد نجد طفلاً في الثالثة من العمر يتصف بالاتزان والثقة بالنفس في



أي موقف، بينما نجد أن طفلاً آخر يصيبه الجزع والخوف والجبن ويتقبل هو الناس بحب وفي الوقت نفسه قد يكون هناك شقيق لهذا الطفل يختلف عنه تمامًا. يهرب من الناس، يخاف الغرباء، يصاب بالاكتئاب لمجرد وجوده وسط جماعة من الناس بينما يستطيع هذا الطفل الهارب من الناس أن يختار فئة منهم بالراحة. وهو يشعر بالسرور عندما يكون وحيدًا. وقد تمر خمس سنوات وهذه الصفات والعادات موجودة لدى هؤلاء الأطفال، ولكنها قد تتغير بعد ذلك. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه:

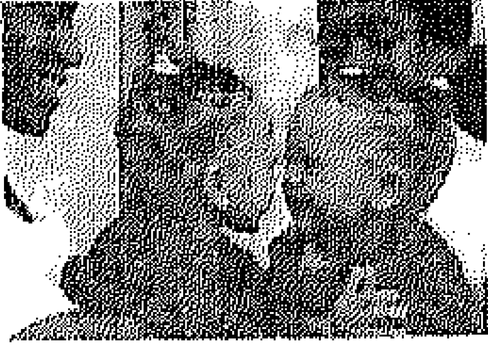
هل هذه الصفات والعادات تولد مع الطفل وتنمو بسبب خبرات مرت بالطفل في سنوات عمره الأولى؟ هل هي موروثة أم مكتسبة؟

هذا السؤال لم نجد له إجابة نهائية. هناك أبحاث ودراسات في هذا الموضوع ولكنها قليلة وتتناول بعضًا من الموضوعات العامة مثل الحيوية الزائدة، أو الهدوء والانطواء أو الجرأة أو التردد أو الحذر والشجاعة وهي كلها صفات تنمو باستمرار في مراحل النمو. لكن من الصعوبة بمكان أن تقدم الدليل على أن هذه الصفات كانت موجودة منذ لحظة الميلاد. فالطفل المولود حديثًا ليست له مظاهر سلوك يمكن أن تتضح من خلالها شخصيته. فهو في الأسابيع الأولى ينام، يصرخ، يرضع، يناغي، ينام مرة أخرى. أما أن يصرخ بعنف أو برقة، فهذا يعتمد طبعًا على مدى الجوع وعلى المدة التي يمكن تحملها. ولكن البشر الذين يحتكون بالأطفال بحكم عملهم مثل مربيات دور الحضانة، أو ممرضات قاعات الولادة، هؤلاء يعتقدون أن صراخ الطفل يولد معه، لأنهم يلاحظون التفاوت بين الأطفال

المولودين حديثًا. أمـا الأمهـات اللائـي يعتقدن بوجـود الفـروق الفـردية مـنذ لحظـة الميلاد فهن اللائي يلدن التوائم. إن الواحـدة مـنهن تقـول "إن المـرأة عـندما تضـع طفـلاً واحدًا لا تذكـر مـا كان عليه الطفل من أخلاق خلال السنة الأولى من عمره. أمـا الـتي تلـد توأمـين فإنهـا تلاحـظ فـورًا أن هـنـاك اخـتلافًا بيـنهمـا في كـل شـيء. وبسـرعة تسـتطيع الأم أن تفهم "شخصية" كل منهما وتسـتطيع أن تتنبأ برد فعل كل واحد منهما في أي موقف.

قـد يقـول قـائل: إن هـذه مسـألة ثانويـة. إلا أنـني أحـب أن أقـول أن معظـم الأطبـاء والعلمـاء النفسـيين يؤمـنون إيمانًـا قاطعًـا بـأن العـادات الاجتماعية المحددة جدًا مـثل الطيبة والخبث أو الأمانة والخداع أو تحمل المسؤولية أو التهاون في القيام بالواجب، والاقتصـاد أو التبـذير. والابـتعاد عـن الخمـرة أو الميل لهـا والوقـوع في هـوى الحـب المباح أو الانحـراف، كل ذلـك مـن العـادات لـيس مورثًـا علـى الإطـلاق. إن الطفل يتعلمها ويكتسـبها خـلال خبـرات الحيـاة. وهـذه العـادات الاجتماعية مختلفة تمامًا عن "المزاج" الذي يولد به الطفل.

ولكن إذا وافقـنا علـى أن قلق الطفـل يتكون بشـكل محـدد الملامح مع وصوله إلـى نهايـة عامـه الـثاني أو الثالـث.. فليس معنـى ذلـك أن هـذه الشـخصية لـن يصـيبها التغـيير بعـد ذلـك. إن الحقـيقة الـتي نعـرفها جميعًـا هـي أن الإنسـان يتغـير من وقت إلـى آخـر. ولا أحـد يسـتطيع أن "يتجمـد" في قـالـب واحـد. إن الإنسـان مثلاً إذا انتقل مـن وظـيفة إلـى أخـرى أفضـل فقـد يعـثر في أعماقـه علـى كـنز كـان يبحـث عـنه طـويلاً ولا يجده وهـو الـثقة بالـنفس. وقـد يكـون هـنـاك شخص ظل طوال عمره غاية في الرقة



والتواضع والخلق الحسن حتى الستين أو الخامسة والستين وفجأة ينقلب الحال فيصبح عديم الثقة بكل شيء. والعكس أيضًا صحيح ومعظم الناس تعرف أن كل إنسان يمر بفترات متعاقبة من التوتر والراحة، من زيادة التفاهم مع الناس والرغبة في معاشرتهم ثم الرغبة في الابتعاد عنهم وتفضيل الوحدة، ومن التفاؤل البالغ والسرور والشجاعة وإلى الإحباط والحزن والجبن.

والشيء الواضح جدًا في فترات الطفولة هو أن الطفل لا يحتفظ بنفس الشخصية لفترة طويلة. فهناك مراحل ينمو فيها ويتطور ويتحرك ويحتك بالمجتمع. وهو في حركته هذه قد يهتز من الداخل، وقد تؤثر فيه الظروف المحيطة به في الخارج. ولهذا فإن شخصيته تظل في رحلة كأنها القارب الذي يصارع الموج العالي أو القارب الذي يسير على صفحة من المياه الهادئة. ولكن هناك بعض الملاحظات التي تجمعت بحكم الخبرة الطويلة. منها مثلاً، أن الطفل الذي يسعى إلى الاستقلال منذ الفترة ما بين عامه الأول وعامه الثالث يعطي إشارة إلى أنه قد يتجه إلى التمرد والعناد وقوة الإرادة. ثم تهبط هذه الموجة من التمرد تبدأ رحلة من الطاعة والهدوء والاقتناع. وبعد أن يمر العام الثالث على الطفل فإنه يبدأ في محاولة التشبه بوالديه. إن هذه المحاولة تسعد الطفل. وهنا نرى أن "بصمة" الأب على الابن تصبح واضحة. وتصبح البنت مرآة لأمها. إن ذلك التقليد والرغبة في تقمص شخصية الكبار يعدل في شخصية جميع الأطفال بنسبة مختلفة.. ترتفع تلك النسبة في بعض الحالات وتقل في الحالات الأخرى. وعلى مسرح سنوات العمر بين السادس وفترة المراهقة نرى استعراضًا ملخصه أن

الطفل يندفع في الاتجاه المضاد. فهو في هذه المرحلة من العمر يقاوم أن يكون نسخة عن أبيه. ويحاول أن يقلد أصدقاءه. وطبعًا يتوقف ذلك على وجود صداقات له.. وهل هي صداقات متعددة وسطحية أم أنها صداقات عميقة. وهل يقبله الأصدقاء في محيطهم أم لا. فإن كان الطفل تنقصه القدرة على الألفة والقدرة على الحصول على الحب فهو يبذل كل الجهد ليلتحق بشلة ما من الأصدقاء وهو لا يقبل بسهولة أن يلجأ إلى والده وأمه ويلقي بنفسه في أحضانهما مثلما كان يفعل من قبل. لعل المهرب الوحيد الذي يمكن أن يلجأ إليه هو القراءة في حياة أبطال التاريخ أو الانغماس في هواية علمية أو أدبية أو رياضية.. وهذه الخبرة لها تأثير كبير في شخصية المراهق ومستقبله. وقد تجد أن الطفل الانطوائي الخجول الذي قد بلغ عامه السابع يبدأ في التمرد على هذا الخجل، ويحاول أن يتعلم فن اكتساب الصداقة. فإذا وجد هذه الصداقة فإنه يبدأ في الثقة بنفسه.

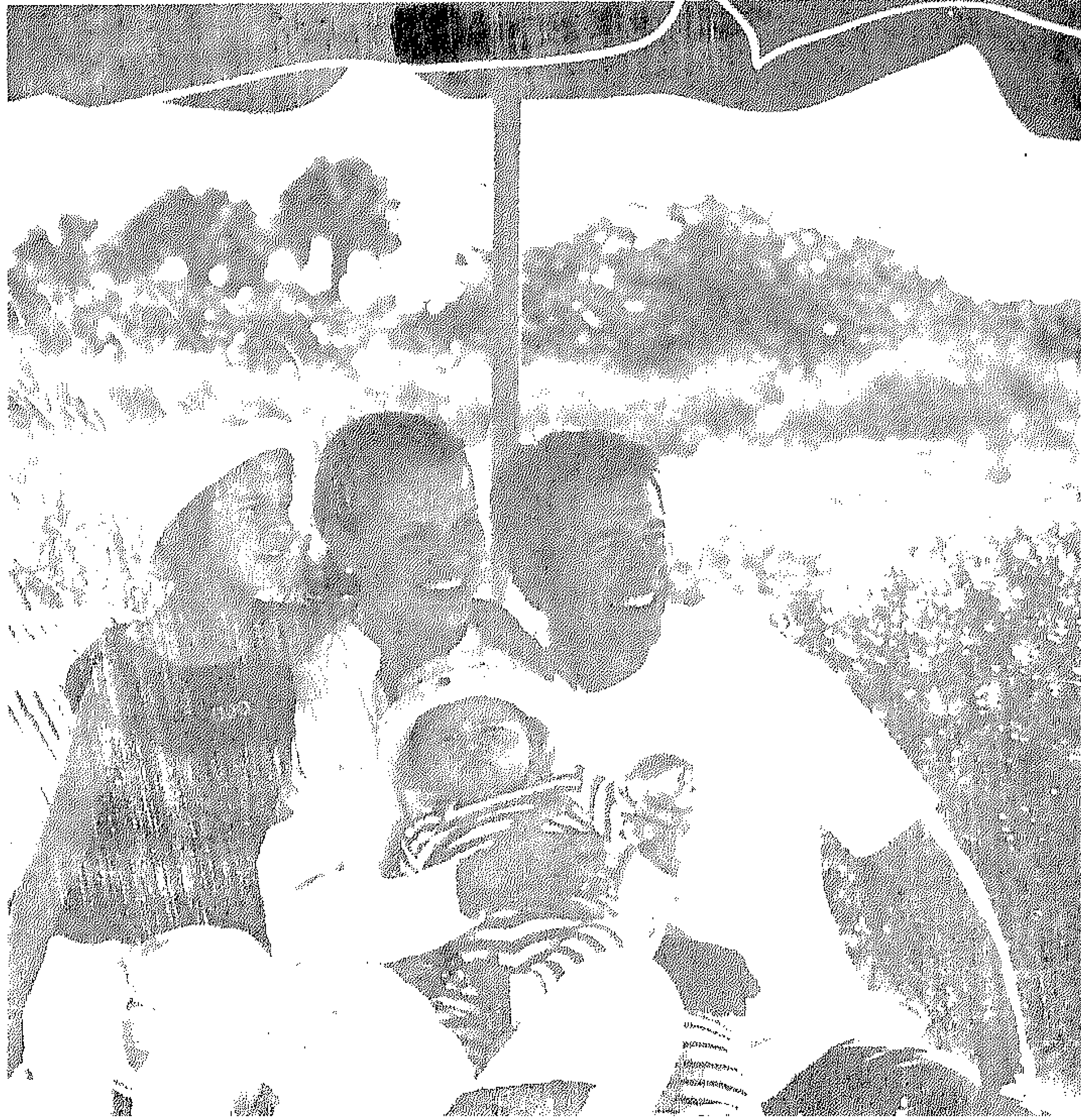
أظن أنه أصبح الآن من المؤكد أن شخصية الطفل تتحدد بشكل واضح الملامح منذ العام الثاني والثالث من العمر وإلا أصبح الأطفال بلا معنى أو ملامح مميزة. وكيان أي شخصية قد يستقر ويستمر، تمامًا كما يظل شكل المنزل واضحًا رغم تعرضه الدائم للكثير من التغييرات والتجديدات والإضافات. إن كيان شخصية الطفل لا يظل كما هو بطبيعة الحال. إن هناك طفلاً يتغير إلى حد كبير وطفلاً آخر لا يتغير إلا بقدر محدود. والمسألة متوقفة على آلاف المؤثرات التي تمر بها في رحلة الحياة من خير وشر ونجاح وفشل. كل ذلك يتأثر به الطفل أثناء مراحل النمو.

الفصل

4

# الأسرة في حياة الطفل

أسرة سعيدة - الصداقة مع الأبناء - ترتيب الطفل في الأسرة (الأكبر، الأوسط، الأصغر) - عقاب الأبناء ... كيف !! - دور الأب في تربية الطفل - الاستمتاع بأداء الأعمال - التربية الجنسية



# الفصل الرابع
# الأسـرة في حيـاة الطفـل

## أولاً - أسـرة سعيـدة

يعد الاستقرار أحد الأمور الضرورية بالنسبة للأطفال، وفي الحقيقة، أنهم ينمون بصورة جيدة في ودوده. وهذا شيء منطقي. فعندما يكون العالم من حول الأطفال متزنًا، فإنهم يستطيعون تحقيق توازن داخلي أفضل، لكن الحقيقة المؤلمة أن العالم يميل للفوضى أكثر من الاتزان مما يحتم على الآباء بذل أفضل ما لديهم لإيجاد بيئة أكثر استقرارًا أو أقل ضغطًا لأطفالهم داخل المنزل. ولكن بطريقة لا توحي بالفطنة.

إن العالم المادي الحديث تحكمه العديد من الأهداف أبرزها شغل الوظائف المرموقة، وكسب المال، والتميز، إلا أن هذه الأهداف ليست هي الوحيدة التي تستحق السعي ورائها، بل قد لا تكون هي الأهداف الأكثر أهمية أصلاً. إلا أن كثيرًا من الناس قد دفنوا أي أهداف أخرى وحجبوها عن أطفالهم - مثل السعادة، والثقة بالنفس، والصحة العاطفية - تحت وطأة كمية الأنشطة الضخمة التي أعدوها لإنتاج أطفال خارقين. هذا وأضاف أحد الباحثين قائلاً: "إن توقعات الكثير من الآباء لأبنائهم كبيرة جدًا لأنهم يخشون من الحالة التنافسية التي تسيطر على العالم الآن. فهم مهتمون جدًا بمستقبل أبنائهم".

ولكن لا يجب أن ننسى أن الأطفال لديهم الآن المزيد من الفرص. فعلى سبيل المثال لديهم الكمبيوتر، ومحاضرات تعليم بناء الشخصية، ومستشارو التربية، وعدد لا يحصى من الدروس والأنشطة المنظمة التي تبدأ بعد انتهاء اليوم الدراسي والتي تستحوذ على النصيب الأكبر مما اعتدنا أن نطلق عليه وقت الفراغ. ومن الصعب بعد ذلك ألا يرغب الأطفال في استغلال كل هذه الفرص المتاحة أمامهم. وعلى أية حال، فإن كل أب يريد أن يشعر بأنه قد بذل أقصى ما لديه تجاه طفله، خاصة وأن المال الكافي لعمل ذلك متوافر لدى العديد من الأسر الآن.

وقد أثبتت إحدى الدراسات الحديثة أن 91٪ من أطفال العائلات الثرية يتلقون دروسًا في الموسيقى والفن والرقص، وأن 87٪ منهم يشتركون في المعسكرات الصيفية، وأخيرًا فإن نسبة 86٪ من هؤلاء الأطفال يأخذون دروسًا في الألعاب الرياضية. ونحن عادة ما نسمع أن المزيد من المال يحقق المزيد من المتعة، ولكن الحال يختلف بالنسبة لمثل هؤلاء الأطفال، حيث أن ثراء عائلاتهم الفاحش قد يدفعهم إلى الجنون.

والأثرياء هم بالتأكيد الذين تدفعهم نواياهم الحسنة للضغط بشدة على أبنائهم. لكن من منا لا يتأثر بإغراءات النجاح؟ إن "الأنفلونزا" ليست مرضًا مقصورًا على الأغنياء. فالحقيقة أنه يتوالد لدى الآباء متوسطو الحال شعورًا بالرضا عندما يتلقى أبناؤهم مثل هذه الكمية من أنشطة والدروس والتعليمات، على الرغم من أن مثل هذه الأنشطة لن تجعل من أبنائهم أطفالاً خارقين، ولكن





الاحتمال الأكبر أن هـذه الأنشطة المفرطة والمنظمة ستجعلهم ينضجون قبل الأوان ليصبحوا مـنهكون عصبيًا، ومجهـدون نتيجة الإسـراف في العمـل، ومحـرومون مـن النوم، ومعتلو الصحة عقليًا وبدنيًا، وتعساء غالبًا.

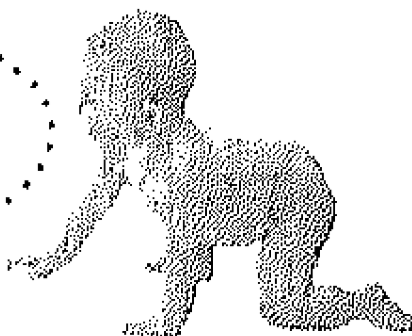
إذًا سواء كان الطفل متخلفًا أو متقدمًا، متحمسًا أو خاملاً نجد لدينا رغبة طبيعية كي ندفعه تجاه المزيد والمزيد والمزيد. ولكن مع الأسف – ومثل معظم أمور الحياة – فإن الإفراط من الشيء الجيد قد تكون عواقبه وخيمة.

**المشاركة بين الوالدين:**

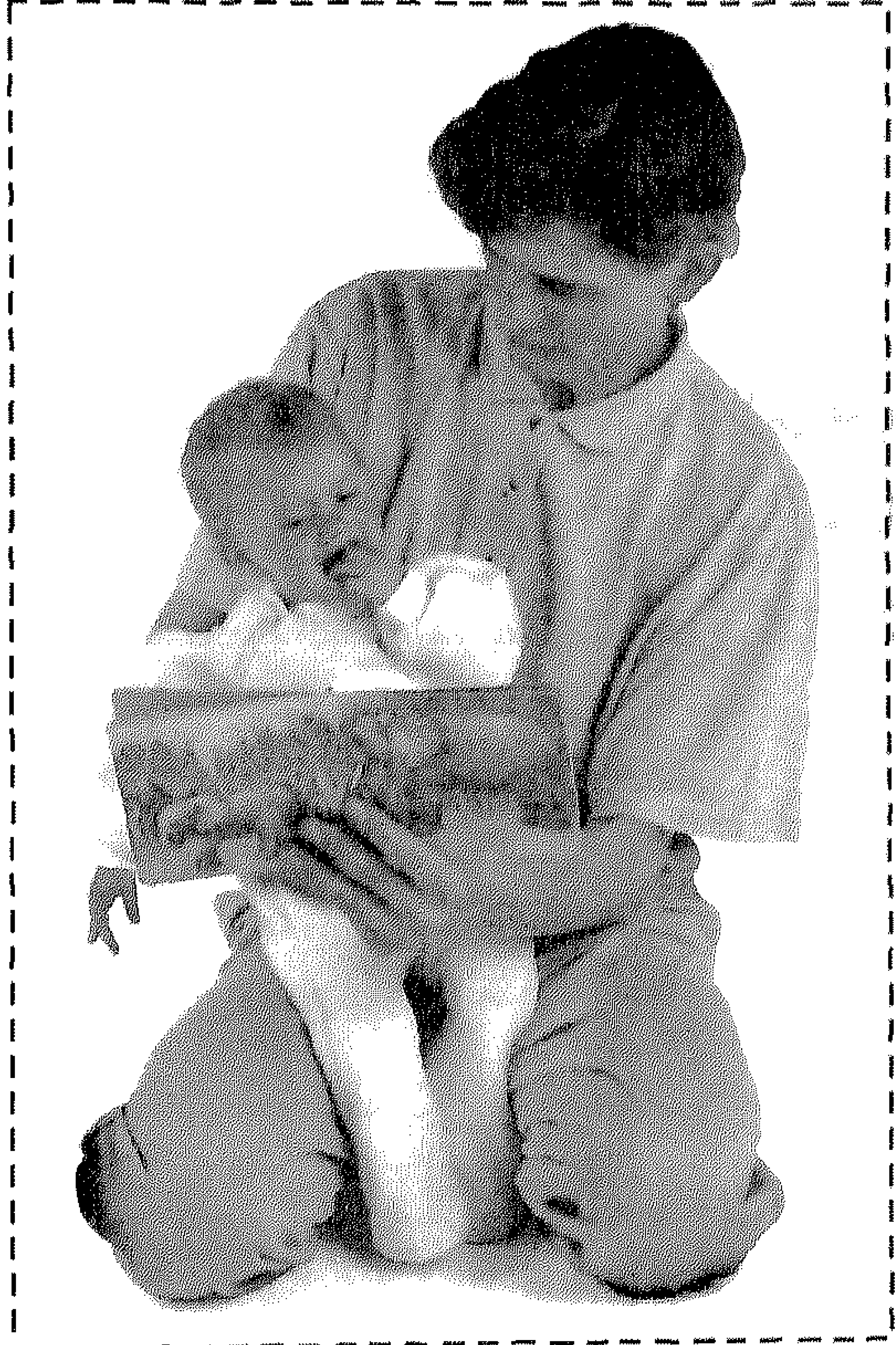
تبين كل الدراسـات أن اشـتراك الوالدين في العـنـاية بـالأولاد لـه تأثير عميق جـدًا عـلى الجـو المـنزلي، نعـني بذلـك العـناية خـلال الـلحظات الحمـيمة في حـياة الطفـل، مـثل فـترة مـا قبل النوم، أو عندما يكون الطفل مريضًا..، لأنه في مثل هذه اللحظات، ينمو التعلق بالأهل بشكل قوي جدًا.

مـن الصـحيح أن مشـاركة الأب، في أيامـنـا هـذه، قـد ازدادت عمّـا كانـت عليه مـنذ عشرين سنـة، ولكن لا تزال الأم هي الـتي تقوم بهذه العنـاية بشكل رئيسي، هي الـتي تضـع الطفل السـرير، وهي الـتي تقرأ القصص لـه قبل النوم، وهي الـتي تنظف الجـرح عـنـدما يقـع الطفـل وتضـمده بـرقة، وهـي الـتي تسـرع إلـى سريره في منتصف الليل عنـدما يستيقظ باكيًا صارخًا من جراء كابوس مريع.

ويصـبح الأب، نتيجة هـذا الخلل في الـتوازن، أكثر فأكثر عـاجـزًا عـن العـنـاية بـالأولاد، ويـزداد الاتكـال علـى الأم بشكل مـبـالغ ممـا يجعلهـا هـي محور احتياجات



الطفل ومحور غضبه كما محور سعادته، وكل ذلك من شأنه خلق مسافة كبيرة بين الزوجين، وتلمس هذه المسافة أو هذا البُعد في مشاهد عديدة من الحياة اليومية، مثلاً عندما يرفض الطفل أن يأخذه والده إلى السرير، أو عندما يصر أن تقرأ له أمه القصة قبل النوم وليس أبوه.. فما العمل؟



ننصح بأن يقوم الأب بهذه الوظائف مرتين في الأسبوع بالرغم من ردة فعل الطفل، فعندما يرى الطفل أن أباه بالفعل يصر على التواجد معه في مثل هذه اللحظات، ينمو تعلقه به. لكن في هذا الإطار يجب أن ندرك أن الأم هي التي في كثير من الأحيان، ترفض أن تعطي الأب مسؤوليات من هذا النوع، فهي إجمالاً تصر أن تأخذ الطفل بنفسها إلى الطبيب للمعاينات الدورية (لأنه، باعتقادها "لن يسأل الطبيب الأسئلة التي أنا أسألها")، أو إلى الحلاق لقص شعره (لأنه قد يفقد صبره على الطفل إذا بكى وصرخ خوفاً من مقص الحلاق)..



ذلك فإننا نعتقد أن الأم تلعب دورًا رئيسيًا في جعل الأب يشعر أكثر بالمسؤولية تجاه هذه الأمور، وبالتالي في خلق هذا التوازن في الرعاية والعناية من خلال إعادة تقييمها لأدوار الأمومة والأبوة ضمن الأسرة، وتوزيع المهام بشكل متجانس بهدف خلق تناسق بين الطفل وكلا والديه.

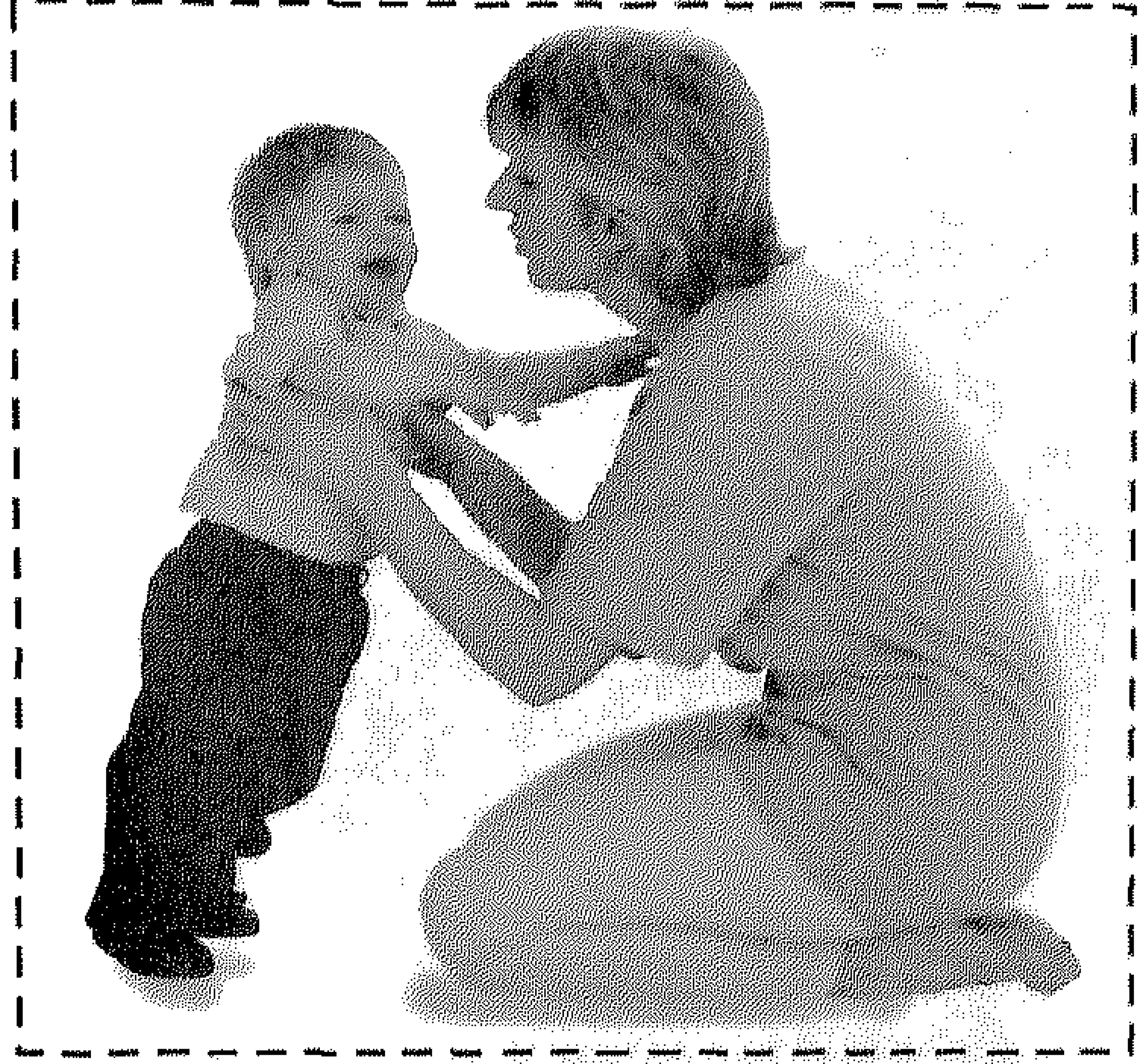
**التواصل القوي:**

من أهم العوامل التي يرتكز عليها نمو الطفل السليم هو التواصل القوي مع الوالدين، إذ إن هذا التواصل يشكل وقاية ضد العديد من السلوكيات السلبية.

يتكون هذا التواصل من العناصر التالية:

- إعطاء الانتباه للطفل وجعله يشعر بأننا مستعدون للاستماع إليه ولتفهم مشاعره. على الأهل، والأم بشكل خاص، أن يعيروا الاهتمام الكافي لاحتياجات الطفل، خاصة في المراحل المبكرة من نموه، كما الإصغاء إلى رغباته وأحلامه

ومشاعره. فالممارسة العيادية ترينا أن تجاهل مشاعر الطفل تؤدي إلى العنف عنده (أي التعبير الجسدي بدلاً من التعبير الكلامي).



• توفير الدعم العاطفي للطفل. بمعنى أنه يجب التأكيد له، بأسلوب أو بآخر، أننا نتفهم حالته (غضبه، حنقه، شعوره بالإحباط).. ونحبه ونتقبله مهما فعل، فلا يجوز أبدًا أن نقول للطفل: "أنا لا أحبك"، بل يستحسن القول: "إن هذا السلوك يزعجني". فإذا احتاجك طفلك لشيء ما، اجعليه يشعر بأن احتياجه هذا أهم من أي شيء آخر بالنسبة لك. فمثلا، عندما يأتي إليك باكيًا لأن لعبته المفضلة قد انكسرت، اتركي كل شيء وانزلي إلى مستواه، انظري إلى عينيه، واطلبي منه أن يمسح دموعه، ثم أن يخبرك ماذا حصل بالضبط. هكذا ترينه أنك مستعدة للاستماع إليه، وأن ما يقوله مهم جدًا بالنسبة لك.. ومن ثم، حاولي تصحيح الأمور معه (تلصيق اللعبة المكسورة). المطلوب إذن هو وضع أنفسنا في موقع الطفل، والنظر إلى العالم من خلال عيون الطفل. عندما يعاني من مشكلة سلوكية معينة، نشعر إجمالاً بالغضب والخيبة، لكن ما يجب أن نفهمه هو أن الطفل أيضًا غاضب من نفسه، علينا إذن وضع غضبنا إلى جانب وأن نحاول تفهمه من خلال طريقة تفكيره هو.

- القدرة على التعبير عن حبّنا له: عندما يعلم الطفل أن والديه يحبانه كما هو بالرغم من مشاغباته أو مشاكله، عندئذ لن يشعر بالقلق من فقدان حبهما إذا غضبا منه أو أرادا معاقبته لشيء ما، بل يدرك بوضوح أن عقابهما هذا هو درس مهم له لكي لا يتصرف بنفس الطريقة في المرة المقبلة، ولا ينظر إلى العقاب، مثل العديد من الأولاد لسوء الحظ، كعملية تهديد أو تحدٍ بينه وبين والديه، أو بالأحرى بين غالب ومغلوب.

**البحث عن الشيء المميز في كل طفل:**

ضمن العائلة الواحدة يختلف كل طفل عن الآخر، فلا يجوز أبدًا مقارنة الأخوة بعضهم ببعض (في عمره، كان أخوه يتكلم بالجمل - لماذا لا تستطيع ترتيب غرفتك مثل أختك؟ ..)، فهنالك طبع خاص يلد به كل إنسان وعلينا احترام ميزات هذا الطبع وتقبلها، فالأولاد يختلفون باهتماماتهم وتطلعاتهم ولكنهم، بالرغم من هذه الاختلافات، كلهم يحتاجون لحبّنا وتقبلنا. كما يجب أن نعلم، نظرًا لهذه الاختلافات العديدة الموجودة عند أولاد الأسرة الواحدة (كل طفل لديه أسلوبه الخاص للتعبير، وهواياته الشخصية ونقاط ضعف خاصة به)، إن على الوالدين أن يعدّلا أسلوب تعاطيهما مع كل طفل من الأطفال، وهذا يشمل حتى طريقة التواصل الشفهي ونظام العقاب والمكافأة.

**النظام والقوانين البيتية:**

خبرتنا العيادية تؤكد لنا أن الأطفال الذين يعانون من مشاكل سلوكية يأتون من بيوت تسود فيها الفوضى، بمعنى أنه لا توجد قوانين ثابتة في حياة الأسرة لتنظيم مجرى الأمور بشكل يمنح الأولاد الشعور بالأمان.

إن الطفل يحتاج لمن يضع له حدودًا في كل مجالات حياته اليومية؛ فهو يحتاج إلى أن يعرف متى سوف يأكل، ومتى سوف يستحم، ومتى سوف يذهب إلى السرير.. هذه الحدود التي يضعها الوالدان تعطي شيئًا من الانضباط داخل العائلة، وهذا الانضباط يعطي الولد شعورًا بأن هناك من حميه ويهتم به ويرعاه بانتظام.

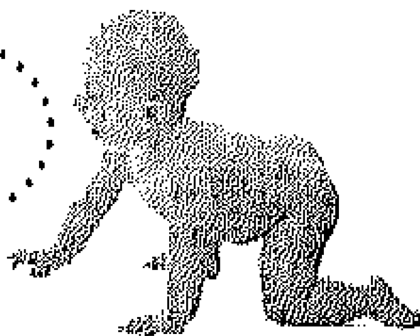
كذلك، إلى جانب هذه القوانين التي تنظم الحياة اليومية، هناك مجموعة قوانين من نوع آخر يجب أن تترسّخ في ذهن الأطفال منذ الصغر. وطبعًا، لكي تكون هذه القوانين فعّالة وواضحة للطفل، يجب على الأهل أن يطبقوها على أنفسهم، وأن يحترموها فيما بينهم وأمام الأولاد. مثلاً، إذا افترضنا أن هناك قاعدة في البيت وهي: "في هذا المنزل، لا نضرب"، فعلى الوالدين أولاً أن ينفذا هذه القاعدة في تعامل أحدهما مع الآخر وطبعًا في تعاملهما مع الأولاد. إن مثل هذه القوانين تضع أمام الطفل توقعات سلوكية واضحة يفهم من خلالها ما هو السلوك المرغوب به وما هو السلوك غير المقبول، وما هي نتيجة كل سلوك يقوم به. هكذا يتعلم الطفل ضبط مشاعره وردات فعله من دون حتى تدخل الأهل، أي يصل إلى درجة تنبؤ نتيجة أفعاله على المحيط ويدرك ما هو الحل الأفضل لكلا الفريقين.

يجب تشجيع الطفل على احترام هذه القوانين وأن نشرح له لماذا احترامها مهم (مثلاً: إذا استيقظت وجهّزت نفسك باركًا للمدرسة، تستطيع اللعب قليلاً قبل الذهاب إلى المدرسة)، كذلك يجب على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس القوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم بموضوع معيّن وأن يأتي الأب ويعاكسها كليًا في نفس

الموضـوع. إن مـثل هـذا التنـاقض في الأسـاليب التربويـة في البيـت الواحـد يـؤدي إلى البلبلة والحيرة والضياع عند الطفل، وهذه المشاعر غالبًا ما تكون هي المسؤولة عن المشاكل السلوكية الشائعة عند أطفالنا.

**ضبـط الأطفال وتأديبهم**

- اضـربي المثال الصـالح. هـذا يعـني تجنـب الوقـوع في تجربة التسـاهل في السـلوك الـذي تُثـنين الطفـل عـنه. فالضـرب والزعـيق وصـدع الأبـواب تصـرفات غـير مقـبولة. فـإذا امتنعـت عـن هـذه الأعمـال، يضعف احتمال إظهار ولدك لها.
- عنـدما يقـوم صـغيرك بعمل غير مقبول، واجهيه بتعليق فوريّ قاس. يكفـي لمـن هـم دون العـاملين قـول "كـلا" مـع توجيه انتباههم لوجهة جديـدة. أمـا الطفـل الأكـبر سـنًا فيمكـنه اسـتيعاب شـرح بسـيط مباشـر: "لا يمكنك ضرب الزجاج بالمكعبات. فإذا تابعت هذا العمل سوف أضطر لأخذها منك".
- تجـنبي الوقـوع في فـخ مكافـأة السـلوك غـير المقـبول. فـإذا اسـتحوذ صـغيرك عـلى انتـباهك بمجـرد أن يضـرب ويعـض، فـإن الضـرب والعـض سـوف يتزايدان. أظهـري أنـك تنتبهين لطفلـك وتلاحظيـنه حين يحسـن التصرف.
- استخدمي العقوبات المتناسبة مع العمر. فتعطيل اللعب المؤقت الذي يعـني عـزل الطفل المشاغب بعض الوقت، فعال بالنسبة إلى من هم في مـرحلة ما قبل المدرسة والأولاد الأكبر سنًا. ويمكن البدء باعتماد هذا الأسلوب في سن العامين والنصف إلى الثلاثة أعوام.

إن الالتزام بالقوانين أمر يجب أن نركز عليه: فالتزام الأهل بالقوانين أمام الأولاد تزيد ثقة الطفل بأهله واعتبارهما كمرجعية صلبة في حياته وتمنحه شعورًا كبيرًا بالأمان.. مرجعية قوية صلبة في عالم يتغير باستمرار.. وهذا الالتزام يتمثل في المشاهد التالية في الحياة اليومية:

في حال حصول مشاجرة كبيرة مع ابنك وسط متجر كبير للتسوق، فهو يريد أن تشتري له شيئًا معينًا وأنت ترفضين ذلك لأنه لا يستحقه، أو لأنه ليس لديك المال الكافي لشراء مثل هذا الشيء في الوقت الحالي، فلا تضيعي وقتك بالتفسير له لماذا لا تستطيعين الشراء، فلا الوقت ولا المكان ملائمان للحوار وللإقناع. واحمليه بقوة إلى الخارج من دون صراخ ولا توبيخ، ثم اشرحي له ماذا حصل. هكذا يتعلم الطفل أن لا مجال للمداعبة أو الدلع للحصول على ما يبغيه من خلال تصرفاته السلبية هذه.

من ناحية أخرى، يفرض الالتزام بالقوانين علينا أن نوضح للطفل ما هي نتائج تصرفاته (العقاب أو المكافأة)، وهنا يجب أن نذكر أن هذه النتائج يجب أن تكون واقعية (أي أن يدرك الطفل أنك باستطاعتك تنفيذها فعليًا) ومتلائمة مع قدراته الفكرية (أن يفهمها بوضوح) والجسدية (هل يستطيع الطفل تنفيذ أو تحمل العقاب الذي اخترته؟)

مثلاً: طفل في الثالثة من عمره أخذ يرسم على الحائط بواسطة أقلام الحبر الملونة. تأتي الأم وهي غاضبة جدًا منه وتوبخه وتفرض عليه كعقاب أن ينظف الحائط. يحاول الطفل تنظيف الحائط، ولكن كلنا نعلم كم هو من الصعب تنظيف

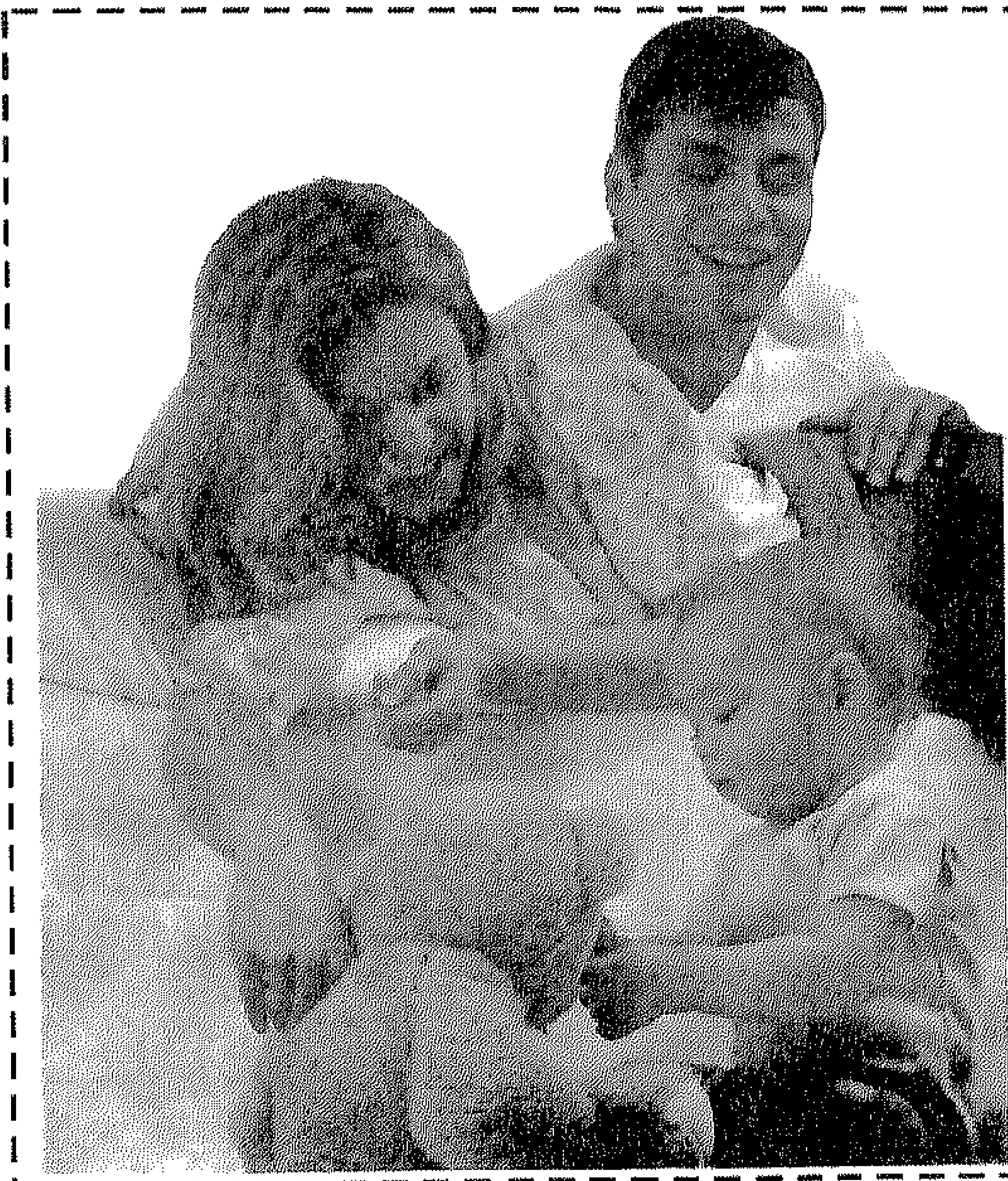
آثار الحبر الملون من على الحائط، فلا يستطيع الطفل تصحيح خطأه ويتعب ويحس بالقهر ويبكي..

إن مثل هذا العقاب غير متلائم مع قدرات ابن الثالثة! ومن الأفضل، في مثل هـذه الحالـة، أن تقول الأم للطفل: "تعال، سوف أساعدك على تنظيف الحائط"، وأن تحرمه من أقلام الحبر لبقية النهار، فما يهمنا هو تعليم القيم للأولاد وليس قهرهم من خلال العقاب، وهذا ما يجب أن يدركه الطفل: إن العقاب ليس للقهر بل لتعلم طرق أفضل للتصرف.

عندما نتحدث عن القوانين البيتية وعن ضرورة الالتزام بها، لا يعني ذلك أن نطبق نظامًا ديكتاتوريًا داخل البيت. فالمرونة في تطبيق هذه القوانين هي أيضًا من أسرار الحياة السعيدة. فمثلاً، هناك قاعدة في المنزل تفرض على الأولاد أن يذهبوا إلى الفراش عند الساعة السابعة والنصف مساءًا، ولكن هذه الليلة، سوف يأتي الجد والجدة لزيارة العائلة، فبإمكانك تعديل هذه القاعدة بعض الشيء، استثنائيًا لهذه الليلة، للسماح للأولاد أن يتمتعوا بجدهم وجدتهم بعض الوقت قبل الذهاب إلى النوم، على أن تشرحي للأولاد أنك سوف تقومين بهذا التعديل وسببه (نلاحظ أنه في حال عدم توفير الشرح للطفل، قد يسأل هو عنه). من المهم جدًا أن نشرح للطفل التغيرات الحاصلة في روتينه اليومي (في الصيف، عندما يكون الطقس حارًا، تستطيع أن تبقى وقتًا أطول في المغطس للعب، أما في الشتاء فالطقس بارد وقد تمرض إذا بقيت طويلاً في المغطس).

في الإطار نفسه، يجب أن نذكر أن القوانين المنزلية تتعدل مع نمو الأولاد في العائلة الواحدة، وتواكب احتياجاتهم حسب مراحل تطورهم، فلا يجوز مثلاً أن تفرضي على ابنتك في الرابعة عشرة من عمرها أن تذهب إلى الفراش عند السابعة والنصف مثل أخيها في الثامنة من عمره!

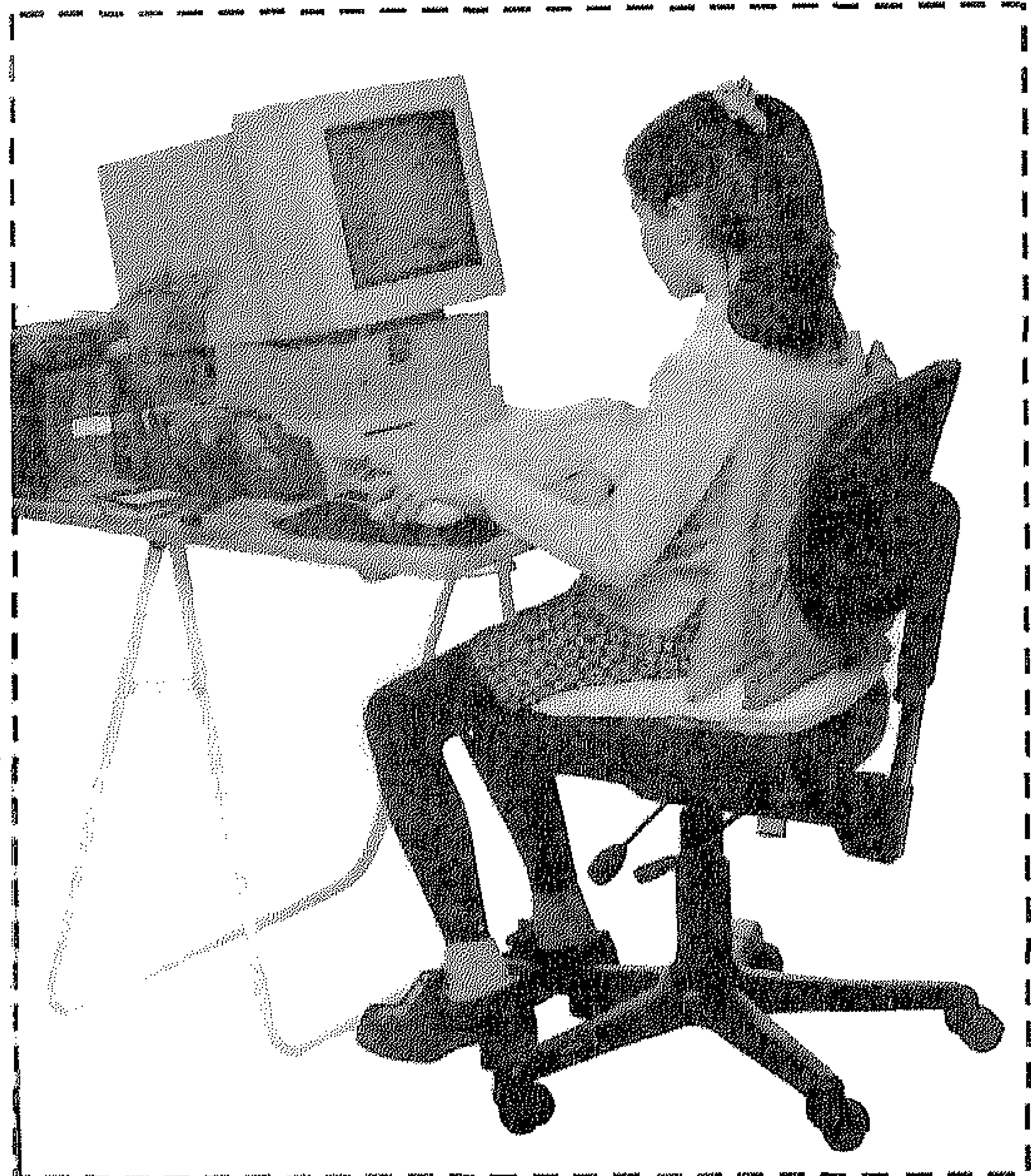
**الوقت المميز مع الأطفال:**



في السنوات الأولى من حياتهم، ما يريده فعلاً الأطفال هو وقت أكثر مع أهلهم.. هذا ونرى أن معظم الأهل يصرفون الكثير من المجهود والمال في خلق برامج باهظة التكاليف ومفرطة الإثارة لأولادهم، بينما ما يريده فعلاً الأولاد هو "وقت مميز" مع والديهم، أي أن يكونوا معًا: إن حضور حفل صاخب ممكن أن يكون شيئًا جميلاً جدًا للطفل، لكن بالنسبة لهذا الطفل، قضاء ساعة بمفرده مع أمه في هدوء وقراءة كتاب قد يعطيه سعادة حقيقية.. إن مثل هذه اللحظات المميزة مع الأم أو الأب توطد العلاقة الحميمة بين الطفل ووالديه، يشعر من خلالها أنه مهم جدًا بالنسبة لهما، وأنهما يستمتعان بحضوره معهما، فالطفل الذي ينمو في مثل هذا الجو يتعلم أن يحب نفسه..

باختصار، لا تجعل الطفل يعتقد أن يومه يكون مميزًا فقط إذا أخذته إلى السينما ثم إلى المطعم!

**مواكبة العصر:**



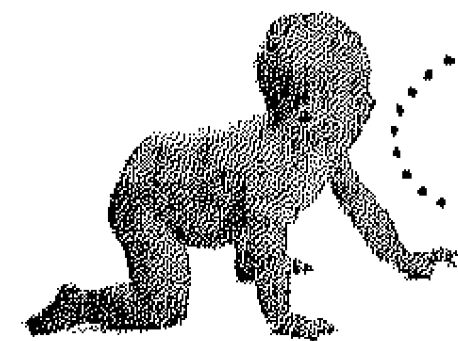
يجب على الأهل أن يدركوا أهمية الحاسوب والأدوات الإلكترونية في حياة أطفالهم، وأن هذا الجيل يختلف كليًا عن الأجيال السابقة، نظرًا إلى تعدد الخيارات أمام الأطفال وتعرضهم لخبرات مدهشة من جراء وسائل الإعلام المتنوعة وتزايد الابتكارات الترفيهية بسرعة مذهلة... وهذا الكلام ينطبق على كل المجتمعات في كل أنحاء العالم وكل الطبقات الاجتماعية. باختصار، إن طفولة أولاد القرن الحادي والعشرين تختلف كليًا عن طفولة أولاد القرن العشرين، حتى أن بعض الخبراء في علم التربية طالبوا بإعادة "البراءة" لأولادنا. ففي عصرنا هذا، نلاحظ أن الأطفال هم نسخة مصغرة عن الراشدين: الثياب التي يرتدونها أو التي نشتريها لهم، والأمكنة التي يذهبون إليها أو التي نأخذهم إليها.. في الكثير من الأحيان، نعرضهم إلى أشياء ونعلمهم إياها قبل أوانها.




إن للحاسوب ميزات عديدة، فهو ينمي القدرات العقلية، ويوفر الإثارات المتنوعة للطفل التي هو بحاجة إليها لتعلم الأشياء واستكشاف العالم من حوله، كما أنه أيضًا ينمي التنسيق البصري الحركي (بين العين واليد) والتحديد المكاني، ويعلم دقة الملاحظة وحتى الإبداع في بعض الأحيان. لكنه أيضًا يبعد الطفل عن ملذات الحياة اليومية: يبعده عن أهله وأخوته، وحتى عن أصدقائه، ويبعده عن المطالعة والرسم والتلوين، وعن المشاركة في أحاديث العائلة والمشاريع الجماعية، وحتى عن تناول الطعام على المائدة مع بقية أفراد الأسرة، وعن ركوب الدراجة والركض في الحديقة وتسلق الأشجار..



أما بالنسبة للتلفزيون، فتنطبق الملاحظات نفسها، يجب على الأهل أن يضعوا حدًا للفترة الزمنية التي يمضيها الطفل أمام شاشة التلفزيون وللبرامج التي يتعرض لها. كل الأطباء ينصحون بأن لا تتجاوز فترة مشاهدة التلفاز أكثر من ساعتين في اليوم. يجب وضع الحدود في هذا الإطار باكرًا، أي منذ الطفولة المبكرة، لأن وضع الحدود لاحقًا يصبح صعبًا جدًا.



البـرامج كثيرة ومتنوعة، ليست كل البـرامج التي يقـال عنها إنهـا خاصـة بالأطفال تكون فعلاً ملائمة لكل أعمار لطفولة، فبعض الرسوم المتحركة مثلاً موجهة لعمر معين (بين الست والثماني سنوات)، وتحتوي على مضمون لا يتلاءم مع القدرات الفكرية لطفل في الرابعة من العمر! كما أن هناك بعض المشاهد المرعبة التي لا تخيف ابن الثماني سنوات، بل تخيف أخاه في الرابعة ولا تتلاءم أبدًا مع نموه العاطفي في هذه المرحلة من عمره.

**المعرفة والاطلاع:**

نلاحظ أن العديد من الأهل لا يملكون المعلومات الكافية حول تطور الأطفال أو حول تربيتهم، فمعظمهم يتعمدون على نصائح ومعلومات الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء.

يجب على الأهل أن يعرفوا أن التطور النفسي يختلف عن التطور الجسدي الذي يسير في اتجاه واحد، إلى الأمام. في التطور النفسي، نستطيع أن نقول إن لكل خطوتين إلى الأمام، هناك خطوة إلى الوراء! فالسنوات الست الأولى من حياة أولادنا تتميز بالكثير من الأحداث التي تفرض ضغطًا كبيرًا على الطفل (ولادة أخ جديد، الذهاب إلى المدرسة، الفروض المنزلية..) مما يسبب في معظم الأحيان العودة إلى سلوك طفولي بدائي. إن مثل هذا الارتداد السلوكي لا يجب أن يقلق الأهل طالما أنه لا يدوم أكثر من شهر أو شهرين ولا تتفاقم حدته.

هذا وننصح الأهل أن يكونوا على دراية بالخصائص التي تميز كل مرحلة من مراحل التطور عند الأولاد، فإن معرفة هذه الخصائص تساعدهم على تفهم

أولادهم بصورة أفضل، وبالتالي تجنب المشاكل العديدة الناتجة عن سوء فهم وعدم تقبل الطفل. إن هذه المعرفة تجعلنا أيضًا نضع أنفسنا مكان أولادنا والنظر إلى العالم من خلال عيونهم. فعندما يكون في العائلة طفل يعاني من مشكلة ما، يشعر الأهل بالغضب والخيبة، ولكن ما لا يفهمونه هو أن الطفل أيضًا غاضب تجاه نفسه.. لذلك، من الأفضل أن نضع غضبنا جانبًا وأن نحاول فهم الطفل من خلال منظوره.

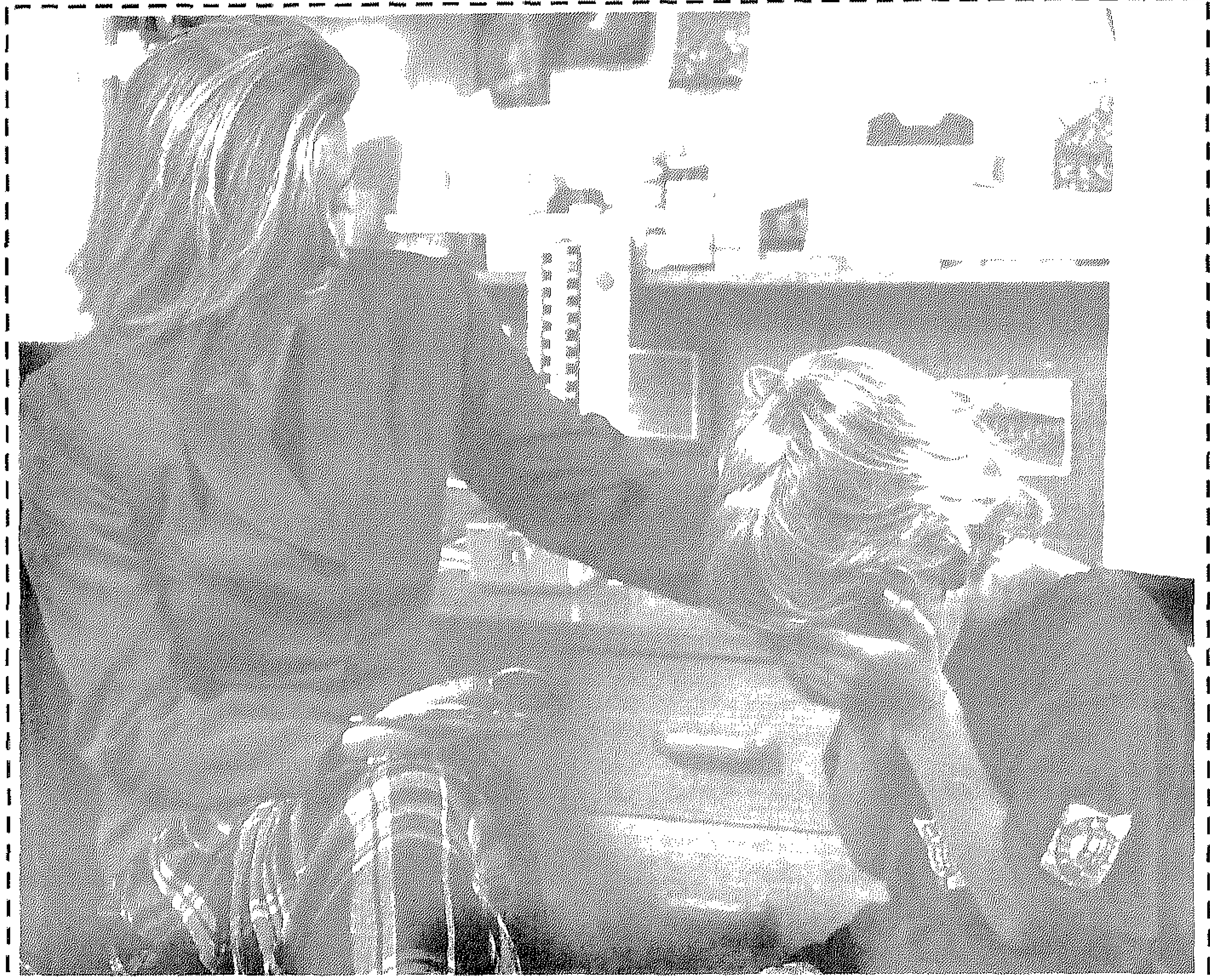
**التحدث عن المشكلة:**

نلاحظ أنه في معظم العائلات حيث يعاني أحد الأولاد من مشكلة معينة، هناك ميل إلى كتمان الأمر أو تجاهله أو اعتباره أزمة مؤقتة سوف تزول. إن هذا الكتمان مضر جدًا بالنسبة للعائلة كلها، فنكران المشكلة من شأنه تفاقم المأساة على الجميع داخل الأسرة، فالطفل يحتاج إلى مساعدة كما الأهل والأخوة.

لذلك ننصح الأهل بالاعتراف أولاً أن هناك خطأ ويجب العمل على تصحيحه: يجب التحدث عن المشكلة أولاً داخل الأسرة، ومن ثم السعي إلى إيجاد الحلول المناسبة من خلال استشارة طبيب العائلة الذي قد يحولهم إلى الشخص المناسب.

في مجتمعاتنا الشرقية، لا نزال نخشى فكرة اللجوء إلى الطب النفسي لمعالجة بعض الأمور. إن هذا الخوف شيء طبيعي، خاصة وأن علم النفس لا يزال حتى يومنا هذا وفي كل المجتمعات دون استثناء (بمستويات مختلفة) محاطًا بمفاهيم خاطئة. لكن الخطأ الأكبر والأخطر هو أن نستمر في تجاهل تواجد مشكلة

حقيقية عند الطفل، لذلك ننصح بشدة أن يتخطى الأهل هذا الخوف المبني على مفاهيم خاطئة، وأن يستشيروا الاختصاصيين المناسبين لكي يجدوا الدعم المعنوي والعملي في تعاملهم مع ولدهم لمساعدته ولإنقاذ الأسرة من مأساة كبيرة تشل حياة كل فرد من أفرادها.



**مسؤولية الأب والأم:**

عندما نتحدث عن مسؤولية الآباء والأمهات في رعاية الأبناء وتربيتهم، نجد أن بعض الآباء والأمهات قد أصابهم الارتباك. فالأم تظن أن هذه الهزة غاية في

الخطورة، ويظن الأب أيضًا أنها غاية في الأهمية بالنسبة للطفل. ويبدو الانزعاج واضحًا عند الآباء والأمهات. تتمنى كل أم ويتمنى كل أب أن يكون مثاليًا في تربيته لأولاده. ويفاجأ بأن الأطباء يقولون له أن الطفل يحتاج من عامه الثالث إلى عامه السادس قدرًا كبيرًا من الاهتمام والعناية لأنها مرحلة مليئة بالتوتر النفسي المصاحب لنمو الطفل. وأقول، على كل الآباء والأمهات أن يعرفوا بأن كل أيام الأبناء هامة، وكل أيام الأبناء خطيرة.. وكلنا نتمنى لأبنائنا أفضل ظروف التربية. ولذلك، لا داعي للانزعاج.. إنما يمكننا فقط أن "نفهم" شيئًا من أسرار التوتر النفسي الذي يمر بنفسية الطفل - بشكل خاص في عامه الثالث حتى عامه السادس -. لأن الفهم يساعدنا على التعامل مع الطفل بروح واعية وهذا التوتر النفسي ضروري في حياة كل طفل لذلك نحن مهما حاولنا، فلن نستطيع بضغطة زر منع هذا التوتر.. لأننا لو فعلنا ذلك فنحن إنما نطلب أن تتوقف عملية النمو نفسها.. لذلك لابد من التسليم بأن التوتر مصاحب للنمو. ولنتناول الآن أسرار هذا التوتر النفسي:

إن الطفل الذكر يزداد تعلقاً بالأم من عامه الثالث. فهو يدخل معها في قصة حب هي غاية في العاطفية. إنه يريد أن يمتلكها وحده. كلما ازداد تعلقه بالأم كلما ازداد وعيه بالمشكلة التي تواجهه. إن هذا "الحب الشديد للأم" يكشف للابن أن هناك منافسًا قويًا.. الأب هو المنافس القوي والأفضل والأكبر. فالأب يملك الأم. هذه هي الحقيقة التي يكتشفها الابن. وفهم الطفل لهذه الحقيقة يصحبه الإحساس بالغيرة والكراهية. وفهم الطفل لهذا الحب يصحبه أيضًا إحساس بأن

الأب يعـرف حقـيقة مشـاعر الطفـل نحـو الأم ويعـرف أيضًـا أنـه "يكـرهه" ويتخـيل الابن أن الأب يبادلـه الكراهية. وهنا يمتلئ الطفل بالخوف والرعب. فالطفل يعرف أن الأب أقـوى منه والطفل يحس أيضًـا بالإعجـاب كما يعـرف أيضًا أن وجود الأب ضـروري لحياته. إنه لا يستطيع أن يعيش بدونه وحتى نستطيع أن نفهم نحن الكبار هـذه المسألة المعقدة علينا أن نتخيل حدوث قصة حب رهيبة بين أحد الموظفين وبين زوجة المدير. ويكون هـذا المديـر صديقًا عزيزًا للموظف. إن الموظف العاشق يعرف أن مديـره إنسـان قـوي قـادر وذكـي ومتفوق، وفـوق كل ذلـك فإن المدير يحب زوجته وغيرتـه عليها فـوق الحـدود. والموظف الصغير يعرف أن مديره قادر على أن يغوص بعيونه إلى أعمـاق من أمامه ويفهم كل التفاصيل ويلتقط الأفكار، والموظف الصغير العاشق لزوجة المدير لا يمكنه الاستقالة من عملـه.

الموقـف كمـا تـرى غاية في الدقـة وغايـة في العـنف، ورغـم ذلـك فـإن الموظـف يسـتيقظ كـل صـباح ليذهـب إلى عـلمه. ويـرى زوجـة المديـر، والمديـر يقـرأ أفكـار الموظـف. هـذا هـو الموقـف الـذي يعيشـه الابـن الصـغير في عمـر الثـالـثة أو الـرابعة.. عـندما يمتلئ بعشق الأم ويـريد أيضًا أن يحتفظ بالأب. وما ينطبق على عشق الولد لأمـه يقابلـه عشق الفتاة لأبيها وإحسـاس التنافس بينها وبين الأم. فالبنت تعجب بـالأم وتحـتفظ بهـا كمثل أعلى وتتمنى في الوقت نفسه أن تتنازل الأم عن مكانها في قلب الأب. ومـن الخطـأ طبعًا أن ننجرف في تيار التساهل مع الابن لمجرد أن نتخيل أنـه ينافسـنا في حب الأم. ومـن الخطـأ طبعًا أن ننجرف في تيار التساهل مع البنت. إن بعض الآبـاء يتركـون للأبنـاء الحبل على الغـارب. فما يطلبه الابن ينفذه الأب

حتى لو كان دور العفريت في قصة علاء الدين والمصباح السحري. إن الابن يطلب والأب يستجيب وينفذ ويلعب دور العبد القوي القادر على تنفيذ طلبات السيد المطاع وهو الابن.. كل ذلك حتى يقاوم الأب أحاسيس الابن الداخلية بأن الأب سوف ينتقم منه لأنه يشاركه في حب الأم.

والأب الذي تعرض أثناء طفولته إلى قسوة والده يريد أن يكون شخصية أكثر رقة ويحاول أن يتعامل مع ابنه على أساس من الصداقة المتسامحة بدلاً من القسوة البالغة التي كان يعامله بها والده. على هذا الأب أن يتذكر حقيقة هامة.. أن الأبناء ليسوا في حاجة إلى أن يتحول الأب إلى خادم مطيع. إنه في حاجة إلى إنسان قوي يعرف الحنان ويعرف الحزم أيضًا. لأن الطفل يصاب بالقلق البالغ خلال التدليل الشديد وخلال تنازل الأب عن سلطته وكذلك الفتاة التي تعاملها أمها بنوع من الدلال الزائد عن الحد. إنها تصاب بقلق عنيف إذ تشعر أن الأم تهرب من مسؤوليتها في التوجيه، فالأبناء ينظرون إلى الآباء على أنهم أولئك الكبار الناضجون الذين يملكون الخبرة والمعرفة، ومهمة الأب في نظر الابن أنه قائد لسفينة الحياة.. والأب يحمي الابن من الخطأ.. فكل ابن يرى في أبيه المثل الأعلى وقوة الضبط الاجتماعي. فإذا تنازل الأب عن ذلك واكتفى بدور المدلل فقط الذي يمنح الحنان جزافًا كيفما اتفق فإن الانزعاج والتوتر يصيبان الابن إذ يجد حياته بلا قائد. وكذلك الفتاة.. إن الابن يشعر بضرورة أن يكون الأب حازمًا يعنفه عندما يخطئ ويشكره عندما يصيب.



ملاحظــة

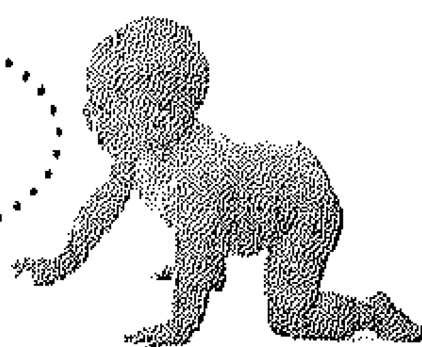
أيها الأب لا تتوقع أن تكون الأب المثالي..

أيتها الأم لا تتوقعي أن تكوني الأم المثالية..

فالأخطـاء جـزء مهـم جدًا مـن النمو الشخصـي خـلال خـبرة الأمومة والأبوة، وعلينا أن نتذكر دومًا أن الطفل لن يكون قويًا إذا كان كل شيء مسهّلاً أمامه ومؤمّنًا لـه.. إن نمو الشخصية بشكل سليم يتطلب أن يتقبل الطفل نقاط ضعفه لكي يتعلم التكيف معها ويتم ذلك عندما نتقبل نقاط ضعفنا ونسامح أنفسنا على الأخطاء التي قمنا بها.

ولا يجب أن ننسى أن السبب الأساسي الذي يخلق بعض العداء عند الابن للأب هو إحساس الابن بأن والده يكرهه. ومهما حاول الأب عن طريق الرضوخ للابن أن يجعل الابن ينسى هذه الأحاسيس فإن الابن لا ينساها. باختصار أن الابن يطلب من أبيه أن يكون قويًا قادرًا على الثواب والعقاب ويتمتع بالاحترام الشديد.

وعندما يغالي الأب في "تمثيل" دور الصديق الخادم لابنه، فإن الطفل يعرف في أعماق نفسه بأنه واقع في براثن الخداع. فالابن يتوقع أن يكون الأب حازمًا يملك سلطان العقاب، فلماذا يخفي حقيقته. وهكذا يشعر الابن بالشك في كل شيء. إنه يشك في والده وفي تصرفاته الشخصية وينتظر اليوم الخطير.. ذلك اليوم الذي سيأتي لا محالة. وهو اليوم الذي يظهر فيه الأب كل جبروته وقسوته. يضخم الابن

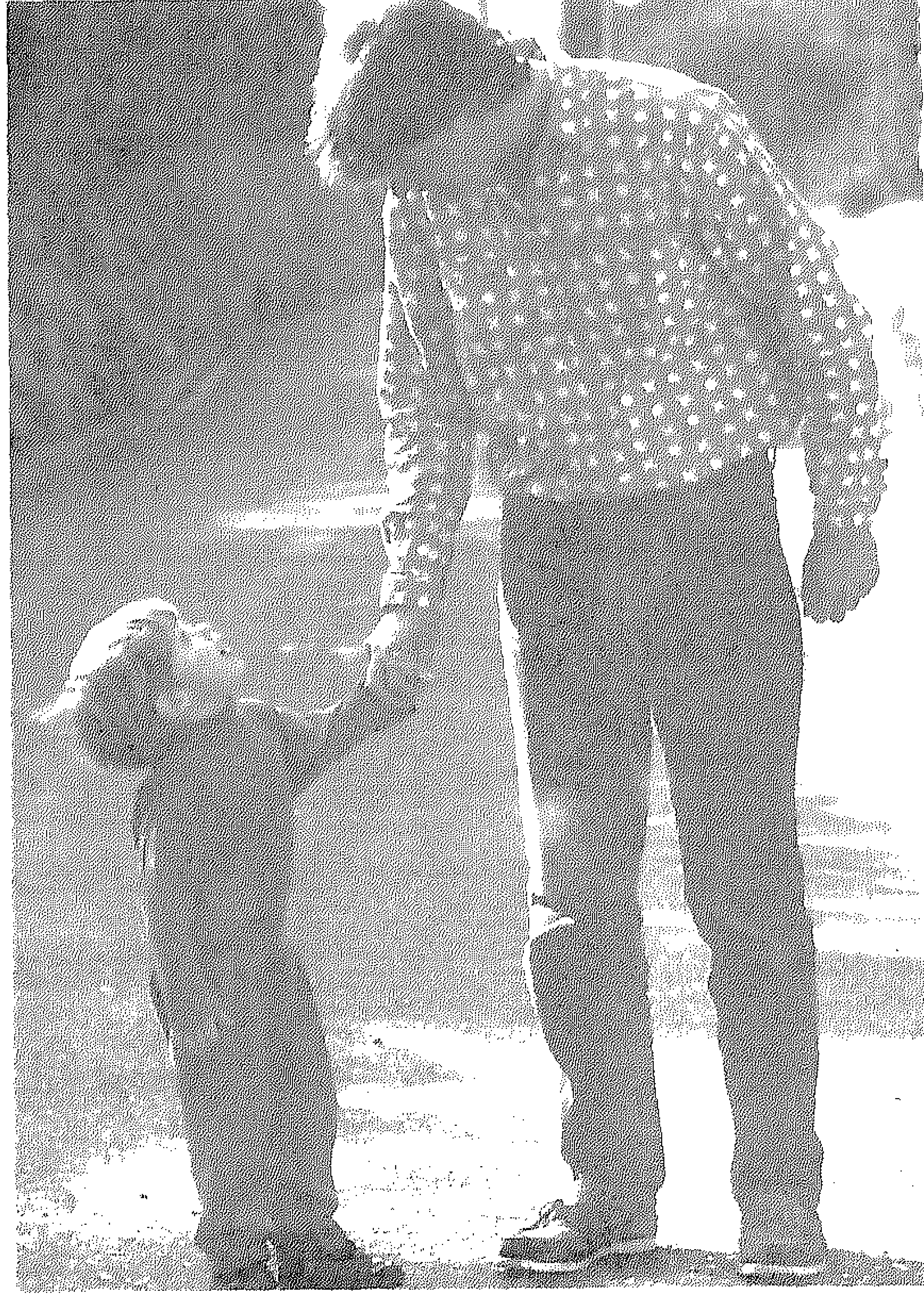



في داخله صورة الهول الذي سيلحق به في المستقبل من هذا الأب "المخادع" الذي يظهر خلاف ما يبطن، ويتصرف الابن مع الأب على أنه في صحبة وحش كبير ينتظر فرصة الانقضاض عليه. ولنا أن نتخيل كيف يضخم الطفل في خياله صورة الأب الذي يظهر خلاف ما يبطن. وإن الكبار أنفسهم يمكنهم أن يتخيلوا ماذا يحدث لهم عندما يكون رئيسهم إنسانًا يظهر خلاف ما يبطن. فهذا يخلق الكثير من القلق ويوقع الإنسان فريسة الظنون، ولهذا فعلى الأب أن يتصرف مع الابن بقدر كبير من الثقة في النفس. يوجه له اللوم عندما يخطئ، ويمن عليه بالثناء عندما يصيب، ويعاقبه على حجم الخطأ. ولابد لنا أن نعرف أن الطفل "يختبر" مدى صلابة الأب. لأنه بهذا الاختبار يحاول أن يطمئن إلى أنه في صحبة إنسان حازم يملك المعرفة والفهم. وبذلك يعرف الابن أنه يملك إنسانًا يمكنه أن يتعلم منه وأنه مثل أعلى.

ولكن بعض الآباء يقولون لأنفسهم ضاحكين ساخرين "ما دام الابن يعشق أمه فلنراع مشاعره ونترك له الفرصة للتعبير الكامل عن هذا العشق". ولهذا يقلل الأب من تدليله لزوجته أمام الابن ويعطي الابن الفرصة الأولى لأي حوار مع الأم محاولاً ألا يتدخل بينهما.. بل وأكثر من ذلك لا يخرج مع الأم إلا بعد استئذان الطفل وهذا النوع من الآباء يرتكب خطأً جسيمًا. إن هذا الصنف من الآباء يؤذي الطفل كثيرًا لأنه يجعل الطفل يتخيل أنه المالك الأول للأم. وبذلك تزداد غيرة الابن من أبيه. وهذا يخلق الكثير من المتاعب النفسية للابن.

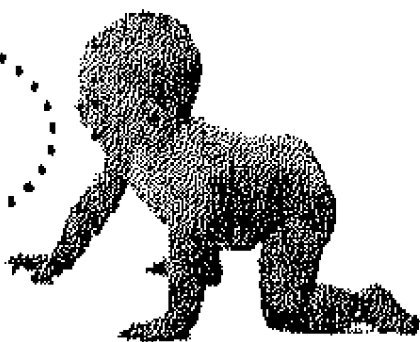






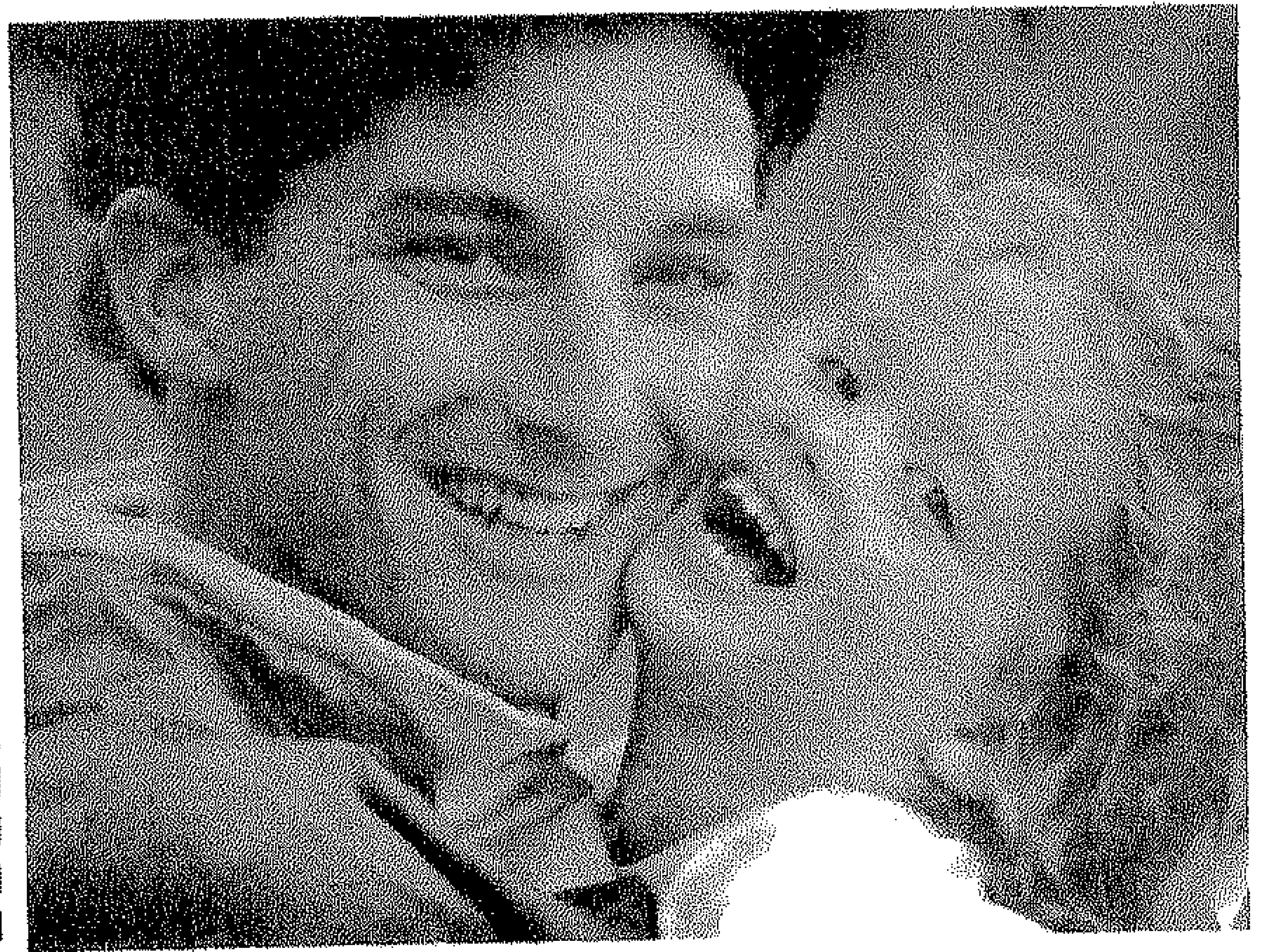
إن عــلى الأب أن يتصرف طبيعيًا لأن الابن يتعلم منه كيف يثق بنفسه. وكيف يجد السعادة في الصداقة وكيف لا يخاف من المنافسة وكيف يعامل الجنس الآخر. إن على الأب أن يتصرف مع الأم طبيعيًا وأن يكون قويًا وقادرًا على عقاب المخطئ من الأبناء، وليس معنى قولنا: أن يتصرف الأب على طبيعته هو أن يتعمد مغازلة الأم أمام الابن لإثارة غيرته، إنما معناه أن يحاول الأب أن يكون ودودًا مع زوجته باحترام أمام الأبناء.

وما ينطبق على علاقة الأب بالابن ينطبق أيضًا على علاقة البنت بالأم. فالبنت تشعر أنها تنافس إنسانة أقوى منها هي الأم.. وليس معنى ذلك أن تدلل الأم ابنتها فوق الحد أو أن تحاول عدم التعبير عن حبها للزوج. أو أن تتحمل الأم وقاحة الابنة. يجب على الأم أن تعرف كيف تكون حازمة مع الابنة وأن تثبت لها

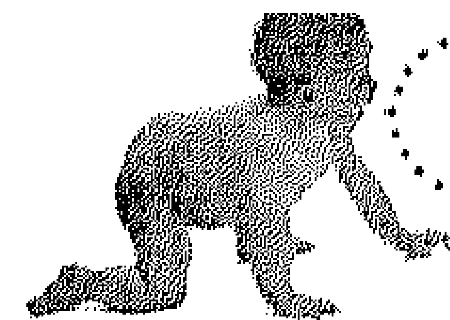





بالفعل أنها امرأة قوية وأنها تصلح كمثل أعلى لها. إن الأم التي تترك الابنة تتدلل وتستولي على الحنان كله من الأب إنما تخلق منها فتاة مزعجة. وعلى البنت أن تعرف حدودها وذلك حتى لا تقع الفتاة أسيرة الإحساس بالذنب وارتباك المشاعر مما يسبب لها الفشل في حياتها الزوجية لأنها تشك في نفسها. وتعيش مستقبلها وهي عاجزة عن العثور على الرجل المناسب لها. لأن اختيارها يظل محصورًا في الأب فقط. ينبغي على الأم أن تقوم بدورها كاملاً وألا تتخلى عن مكانها في قلب الزوج للابنة حتى لا تدمر نفسية الابنة. وحتى تنمو الفتاة وهي قادرة على أن تجد الرجل المناسب لها وأن تكن جذابة تعلمت من أمها أسرار الحنان والعطف بين الرجل والمرأة. إن الفتاة تحتاج أيضًا من والدها إلى الإحساس بأنها مقبولة كطفلة وكفتاة كبيرة، ولكن بعض الآباء الذين لا ينجبون ذكورًا يختار الواحد منهم إحدى بناته ليعاملها كرجل. ويحاول أن يجعل كل تصرفاتها على غرار تصرفات الرجال. والأب الذي يفعل ذلك يرتكب جريمة كاملة في حق ابنته. إنه يقتل أنوثتها واعتزازها بكونها امرأة ويخلق فيها التمرد الحاد على دور الزوجة.



تشهد العيادات النفسية صرخات مئات النساء اللاتي كان تدليل الآباء هو السبب في فساد حياتهن. فالأب المفرط في تدليل ابنته الذي يعاملها كامرأة ناضجة وهي طفلة،



والـذي يعطيها مـن الوقـت الكثير لتستمتع في طفولتها بالاستيلاء "الوهمـي" على مكانـة أمهـا - هـذا الأب إنمـا يرتكـب جـريمة صـامتة هـي تدمير المستقبل العاطفي لابنته.



وتشهد العيادات النفسية أيضًا صـرخات مـئات الـرجال الذيـن أفسـدتهم أمهـاتهم بالتدليل وباعتبار الطفل منهم "رجلها الممتاز والمفضل على أبيه". طبعًا هـذا يحدث عندما تكـثر الأم مـن تدلـيل الابـن رغـم أن مسؤولية الأم في الأسـاس أن تسـاعد الابن على أن ينمو وهو محب العمل. أن تسند لـه بعض أعمال المنزل وأن يساعدهـا في عمـل المنـزل وأن تربي فيه روح التعاون والشجاعة والكرامة ومساعدة الغير. ولا يجب أن تحتضنه كثيرًا أو أن تدغـدغ لـه أعضـاءه الجنسـية. إن عليها أن تبعده بـرفق لـو ازداد هـو تعلقًـا بهـا واحتضـانًا لهـا. ولا يجـوز أن تظهـر أمامـه عاريـة كمـا لا يجـوز أن تخلـع ملابسـها أمامه حتى لا تثير ظنونه وحتى لا تفسد خيالـه في الكبر فيكون غير سوي ولا يجب أن تسمح لـه بالنوم بجانبها لـو سافر الأب. إن على الأم أن تعلم الابن أنـه رجل حتمًا. ولكنه ليس رجلها البديل عن زوجها.

إن بعض الضيق قد يصيب الآباء والأمهات الذين يعرفون جيدًا كيف يتعاملون مع أبنائهم وبناتهم والذين يتصرفون التصرف السليم دون معرفة لكل هذه العمليات اللاشعورية التي تدور في العقل الباطن للأبناء.

لكن لابد لنا من أن نذكر دائمًا كل التفاصيل التي تصنع الحياة الرديئة للابن حتى يتجنبها الآباء والأمهات وحتى يستطيع كل أب وأم أن يحققا لابنهما أو ابنتهما المستقبل الأفضل.

وعلى أية حال، إن تعلق الأبناء بآبائهم وأمهاتهم لا يستمر طويلاً. فالطبيعة نفسها تتولى دائمًا دورها الرائع في تربية الأبناء. ويبدأ الابن في ممارسة الاستقلال عن أبيه وأمه عندما يخطو نحو العام السابع من حياته.

### كيف نربي هذا الابن؟

إننا لا نفهم سبب صرخاته أو ابتساماته أو حركاته أو احتياجاته. وغالبًا ما يكون تصرف الأب والأم واحدًا من موقفين: الموقف الأول هو الحزم المتسم بلون من القسوة، تلك القسوة النابعة من الخوف الشديد من الصغير المولود وكذلك الخوف عليه من أن يتعود الحصول على كل ما يريد بسهولة تجعل الأبوين أداة تعمل على تحقيق مطالبه حتى يفقد الأبوان السيطرة عليه.

والموقف الثاني هو التساهل المتسم بلون من التدليل المبالغ فيه، النابع من تذكر كيف كان والد الزوج أو الزوجة قاسيًا، ولا يحب أي من الوالدين أن يحدث لصغيرهما ما حدث لهما.

والحقيقة، أن كلاً من الموقفين موقف خاطئ. ولكن الخطأ يتسرب إلى أدق المواقف. منها على سبيل المثال أسلوب تغذية الطفل، فالأم تكون صارمة بحيث تنظم له مواعيد الغذاء دون فهم لطبيعته الخاصة. والأب قد يكون صارمًا مع الابن فلا يحتضنه إلا يوم الإجازة الأسبوعية.

والخطأ في التدليل يتسرب كذلك إلى أدق التفاصيل، فكل سؤال للطفل له جوابه الذي يراه الأبوان وطريقة توضيحه.. فلا يعرف الطفل أبدًا القدرة على التمييز. تلك القدرة التي يطلبها المجتمع من الطفل.

إن الطفل في حالة القسوة من الأب والأم قد يخرج إلى العالم وهو ذلك الإنسان القاسي، صاحب القلب الذي لا رحمة فيه وصاحب المواقف الصارمة، والذي يقيس كل شيء بميزان لا يعرف الحنان.

والطفل في حالة التدليل المبالغ فيه يخرج إلى العالم والدنيا عنده "سداح مداح".. النجاح فيهما كالفشل والصدق كالكذب.

إذن ما هو الأسلوب الأسلم في تربية الأبناء؟

إن الحقيقة الأولى التي يطلبها الأب والأم من الابن هي الحب والاحترام والتعاون. وهذه الحقيقة تصطدم بصخور من أن الأبناء يتصرفون بغلظة وعدم تقدير لمشاعر الأب أو الأم ولا يكفون عن طلب الأشياء لأنفسهم وكأن الآباء والأمهات هم مجرد خزائن للصرف المادي.

والحقيقة الثانية التي يطلبها الأب والأم من الابن هي أن يتصرف هذا الابن دائمًا في ضوء المثل العليا وباعتدال وتقدير. وتصطدم هذه الحقيقة بأن الأطفال من البدايات الأولى يتصرفون على ضوء المصلحة وبأسلوب الأنانية. إذن.. كيف يكون الحل؟ وكيف ندير الرأس بتدبير تلقائي يجعل الأبناء يتصرفون على ضوء السلوك الحسن؟

المسألة ببساطة هي في أن نعي حقيقة بديهية هي أن الابن قد جاء ابنًا في لحظة حب، وحتى الأزواج الذين يدعون أنهم لا يحبون زوجاتهم، وحتى الزوجات اللاتي يدعين أنهم يكرهن أزواجهن، هؤلاء وأولئك ينسون أن لحظة العناق التي أنجبت الطفل كانت لحظة رضى ولم تكن لحظة اغتصاب.

ملاحظة

والحب هو القدرة على الرعاية. هذا هو المفهوم الحقيقي والواقعي الذي يجب أن يستقر في ذهن الأب والأم والابن أيضًا.

إن الابن الذي يحس أن والده يرعاه بالنظرة الواثقة المعتدلة الهادئة هو الابن الذي يتصرف تجاه العالم باعتدال. والابن الذي يحسن أن أمه ترعاه دون أن تسمح له بممارسة الابتزاز أو السيطرة، هذا الطفل يستطيع أن يتعاون مع الأم وأن يتعامل في المستقبل مع زوجته بنوع من التقدير العميق.





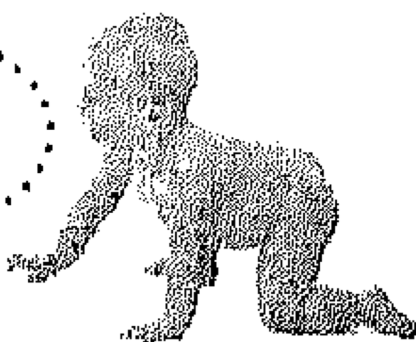
إن القدرة على الرعاية هي القاسم المشترك الأعظم في أي علاقة ناجحة عاطفيًا. والتعزيز العاطفي المتبادل بين الرجل والمرأة ينتقل إلى الطفل ليخرج معتدل المزاج سليم العاطفة.. متوازنًا في إدارة أموره.

لابد لنا أن نلتفت إلى تقوية الأسرة بتقوية قدرة الرجل والمرأة على اكتشاف كل منهما للآخر، وقدرتهما معًا على التفاعل مع الأبناء وإدارة أمور الحياة مع الأبناء بالمراقبة والشرح والتوجيه والتذكير والإرشاد والتشجيع، وعدم الموافقة على الخطأ وعدم التحرج من عقاب الابن إذا ما تكرر منه الخطأ.

**ملاحظة**
إن كلاً من الأب والأم هو قائد في ساحة تربية أبنائه، والقائد يدرّب جنوده عمليًا على أساليب الحياة بثقة واقتدار.

## ثانيا - الصداقة مع الأبناء

إن على الأب – أو الأم – أن يضع نفسه في حالة اهتمام وتعاطف وأن يستمع للابن بجدية وتفاؤل وأن تقابل عيون الأب – أو الأم – عيون الابن بمحبة. إن من الضروري في هذا الموقف أن نجبر أنفسنا على أن نؤجل اللهجة الموجهة أو الآمرة وأن نسمح للحب أن يطل من أعيننا. وفي العادة، إذا ما قابل الأب – أو الأم – الابن بلهجة فيها أوامر وتوجيهات ونصائح وتهديد بعقاب، فإن الابن ينزلق إلى الصمت، أو إلى الشكوى من الأب وإلى الأب، إلى التوسل إلى الأب حتى يمتنع عن تنفيذ تهديده بالعقاب. إن الابن في مثل هذه الحالة لا يعير إذنًا صاغية إلى كلمات الأب أو الأم، تمامًا كما لم يُعر الأب أو الأم أذنيه إلى الطفل.



الخروج مع الأطفال في أيام الإجازة مسألة هامة، ولكن بعضنا يقوم بهذه الإجازة كواجب ثقيل الظل. إنه مجرد خروج لقضاء مسؤولية نتمنى ألا تكون قد بدأت. إنها عبء ثقيل ضمن أعباء الأسبوع الأخرى. إنها الاستجابة الأسبوعية للمطاردة بين الابن وأسرته.. فإذا كنتم تضغطون عليه بالمذاكرة وبالتهديد وبالوعيد، فلماذا لا تكونون أوفياء بحقوقه الأساسية الأولى وهي أن يخرج إلى الهواء الطلق؟ أو أن يتجول في حديقة يختارها الأب أو الأم حديقة ينطلق فيها كل فرد من أفراد الأسرة مع أفكاره ومشاعره.



إن ذلك اليوم لا يمكن عدّه يومًا عاديًا من الأيام التي تتلاقى فيها الأسرة. فالخروج مع الأطفال بهدف الترفيه يجب أن يكون أمرًا محببًا للأب والأم.

**خصائص الجو الأسري**

- يوفر الوالدان الألعاب التي تساهم في ازدياد المعرفة عند الطفل.
- يوفر الوالدان الكتب التي تحث الولد على التآلف مع القراءة والكتابة.
- يوفر الوالدان الدفء والتقارب العاطفي من خلال حفزهما ودعمهما للسلوكيات الإيجابية عند الطفل.
- يشجع الوالدان الطفل على الحوار والتواصل اللغوي من خلال إجابتهما على أسئلته بوضوح، وتعليقهما على أقواله في ظروف حياتية مختلفة.
- يصطحب الوالدان الطفل مرة كل أسبوع أو أسبوعين إلى أمكنة مثيرة تعرفه على نشاطات ومفاهيم جديدة تزداد من خلال معرفته.
- يتجنب الوالدان استخدام العقاب الجسدي عندما يقوم الطفل بأعمال مشاغبة، بل يلجآن إلى الحوار معه لحل المشاكل.
- يهتم الوالدان بوضع قواعد للسلوك الاجتماعي الناضج، ويطلبان من الطفل أن يلتزم بهذه القواعد بشكل واعي يتلاءم مع قدراته الاستيعابية لمثل هذه الأمور.

إن قبول صحبة الطفل يجب أن لا يكون عبئًا.. هذا إذا ما عرفنا أن له مزايا رائعة يمكنه أن يمنحنا إياها، وأولها ميزة الامتنان والاعتراف بالجميل. إن الطفل الذي يشعر أن أسرته تسعد بصحبته هو أقل الأطفال إزعاجًا للأسرة في يوم العطلة. ويمكن أن نحفز الطفل على الترحيب بالخروج معنا في يوم الإجازة الأسبوعية بأن نحكي له حكايات مثيرة عن المكان الذي سوف نذهب إليه سواء أكان حديقة أم متحفًا أم سيركًا أم شاطئ البحر أم حديقة الحيوان.

وعندما نخرج مع الطفل إلى النزهة علينا أن ننسى تمامًا لهجة التهديد التي تصاحب الآباء والأمهات قليلي الصبر. إن التهديدات تجعل الطفل يعرف من البداية عن الرحلة أو النزهة. بل إن هذه التهديدات تجعله سهل الاستثارة لتنفيذ كل ما هددناه من أجله.. إنه لا ينطلق إلى الترويح عن نفسه بمشاركتنا، ولكنه ينطلق إلى التنكيل بنا لأننا هددناه. قررنا من البداية أنه طفل سيئ المعشر.

إن الطفل فيلسوف بطبيعة تكوينه، وهو ينطق بما يقول بصورة متناهية النقاء والوضوح. وإنه من المؤسف حقًا أن بعض الآباء لا ينتبهون إلى الجواهر التي ينطقها الأبناء بعفوية. وباختصار، إن وقت الاستمتاع مع الأطفال حق للأبناء.. ولكن هل ينتبه الآباء إلى إتقان استخدام هذا الحق؟!

**سوء الاستخدام العاطفي للأبناء:**

تطل اللهفة من عيون الجد أو الجدة على اللعب مع الأحفاد. وفي قلب هذه اللهفة يمكن أن يرى الإنسان لمحة من ندم له طابع خاص، ندم سببه ذلك السؤال

السـري الـذي يقبع في قلب الجد أو الجدة كشوكة لها وخز لا يراه أحد. هذا السؤال السري هو: لماذا لم أكن أستمتع باللعب مع أبنائي كما ألعب الآن مع أحفادي؟!



والسـر في هـذا السـؤال هـو أن الجـد أو الجـدة يملكـان خبـرة مـن التدريب الكـافي على التعامل مـع الطفـل. لكـن تعـامل الأب أو الأم مـع الطفـل ممـزوج دائمًـا بالمسؤولية الكاملة عنه. إن الأب قـد يداعب ابنه وقـد يلعب معه وكذلك الأم. لكن كـلاً مـن الأب والأم يخـتلط لعـبه مـع الابـن برغـبة في التوجـيه. إن الجـد أو الجـدة يملكـان الرغبة في النـزول إلى مستوى الطفل والحديث معه عمـا يسـعده، ويمكـنهما إقـناعه بـأن يـأكل أو أن يسـاعداه علـى ارتـداء الحـذاء أو أن يعلماه كيف يمكن أن يمسح أنفسه السائل، أو الابتعاد عن مصادر الخطر، كأزرار الكهـرباء أو موقـد الـنار أو أمـاكن حفـظ الأدويـة. لكن الآباء والأمهات ينتابهم عدم الصبـر وضيق الوقت، فتنطلق الأوامـر المختلطة بالتهديد للأبنـاء، إن لم تـأكل لـن

تشاهد التليفزيون.. إن لم تتأدّب لن أتحدث معك.. إن لم تسمع كلامي وتنفذه فلن أحبك أبدًا.. إن لم تنم باكرًا فلن أقيم لك حفلة عيد ميلادك.

وننسى نحن أن مشاعر الأبناء ليست محلاً تجاريًا نطلب من صاحبه أن يعاملنا كزبائن فيه وبمنطق الزبون دائمًا على حق. ننسى أن الأساس الوجداني للطفل هو أنه جزء من أبيه وأمه وأنه لا يحب من يهدده في ذلك أبدًا مهما كانت الظروف.

والأجداد والجدات يعرفون بالخبرة تلك الحقيقة. إنهم يتعاملون مع الحفيد على أساس أن صاحب الحق في الحياة، وأن طلباته مجابة ما دامت معقولة.

ولكن هناك مباراة فاسدة الطابع يمكن أن تتدخل في العلاقة بين الابن وجده وجدته كطرف، وبين لابن وأمه وأبيه كطرف آخر. إن الجد والجدة قد يوحيان للوالدين برسالة غاية في الخطورة والخطأ: إنك يا بني أنجبت حفيدًا لنا، لست جديرًا بان تكون أبًا، أو إنك يا ابنتي لست جديرة بأن تكوني أمًا.

إن الجد أو الجدة قد يعرفان حقائق عن الأطفال أكثر من الآباء والأمهات، لكن ليعلم الجد أو الجدة أن الطفل كائن غاية في الذكاء وهو يستطيع أن "يلعب" على تضارب السلطات جيدًا. ولذلك فمن المهم عدم ممارسة سوء الاستغلال العاطفي. من المهم أن يعرف الجد والجدة أن مصدر السلطات بالنسبة للطفل هو أبوه وأمه. قد يكون الحفيد ابنًا لابن الجد، وقد يرى الجد أو الجدة يوجهانه بالتعليمات المتناقضة مع تعليمات الأم، وهنا يمكن أن يسبب الجد مشاكل لا داعي لها لابنه والد الطفل مع زوجته التي هي أم الطفل. وقد تكون الجدة في أعماقها

غير موافقة على زوج البنت أو زوجة الولد. وقد تنتقل هذه المسألة من أعماقهما إلى إصدار أوامر تتناقض مع أوامر والد أو والدة الطفل. وهنا تسبب الجدة المشاكل لابنها أو لابنتها دون داعٍ أو مبرر.

إن مصدر السلطات في حياة الطفل هو أمه وأبوه ولا داعي لإهداء كمية من التوتر للأسر الشابة. فيكفي ما عند الأسر الشابة من مشاكل في هذا الزمان المعقد.

أما الآباء والأمهات، وهم يرون الجدات والأجداد يستمتعون باللعب مع الأبناء ذاتهم، فيتساءلون: "كيف يجدون كل هذا الصبر للتعامل مع الأطفال؟.. ألا توجد عندهم أعمال أخرى أكثر أهمية؟"

وينسى الآباء والأمهات أن معنى الوقت يختلف عند الأجداد عن معناه عند الآباء. إن الوقت عند الجد هو وقت حصاد سنوات العمر. إنه يحصد الآن باللعب مع الحفيد كمية ما زرعه من حب ومسؤولية عن الابن أو البنت اللذين كبرا وأنجبا له هذا الحفيد.

أما قيمة الوقت عند الأب والأم، فهي المزيد من إتقان الوظائف التي يشغلها أي منهما ومحاولة كسب أكبر كمية من المال لتحسين مستوى حياة الأسرة. إن عمر الأب والأم هو عمر حراثة أرض الحاضر ليكون لهما مستقبل أفضل وأن يكون الحاضر هو اتساع الإمكانات المريحة. ومثال على ذلك أن الجد أو الجدة لا يهتمان كثيرًا بإعلانات التليفزيون أو الصحف عن السيارة الجديدة أو الثلاجة الجديدة أو

الأثاث الجديد. أما عيون الأب وعيون الأم فهي تهتم بالإعلانات، لأن الملل والترقب يتنازعان مشاعرهما تجاه السيارة أو الثلاجة أو الغسالة أو أثاث المنزل. إن الجد أو الجدة يعتزان بالسيارة القديمة لأنها، مثلهما، هادئة ومطيعة، لذلك فإن كلاً منهما يقود السيارة بهدوء، ويتعامل بشيء من المشاعر الإنسانية، أو يقوم بالصيانة بصفة دورية. ثم إن خروجهما محدود. والعكس صحيح في حياة الآباء والأمهات.

والطفل الصغير يحب الجد أو الجدة لأن له، معهما، مساحة من الحرية أكبر، ولأنه يستطيع أن يطلب بعض الممنوعات فتتم الاستجابة له. ولكن الطفل لا يفكر على الإطلاق في أن يكون مثل الجد والجدة. إنه يريد أن يكون شابًا قويًا كأبيه، كما تريد الفتاة أن تغدو جميلة كأمها. نعم، إن الطفل يتطلع إلى الحب الممزوج بالاحترام الذي يشعر أن والديه يستحقانه وينالانه من كافة المحيطين بالأسرة. إن الأب هو المثل الأعلى للابن وكذلك الأم هي المثل الأعلى للبنت. وكل من الولد والبنت ينظر إلى الأب والأم وكأنهما قد حققا أرقى مكانة في العالم. ولذلك يحاول الابن أن يقلد والده، وكذلك تحاول البنت أن تقلد والدتها.

ولذلك يستقبل الابن أو البنت تعليمات الأب والأم بمنتهى الحب والرغبة في تنفيذ هذه الأوامر. ولكن الطفل قد يرتبك عندما يتلقى الأمر الصادر عن الأب أو الأم بعصبية أو فتور أو استهجان. إنه يقع في دائرة التخيّل فيظن أنه كائن غير مرغوب فيه أو أن أباه وأمه قررا أن يتخليا عنه. وهذا الارتباك قد يؤدي إلى عدم تنفيذ الأمر الصادر عن الأب أو الأم. ولذلك نطلب من الآباء والأمهات أن يزرعوا الثقة النفسية في الأبناء. إن الأوامر يجب أن تكون حازمة وأن تتضمن اللهجة أيضًا

قدرة الأب والأم على مساعدة الطفل. فإن كان الطفل قد فرش أرض الغرفة بلعبه الكثيرة فإن الأم يمكنها أن تقول: هيا نجمع لعبك معًا. وهنا تبدأ الأم في جمع لعب الطفل، وسيبدأ الطفل فورًا في مساعدة الأم. والابن قد يتلقى الأمر بأن يذهب ليغسل يديه بعد الأكل وأن يدخل الحمام، لكنه قد يتلكأ وقد يمتنع وقد يبكي أو يصرخ. لكن الابن لو تلقى الأمر بلهجة هادئة فإنه سيستجيب بمنتهى الهدوء.

إن الطفل يحب أن يقوم بالجزء الأكبر من العمل، ولكن كلما زاد عليه الإلحاح فإنه يشعر بالرغبة في العناد وفي عدم القيام بما نطلب منه من أعمال. وعلينا أن ننفذ عقاب الطفل إن أساء الأدب أو السلوك، لكن بشرط ألا يحمل العقاب صفة الانتقام. إن المراقبة الحنونة للطفل، والكلام بهدوء معه، والتوجيه المليء بالثقة، وعدم منع الطفل من فعل إلا بعد الدخول معه في حوار يحس من خلاله بالحزم في قولنا وعدم إطلاق التوبيخ وكأنه قذائف صاروخية.. كل ذلك يساعد الأب والأم على الاستمتاع بالساعات التي يقضيانها مع الطفل.

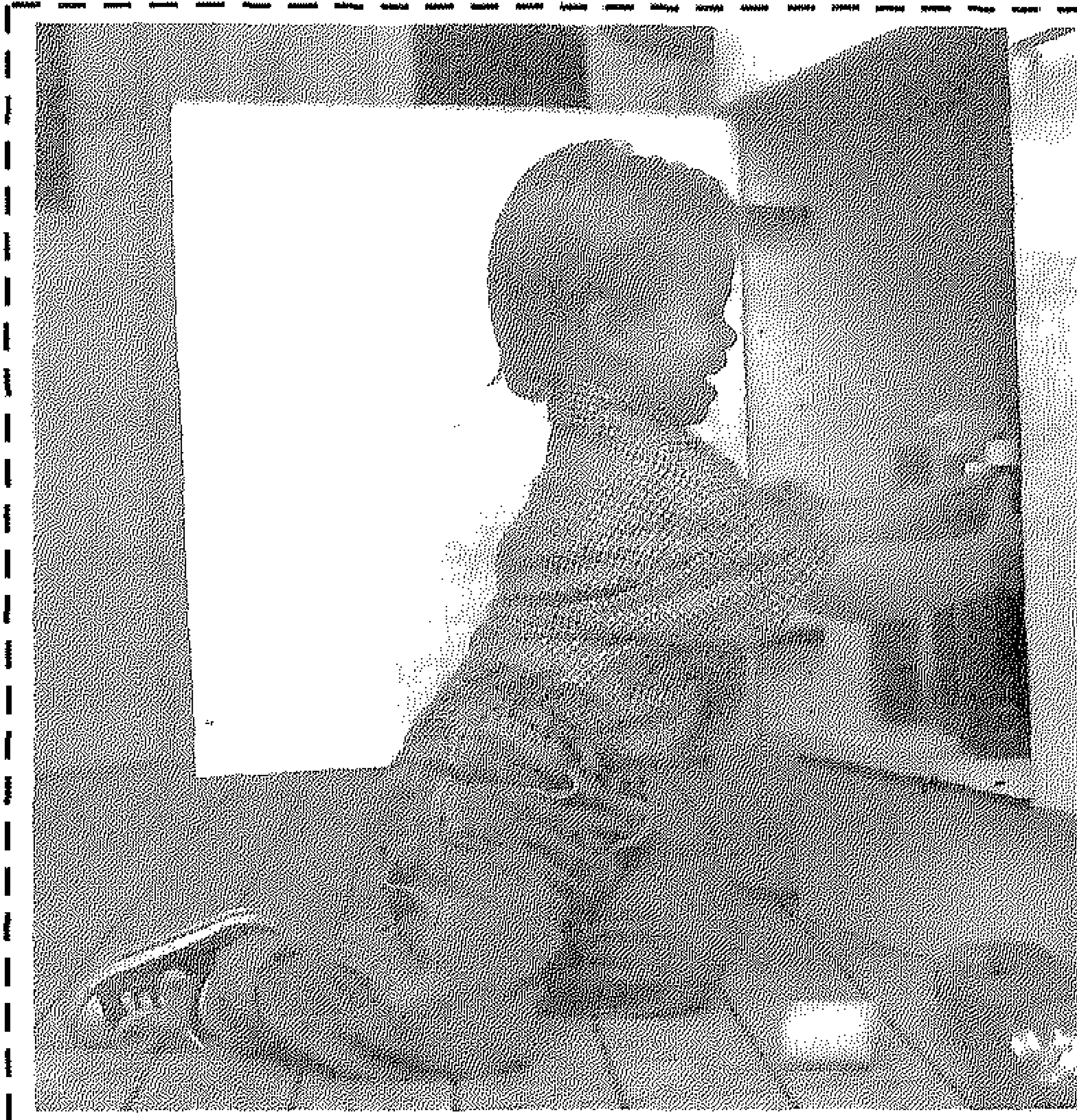
**ملاحظـــة**

لوم النفس على عقاب الابن لا يجب أن يأخذ طابع المأساة. إنه امر طبيعي ويحدث كثيرًا عندما نفقد السيطرة على أعصابنا.

إن الأب قد يسرح بخياله وهو في مكتبه متخيلاً لحظة أسرف فيها في عقاب الابن الصغير فيقول لنفسه: "لماذا لا أدلل ابني كما يفعل بقية الآباء" ويغرق الأب في الندم لأنه عاقب ابنه عقابًا فوق اللازم.

والأم قد تسرح في خيالها بعد أن ينام طفلها الذي عاث فسادًا في كل شيء فضربته بعنف شديد. وقد

تقول الأم لنفسها: "إنني غير جديرة بأن أكون أمًا لأني لا أدلل ابني كما يجب". وتغرق الأم في سلسلة من الندم لا نهاية لها وقد تذهب إلى الطفل في سريره لتقبله أو تحتضنه.



ويعرف الآباء والأمهات أن الطفل الأول كائن يتمتع بمقدرة رهيبة على استكشاف آفاق الرضا والغضب عند الأب والأم، تمامًا كحرصه على البحث في كل زاوية من أثاث البيت وفي دواليب الملابس، كيفية تشغيل الغسالة الكهربائية وكيفية إضاءة الكهرباء. إنه كائن يتدخل في كل شيء ولا يترك شيئًا في مكانه.

ويمر العام الأول والثاني من حياة الطفل الأول كمرحلة مزعجة وممتعة من فرط عجز الأب والأم والتفاهم مع كتلة الإحساس والمشاعر والحركة التي غيّرت وجه حياتهما معًا.

إنهما عامان يعطيان كلاً من الأب والأم شهادة بأن كلاً منهما جدير بمكانة الأب ومكانة الأم.

وكما كانت الولادة لحظة مليئة بالشجى والألم، ويقال عنها في تاريخ كل أم إنها "لحظة منسية".. كذلك تمامًا يكون العام الأول والثاني من عمر الابن الأول، فهو بمثابة دبلوم من الدراسات العليا في كيفية عدم الوقوع في سوء الاستغلال العاطفي من الآباء والأمهات للأبناء ومن الأبناء للآباء والأمهات.

## ثالثاً - ترتيب الطفل في الأسرة (الأكبر.. الأوسط.. الأصغر)

إن كافة الأبحاث العلمية التي تتناول هذه الموضوعات تظهر عدم وجود فروقات كبيرة بين الابن الأكبر والأوسط والأصغر في مجالات الشخصية أو السلوك أو المشكلات التي يمر بها الطفل. هذه الحقيقة قد لا يصدقها الآباء والأمهات أو يقتنعون بها تمامًا لأن عددًا كبيرًا من الأمهات والآباء يؤمنون بأن هناك فروقات بين شخصية الأطفال وسلوكهم بحسب ترتيبهم فكل منا ينظر إلى نفسه وترتيبه في أسرته ويحاول أن يعثر على أثر لهذا الترتيب في شخصيته وسلوكه. ولنبحث الآن معًا هذه المسألة.

إن الاختلاف بين شخصيات الأطفال وسلوكهم مسألة بديهية وطبيعية، ونمو الطفل يتوقف دائمًا على نوعه ذكرًا كان أو أنثى وعلى حجمه إذا كان ضخم الجثة أو صغيرها نحيل الجسد ممتلئًا بالنشاط أو يميل إلى الهدوء. والمعلومات التي توصل إليها العلماء تؤكد أنه إذا جمعنا الأنواع المختلفة من الأبناء الأوائل في

الأسرة وقارناهم بالأبناء المتوسطين في تلك الأسر فإننا نتوصل إلى أن الاختلافات بين كل الأطفال هي اختلافات فردية ولا تخضع لمسألة ترتيب الطفل في الأسرة.



وحول سلوك الأطفال عندما يولد لهم أخ أو أخت، نجد أن بعض الأطفال يتقبل ميلاد أخيه القادم بطريقة ناجحة وذلك لأنهم يشعرون بإحساس خاص بالأمان والاطمئنان لأن ترتيبهم في الأسرة هو الطفل الأول والأكبر. وبعض الأطفال قد لا يصيبه الألم النفسي عندما يولد أخوه الثالث لأنه عندما أحس بالغيرة من ميلاد أخيه الثاني لم تأت هذه الغيرة بأي نتيجة وظل والداه يعاملانه بالمقدار نفسه من الحب والود. وانتصر هو على الخوف واستطاع أن يتكيف مع وضعه كطفل أول كبير يتوقع منه الكل أن يتصرف بما يقتضيه موقف الطفل الأول. وعدد كبير من الأمهات يندهشن لمقدار الحب الذي يظهره الطفل الأول نحو أخيه الطفل الثالث رغم أن هذا الطفل الأول قد عانى من متاعب الغيرة الشديدة من أخيه الثاني. وهاهو الآن يظهر مشاعر الحب نحو أخيه الثالث وزالت عنه أيضًا أحاسيس المنافسة المليئة بالغيرة. إن هذا السلوك هو دليل واضح أمامنا على أن الغيرة كمرحلة ممكن أن

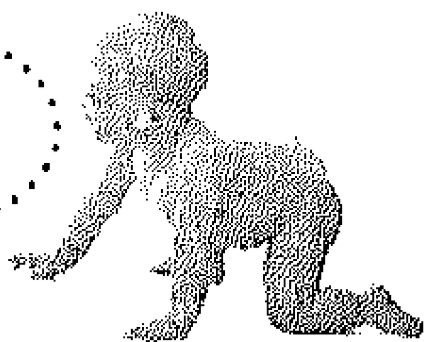




تنتهي ويتخلص منها الطفل بل ومن الممكن أن تكون تجربة مفيدة يتعلم منها الطفل أنها تعطيه الإحساس بالقوة في أي منافسة من أي نوع في المستقبل.

إن ترتيب الطفل في الأسرة مسألة هامة لكن الأكثر أهمية هو درجة ترابط الأسرة وروح الحب التي تسيطر عليها. إن الأسرة عندما تتناول مسائل الحياة ببساطة ويعطي فيها الوالدان لكل طفل ما يستحقه من الحب ويقبل الوالدان من كل طفل عيوبه وحسناته بأسلوب طبيعي غير مبالغ فيه، فمن المؤكد أن الطفل في هذه الأسرة سيشعر بالسعادة بغض النظر عن ترتيبه فيها. لكن معظم الآباء ينظرون إلى الأبناء بأسلوب يبحث عن الخطأ ليقوّمه ولا يقبل الخطأ ببساطة ليناقشه مع الابن ويقنعه، إن بعض الآباء يميلون إلى التوبيخ الذي يوجهوه إلى أبنائهم أكثر مما يميلون إلى تشجيع الصفات الحسنة في الأبناء ويحاولون أن يعقدوا المقارنة الدائمة بين الأطفال الأخوة، ولهذا يتجه الأطفال للغيرة بعضهم من بعض وإلى التنافس وتشتد فيهم أحاسيس المقارنة وتشتد بينهم أيضًا المعارك التي يحاول فيها الأكبر أن يهزم الأصغر ويحاول الأصغر أن يسترضي الأب أو الأم ليحصل على قدر ممتاز من الحنان وقد يحاول الثالث أن يكون عمليًا فينجح في إقامة علاقات اجتماعية ناجحة ويبتعد تمامًا عن الصراع والمنافسة والغيرة داخل نطاق الأسرة.

وهناك بعض الأسر التي تفرض على أبنائها منذ الميلاد الهدوء والاستكانة. بينما تجيد بعض الأسر التعامل مع الأطفال الذين يتسمون بالحيوية والنشاط والانطلاق. إن بعض الأسر تفضل إنجاب البنين وبعضها الآخر يفضل إنجاب





البنات وكل ذلك ينعكس على شخصية الطفل وترتيبه كطفل أول أو ثان أو ثالث وهناك وجهة نظر أخرى قد تزعج المتحمسين لتحديد النسل هو أنه كلما كانت الأسرة كبيرة العدد كلما كانت الحالة النفسية للطفل مستقرة لا تتعرض للاهتزاز لمجيء مولود جديد لأن اهتمام الآباء والأمهات وحبهم عندما يتوزع على عدد كبير من الأبناء فإن الفرصة تكون طبيعية حتى ينمو كل واحد منهم نموًا طبيعيًا. لكن هناك بعض الآباء والأمهات الذي يقعون تحت ضغوط تحديد النسل فإنهم يركزون كل حبهم وكل آمالهم وكل مخاوفهم على الطفل الواحد أو الطفلة الواحدة أو الاثنين اللذين ينجبانهما.

**ملاحظة**

إذا كانت الأم حاملاً، فمن الضروري تحضير الطفل لهذا الحدث. هكذا يقوم الوالدان بأخباره أنه سيصبح لديه أخ أو أخت يلعب معهما ويساعدهما. يجب أن يؤكدا له أيضًا أن ذلك لن يؤثر على محبتهما له واهتمامهما



وطبعًا يستفيد الآباء من خبرة تربية الابن الأول. لذلك فعندما يأتي الابن الثاني فإن الأسـرة تـرتاح كثيرًا في تربية طفلهمـا الـثاني. لأن تربـية الابـن الأول تعطـي الآبـاء والأمهـات خـبرة عـن فـن التعامل مع الأطفال. ويندهش عـدد كبيـر مـن منهـم لهـذه المسألة. والطفل الثاني غالبًا مـا يكون ذا شخصية لا تعتمد اعـتمادًا كليًا عـلى الأب والأم. وهـذا الطفـل يقـتحم المستقبل في أغلـب الأحـوال دون قلـق أو توتـر. كما أن هذا الابن الثاني للأسرة يتعلم كيف يتعامل الأطفال الآخرين بسهولة لأنـه يولـد ولـه أخ وهذا الموقف يختلف طبعًا عن موقف الابن الأول الذي تعوّد لفترة مـا على أن يكون الطفـل الوحيد الـذي يتركـز عليه اهـتمام الأسـرة. ويعـرف الابن الثاني كيف يلعب مع الأطفال الآخرين ويحصل على سعادة بالغة في اللعب مع غيره مـن الأطفـال بينمـا يعـاني الطفـل الأول للأسـرة مـن المغـالاة في رعايته مـن جانـب والديه، ذلـك لأنـه لم تكـن تتـاح لـه فرصـة كاملـة لكـي يلعـب مع غيره مـن الأطفال

ولذلك فهو يعاني من الإحساس بالغربة عن بقية الأطفال ويشعر أن الأطفال الصغار ليسوا مثله. إنهم ليسوا على درجة من الذكاء مثل التي يلمسها في صحبة الكبار كما أنهم ليسوا مؤدبين كما هو الحال مع الكبار الذين يحبونه ويداعبونه ويلعبون معه.



ويجيد الابن الثاني في معظم الأسر الدفاع عن نفسه ضد أي عدوان يتعرض له من جانب أي طفل آخر. إن المسألة عنده لا تحتمل أي تردد، فعندما يبلغ الشهر التاسع أو يبلغ العام قد يخاف من أخيه الأكبر لكن عندما يبلغ عامه الثاني ففي الغالب أنه سيتحول إلى وحش صغير يجيد افتراس من يعتدي عليه كما أنه سيدافع عن ممتلكاته سواء كانت ألعابًا أو ملابس. ومن المدهش أن الطفل الأصغر قد يستطيع أن يفرض سلطاته وسيطرته على طفل آخر أكبر منه في السن وأقوى.

وقد يكون الدافع إلى ذلك أن الطفل الأصغر يكتسب قدرة على الدخول في المعارك ويكـون أكثر شجاعة مـن شقيقه الأكبر. لأن الآبـاء ينسـون في أغلـب الأحـوال أن يـزرعوا فيه مـا زرعـوه في شقيقه الأكبر من إحساس بالذنب لو ضرب طفلاً أصغر منه. ولا يجب أن نتحول إلى موقف المعجب غاية الإعجاب بالطفل الثاني، فالحياة أمامه ليست سهلة، إنه يخوض صراعًا ضاريًا من أجل الحصول على المساواة مع أخيه الأكبر. خصوصًا عندما لا يكون في الأسرة سوى طفلين من نوع واحد: اثنين من الذكور أو اثنين من الإناث.



إن الطفل يناضل من أجل المساواة. المساواة في الحصول على ملابس من النوع نفسه الذي يحصل عليه أخوه الأكبر. ويناضل حتى تسمح له الأسرة بالسهر مثلما تسمح الأسرة للأخ الأكبر. ويحاول أن يجذب اهتمام أصدقاء شقيقه الأكبر

وأن يعقد معهم صداقات حتى ولو كان ذلك على حساب إهماله لأصدقائه. ويخلق هذا الصراع في أعماق الطفل الأصغر قدرًا من الشقاء والتعاسة وأحيانًا أخرى يظل مرحًا وسعيدًا بهذا الصراع. ولكن هذا الصراع قد ينعكس على الطفل الأصغر ليشعر بالتوتر الدائم. فيميل إلى أن يكون رقيقًا. وينعكس هذا الصراع على الشقيق الأكبر فيغتاظ من أخيه لأنه يرى كيف أن أخاه الأصغر قد تحول إلى إنسان له صفات القائد القوي بين أصدقائه.

وعلينا أن نعرف أن المنافسة بين البنات تكون ذات تأثير عميق. فقد تدفع الأخت الصغرى إلى الزواج فور أن تفعل أختها الكبرى ذلك. هذا طبعًا عندما تصبح الاثنتان في سن الزواج. والمنافسة أيضًا في الابن الأصغر قد تجعله يختار العمل نفسه الذي اختاره شقيقه الأكبر، يحدث ذلك رغم أن هوايات الاثنين مختلفة تمامًا. إن النتائج التي تعطيها هذه المنافسة بين الأخوة قد تكون حسنة وقد تكون غاية في السوء لأنها تعتمد أساسًا على نوع المنافسة هل هي غيرة عمياء أم أن وراءها عقلاً مدبرًا يعرف كيف يوازن بين الأمور.

ويعرف الطفل الثاني في أغلب الأحوال كيف يتكيف مع أخيه الأكبر وأسرته، ويعرف أيضًا كيف يتكيف مع الابن الثالث الذي يأتي بعده. وفور أن يجيء الطفل الثالث قد يقع الطفل الثاني في متاعب نفسية يغلب عليها طابع الخوف لأنه لم يتمكن بعد من وضع نهاية للصراع مع أخيه الأكبر. فهو لم يبلغ مرحلة المساواة التامة معه ويشعر أن هناك "منافسًا" جديدًا قد ظهر على المسرح. هنا قد يتوقف الابن الثاني عن المنافسة مع أخيه الأكبر. ويستسلم للأمر الواقع ويستكين للهدوء

ويفقد قدرًا من الحيوية. ويفقد مقدار الشجاعة اللازمة ويحاول أن يعتمد على حماية الكبار. وقد يصاب بالنكوص فيقلد الأطفال الصغار في الكلام أو مص الأصابع أو التبول في الفراش لكن كل هذه المظاهر ليست خطيرة، إنها ردّ فعل على ميلاد المنافس الجديد. وإذا استمرت هذه الظواهر لمدة أطول من الحد المعقول فعلينا أن نعرف أنه في حاجة إلى المزيد من صداقة الوالدين أو أن يذهب به الأهل إلى عيادة الأخصائي النفسي. ويعود السبب في حدوث هذه الأزمة النفسية للطفل إلى إحساسه بالمسافة بينه وبين الوصول إلى مستوى أخيه الأكبر كما أنه من ناحية أخرى يعاني من أن هذا الطفل الثالث القادم قد يكون أكثر جمالاً في نظر الأسرة. يحدث ذلك ونستطيع أن نحس به في الأسر التي وُلد لها بنتان وجاء الحلم لهما إلى الواقع بميلاد طفل ذكر. فتقام الأفراح على الأقل نفسيًا ولا يمكن أن يكتم الأبوان مشاعرهما في مثل هذه الحالة.

وللننظر الآن إلى الطفل الأصغر "آخر العنقود" كما يحلو للبعض أن يسموه. إن الحالة تختلف هنا. وللننظر إلى قصة سيدنا يوسف الذي أحبه أبوه وأثار هذا الحب عليه حقد سائر أخوته. واستطاع يوسف في النهاية أن ينجح في حياته وهي دليل حي على أن الإنسانية خلال تاريخها تهتم بمستقبل الطفل الأصغر. إن الواقع يؤكد أن معظم الأطفال الذين يولدون كآخر العنقود، في كل أسرة ليست لهم صفات بارزة بشأن ترتيبهم في الأسرة. لكن هناك فئة قليلة منهم يتملكهم اتجاهان مختلفان: الاتجاه الأول هو النضال من أجل الوصول إلى مستوى الشقيق الأكبر والتفوق عليه. والاتجاه الثاني هو الاستمتاع بمكانة الطفل الأصغر.

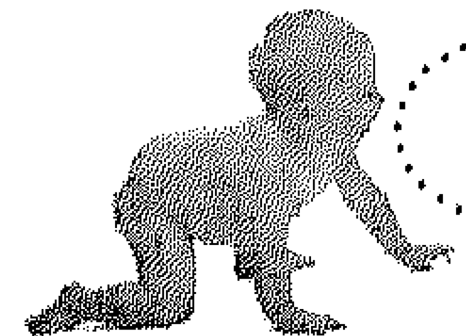




**نـــزاع الأخـــوة**

لاشك في أن النزاع الدائم بين الأخوة يثير الأهل، وهذا الوضع يوحي لهم بأن دورهم يتحول إلى ما يشبه مهمة الشرطي، وكل ولد يدفع التهمة عن نفسه ليلقيها على أحد أخوته. وقد يعود النزاع إلى الاشتداد مجددًا عند ابتعاد الأم أو الأب. وينبغي أن نعلم أنه من المستحيل، في أغلب الأحيان، معرفة مسبِّب النزاع، وهذه المعرفة لا تساعد، في كل حال، على حل المشكلة. وليس من الضروري التدخل في كل سانحة، إنما يتوجب ذلك حينما يلجأ أحد الأولاد إلى العنف أو الإهانة. ويستحسن أن يعتاد الأولاد حل نزاعاتهم بأنفسهم، وأن يستعينوا على ذلك بالحوار لا بالقتال، وبذلك يعتاد الأولاد احترام بعضهم بعضًا. من جهة أخرى، يجب على الأهل ألا يغضبوا، لأن هذا الغضب يزيد الوضع تعقيدًا. فالأخوة والأخوات يتنازعون بكثرة، ولكنهم يعرفون أيضًا كيف يتصالحون؛ عندما تمر العائلة بتجربة قاسية، يشتد التضامن بين الأخوة. كما قد يتضامنون لمواجهة الأهل ورفض عروضهم وقراراتهم وعقوباتهم. وفي هذه الحال، ينبغي تبرير القرار لهم وإقناعهم بهدوء. وإذا تبين أن الأولاد على حق، يفترض عند ذلك تقبل الخطأ. بذلك يزداد احترامهم للأهل، ويتقبلون سلطتهم برضى.

**وكلما تقدم العمر بالآباء والأمهات وكثرة إنجاب الأطفال فإن مسائل التربية تصبح عادية وتقليدية ويتعلم الآباء والأمهات أن الطفل يستطيع أن يشق طريقه في الحياة عن طريق تقليد أبويه وأنه لا لزوم للتدخل في كل صغيرة وكبيرة في شؤون الطفل. إن التعب يصيب قلب الأبوين في مسائل تربية الأبناء لذلك فإن الحبل يترك على الغارب قليلاً. وعندما يولد لهذه الأسرة طفل جديد فإن الأب والأم يحاولان الاستمتاع بطفولته أكبر فترة ممكنة. وكل ذلك يجعل الأطفال الصغار لا**





يخضعون للرقابة الشديدة من الآباء والأمهات كما كان يحدث مع أخوته. وكثيرًا ما يغض الآباء الطرف عن بعض أخطاء الابن الأصغر. وينال هذا من التدليل ما لم ينله بقية أخوته! وهكذا نجد أن الطفل الأصغر يتصف أحيانًا بالأنانية ويغرق في تيار الاعتماد على الآخرين ويعاند للحصول على ما يريد وطبعًا يثير ذلك غيرة أخوته الكبار وهي غيرة لا يعيرها الطفل الأصغر اهتمامًا ويصر تمامًا على الاستئثار بكل اهتمام، هذا النوع من الأطفال قد يقع في فخ الكسل وعدم القدرة على تحمل أية مسؤولية، ذاتية كانت أم عامة. ومن المضحك أننا نجد الأبحاث العلمية تقول أن عددًا من المرضى المصابين بالشلل أو الروماتيزم الذي يشل حركة بعض الأطراف، لا يساعدون حتى أنفسهم في العلاج الطبيعي الذي يساعد على الانتصار على المرض، والسبب أنهم كانوا أصغر الأطفال في أسرهم. لكن لا نستطيع أن نطلق كل هذه التعميمات على كل طفل كان آخر من وُلد في أسرته. إن الطفل أحيانًا عندما يتمتع بوالدين يقدران المسؤولية ويحيطان الأبناء بالحب فإن حبهم للطفل الأصغر قد يصبح دافعًا إلى الثقة بالنفس ويعطيه القدرة لتفجير كل طاقاته الإبداعية. كما أن الطفل قد يندفع إلى المنافسة مع أخوته ليكوّن لنفسه مكانًا ناجحًا في المجتمع. وهكذا نجد أن الثقة بالنفس والقدرة على الدخول في صراع المنافسة يخلقان من الإنسان طاقة ناجحة وبنّاءة في كافة ميادين الحياة.

## كيف نجعل الطفل يطيع الأوامر؟

إن الأم التي تسأل عن الأسلوب الذي يجعل ابنها "يسمع الكلام" ويطيع الأوامر نريد أن نوجه إليها سؤالاً آخر: "هل أنت جادة فعلاً عندما تتحدثين مع الطفل وحين توجهين إليه أوامرك؟"

من المؤكد أن الأم ستقول: "نعم"،لكن هذه الإجابة ليست كاملة. إننا لو وصفنا تصرفات الأم أثناء إحدى نوبات شغب الابن وعبثه بالمنزل لاستطعنا أن نحدد السبب في عدم إطاعة الطفل للأوامر. فهؤلاء الأمهات يحاولن توجيه الأبناء الوجهة الصحيحة، ولكن لا توجد عند أي أم رغبة جادة في إقناع الطفل بما تريده أن يقتنع به، بل على العكس، هناك بعض الأمهات اللواتي يعطين الابن إشارة البدء في التصرف السيئ دون أن يدرين. وهناك أيضًا أمهات قادرات على إدارة شؤون تربية الابن بمنتهى الود والحزم معًا.

لكن، علينا أيضًا أن نعرف أن هناك لحظات يفلت فيها الزمام فعلاً وتضعف الإرادة لمدة بسيطة. وجميع الآباء قديمًا سمحوا لنا ببعض "الدلع" ولم نعاقب على ذلك. وعندما كان يتهمنا أحد بقلة الأدب نتساءل في أعماقنا عن مدى غموض هذه الكلمة وهل نحن أشرار حقاً وهل لا يطالنا العقاب في لحظة الخطأ. ونقارن أنفسنا بالأولاد ذوي التربية السيئة فعلاً. كان ذلك يحدث عندما يتوتر الجو بيننا وبين آبائنا قليلاً.

والآن نحن أحيانًا نفتعل المعارك مع الأبناء كأننا أنداد لهم ولا نمارس مسؤوليتنا كمسؤولين عنهم. ونتصرف بروح من عدم الثقة بأنفسنا لمدة لحظات. ونعامل أبناءنا في هذه اللحظات على أنهم ذوو تربية سيئة فعلاً. يحدث ذلك عندما تكون أعماقنا متوترة. ويحدث العكس عندما تكون حياتنا بلا توتر وتكون نفسياتنا صافية من المشاكل والهموم ونطبق الأسس السليمة في المعاملة مع أبنائنا. في هذه اللحظات - وهي كثيرة - نجد أنفسنا قادرين بالفعل على قيادة أبنائنا

دون تـردد أو مشـقة أو عـناد، ونحـن في هـذه القيادة السليمة للأبناء نستخدم عددًا كـبيرًا مـن الوسـائل الـتي تكـون في غايـة المهـارة دون أن نـرهق أنفسـنا. إن الطفـل يطيعنـا في معظـم الأحـوال لأنـه يريد أن نحبه وأن نرضى عنه مثلما يحبنا هو، وهو يحـاول بكل جهده أن يحصـل علـى هـذا الحب كاملاً حين يصبح عمره عامًا واحدًا. وهـو يبذل كل جهـده عـندما يبلغ ثلاث سنوات إلى أن يصبح عمره ستة أعوام. إنه يحـاول أن يقلدنـا وأن يلعب دور الإنسـان الناضـج الكبير. يقلدنـا في سلوكنا المهذب ويقلدنـا في التعاون مـع الآخـرين ويقلدنـا حتى في أعمالـنا، وفي سنوات الدراسة فهو يحـاول أن يقـوم بواجبه كـاملاً ليكون في مستوى أصدقائه النـاجحين والمتفوقين. إن الصـورة العامـة لعلاقتنا بأبنائنـا في سنوات حياتهم الأولى تكون طبيعية إذا عرفنا أن يكون الواحـد منـا مـثلاً أعلى لهم. وأن نوحي إليهم بهدوء وثقة، كيف يتصرفون في مختلف المواقف وأن نبعدهم عن السلوك الضار بهم، وأن نعتني بهم ونحاول أن نـربي فيهم العـادات الأخلاقية التي نريد لـهم اكتسابها. إن الطفل يهوى أن تعامله كإنسـان ناضـج. وعـندما نعاملـه فعلاً علـى أنه إنسان نـاضج فإنه يستريح إلى ذلك ويتصـرف بنضـج وبتقليد للنـاضـجين. وعندما يقـترب مـن الخطـر فنحن نبعده عن هـذا الخطـر بـالقوة. وفي العـام الـثاني مـن عمر الطفل يستطيع عقل الطفل وتفكيره أن يسـتوعبا مـا نطلبه مـنه ومـا نـنهاه عنه. ولـهذا فنحن جميعًا نستطيع أن نقـول للطفـل "افعل هـذا ولا تفعل ذلـك". وكلـنا يفهـم أن القـيادة السليمة لأمـور الطفـل تتطلـب مـنا أسـلوبًا ثابتًا ورصينًا وهـادئًا ومقنعًا، لأن كل واحد منا يرغب في الكمال الإنسـاني لنفسـه ولأبنـائه، ولـهذا كلـه نحـن، نشعر ونتكلم ونسلك مـع الأبناء، وفي



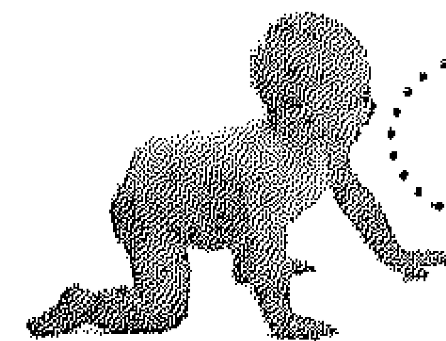

اقتناعنا أنهم سيطيعون ما نقول، عندما نتحدث إليهم بأسلوب هادئ تسوده روح الود والصداقة تمامًا كما نتحدث مع أصدقائنا. صحيح أنه شيء عسر أن نتعلم كيف نجعل نبرات صوتنا التي تحمل الأوامر للأطفال تحمل معها روح الإقناع والصداقة في وقت واحد، وأن نتكلم مع الأبناء بهذه الدرجة من النضج والاتزان طوال ساعات اليوم، لا لشيء إلا لأننا ننسى أنفسنا ونحن نتكلم مع أبنائنا وتظهر علينا أمراض طفولتنا عندما كان الآباء يوجهون اللوم لنا أو يوجهون كلمات الاستنكار. وأحيانًا أخرى نفقد السيطرة على أنفسنا ويحمل كل واحد منا مع الطفل في طيات نفسه معنى "لا أعتقد أنك ستسمع كلامي" أو "أنا غاضب منك وسوف أجعلك تفعل ما تكره أو أمنعك من الاستمتاع بما تحب".

عندما يحس الطفل أن الأم جادة فيما تقول وأن الأب يطلب منه أن يتصرف بصورة معينة فهو ينفذ ما يطلب منه بهدوء وانضباط وبأقل قدر من الأوامر.

إن تربية الابن على قواعد السلوك السليم مسألة نتعلمها من خلال التلقائية والتجربة معًا لأننا نحب أبناءنا. ونرغب في أن ينشأوا على نحو مثالي. وتهدينا الفطرة إلى التدخل بحسم لنمنع السلوك الرديء، ونشجع السلوك القويم.

**ملاحظة**

كل أم تعرف أنها تملك حاسة كالرادار تشعر بكل ما يفعله أطفالها طوال النهار. حتى ولو كانت الأم بعيدة عن الأبناء مسافة كبيرة. إن الأم عندما تتبع هذا الأسلوب تجدها لا توجه الاتهامات الكثيرة لابنها بأنه سيئ التربية ذلك أن الابن سيحاول كل ما في وسعه أن "يسمع كلام الأم وأن يطيع الأوامر".



## رابعـا - عـقـاب الأبنـاء .. كـيـف !!

إن أساس التربية المهم للغاية، هو الذي يجعل الابن مهذبًا يجيد التصرف في المواقف المختلفة وهـو هـذا الإحسـاس، وإحسـاس الأبوين تجـاه الطفـل، وإحسـاس الطفل تجاه الأبوين. وهذان الإحساسان وجهان لعملة واحدة. إن التجربة الأساسية للتربية السليمة هـي حب الأبوين للابن ومقدار التفاني الذي يبذلـه كل منهما من أجلـه، ورغبة كل منهما العميقة في نجاحه والاغتباط الكبير بمميزاته الحسـنة وليست السيئة طبعًا. إن دفء حب الأبوين هو الذي يغرس في الطفل حبه للآخرين وحب الآخرين لـه. إن الطفل الذي يعامل الآخرين معاملة رقيقة مهذبة، يفعل ذلك لأنـه تعلم أن يحب الآخرين من والديه ويحب أن يكون محبوبًا من الآخرين. ولـهذا فإنـه يسلك السلوك المهذب ويعرف مدى إحساس الآخرين بالترحيب به والارتياح لـه عندما يمنحهم حبه. ويستمتع أيضًا بحبهم.. وهو أيضًا يعرف العكس.. يعرف أنـه عندما يسيء التصرف فهو يثير في الآخرين الاستهجان لـه ولأسرته. وهكذا يظهر لنا بوضوح أن رغبة الطفل في أن يكون محبوبًا من الآخرين هي عامل هام في سلوكه المهذب.. ويظهر لنا بوضوح أن حب والديه لـه هو الذي يعلم منه كيف يكون محبوبًا مطمئنًا واثقًا.

**مـلاحظـة**

العقـاب لـيس وسـيلة التربـية الوحـيدة، وعـدم العقاب أيضًا ليس هو أسلوب التربية الوحيد.



وهناك أساس ثالث له أهميته البالغة، وخصوصًا في المرحلة الكائنة بين الثلاث سنوات والست سنوات، وهو تقليد الطفل لأبويه. إنه يرغب في أن يكوّن نفسه حتى يكون مثلهما تمامًا، ليس في العمل وأسلوب الكلام والتصرف فحسب، ولكنه يحاول قدر طاقته أن يكون ذا خلق حميد وأن يكون مسؤولاً عن سلوكه تمامًا مثل أبيه وأمه. ومن هنا يتعلم الطفل مهارة التعاون مع الآخرين.. وأن يظهر الشجاعة وقت الخطر.. وأن يعامل المرأة بنوع من الرقة والأدب.. ويخلص في تأدية عمله كأبيه تمامًا. وهذا أيضًا ما يمنح الفتاة القدرة على أن تساعد والدتها في أعمال المنزل.. وأن تحاول أن تتعلم فن رعاية الأطفال الصغار.. وتتدرب على ذلك مع دميتها الصغيرة أو مع الأطفال الصغار فعلاً.. وتتعلم أيضًا كيف تعامل أفراد العائلة بحنان كأمها تمامًا.

وهكذا نعرف أن الطفل يغتبط بالحب ويستطيع أن يكون مسؤولاً عن عمل ما. وبهذا تنمو شخصيته وتنغرس فيه عادة احترام النظام. وليس معنى ذلك أن التربية تنتهي عند هذا الحد، فكل الآباء والأمهات يعرفون أن هناك كثيرًا من





المسؤوليات يجب عليهم القيام بها تجاه الأبناء، لأن الطفل رغم نيته الحسنة إلا أنه بلا تجربة ويسهل أن تسيطر عليه رغباته.. ويمكن أيضًا أن يحاول التصرف عكس المطلوب منه. ومثال ذلك الطفل عندما يجر عربة أخته الرضيعة.. إن الأم تقول له كل ثانية "حاول دائمًا أن تكون رقيقًا وأنت تجر عربة أختك". وتضطر الأم أيضًا أن تنادي طفلها أكثر من مرة من المكان الذي يلعب فيه ليتناول الطعام.. فتقول أكثر من مرة: "تعال الآن إلى المائدة فالطعام جاهز وساخن وسيبرد لو تأخرت".. وقد تقول له: "لا داعي أن تفتح التلفزيون بمفردك.. لأن هذا ليس من اختصاص الأطفال". أو أن تقول: "لا تنزل إلى الشارع إلا عندما تكون في صحبتي أو صحبة والدك". وهناك بعض الفترات عندما يرفض الطفل تمامًا أن يتصرف التصرف السليم. وهو يفعل ذلك حين يحس بالضيق من أحد تصرفاته أو بعض تصرفات الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو أحد الأصدقاء. وهذه الفترات التي يفلت فيها الزمام من الطفل نفسه تتطلب من الأب والأم قدرًا من الحسم وقوة الإرادة والخبرة والمعرفة، دون أن نتوتر أو نفقد أعصابنا. ولهذا نحن نؤكد دائمًا على ضرورة وجود قدر كبير من الصرار والحب الخالص في مسألة تعليم الطفل عادة ما. وليس معنى ذلك أن الأطفال لا يملكون القدرة على التكيف مع أي تغيير مفاجئ في التعامل مع الآباء أو مع الآخرين. إن كل طفل يملك طاقة كبيرة ومهيأة على التكيف. وهكذا، يجب أن يشعر الأب والأم أن مسؤولية تربية طفل هي مسؤولية الحب والحزم معًا. وأن نتوقع دائمًا من الابن أن يتصرف التصرف المناسب حين يمكن أن نوحي إليه بذلك. أما الأم التي لا تثق في نفسها أو الأب

الفاقد للثقة بنفسه والذي لا يستطيع أن يكون مثلاً أعلى للابن ويعجز عن حب الابن وتوجيهه إلى السلوك السليم، فإن الوالد في هذه الحالة يميل إلى أن يصبح هو الآخر "طفلاً" يهدد ويضرب وهو غير مقتنع بكل ما يفعل. ويجعل الطفل يتحداه ويجعله مصرًا على أن يتصرف التصرف الذي يغضب والده ووالدته.

**للتذكيــــر**

عندما نفشل في تعليم الابن قواعد السلوك بكل الطرق، علينا أن نلجأ إلى العقاب، ولكن لا عقاب إلا على ذنب. ولا عقاب بدون مناقشة سابقة مع الابن لكل نواحي الموضوع الذي يعاقب عليه. وغالبًا ما نجد الابن يقتنع دون عقاب. نعم، علينا أن نكره إهانة إنسانية الطفل، وأن نبغض العقاب وخصوصًا الضرب.

وهكذا يتضح لنا كيف يمكن أن نؤدب أبناءنا دون حاجة إلى العقاب. مثلما يتضح أن العقاب ليس الوسيلة الوحيدة لتمنع الطفل من أن يتصرف التصرف المزعج أو الخارج عن حدود الآداب العامة. تمامًا كما أن العقاب لا يمنع السارق من السرقة، ولا القاتل من ارتكاب الجريمة. إن العقاب هو أسلوب قد نلجأ إليه عندما نستنفد كل الأساليب الأخرى، وحين نفشل تمامًا في توجيه الطفل ناحية السلوك السليم. وحتى هنا أيضًا في هذا الموقف. قد يكون من الصعب أن يفيد العقاب إن لم يستند الأب والأم إلى علاقة حب عميقة بينهما وبين الابن وكانت شخصية الابن سليمة بلا اعوجاج وقد ظهر ذلك بشكل واضح في حالات المجرمين المحترفين، الذين لم يُجْدِ معهم عقاب أهلهم لهم.

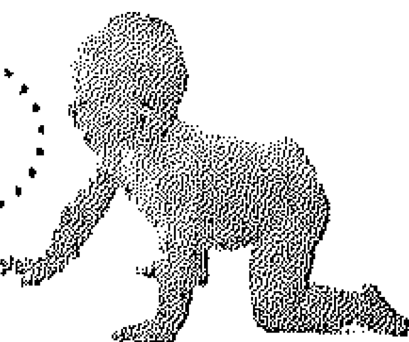
وقد يتبادر سؤال إلى ذهن الآباء والأمهات وهو: لماذا يفلت زمام الطفل في بعض الأحيان أو المواقف؟





> **مـلاحـظـة**
> إن طفلـك هـو إنسـان، وأنـت تبتغي سـعادته، وسـعادته لـن تـأتي بحصـاره في نمـط معين من الحياة تفرضه عليه. ومع هـذا فـإن سـعادة الطفـل لـن تأتي بإطلاق العنان له ليفعل كل ما يريده.

والإجابـة هـي: إن الطفـل قـد يخطـر ببالـه اللعـب أو استـكشـاف شيء يمنعـه الأهـل مـن اكتشـافه، ويظهـر هـذا الشيء للطفل كعالم عجيب غريب يسـتحق أن يدخـل في مغامـرة لاكتشـافه. ولذلـك، فهـو يختـار المناسَبة التي تكون فيهـا الأم غـير حازمـة تمامًـا عـندما منعته آخـر مـرة مـن اكتشـاف هـذا الشـيء. ولذلـك فهـو يبدأ في عملية الاستكشـاف وهـو يرغب طبعًا في عـدم إفساد هذا الشيء وقد تنتهي به هذه المحاولة إلى تحطيم شاشة التلفزيون مثلاً، أو قد يحطم تمثالاً صغيرًا تعتز به الأسرة، وقد يفعل كل ما يسيء إلى الأهل.. لأن الأم أعلنت غضبها منه دون سبب واضح أو لأنـه يشعر أن الأسرة تفضل عليه شقيقه الآخر وأحيانًا أخرى قد تتجمد أعصاب الأم من فرط الخوف على ابنها لأنه جرى في الشارع ولم ينتبه، وكادت أن تصدمه سيارة.. في مثل هذه الظروف نجد أن نفس الأم أو الأب تمتلئ بالضيق والغيظ والغضب.. فتبدأ الأم أو يبدأ الأب في عقاب الابن أو على الأقل تتولّد الرغبة في عقاب الابن. وجميعنا يعلم أن السيطرة التامة على الطفل مسألة مستحيلة ولا يمكن أن نظل هادئين طوال الوقت دون أن نغضب من الطفل أو أن نطرده من الحجرة أو نضربه أو ننظر إليه بغضب شديد. وأنا أعتقد أن عقاب الطفل أو عدم عقابه أو ضربه أو عدم إيذائه بالضرب، كل هذا قد يكون لـه أسباب في أعماق الأم. هل عانت هي في طفولتها من هذا النوع من العقاب أم لا؟ إن الآباء والأمهات الذين جاءوا من أسر لا تستعمل العقاب إلا قليلاً



وكان في استطاعة آبائهم أن يفرضوا عليهم قواعد السلوك السليم دون عقاب، هذا النوع من الآباء يعرف كيف يصنع أنظمة للطفل بحيث لا يخرج أبدًا عن قواعد السلوك السليم ويملك بالتالي قدرة على الحسم والحزم في قيادة أمور الأبناء. ولا يلجأ الواحد منهم أبدًا إلى تطبيق أسلوب العقاب مع الأبناء، إلا في الحالات القصوى. ويختلف الأمر طبعًا بالنسبة للآباء الذين عاشوا طفولة مليئة بألوان العقاب فإذا كان ذلك العقاب قد تم من أجل أخطاء جسيمة فهم يعاقبون أبناءهم على الأخطاء ذاتها بألوان العقاب نفسها. ولابد لنا أن نعرف أن عقاب الابن في اللحظة المناسبة وبالأسلوب الهادئ غير المنتقم يفيد الطفل لأنه يتعلم أنه هو السبب في حدوث العقاب له ويشعر بأنه مخطئ فعلاً ولا يجب أن يكرر السبب الذي من أجله عوقب. وهذا الإحساس يغلب إحساس الضيق والغيظ. والعقاب المناسب بدون نزعة انتقامية ودون أن تفلت أعصاب الأم أو الأب وهي تعاقب الابن، هذا العقاب يقنع الطفل فعلاً بأن الأمر الذي صدر إليه وخالفه كان يجب تنفيذه وهذا ينفس عن روح الغضب الذي قد تسود أحاسيس الأم ويصفو جو العلاقة بينهما وبين ابنهما، ويتصرف بشكل مهذب لمدة طويلة.

**ملاحظة**

يجب ألا يتبع العقاب ندم من الأب أو الأم لأن ذلك يحس به الطفل فيشعر أن والده قد أخطأ أو والدته قد أخطأت في حقه بإنزال العقاب به. إن العقاب بهذه الصورة التي يتبعها إحساس الندم في نفس الأب أو الأم غير مفيد. وإذا كان العقاب لا يأتي بأي نتيجة، فعلينا أن نعرف أن هناك خطأ ما كامنًا في علاقة الوالدين بالطفل أو في نفسية الطفل.





هـنـاك سـؤال آخـر بشـأن مسـألة عقـاب الابـن: هـل نعاقـب الابـن فـور اقترافـه الخطأ أم نؤخر العقاب إلى ميعاد آخر؟

في مستهل هـذا القرن كانـت وجهـة الـنظر السـائدة في المجتمعات هـي أن على الأب أن يختـار أسلوبًا في تربية الطفـل ثـم يطبق هـذا الأسـلوب بقوة الإرادة وكانت وجهـة الـنظر تلك تتجاهل تمامًـا الأحاسيس والمشـاكل التي تدور في أعماق الأب أو الطفـل. وكـان هنـاك رأي يقـول أن الأب لا يجـب أن يعاقـب ابنًا فـور ارتكابـه الخطأ لأن الأب يكـون في حالـة غضـب ولذلك يجب تأجيل ميعاد العقاب إلى وقت يكون فيه الأب هادئًـا. ولا يمكـن تطبيـق هـذا الـرأي طبعًا، لأن أقـدر الآبـاء تحكمًـا في نفسـه عنـدما يغضـب من ابنه يرغب في معاقبته فورًا. ولـهذا فليس هنـاك فرصـة – عصبيًا ونفسيًا – لأن نختـار الوقت المناسب لنعاقـب فيـه الابن. وهـذا لا يعـني أن ننتهز أي خطـأ للابـن ونصـدر سلسـلة متـتابعة مـن قـرارات العقـاب أو نـبادر لإشـباعه لكمًـا وصـفعًا وضـربًا إنمـا يجـب أن نهـدأ وأن نـزيل عـلى قـدر الإمكـان مشـاعر الغضـب والغـيظ مـن قـرار العقـاب. لأنـه في بعض الأحيان يمكن أن نتناقش بالعقل مع الابن أو مـع الـزوجة أو الـزوج لتنفـيذ العقـاب المناسـب. وأرى أنـه مـن الأفضـل تطبـيق العقـاب فـورًا وبهـدوء وذلـك حتى لا تـزيد مـدة تعذيـب الطفـل الـذي قـد ينـتظر أن تشكو الأم إلى الأب ثم يقـوم الأب بالعقـاب. كمـا أن الأب نفسـه عـندما يعـود يكـون مـرهقًا بمتاعب العمل ثم يفاجأ بأن عليه واجب تأديب الابن. إن ذلـك مرهق للأب وللابـن معًـا. ولذلـك أنـا أرى أن تعاقـب الأم ابـنها فـور اقترافه للخطأ، اللهم إلا في الحـالات الـتي تـرى أنها خطيرة للغاية ويجب استشارة الأب في أسلوب عقاب الابن.

كما لا أفضل العقاب الذي يستمر طويلاً لمدة أسبوع أو شهر كالحرمان من المصروف أو المقاطعة أو ما إلى ذلك لأن هذا يخلق جوًا من التعاسة يخيّم على جو الأسرة.

أما بالنسبة لاختيار العقاب المناسب فهي مسألة متروكة لتقدير الأم نفسها وهل يجدي أملا. وهل يستحقه فعلاً الطفل أم أنه مظلوم. إن ضرب الطفل على يديه باليد أو ضربه على مؤخرته قد يكون مناسبًا لتقويم سلوك الطفل. رغم أن هناك أمًا تقع في هوّة الندم لمدة ساعات لو فعلت ذلك. وهناك طفل قد يغضب بعنف من هذا الأسلوب المهين. وهناك أسلوب "حبس" الطفل لمدة دقائق في حجرته وهذا يجعله يأتي باكيًا معتذرًا. وقد يثير هذا الحبس أيضًا جنون الابن ويسبب له التعاسة البالغة ويظل يبكي بصوت صارخ يستمر لمدة ساعة أو ساعتين. وهناك أسلوب حرمان الطفل من جزء من مصروفه أو منعه من مشاهدة التليفزيون أو الخروج إلى الفسحة وهذا العقاب يتناسب مع الأطفال الذين تعدوا السابعة من العمر وفي سن الدراسة. والعقاب على كل حال عندما يكون عادلاً فهو يؤكد في نفس الطفل الإحساس بالعدل ولكنه عندما يكون عقابًا ظالمًا فهو يؤدي إلى فقدان الإيمان بالقيم الأخلاقية. ولهذا لابد من التدقيق جيدًا وبسرعة في اختيار العقاب المناسب. وعلينا أن نعرف أن العقاب لن يصلح حال إنسان سيئ السلوك ليجعل منه إنسانًا رائع الخلق وهو أيضًا لا يضمن استمرار التصرف باتزان من جانب الابن لمدة طويلة، إذا كانت هناك مشكلة أعمق من التصرف الخاطئ وتكون هذه المشكلة كامنة في أعماق الابن. إن تأديب الابن لابد أن يتم في إطار من الحب

العميق والاحترام الأصيل بين الطفل ووالديه. ونحن نستطيع أن نؤكد ذلك الحب وهذا الاحترام عن طريق تعليم الطفل السلوك المناسب منذ الطفولة المبكرة، والعقاب هو وسيلة لتفكير الطفل بضرورة العودة إلى السلوك الصحيح الذي يحيد عنه. أما إذا لم نوضح للابن ما هو الصواب وما هو الخطأ، فإن عقاب الطفل يكون بلا جدوى. ولهذا فمهمة الأم أن توضح للطفل ما هو الصواب وما هو الخطأ، وأن تكون من البداية في منتهى الحزم بدلاً من أن نلجأ للعقاب في الوقت الذي يكون فيه قد مضى على الطفل وقت طويل وهو بعيد عن السلوك السليم. إنني أعرف أن مهمة تأديب الطفل مهمة شاقة. ولا يجب أن نغضب لو واجهنا الفشل لأن الابن لن يتأدب عن طريق الأذى المستمر، إنما يمكن أن يتأدب بالقدوة الحسنة من أمه وأبيه. هذا هو الأسلوب السليم منذ آدم وحواء وحتى الآن.

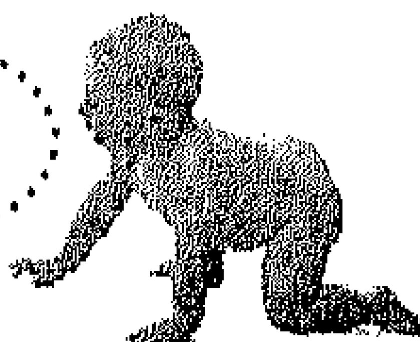
**ملاحظة**

إن الطفل في سلوكه أولاً وأخيرًا هو مرآة لأسرته وفي تمثله هذه الحقيقة الأساسية في قياس سلوك الطفل هل هو مهذب أم لا؟

عندما تتشابه أخطاء طفلك بأخطاءك ... لماذا تنزعج؟

## خامساً - دور الأب

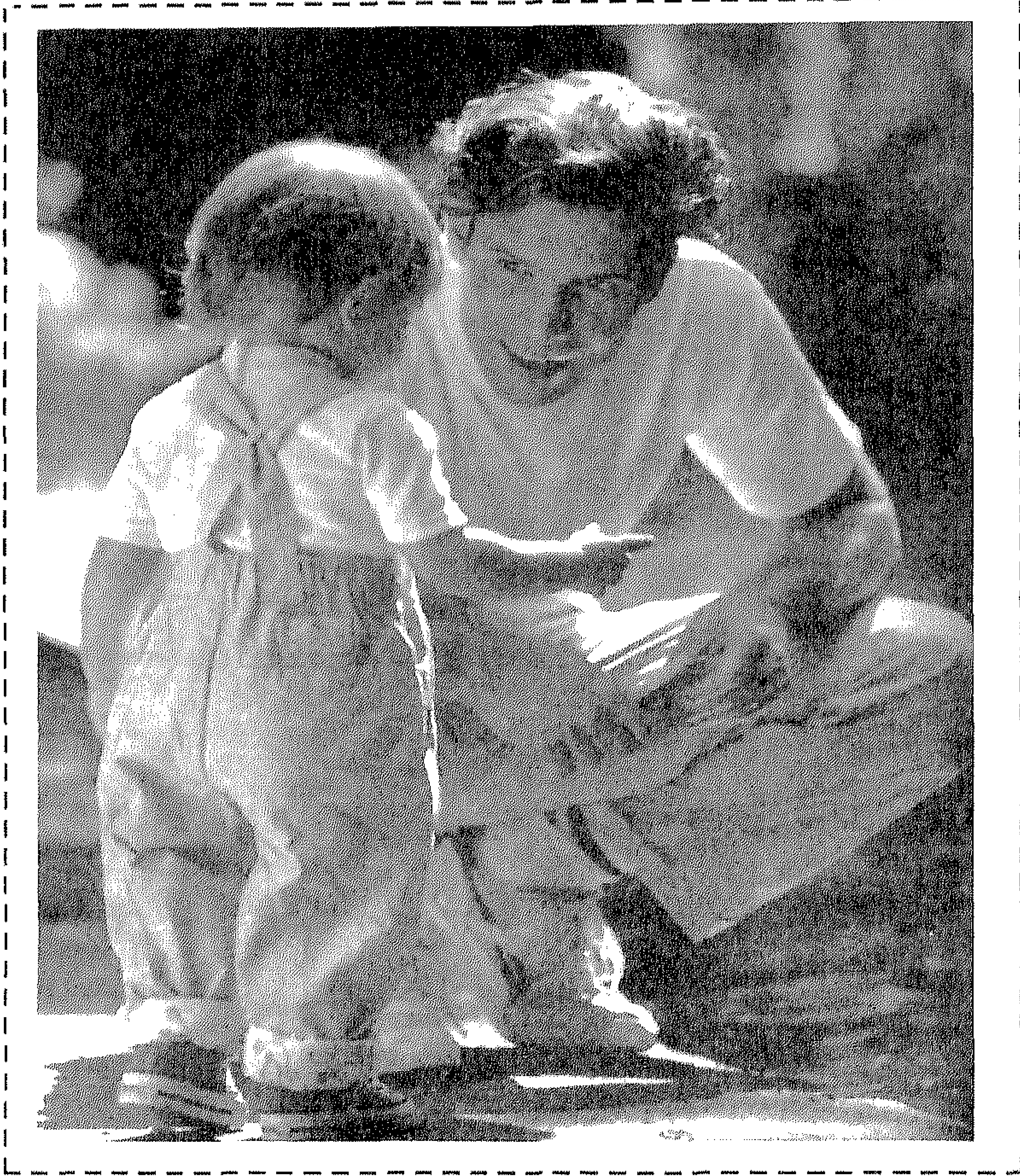
سننتقل الآن إلى مناقشة المشاكل التي يواجهها الأب، نناقش في البداية مشكلة الأب الذي ينتظر الطاقة الفورية من طفله. إن الموقف يكون مشدوداً ومتوترًا لأن الأب لا يعرف في البداية كيف يوجه الأمور. ولكن المسألة تصبح أكثر

راحة وأقل توترًا عندما ينجب الابن الثاني أو الثالث. وإذا كان هذا الوالد تربى في أسرة تتميز بالجدية الشديدة التي تقترب من التزمت، وأنه كان مطالبًا في طفولته بأن يطيع الأوامر فورًا، فقد انغرس في أعماقه هذا الأسلوب إلى حد بعيد، إنه ليس عادة فقط ولكنه "إحساس قهري" ينتقل من الأب إلى الابن ومن الابن إلى الحفيد وهكذا..

إن كل رجل يعرف جيدًا أي قدر من القلق كان يستولي على مشاعره عندما يوجه له الأب النقد على سلوك معين. إن الواحد من هذا النوع كان يقع في تخيل أن هناك كارثة ستقع نتيجة هذا اللوم أو النقد. ولهذا فعندما يصبح الرجل أبًا للمرة الأولى فإن أول ما يفعله هو أن يهجم على طفله بعنف شديد ليطالبه بالمطالب نفسها التي كان مطالبًا بها أثناء طفولته. أقول: ينفجر "إحساس قهري" في نفس الرجل ويتصرف في ضوئه دون تفكير. وهذا ما يحدث بالنسبة للأب الذي يطلب الطاعة الفورية من طفله الصغير. إنه والد واقع في براثن الخوف من أن يواجه ابنه أي متاعب في المستقبل ويريد أن يعلم ابنه منذ الشهور الأولى أن الطاعة هي المنقذ الوحيد من الوقوع في المشاكل. ومهما كان ذلك الكلام الذي يقوله الأب غير معقول وغير منطقي، فإن هذا الكلام هو نتيجة طبيعية للقلق العميق القديم الذي يسكن أعماق هذا الأب خلال تربية أسرته له. ويزيد من حدة أحاسيس قلق الأب أن الزوجة لا تشعر أن عدم طاقة الابن قد توقع الابن في الخطر. إن النظرة الهادئة إلى الطفل تعطينا فكرة واضحة ومتزنة. وهي أن هذا الطفل يمكن أن يتعلم بعض المبادئ الأساسية في احترام النظام وهناك أساليب

كثيرة بجانب "الطاعة" نستطيع بها أن نبتعد به عن أي خطر، وأن نجعله يبتعد عن أي سلوك سيئ.



وعلينا أن نعرف أيضًا أن جمود الأب وتزمته قد يزداد حدة عندما يشعر أن زوجته تجامل الابن على حساب أحاسيس الأب. وتأخذ جانب الابن ضد الأب. ويجسد هذا الموقف تلك القصص التي نسمتها عن زوج الأم الذي يمتلئ بالضيق

والحقد على ابن زوجته التي كانت متزوجة من قبله. إنه يكره في هذا الابن الذي امتلك أمه من قبل أن يتم هذا الرجل زواجه بها. إنه يكره فيه أيضًا صورة الوالد الذي استمتع بقلب هذه المرأة قبله. ومن المحتمل أيضًا أن يحس الزوج بالغيرة من ابنه.. إذا كان هذا الزوج قد عاش طفولة غير آمنة، طفولة دائمة القلق. أحيانًا يكون الزوج قد تزوج زوجته رغم إرادتها وتعيش في أحاسيس كراهية دفينة لهذا الزوج. ولذلك فهي حاول أن تعوض فشلها في حب الزوج بمزيد من الحب للابن. وتحاول لا شعوريًا أيضًا أن تدعم علاقتها بالابن فتثير غيرة الأب وتزيد من المعارك بينها وبين الزوج وبين الزوج والابن.

**أيها الأب**

**لا تخف من الحزم والقليل من القسوة في معاملتك لأطفالك**

والآن سنناقش مشكلة الأب الذي يضربه ابنه الصغير وينفر منه الأب بينما يسعد الطفل جدًا ويضحك بمنتهى السرور وهو يصفع أباه. قد نعتقد أن هذا الأب نموذج متناقض تمامًا مع الأب المتزمت، ولكن ليس ذلك صحيحًا تمام الصحة. لأننا عندما نسأل هذا الأب عن إحساسه فإنه سيقول: "كان والدي قاسيًا عليّ أثناء طفولتي ولا أريد أن يغتاظ مني ابني كما كنت أغتاظ من أبي. كان قلبي يمتلئ بالضيق من تزمت أبي وقسوته ولا أريد لابني أن يضمر لي مثل هذه المشاعر". ومن هنا نستطيع أن نكتشف أن كلاً من الأبوين كان ضحية التربية المتزمتة. لكن الأب الأول اتخذ طريق أبيه في الخوف من انحراف الابن بينما الأب

الآخر يخاف من نتيجة المبالغة في التربية الصارمة المتزمتة وهذا يدفعه إلى الخوف من ممارسة سلطاته كأب أو حتى الدفاع عن نفسه، حتى وصل الأمر إلى أن الابن قد أصبح جريئًا إلى درجة السيطرة على أبيه.

علينا أن نعرف بأن الطفل عند بلوغه العام الأول من عمره يتعلم اللعب ويستمتع أحيانًا بإيلام الذين حوله عندما تسيطر عليه نزوة أو فكرة ما. إنه يشد شعر الأم أو يعض الأب. والأب الذي لا يخاف من السيطرة على الموقف من البداية، ولا يوقف الابن عند حده من اللحظة الأولى، إنما هو أب يدرك أن الابن الصغير يحتاج إلى التدريب المستمر ليتعلم قواعد السلوك المهذب. إن الأب يكتفي في المرة الأولى باستنكار تصرف الابن، وعندما يعود الطفل إلى تكرار هذا السلوك فإن الأب يمكن أن ينبه الابن بحزم واضح ورقيق أيضًا إلى أنه يرفض منه هذا السلوك. وهكذا يتعلم الطفل أن الأب لا يسمح لأحد أن يؤذيه ولا يضمر النية في السماح لأحد بذلك. يتعلم الابن أن للأب مكانة خاصة. صحيح أن الابن لا يتعلم من مرة واحدة، وصحيح أيضًا أنه يتعلم بعد عدة مرات، ويعطي الأب احترامه على الوجه المطلوب. وعلى الأب ألا يخاف من حسم الأمور مع الطفل، وألا يخاف من إظهار مشاعر الغضب وذلك حتى لا يدمن الابن الهجوم على الأب بلا انتظار العقاب. إن هذا "الخوف" يعلم الابن أن الأب يمكن الهجوم عليه ويمكن إيذاؤه. والغريب أن الطفل ذا العام الواحد يفهم أنه ليس من الواجب أن يذعن الأب كل هذا الإذعان وأنه من غير الطبيعي أن يمنحه الأب فرصة السيطرة عليه بهذه البساطة. إن الطفل يصاب بالقلق النفسي والتوتر والغيظ من هذا الاستسلام



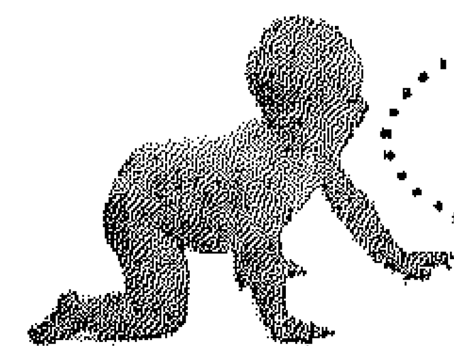

الشديد من جانب الأب. وعندما تقول أم هذا الطفل أن ابنها سعيد ويضحك عندما يضرب أباه، فأنا لا أصدق أنه سعيد بالفعل. وأعتقد أن أحاسيس الطفل هنا تكون نسيجًا من الانفعال الشديد والإحساس بالذنب. بل أعتقد أن الابن يتوسل بهذه الضحكات العصبية إلى أبيه حتى يمنعه من التمادي في هذا السلوك. فالطفل لا يسعد بالأب بالمهزوم المنكسر الذليل. وأنا أعتقد أن هذا الوصف الذي وصفته الأم لابنها هو وصف غير طبيعي ولا يحدث أبدًا.

> **ملاحظة**
> إن الطفل يحصل على قدر كبير من الراحة النفسية عندما يمارس الأب دورًا جادًا في تعليمه آداب السلوك المهذب.

وهناك فئة من الأمهات يشكون من الأزواج، وتردد الواحد منهن القول: "إن والد الأطفال لا يهتم أبدًا بتأديب الأطفال أو تعليمهم قواعد السلوك المهذب. إنه يترك لي كل مسائل التربية. إنه يكون موجودًا في المنزل في بعض الأحيان ويتصرف الابن بصورة مستفزة تستحق العقاب لكنه لا يحرك ساكنًا. وعندما أطلب منه أن يتحرك ليؤدب أبناءه، يقول أنه مرهق من العمل، وأنه يأتي إلى المنزل ليستريح، وأن الأم تعيش مع أبنائها أكثر مما يعيش الأب ولهذا فهي تعرف كيف تتعامل معهم. وهم لا يعرف طباعهم بالضبط قدر ما تعرفها الأم. وهو لا يفهم ماذا تطلب منه تمامًا".

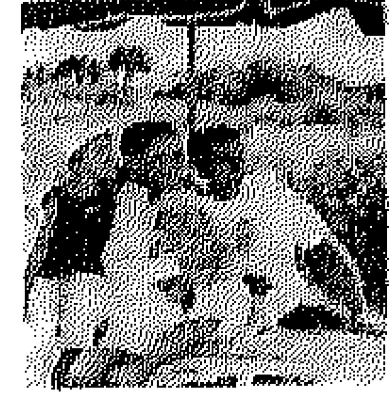
وأنا أقول: أن هذه أعذار بلا قيمة حقيقية. ولا يجب أن يقولها والد يملك الإحساس بالمسؤولية. لأن الابن يحب أن يشترك والده في توجيهه التوجيه المناسب.

إن هذا النوع من الآباء قد يكون إنسانًا متفوقًا غاية التفوق في العمل. ويكون صاحب شخصية يخشاها كل من يعمل معه، لكن هذا لا ينفي أن مثل هذه الأسر



تعيش في مشكلة كبيرة عندما يصبح الأب من النوع "الحاضر الغائب" في الوقت نفسه، ولا يبذل أي جهد أو مشاركة في تربية الأبناء. إن هذا النوع من الآباء يفضل أن يحتفظ بحب أبنائه، لذلك يبتعد عن المشاركة في تربيتهم لأنه يعلم أنه لو أطلق العنان للحزم والحسم فقد يكرهه الأبناء. وهو لهذا يكتفي بأن يلبي طلبات الأسرة. وعلى هذا النوع من الآباء أن يعرف الحقيقة التي تؤكدها الأبحاث العلمية، والحقيقة تقول أن الأبناء لا يحسون بحب الأب لهم أو بحبهم للأب عندما يتخذ موقف "الحاضر الغائب". والذي لا يتدخل في توجيههم وإدارة شؤون حياتهم. إن العيادات النفسية تشهد حكايات أطفال عن أحلام مزعجة. وبتحليل هذه الأحلام يتضح أن الابن يخاف من الأب المنعزل عن إدارة شؤون الأبناء. إن الطفل بذكائه الفطري يعرف أن الأب يشعر بالغضب عندما يخطئ الابن أو يتصرف بسلوك سيئ، ولهذا فإن خوف الطفل يزداد عندما لا يعلن الأب عن هذا الغضب ويتساءل الابن بينه وبين نفسه إلى أي مدى سيكون العقاب كنتيجة لهذا الغضب المكتوم. فالطفل عندا يسيء التصرف يعرف أنه يجب أن يعاقب، أو أن يوجه له أحد اللوم أو العقاب أو النصيحة، وهو يتمنى فعلاً أن يحدث ذلك حتى يعرف الحدود بين السلوك السيئ والسلوك السليم وحتى يختار لنفسه السير في طريق السلوك القويم. فإن لم يوجه له الأب اللوم المناسب والتوجيه الملائم ازداد قلق الطفل، وازدادت تعاسته أيضاً.

إن إعلان الأب عن غضبه يسعد الابن، فالابن يشعر بالسعادة كلما وجد نفسه محل انتباه الأب فيشعر بالاطمئنان وتتأكد له ثقته بنفسه. وعندما يواجه





الأب ابنه لحظة خطأ الابن فإن ذلك يعّد الابن على الشجاعة في مواجهة الآخرين الذين سيلتقي بهم من المجتمع بقية العمر ودون خوف من الغضب أو العقاب.. إنما بشجاعة الإنسان الواثق من نفسه.. الذي يختار بنفسه ما يقتنع به.

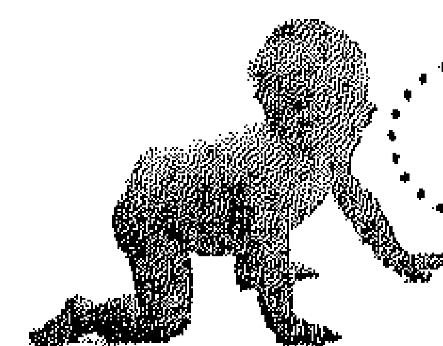
**ملاحظة**

على الأم ألا تعارض الأب عندما يبدأ في اتخاذ موقف حازم من أحد الأبناء، وهي بذلك تؤكد للأبناء أنها تكن الاحترام العميق للأب وتحترم دوره تمامًا في الأسرة.

إن الأب بكل بساطة مختلف عن الأم في أسلوب تواصله مع الأولاد، وكأن هناك شيفرة سرية بينه وبين ولده، أو على الأقل صلة مميزة. وغالبًا ما تكون الأم غير مدركة لنوعية هذه الصلة، إنما يأتي الطفل ويوضح لها بنفسه هذا الأمر، عندما يقول لها مثلاً: "بابا يرسم أحسن منك"، أو "بابا علمني هكذا، أفضل منك!"..

إذا راقبنا كيف يحمل الأب المولود الجديد، نلاحظ أنه عندما يقترب منه، يبدأ أولاً بدغدغته، ثم يحمله في الهواء، وينطنطه إلى الأعلى، والأولاد يحبون ذلك كثيرًا، فهناك دراسة بيّنت أن ابن الثمانية أسابيع يستطيع أن يميز بين الذكور والإناث عندما يقتربون منه، فعندما يتوقع المولود أن والده يقترب منه ليحمله، يفتح عينيه كثيرًان ويرفع كتفيه، وتتسارع دقات قلبه وكأنه يتنبأ بالإثارة! وهذه الإثارة الحسية الجسدية مهمة جدًا للدماغ في مرحلة نموه.

كذلك لاحقًا عندما يكبر الأولاد، يستمر الأب في تأمين هذه الإثارة الحسية الجسدية (ألعاب المصارعة، المشاركة في ألعاب الكرة، وركوب الدراجة) والأطفال،



وخاصة الذكور منهم، يبحثون عن ذلك وينتظرون والدهم بشغف لممارسة مثل هذه الألعاب.



يوفـــر الأب ظـــروف التحـدي لأولاده، فهـو إجمـالاً يتوقع منهم أكثر مما تتوقعه الأم: مـثلاً، عـندما تـرى الأم أن هـناك حاجزًا أمـام ابـنها، تـركض لـنزعه مـن أمامـه، بينما الأب يدعه مكانه وكأنه يشـجع ابـنه عـلى تحـدي الحاجـز.. وإذا وقـع الطفـل، يصـيح الأب: "هـيا، انهـض، باستطاعتـك أن تقوم بذلك". وقد يحتضنه ويقبله لبرهة، ولكن بعدما يهدأ الطفل، يعود الأب ويشجعه على المحاولة من جديد.. هذا شيء لا تفعله الأم، وكأنها غير مستعدة لتكرار الظرف إذا كان فيه مخاطرة. إننا نلاحظ أيضًا هذه الأمور في طريقة التحدث مع الطفل، مثلاً قد نسمع الأب يقول لـه: "تستطيع ركوب الدراجة، كل أصحابك يستطيعون"؛ هذا شيء لا تقوله الأم أبدًا لأولادها.

قد يشعر أحدنا أن هناك تناقضًا بين أسلوب الأب وأسلوب الأم، وأن ذلك مضر بالنسبة للأطفال. إننا لا ننظر إلى هذه الأمور كتناقض بل كتوازن في توزيع الأدوار ضمن العائلة، فمثلاً عندما يقع الطفل أرضًا خلال تعلمه ركوب الدراجة، تهرول الأم لتهدئته ويعود الأب فيشجعه للمحاولة مجددًا، إننا لا نرى في ذلك تناقضًا. فالطفل يحتاج إلى أن يعرف أن هناك أحدًا سوف يكون موجودًا إذا فشل (دور الأم) ولكن إذا لم يندفع الطفل إلى الأمام (دور الأب) فإنه لن يحاول شيئًا في حياته.

والأب يجهز ولده للعالم الحقيقي، وهو يشعر بالفعل أن هذه مسؤوليته، فتراه مثلاً لا يتسامح بالنسبة لآداب المائدة، فيصر على أن يستعمل الطفل الشوكة بمفرده، بينما ترى الأم مصرة على توصيل اللقمة إلى فم ابنها بيدها.

يعطي الأب لأبنائه صورة واقعية عن عالم الرجال، إذ نلاحظ مثلاً أنه عندما ينفرد مع أولاده، يريهم كيفية استعمال بعض الأدوات "الذكورية"، ويدربهم على الرياضة، ويأخذهم معه إلى المكتب، وإلى ملاقاة أصدقائه الرجال.. الخ. كل ذلك مهم جدًا بالنسبة للابن الذي يحتاج إلى إطار واقعي يتعايش فيه ضمن مفهوم "الرجولية"، وإذا لم يكن الابن على علاقة سليمة مع أبيه، فمن أين سيحصل على هذا الإطار؟

**ملاحظة**

إن الأب المحب، الحازم الحاسم، المتسامح من دون تزمت هو الأب الذي يعرف أن إحساسه يتجه إلى إنضاج ابنه بالتفاعل لا بالقهر، وبالتفاهم لا بالقسم، وبالحنان لا باللامبالاة.



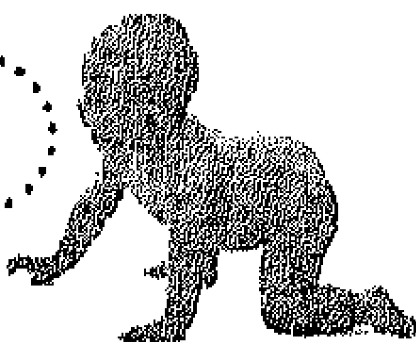


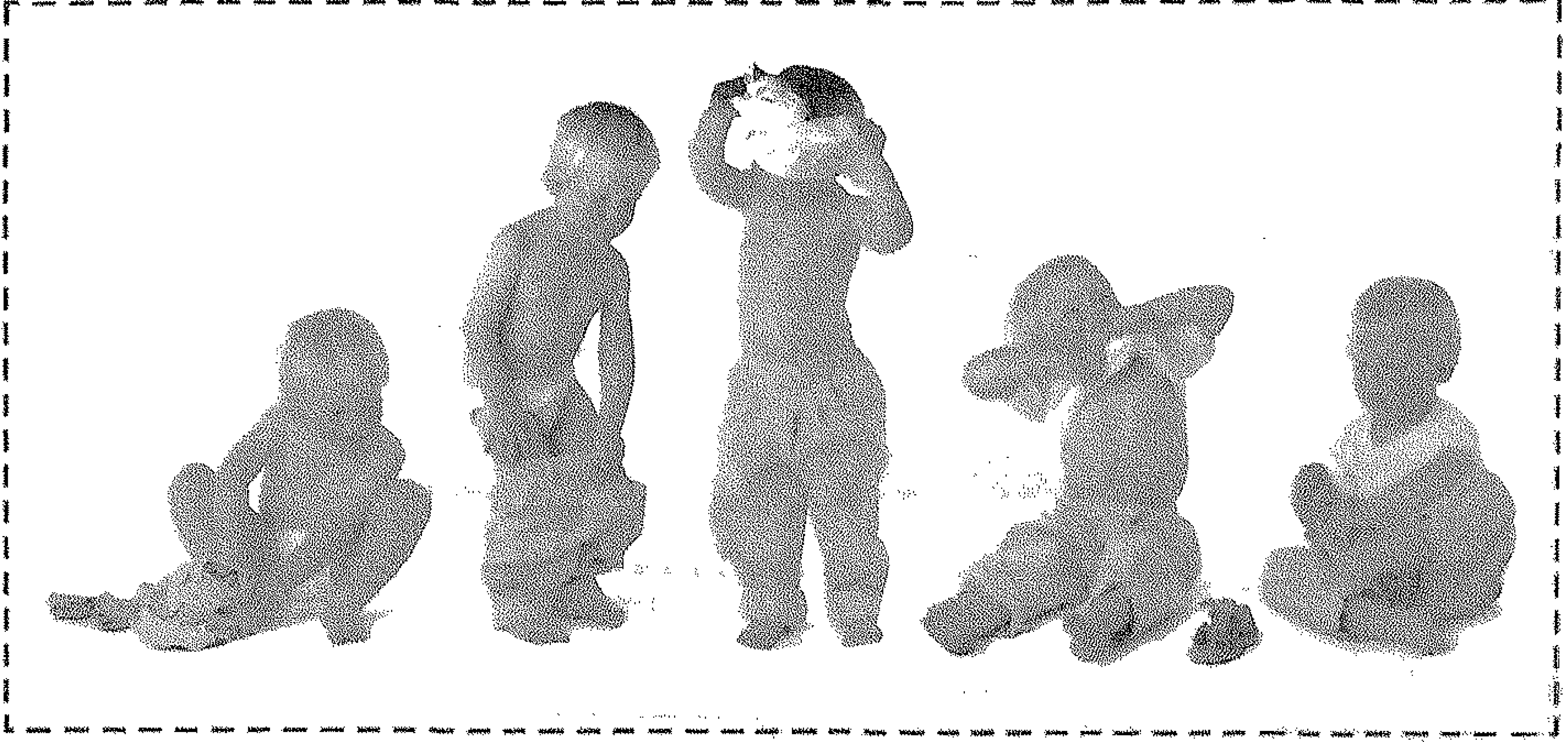
إن التواجد النوعي للأب في الحياة العائلية يضمن نجاح الأولاد، فكل الدراسات تشير أن للعلاقة السليمة بين الأب والأولاد تأثيرًا كبيرًا على قدرة الأولاد على التكيّف في المجتمع، والإبداع في جميع النشاطات الحياتية، منها الأكاديمية والرياضية والاجتماعية.

## سادساً - الاستمتاع بأداء الأعمال

كلما كبر طفلك ازدادت رغبته في إنجاز الأعمال وحده، وعليك مراقبة أعماله وتشجيعه. ويكون دورك أساسيًا في هذا التدرب الصعب الذي سيطول عددًا من السنوات.

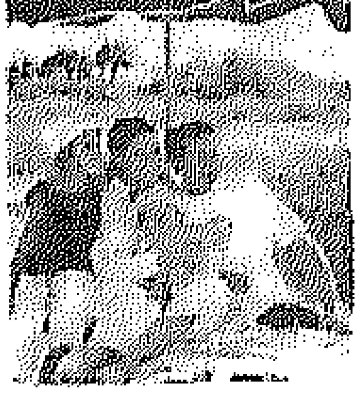
من أجل أن يكون نمو الطفل متناغمًا، ينبغي أن يشمل الحقول كلها في وقت واحد. فانطلاقًا من السنة الثالثة، يأكل وحده ويتعلم الجلوس إلى المادة تدريجيًا وقد يتحمس لمساعدة أمه في أعمال المطبخ. وهو في هذا العمر يُحسن خلع حذائه وحده، ويتوصل إلى غسل وجهه ويديه وحده وكأنه يلعب بالماء، وإلى لبس بعض ثيابه، كما يولي جسده اهتمامًا ويحترم أجساد الآخرين. وبعد ذلك يتمكن من ركوب دراجة بعجلتين فيُهمل دراجته الثلاثية العجلات. أما لغته فتصبح شبه مكتملة، وتغتني ذاكرته يومًا بعد يوم. يتذكر ما أكله في اليوم السابق ويطالب بتحضير أنواع مفضلة من الأطعمة. ولاشك في أن هذا التقدم يُفرح الأم ويحملها على تأمل إنجازاته، إنما عليها الاهتمام بتدريبه أيضًا عن طريق اللعب والتفسير وإعطاء الأمثلة، فتساعده على التقدم نحو استقلال شخصيته.





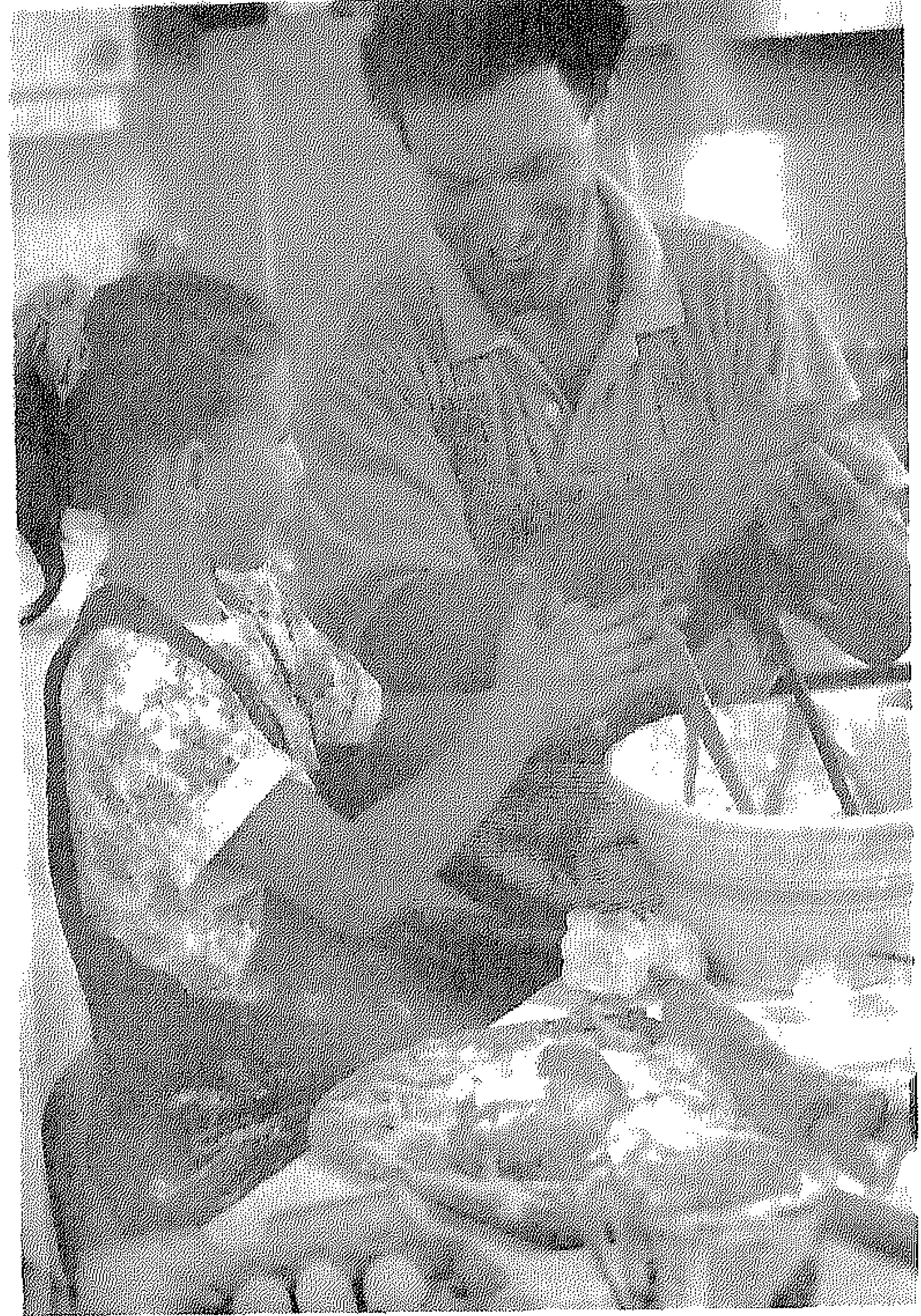
**مساعدته على التصرف وحده:** التدرّب على النظافة الجسدية مسؤوليه عائلية. ففي كل صباح، يمكن أن يتدرب طفلك معك على تنظيف أسنانه بالفرشاة، وكذلك في المساء. أما الحمام فيُعتبر في هذا العمر مناسبة للعب، ثم يتخذ تدريجيًا طابعه المعروف. فالرغبة في الاستحمام تبقى إلى وقت مرتبطة بالمتعة التي كان يشعر بها عندما كان طفلاً، وعندما كان يأخذ حمامه مع أمه أو أبيه أو أحد أخوته. لذلك يمكنك تشجيعه على أن يستحم وحده، مع توجيهه إلى كيفية العمل. ومن جهة أخرى، اطلبي منه أن يتوجه مباشرة إلى المغسلة لتنظيف يديه قبل كل وجبة وبعد الانتهاء من اللعب.

**في البيت:** إذا لم يكن قادرًا بعد على ارتداء ثيابه وحده بشكل صحيح (تزرير قميصه مثلاً أو إقفال سترته)، يمكنه بالمقابل أن يبدأ بخلع حذائه وبعض ثيابه. وباستطاعتك حثه على ترتيب غرفته، انطلاقًا من عدم مزج ثيابه المتسخة بالنظيفة، ووضع أحذيته في المكان المُعد لها، وتجميع لعبه في إحدى الزوايا. إذا



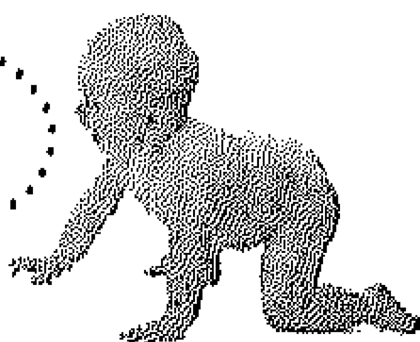


سـاعدته وأثنيت عليه، يتوصل إلى أن يفهم ما تنتظرين منه. يتمكن طفلك من أن يـأكل وحده، ولكنه لا يتوصل إلى تحضير أي نوع من الطعام وحده قبل بلوغه سن العاشرة. لذلك يجب التنبه إلى ما يأكلـه، ليس عند تناول الوجبات فحسب، إنما بينها حينما يصل إلى أشياء متنوعة، غالبًا ما تكون ممنوعة عنه.



وهـو في هـذا العمـر يرغـب في مســاعدتك بأعمــال المطـبخ (ولا سيما في تحضير الحلوى). علـيك أن تغتـنمي الفرصـة لكـي يتفهم معنى المشاركة في أعمـال البيـت. وإذا كنـت تعـتقدين أن تدخلـه يعـرقل العمـل أو يعرضـه لخطـر مـا، فـإن هـناك مجـلات للأطفـال تـتوفر فـيها وصـفات بسيطة لطعام العصرونية ولأنواع مـن الحلوى، وليس في تحضيرها أي خطـــر، وســـيكون فخـــورًا بإنجازهـا أو المسـاهمة بهـا (أنـا حضّرتُ هذا!).

هـذا لا يعـني أن نـتوقع مـن الطفـل أن يكـون مسـؤولاً، دونمـا حـد، عـن أداء واجباته حتى حين يبلغ الخامسة عشرة. (معظم البالغين أنفسهم يمرون في فترات



من انعدام الشعور بالمسؤولية). ومن هنا كان لابد من تذكير الطفل بواجباته، وعليك أيتها الأم أن تتشبثي بالصبر وحاولي أن تجعلي تذكير طفلك بواجباته جزءًا من واجباتك، شريطة أن يتم ذلك بلطف وهدوء وكأنك تخاطبين إنسانًا بالغًا. فالنكد والشكوى المستمرة، وتصغير شأن الطفل، كل ذلك يقتل الشعور بالاعتزاز لدى الطفل عندما يقوم بالأعمال الموكولة إليه. ومن المفيد جدًا أن يكلف الطفل أعمالاً يقوم بها بالتعاون مع أعضاء آخرين من الأسرة، ومن شأن ذلك أن يثير حماسته ويجعله يستمتع بعمله ويتعلق به.

إن بعض الأسر تؤمن بأنه ينبغي أن يكون لكل فرد فيها دور يقوم به، لأن الزمن تقدم وأصبح الأب مشغولاً والأم مشغولة، ولابد أن يساعدهم الأبناء في القيام ببعض واجبات الأسرة.. ولكن هناك بعضًا من الأسر التي لا يؤمن فيها الأب أو الأم بأن يقوم الطفل بالمشاركة في أعمال البيت. إن الأب لا يثق بقدرة ابنه على أن يشتري شيئًا من السوق، والأم لا تطمئن إلى غسيل ابنتها للأطباق. وعندما يسند الأب إلى ابنه مهمة شراء شيء، ولا يوفق ابن، فإن الغيظ يملأ قلب الأب ويقول "خائب منذ خُلقت.. لا تعرف كيف تدير حياتك". وعندما لا توفق الابنة في غسيل الأطباق أو تكسر أحدها، فإن الأم تصرخ "كيف ستديرين بيتك؟".. وهكذا يكفر الآباء والأمهات بقدرة الابن أو البنت على المساعدة في أعمال المنزل وتكون النتيجة أن يعيش الابن أو الابنة معزولين تمامًا عن المشاركة في أعمال الأسرة.





وهـنـاك بعض الآبـاء والأمهات الذيــن يــتذكرون الأيــام الخوالـــي، عـندما كـانوا أطفـالاً وكـان آبـاؤهم يـرهقونهم بـالعمل في المنزل. وهـؤلاء الآباء والأمهـات يقولـون كيـف أرهـق أبـنائي بـالعمل طـوال الوقـت كمـا حـدث لـي؟ إن الإنسـان لا يعيش طفـلاً إلا مـرة واحدة. ولهذا يجب أن يتمتع الطفل بحياته كما يرغب". ولكن، ليس هذا هو الرأي الصواب.

**مـلاحـظـــة**

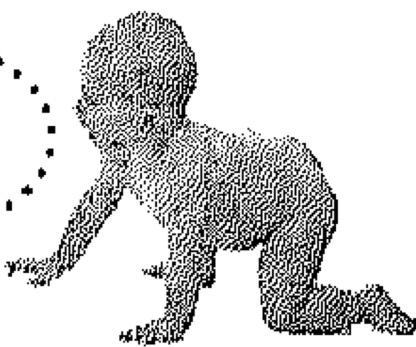
إن الطفل يزول عنه أي حرج إذا ما تعوّد أن يساعد الأسرة في كل أعمال البيت، في حين أنـه يغـرق في الارتبـاك والحـرج إن لم يتعود منذ طفلته على هذه المشاركة.

**هل نحدد أجرًا للطفل جزاء قيامه بجزء من أعمال المنزل؟**

إن الأمـر طبعًا يختلف من أسـرة إلى أخرى.. وذلـك حسـب الإمكانـات المادية لكل أسـرة ويمكـن طبعًا تخصيص جزء من دخل الأسـرة لـهذا البند. ويمكـن أن يشجع هذا الطفل على كسب بعض المال.. ثم نـوع العمـل نفسـه الـذي يقـوم به وهل هو مسل لـه أم لا.. إن الطفل عندما يعرف أنـه سينال أجرًا بعد أن يتم عملاً ما فإن ذلك يشكل حافزًا لـه كما هو حافـز بالنسبة للكبار أيضًا. ولكن هل معنى ذلك أن نعطي الطفل "نقودًا" كلما قام بأي عمل بحيث تصبح على لسانه كلمة "كم ستدفع لي؟".

**ملاحظة**

نـنحن الكبار، ننسـى دائمًـا أنـه علينا عند بلوغ الطفل العـام الـرابع مـن العمـر أن ندرّبه علـى الاهتمام بنفسه وبالـــنـاس المحـــيطين بــــه وخصوصًا الذين يحبهم.



إذن، الأجر مهم بشرط ألا يتحول إلى شيء مطلوب على كل عمل يؤديه الطفل. إن النقود محبوبة من الكبار والصغار.. والنقود التي يأخذها الطفل كأجر على عمل هي نقود لذيذة جدًا لأنها جاءت بعد أن مارس مسؤولية ما وأنجز ما عليه من واجب، وهي تتيح للطفل أن يشتري بعض الأشياء التي قد لا تشتريها له الأسرة..

قد يرفض الطفل في بعض الأحيان مساعدة الأسرة في عمل ما، لماذا؟

إنّ رفْض الطفل وعصيانه ينبع من أنه يشعر بالإهانة، وأن كل أنواع العمل كريهة وأن أي عمل هو إجراء ظالم. وهذا الإحساس لا يأتي عادة إلا في ظل ظروف من الخلاف الشديد بين الأسرة وابنها أو ابنتها.

إن السبب في رفض الابن أو الابنة للقيام بأي عمل للمساعدة في أعمال المنزل ينبع أساسًا من نبرة صوت الأب أو صوت الأم، ومن أسلوب تعبير الأب أو الأم عندما يكلّف الطفل بعمل ما، أو يذكره أحد بمسؤولية ما يجب أن يقوم بها.

لابد أن نطلب منهم القيام بالأعمال التي نريد أن يقوموا بها بلهجة وديعة.. وفيها إحساس بالصداقة. وأن نساعدهم نحن في أداء هذه الأعمال. كل ذلك يمكن أن ينمي في أعماق الطفل الثقة والحب والرغبة في تحمل مسؤولية القيام بالأعمال التي نريده أن يقوم بها. ولكن إذا تسرعنا في إلقاء الأوامر وطلبنا أن يقوم الأطفال بكل

**ملاحظة**

ليس المهم هو عدد الأعمال التي نسندها إلى الطفل.. ولكن من المهم أن يشعر بأنه ملتزم ومسؤول عن مشاركة الأسرة في ترتيب أمور الحياة داخل المنزل

الأعمـال وحدهـم فإن حمـاس الطفل منهم يتلاشى كالبخار الذي يتسرب بسرعة. ومـن المؤكـد أن إشـراك الأب لابـنه في القـيام بعمـل مـا.. يعطـي الابـن الإحسـاس بالمساواة والصداقة والإحساس الطيب الذي تخلقه الصداقة.

## سابعـاً - التربيـة الجنسيـة

يسود الظن بأن التربية الجنسية تعني محاضرة في المدرسة أو حديثًا جديًا في البيت. والحق أن هـذه نظـرة ضيقة جدًا بالنسبة للموضوع، إذ أن الطفل يتعلق "واقع الحياة" طيلة فترة طفولته. فإذا لم يختر الوجه الصالح من هـذا الواقع، اختار الوجه الطالح منه. فموضوع الجنس لا يتوقف عند معرفة الطريقة التي يتكون فيها الطفل في بطن أمه. إنه يشتمل على جميع روابط الرجل بالمرأة، ومكان كل منهما في هـذه الدنيا. وإذا فرضنا أن رجلاً يعامل زوجته معاملة سيئة، فكيف يمكن لنا أن نعلم ابنه في المدرسة، أن الزواج هو علاقة حب واحترام متبادلين. وعندما يتعرف هذا الطفل إلى العلاقة الجنسية بين الزوجين، فإنه ينظر إليها من زاوية معاملة أبيه السيئة لأمه. ولنفرض أن بنتًا نشأت في عائلة تفضل الصبيان على البنات. فمن الطبيعي أن يتولد لدى هـذه البنت شعور بالحقد تجاه الرجال، واقتناع بأن المستفيد الأوحد من العلاقة الجنسية هو الرجل. فعلى الرغم من جميع المحاضرات التي تستمع إليها، والكتب التي تقرأها عن الجنس والزواج، فإنها لا تتزحزح عن اقتناعها بأن الرجل يحتكر جميع الامتيازات، وأن المرأة هي الضحية على الدوام. ولا يزول اعتقادها هذا حتى بعد الزواج.

وهكذا نلاحظ أن التربية الجنسية تبدأ لدى الطفل، حالما يتبين نوع العلاقة القائمة بين والديه، وشعورهما تجاه البنين والبنات.

الهاجس الأكبر عند الأهل فيما يتعلق بتربية أولادهم يتلخص بالأسئلة التالية: ماذا يجب أن نقول للأولاد بالنسبة للأمور الجنسية وما لا يجب أن نقول؟.. ومتى يجب أن نتحدث معهم عن هذه الأمور؟ وكيف نرشد أولادنا إلى السلوك الجنسي الصحيح دون الخوض في مواضيع محرجة لهم ولنا على السواء؟ ما هو الأسلوب الصحيح للتحدث عن هذه الأمور؟ ما هي الحدود التي لا يتوجب تخطيها؟...

تبرز الفضولية الجنسية عند الأطفال بين العام الثاني والعام الخامس، فالأولاد في هذا العمر يريدون أن يعرفوا كل شيء وسبب كل شيء، فإذا شاهدوا شخصًا معاقًا، يريدون معرفة ماذا حصل لهذا الشخص ثم يضعون أنفسهم مكانه ويتساءلوا بقلق إذا كانوا سيصابون بهذه الإعاقة..

وفي هذا العمل أيضًا، تبرز المخاوف من الفروقات بين الجنسين، فعندما يرى ابن الثلاث سنوات أخته عارية يتعجب لعدم وجود عضو لديها مثله، فيسأل عنه، وإذا لم يحصل على إجابة مقنعة، قد يعتقد أن أذى ما قد أصابها، ويلي ذلك الفكرة المقلقة: "نفس الشيء قد يحصل لي!". هذه المخاوف عند الذكور والإناث قد تأخذ أشكالاً عديدة.





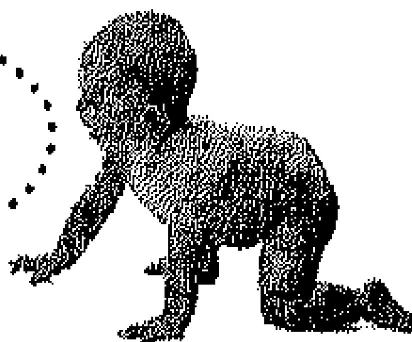
**الإدراك الجنسي عند الأطفال:**

في الشهر السادس، يكتشف المولود أعضاءه التناسلية، وفي عمر السنتين، يصبح لمس العضو نشاطًا بحد ذاته، ويزداد هذا السلوك خلال الاستحمام أو ارتداء الملابس. ويبقى هذا السلوك إجمالاً حتى الأربع سنوات حيث يبدأ بالاختفاء تدريجيًا.

في عمر الخمس سنوات، يعود هذا السلوك بحدة، ونلاحظ عند الطفل في هذا العمر اهتمامًا كبيرًا بجسده وبجسد الآخرين، خاصة أمه، فيعانقها بشدة، ويلتصق بها بقوة، ويلمس جسدها باستمرار حتى أنه يريد أن يلمس الأعضاء المخفية تحت الملابس، ويمازحها كثيرًا من خلال مداعبات جسدية متنوعة. كذلك في هذا العمر، يستمتع كثيرًا بلعب دور الطبيب من خلال لعبه مع الأولاد الآخرين. وتبرز بعض السلوكيات التي توحي بالسلوك الجنسي، عند بعض الأولاد، مثل بعض الحركات المتكررة حيث يلقي الطفل نفسه على السرير ويقوم بحركات إيقاعية بساقيه، أو يضع يده تحت بطنه ويتمايل على السرير بتكرار بعض الحركات..

ابتداءً من عمر الست سنوات حتى ابتداء فترة المراهقة، تخف كل هذه الاهتمامات الجنسية بشكل ملحوظ، إذ أن الطفل يدخل هنا في مرحلة "مستقرة" حيث يبدو وكأنه يتحكم بغريزته الجنسية، وهذا أمر طبيعي إذ أن الطفل في هذا الأمر يفهم بكل وضوح الفرق بين السلوك الصحيح والسلوك الخاطئ، وكل المعاني الأخلاقية المتعلقة بالسلوك المقبول اجتماعيًا. كذلك في هذه المرحلة أيضًا، يصبح عند الأولاد اهتمامات أخرى عديدة (صداقات، نشاطات رياضية)، كما نلاحظ





أيضًا انفصالاً اجتماعيًا بين الصبيان والبنات، فالصبيان يفضلون اللعب مع الصبيان، والبنات مع البنات، وكأن هناك كراهية للجنس الآخر.

## كيف نتصرف حيال سلوك الطفل الجنسي؟

في السنة الأولى، لا يجوز ضرب الطفل عندما يلمس عضوه، هذا يجعله أكثر عزمًا على متابعة التصرف. ومن الأفضل أن نلهيه بأي نشاط آخر فور حدوث هذا السلوك.

بين العام الثاني والعام الثالث، يجب على الأهل أن يفهموا أن السلوك الاستكشافي الجنسي عند ولدهم أمر طبيعي، وأن لمس العضو الجنسي عنده هو فقط تعبير عن خوف معين ينبع من مزيج من القلق والغموض اللذين يرافقان اكتشاف الفروقات الجنسية. لا يجب أن نقول للطفل: "سوف تجرح نفسك" لأن ذلك سوف يؤكد مخاوفه. كذلك، لا يجب أن نرعبه "هذا عمل شرير، لا تقم به"، أو أن نهدده "إذا فعلت هذا، لن أحبك بعد الآن"، لأن هذا الأسلوب من شأنه تطوير مخاوف من نوع آخر، وإذا طرح الطفل أسئلة حول الفرق بين الجنسين، لا يجب تأنيبه "عيب! لا يجب أن تسأل هكذا أسئلة" أو أن نرفض الإجابة عن أسئلته، فهذا يولّد عند الطفل شعورًا بأنه يتداول بمواضيع خطيرة، مما يزيد القلق عنده وبنفس الوقت الفضولية حيال هذه الأمور. كذلك، لا يجوز أن نلقي المحاضرات المهيبة بشكل رسمي وكأننا نلقنه درسًا مهمًا جدًا.

هذا الاهتمام المبكر بالجنس، إذا كان معتدلاً، أمر طبيعي وينبغي ألا نقلق منه. أما إذا كان الطفل مأخوذ بأمور الجنس، أو أنه يمارس نشاطًا جنسيًا شاذًا

منفردًا أو بالاشتراك مع أطفال آخرين فلا يجوز أن نتجاهل الأمر، إلا أنه، ينبغي في الوقت نفسه، ألا يُعامل الطفل معاملة من ارتكب جرمًا. على الأم أن توضح له بالحسنى أن عملاً كهذا لا يليق بطفل مهذب مثله، وأنها متأكدة من أنه لن يعود إلى ممارسته مرة أخرى. وعليها مراقبة تصرفاته مع رفاقه، دون أن يبدو عليها أنها تتجسس على تحركاته.

كل ما علينا القيام به هو فقط أن نفسر للطفل أن "النساء هكذا والرجال هكذا". وإعطاء أمثلة حية من أشخاص يعرفهم الطفل ويحبهم، من دون أي تفسيرات معمّقة حول التفاصيل البيولوجية. يجب إعطاء هذا التفسير فور انتباهنا أن الطفل بالفعل مذعور من اكتشافه هذا. كما لا يجب أن نُدخل في ذهن الطفل أن لمس الأعضاء أمر شرير وأنه سوف يمرض، أو يصبح مجنونًا أو ضريرًا، كما كان أجدادنا يعتقدون... فإنه من الخطأ أن نزرع مخاوف عميقة في ذهن الأولاد، لأن ذلك قد يؤثر سلبيًا على تطورهم الجنسي لاحقًا.

وقد تكون مداعبة الأعضاء التناسلية دليلاً على التوتر أو القلق في أي مرحلة من العمر، فهناك أطفال من جميع الأعمار يداعبون أعضاءهم التناسلية حتى في الأماكن العامة وأمام الناس. إنهم لا يدركون، على ما يبدو، ماذا يفعلون، وتظهر عليهم إمارات التوتر والقلق. فأعصابهم ليست متوترة بسبب استسلامهم للاستمناء، بل السبب في استسلامهم للاستمناء توتر أعصابهم. وينبغي لمن يتولى رعاية الطفل في حالة كهذه أن يبحث عن أسباب التوتر لدى الطفل، لا أن يحاول ردعه عن الاستمناء بصورة مباشرة. فقد يكون الطفل مذعورًا بسبب إصابة أمه

بمرض ما ويخشى أن تموت، فلا يستطيع أن يركز اهتمامه على دروسه في الصف، بل يروح يداعب أعضاءه التناسلية بصورة لا شعورية ويتطلع من النافذة إلى الخارج. وقد يكون الطفل غير منسجم مع أترابه ومنعزلاً عن العالم المحيط به، فليجأ إلى الاستمناء كوسيلة لتهدئة اضطراب نفسه. وينبغي في حالات كهذه استشارة طبيب نفساني.

وهناك أطفال يداعبون أعضاءهم التناسلية عند شعورهم بالحاجة إلى التبويل، وبوجه خاص أولئك الذين يتباطأون في قضاء حاجتهم. وهذه الحالة لا تستدعي القلق.

**ملاحظة**

ليس المزعج هو حجم العري الذي يراه الطفل من جسد الأب أو الأم أو من جسده هو أو جسد أخته.. إنما المزعج هو الأسلوب الخاطئ الذي يتخذه بعض الآباء والأمهات نحو ذلك الأمر.

**اختلاف التصرف باختلاف الجنس:**

عندما يدرك الأولاد ما يفرق بينهم جنسيًا، يختلف تصرفهم بحسب الجنس الذي ينتمي إليه كل طفل. ويرى المحللون النفسانيون أن الصبيان يفتخرون بامتلاكهم القضيب ويخافون من فقده، لا سيما وأنهم يخشون أن يعاقبوا بهذه الطريقة على الحب الذي يحملونه تجاه الأم، وهذا ما يطلقون عليه اسم قلق الخصي. وهم يرغبون في إظهار قوتهم، من دون أن يُحسنوا التمييز بين القوة




والعدوانية. فعندما يُلامون على التصرف العدواني، قد يتوهمون أن اللوم موجه إليهم لأنهم من الذكور. وتأتي ردة فعلهم إزاء هذا الأمر بإحدى طريقتين: إما بمحاولة إثبات قوتهم بشكل دائم، مع الاعتداد البالغ بها؛ أو بالتخلي المؤقت عن هذه القوة، خوف القصاص، واعتماد أسلوب اللطف والطاعة.

أما البنات فيعمدن إلى تقليد الصبيان أول الأمر ويرغبن في اتخاذ أدوارهم. ثم يرجعن إلى طبيعتهن التي تتسم بالرقة، ويحاولن كسب رضى الأب على الأخص. وعبر الحب تجاه الأب، يشعرن بلذة الانتماء إلى الإناث، ويتخلّين تدريجيًا عن تقليد الصبيان من أجل التشبه بأمهاتهن.

يجب قبل كل شيء تقدير الخصائص المتعلقة بكل من الجنسين في العلاقة مع الأطفال، مع المحافظة على العلاقة المميزة مع الزوج (والزوج في علاقته مع الزوجة). وذلك من أجل أن يرغب الأولاد بالتشبه بأحد الوالدين الذي ينتمي إلى جنسه.

**الفضول الجنسي:**

يُظهر الأولاد فضولاً كبيرًا في كل ما يتعلق بالحياة الجنسية، ويزداد قوة مع أحداث معينة، كولادة أخ أو أخت مثلاً. وفي كل الأحوال، يكون هذا الفضول منطقيًا. ينبغي أن يجتهد الوالدان في إيجاد الأجوبة عن الأسئلة المتنوعة التي يطرحها الأولاد، مع شروح واضحة، لئلا يكوّنوا أفكارًا خاطئة ومقلقة، بسبب معلومات غير وافية أو غير واضحة. وهكذا فإن الطفل، منذ الثالثة من عمره، يريد أن يعرف من أين يأتي الأطفال؛ وفي حدود الرابعة، يُظهر رغبته في أن يتزوج،

عندما يكبر، بأحد أعضاء العائلة: أب، أم، أخ، أخت.. وفي هذه الحالة، ينبغي أن شرح له استحالة الزواج من أحد هؤلاء، لأنهم من العائلة التي ينتمي إليها.

لابد من أن يطرح طفلك عليك هذا السؤال عندما يبلغ الثالثة. ومن الأفضل والأسهل أن تخبريه بالحقيقة، بدلاً من أن تلفقي له قصة خيالية، وتضطري فيما بعد إلى التراجع عنها. حاولي أن تجيبي بالبساطة نفسها التي يطرح بها طفلك سؤال. قولي له، مثلاً، أن الطفل ينمو في مكان خاص داخل بطن أمه، ولا تزيدي على ذلك شيئًا آخر. وعندما يقفز إلى السؤال التالي الذي قد يطرحه بعد بضع دقائق أو بضعة أشهر، والذي يتصل بكيفية دخول الطفل إلى بطن أمه وخروجه منها، لا تبدي أي حرج أو تتصوري أنه يطلب البحث في العلاقات الجنسية. إن تفكيره لم يتطور إلى هذا الحد بعد. أما تحليله لكيفية وصول الطفل إلى بطن أمه فينحصر في تشبيهه بالطعام الذي يصل إلى البطن عن طريق الفم. لذلك يمكنك القول بأن الأم تبتلع بذرة تنمو في بطنها ويتكون منها الطفل. ويستحسن أن لا تبعدي الوالد كليًا عن الصورة التي تحاولي تكوينها في مخليته بالنسبة لهذا الأمر. لذلك يمكنك أن تضيفي بأن الأب هو الشخص الذي يقدم إلى الأم البذرة التي يتكون منها الطفل.

**من أين يأتي الأطفال؟**

بعد عمر الثالثة، يسأل الطفل الكبار عن كيفية تكوّن الطفل وعملية الولادة، وباستطاعته في هذا العمر أن يفهم بأن ذلك يتم بعد اللقاء الجنسي، أي عن طريق التقاء "بذور" من الرجل والمرأة. وهذا الطفل ينمو ويتطور في بطن أمه، إلى أن يأتي يوم يولد فيه من فتحة في جسم المرأة. وهذه الفتحة هي غير الفم أو الشرج.

أمـا عـن السـؤال المتعلق بالمكان الذي يخرج منه الطفل، فبإمكانك أن تجيبي أن هناك فتحة خاصة في بطن الأم يخرج منها الطفل بعد أن ينمو ويزداد حجمه.

عواقب الجواب المغاير للحقيقة: هناك أكثر من سبب يفرض تجنب إعطاء جواب مغاير للحقيقة. إننا نعلم أنه إذا حضرت إلى زيارة أم الطفل امرأة حامل، أو إذا كانت أمه نفسها حاملاً، فإن الطفل ابن الثالثة، يشتبه في المكان الذي ينمو فيه الأطفال استنادًا إلى انتفاخ بطن الزائرة أو بطن أمه، وإلى الحديث الذي لابد أن يدور بينهما عن الحمل.

فإذا كانت أمه قد أخبرته شيئًا مغايرًا لما يشك الآن في أنه الحقيقة، فإنه يقع فريسة الحيرة والقلق. وحتى لو لم يشك في أي شيء في سن الثالثة، فإنه حتمًا سيكشف الحقيقة، أو نصفها على الأقل، عندما يبلغ الخامسة أو السابعة أو التاسعة. لذلك، من الأفضل أن لا تتركي له مجالاً للظن فيما بعد، في أنك تكذبين عليه. إن سابقة كهذه تزعزع ثقته في أقوالك، وتقيم حاجزًا بينكما، وتحول بينه وبين طرح الأسئلة عليك عندما يكون مضطربًا وفي حاجة إلى مساعدتك. والسبب الآخر يدعو إلى اطلاع الطفل ابن الثالثة على الحقيقة، هو أن الطفل في هذه السن، يرضى بأجوبة بسيطة، وهذا يتيح لك فرصة للتدرب على الإجابة عن الأسئلة الصعبة التي لابد أن يطرحها عليك فيما بعد.

**اعلمي**

اعلمي أن الأسئلة التي تتسبب في إحراجك ليست بالنسبة إلى طفلك إلا نوعًا من الفضول وحب الاستطلاع.

اعلمي أن طفلك قد يطرح عليك أسئلته المحرجة في أوقات غير مناسبة. فقد يحدث ذلك مثلاً وأنت خارج المنزل تتحدثين إلى إحدى جاراتك، أو تبتاعين شيئًا من إحدى الدكاكين. ففي حالة كهذه، حاولي أن لا تسكتيه بقسوة، وحاولي إفهامه أنك تفضلين الإجابة عن سؤال كهذا في المنزل، لأنه يتطلب شرحًا وافيًا، وليس لديك الآن متسع من الوقت لذلك. ومن المحتمل أنه عند بلوغه الرابعة أو الخامسة، أن يسألك لماذا لا يأتي الأطفال إلا بعد الزواج، أو ما علاقة الأب في ذلك. ولا تترددي عند طرح هذا السؤال في أن تجيبي، إن البذرة التي ينشأ منها الطفل تخرج من قضيب الأب وتدخل إلى المكان الذي ينمو فيه الطفل. إنه يرضى بجواب كهذا في الوقت الراهن، ولن يطلب المزيد من الشرح إلا بعد مرور فترة طويلة من الزمن. عندئذ يمكن لك أن تشرحي له بطريقتك الخاصة شيئًا عن العناق والوصال بين الذكر والأنثى.

**تساؤل**

**يتساءل طفل لماذا ينام والداه في سرير واحد؟**

عند بلوغه الخامسة من عمره، يتساءل الطفل عن طبيعة العلاقة التي تربط أبويه، بعد أن يرى الواحد يقبّل الآخر وبعد أن يلاحظ رغبتهما في الاختلاء عن أولادهما. وهو في هذا العمر يتوصل إلى معرفة أسماء الأعضاء التناسلية ودورها. ويستحسن أن يعرف أن اللذة ترافق العمل الجنسي بين شخصين متحابيّن، كما ينبغي أن يعرف الفرق بين العلاقة الجنسية والإنجاب. وعندما يجد الأجوبة مقنعة، فإن فضوله يتحول إلى قضايا أخرى تهمه.





**جسد عاري أمام الطفل:**

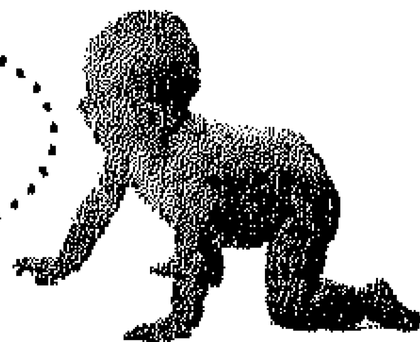
إنـه مـن الأسـهل علـى معظـم الأطفـال أن يصلـوا بطريقـة مـا إلـى نتائـج معقولـة بشـأن الفـروق بـين الذكـر والأنثـى مـن خـلال رؤيـة غيرهـم مـن الأطفـال، بـدلاً مـن ملاحظـة آبـائهم وأمهـاتهم. والسبب الرئيسـي في ذلـك هـو أن مشـاعر الحب والغيرة والإحسـاس بالذنـب تكـون نحـو الوالديـن أشـد حـدة وعمقـاً منهـا نحـو الأطفـال الآخـرين.. ذلـك أن مثـل هـذه المشـاعر تحـدد موقـف الأطفـال مـن أي مسـألة. إلا أن الاخـتلاف بـين الكبـار والصـغار في هـذا المجـال يمكـن أن يكـون عـاملاً مـن عوامـل الحيرة بالنسبة للطفل الصغير.

فـإذا وقعـت عـين الطفـل علـى عـورة أبيـه ورأى شـعر العانـة، فإنـه يحتـار في تفسيرها. وكذلك الأمر بالقياس إلى الأم أو أية امرأة أخرى.

ثـم إن الأطفـال يقـارنون بين أنفسهم وبين آبائهم في هـذه المسألة إذا مـا دخلوا للاستحمام معًـا. أمـا عـن مقارنـة الطفـل بأصـدقائه فـإن الفـروق والاخـتلافات لا تؤدي عادة إلى حيرة الطفل كما هو الشأن مع الأبوين.

وتبقى بعـد ذلـك ناحيـة واحـدة في مسـألة العري يجـب أن نبحثهـا، وهـي تتعلق بدرجة الحياء بالقياس إلى المراحل المختلفة من النمو.

ففـي مـرحلة العمـر مـا بـين 3 سـنوات و 6، لا يوجـد غالبًـا إلا ميـل معتـدل مـن جانـب الأطفـال للحيـاء إلا إذا درّبـوا علـى ذلـك تدريبًـا مقصـودًا.. وتعتبـر هـذه المرحلـة مـن العمـر متمـيزة بلازمـة "العـرض" الـتي اصـطلح علـماء الـنفس علـى تسميتها



بظاهرة "الرغبة في العري" على اعتبار أنها مرض نفسي يجبر صاحبه على إظهار ما يمنع الحياء أو العفة من فضحه، جسميًا كان أو عقليًا.

إن الأطفال في هذه المرحلة يميلون إلى التلذذ بعرض أجسامهم من حين لآخر. ولكنهم في سن السابعة يدخلون في مرحلة مختلفة من نواح عديدة.. إنها مرحلة تتميز بتحول شديد إلى الحياء، على الأقل في أوقات معينة حتى في نطاق الأسرة التي تتصرف في البيت كما لو كانت في مستعمرة للعراة. لذلك نجد الطفل في هذه السن، عندما يطلب منه أن يخلع ملابسه في عيادة الطبيب، فإنه ينظر بارتباك نحو الباب المفتوح، ويسأل هل من الممكن إغلاقه !.

وقد يصرخ الطفل ساخطًا إذا ما فتح شخص الباب عليه وهو في الحمام يستحم.. وفي اليوم التالي نجده يخلع كل ملابسه بدون اهتمام أو تأنيب للضمير، على الرغم من أن نصف أفراد الأسرة يصادف وجودهم في غرفته في ذلك الوقت.. لذلك فإن خير ما يفعله الآباء والأمهات بعد سن السادسة أو السابعة هو أن يضعوا في اعتبارهم أن الأطفال من الجنسين يرغبون تدريجيًا في أن يخلوا إلى أنفسهم عندما يبدلون ملابسهم أو يستحمون.. ولذلك يجب عليهم أن يتيحوا هذه الخلوة للأبناء على قدر الإمكان.

إن كل أخصائي أو خبير في ميدان الأطفال يوافق اليوم على أن الآباء والأمهات الذين يتحلون بميزة الحياء والاحتشام يجب أن يظلوا كذلك مع أطفالهم.. إن الأم أو الأب الممتلئ بالحياء والذي يحاول أن يتمادى مع "ادعاء





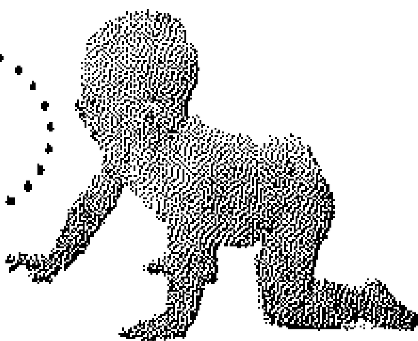
التقدم" بتعرية جسده من أجل تربية طفله، هذا الأب لا يستطيع أن يتخلص من الإحساس بالحرج في أعماق نفسه، وهذا الإحساس بالحرج مهما يحاول إخفاءه لابد أن يظهر للطفل ولابد أن يضره بدلاً من أن ينفعه. إن هذا الحرج يزعج الابن جدًا بدلاً من أن يشيع في نفسه المرونة والموضوعية عندما ينظر إلى أجزاء الجسم المختلفة.

**ملاحظة**

الطفل في عمر الخامسة يميل إلى مقارنة جسمه بجسم البالغ الذي يبدو له كاملاً، ويشعر بأنه أدنى مستوى منه في هذا المجال. وعلى الأم هنا أن تزيل هاجس النمو عنده، وأن تشرح له بأن جسمه يتطور تدريجيًا مع نموه ليصل بدوره إلى الكمال.

ومن جهة أخرى فليس من الضروري أو الصحي بالنسبة للأب أو الأم الذي يقع بصر الطفل عليه مصادفة وهو في الحمام أو عريانًا.. أن يصرخ أن يصيح قائلاً: ياه، أو يتصرف كما لو كان الطفل قد ارتكب جريمة.. إن المبالغة في تأكيد سوء العري لا يولّد سوى الإحساس بالعار الذي لا سبب له وأحيانًا الرغبة في اختلاس النظر إلى العورات.. إن المطلوب فقط هو أن يطلب الأب أو الأم من الطفل الخروج حتى ينتهي من الاستحمام، وهذا لا يزيد عن مجرد التماس تقدمه للطفل لكي يحترم المشاعر.

أما بالنسبة إلى أفراد الأسرة الذين يتعرون أكثر مما يدركون، فإن معظم الأطباء النفسيين قرروا من واقع خبراتهم أن عري الأبوين وكشفهم لما يجب أن يستر، أمر مزعج للطفل، فإنني أميل إلى أن أقترح على كل الآباء والأمهات، أن

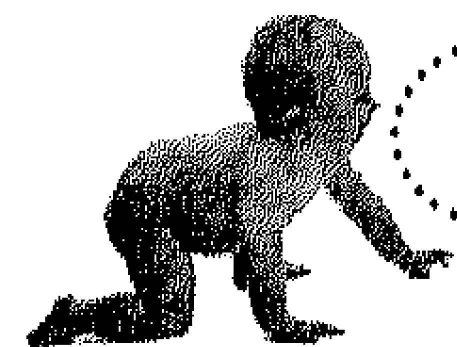






يراعوا ذلك ويستروا ما يجب أن يستر إلى الحد المعقول في وجود الطفل.. دون أن يحيطوا الأمر بهالات الانزعاج العفوية التي تحدث في كل أسرة. وأنا أعتقد أن اتجاهات الأبوين العامة وموقفهما إزاء العري والجنس، وتجاه أطفالهما هي أهم العوامل الرئيسية، وأن مدة الوقت وحجم الأجزاء التي تظهر من الجسم هي مسألة ثانوية.

إن مسائل الحياء والخجل في الجنس من حيث اختلاف الرجل عن المرأة أو اختلاف المرأة عن الرجل شيء طبيعي في الإنسان. وهي لا تسبب مشكلات إلا إذا وقعنا تحت ضغوط شديدة القسوة من التزمت وليس هناك شك في أننا جميعًا كبشر نحتاج إلى أن نختلي بأنفسنا ونحتاج إلى "الخلوة" في بعض نواحي الحياة حتى نحتف لنفسنا ببعض الأسرار.



الفصل

**5**

# الحياة العاطفية والعلاقات العائلية

**التعلق بالأم وتنظيم الانفصال - الخلافات الزوجية.. هل تؤثر في الأبناء؟ - الغيرة والمنافسة بين الأخوة - كيف يواجه الطفل فكرة الموت؟**





# الفصل الخامس
# الحياة العاطفية والعلاقات العائلية

## أولاً - التعلق بالأم وتنظيم الانفصال

في الأسابيع الأولى من عمر الطفل هناك إشارات تساعد الرضيع على تكوين علاقة وطيدة مع الشخص الآخر، كالابتسام والبكاء والتحديق، وكلما استجبنا له، كلما ثابر الرضيع في إرسال هذه الإشارات التي تشجعنا على البقاء بجانبه. ومع أن الرضيع في هذا العمر يستطيع التعرف إلى صوت ورائحة أمه، فإنه غير متعلق بها بحيث أنه لا يمانع أن يُترك في رعاية شخص غريب.

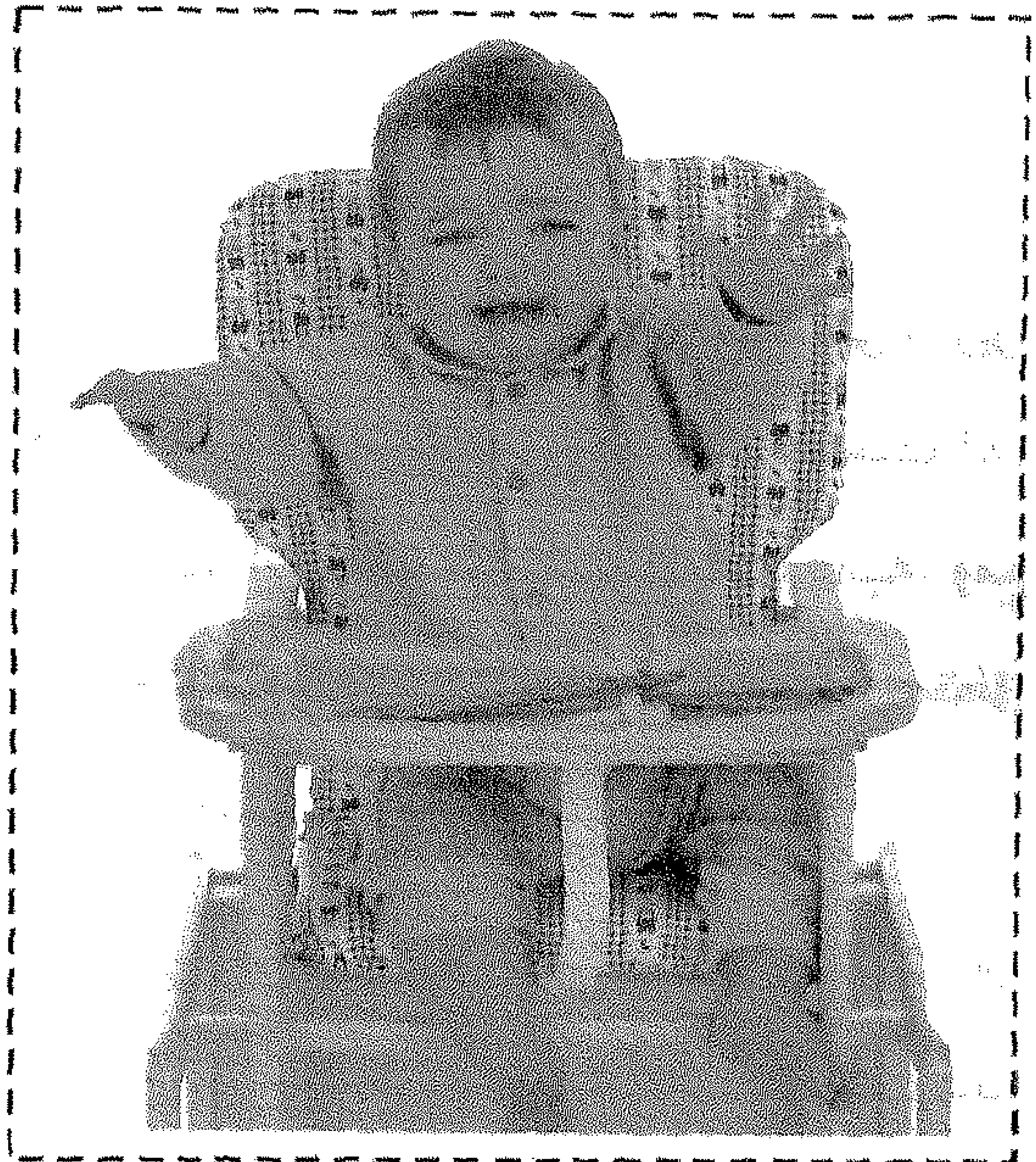
وعندما يقترب الرضيع من إتمام سنته الأولى نلاحظ أنه يبدأ بالتمييز بين الشخص المألوف والشخص الغريب، ويكتشف أن كل تصرفاته تؤثر على تصرفات الناس من حوله، كما أنه يبدأ بتطوير الشعور بالثقة بأن الآخر سوف يستجيب له إذا أشار له بذلك. ونلاحظ أن الانفصال عن الأم لا يزعج الرضيع مع أنه بدأ يميزها بوضوح من الأشخاص الآخرين.

يظهر بعد ذلك التعلق الواضح بالأم بعد السنة الأولى من عمر الطفل، فتنشأ عنده حالة قلق من الانفصال، فيبدي انزعاجًا كبيرًا عندما تغادره أمه. فنلاحظ أن الطفل في هذا العمر يتصرف بهدف إبقاء أمه إلى جانبه: يبقى





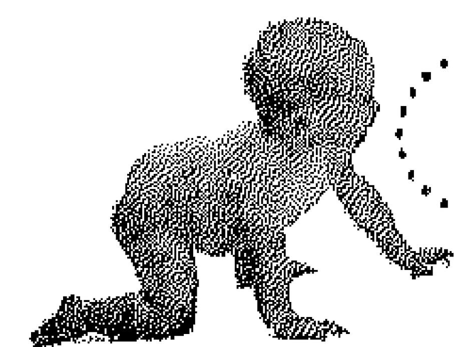
بقربها، يتبعها أينما ذهبت، يتسلق إلى حضنها.. وبالتالي يرى الطفل أمه كقاعدة أمان تنبثق منها كل مبادراته الاستكشافية ومغامراته في محيطه، على أن يعود إليها للدعم العاطفي.



مع انتهاء السنة الثانية، نلاحظ أن قلق الانفصال يبدأ بالتدني، وأن الطفل أصبح يستخدم استراتيجيات أخرى لإبقاء أمه إلى جانبه، استراتيجيات مبنية أكثر على الحوار والإقناع والمفاوضة بدلاً من الأساليب التي كان يستعملها سابقاً، كالالتصاق بها، وتتبع خطواتها والتشبث بأحضانها.

يكتسب الطفل نوعًا من الحرية واستقلال الشخصية عند بلوغه الثالثة من عمره. وهذا ما يساعده على تحمّل الانفصال المؤقت عن أهله، من أجل حفلة ساهرة، أو عطلة آخر الأسبوع، أو رحلة. ينبغي تحضير الطفل بعناية كي يتقبل هذا الانفصال.

يتمكن الطفل، في هذا العمر، من استحضار الأشخاص الذين يحبهم، حتى في حال غيابهم عنه. فيتخيلهم معه ويخاطبهم لعلمه أن غيابهم ليس دائمًا،





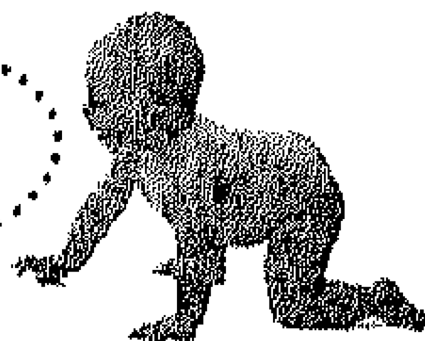
ويصبح انفصالهم عنه أقل عناءً وقلقاً. مع ذلك، يبقى بحاجة إلى التحضير، لئلا يضطرب بسبب شعوره المفاجئ بالحرمان، وفي سبيل ذلك تتخذ الاحتياطات الضرورية.

**تحاشي القلق**

لا تتغيب عن الطفل من دون أن تعلميه بذلك، مهما كان عمره. وأظهري له فرحك لأن باستطاعته الآن أن يتخلى بعض الوقت عنك. وقبل كل تغيّب، ولو قصير، اشرحي له كيف سيمضي الوقت من دونك، ومن سيهتم به، وأين، وكم سيطول غيابك..

احرصي على أن تكون لعبه المفضلة بصحبته، وكرّسي الوقت الكافي لوداعه، ولكن من دون أن ترضخي لبكائه أو تطيلي كثيراً في ذلك. ولا تعديه بالعودة السريعة في الوقت الذي لا تكون فعلاً كذلك. وليكن الأشخاص المهتمون به من الذين يعرفهم جيداً، كما يستحسن أن يكون، في كل مرة، بعهدة الأشخاص أنفسهم

النصيحة الأولى هي أنه عليك إعلام الطفل بمغادرتك المنزل، أو بأنك ستبتعدين عنه لبعض الوقت. اشرحي له دوافع هذا الانفصال وأسبابه، وحددي له وقت غيابك، وسمي له من يهتم به وأين. احرصي على وداعه، على الرغم من بكائه، واعمدي إلى تقبيله قبل أن ينام إذا كان غيابك عنه في المساء. والمهم في كل ذلك ألا تغيبي عنه من دون معرفته. وإذا كان عليه أن يتغيب بضعة أيام خارج البيت، دعيه يحمل معه أغراضه الخاصة، ولاسيما دميته المفضلة التي تذكره بمنزله وتساعده على النوم. ولا تعديه بشيء لست متأكدة من تحقيقه (بالعودة في



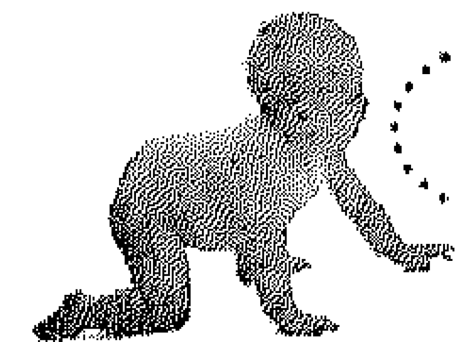


ساعة معينة، باتصال هاتفي)، لئلا يفقد ثقته بك وتسببي له شعورًا بالقلق، وأخبريه بما ستفعلينه في غيابه. وإذا ما اضطر والده إلى التغيّب عدة أيام، تحدثي مع ولدك عنه من حين إلى آخر، وأطلعيه على كل جديد عندما يكون الولد صغيرًا، يقبل بسهولة أكبر فكرة الابتعاد عن أهله، إذا وُضع في رعاية كبار يعرفهم جيدًا أو يرتاح لهم. كما يستحسن أن يوضع الولد تحت رعاية الأشخاص، أنفسهم، عند التغيب القصير والمتكرر.

**ملاحظة**

قد يشكو ولدك، بسبب غيابك عنه، من آلام متنوعة، ولا ينام جيدًا. وقد يرتد إلى مشاكل متعلقة بالغذاء، والكلام، والنظافة، وهذا كله يكون تعبيرًا عن رفضه غيابك. وعند عودتك، قد يتظاهر بعدم الاكتراث لك وبشيء من العدوانية، كما قد يطلب على العكس المزيد من العطف. وهذه صعوبات عابرة إجمالاً، ويقضي الأمر بأن تأخذي بعين الاعتبار استياءه وقلقه، من دون أن تعاودي شرح الأسباب التي جعلتك تبتعدين عنه. والواقع أن الانفصال لا يسبب المشاكل للطفل وحده، وإنما للأهل أيضًا، فيشعرون بنوع من الذنب، أو لا يقبلون إلا بصعوبة وضع الطفل في عهدة الغير الذي يعتبرونه أحيانًا منافسًا.

تبقى تجارب الانفصال ضرورية في توجيه الطفل نحو اكتساب شخصيته المستقلة. لذلك يجب الإقدام عليها من دون فسح المجال أمام الشعور بالذنب، مع الحرص على التخفيف من الاكتئاب الذي قد يشعر به الطفل



## ثانياً - الخلافات الزوجية .. هل تؤثر في الأبناء؟

**ملاحظة**

أن تكون الخلافات كثيرة.. فهذا لا يهم. المهم هو أن نجد دائمًا أسلوبًا للتفاهم نزيل به أي خلاف. والمهم أيضًا ألا تعرض خلافتنا الأبناء إلى الإصابة بالقلق الدائم وعدم الإحساس بالطمأنينة والاستقرار

صحيح أنه من الأفضل أن يتعلم الطفل حقيقة الغضب من أناس آخرين غير والديه، وصحيح أنه من الأسلم أن يرى انقلابات الزواج الكئيبة، في شخصيات آخر غير شخصيات الأب أو الأم، لأن اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائمًا إلى تماسك العلاقة بين الوالدين ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة. وصحيح أن عددًا كبيرًا من هؤلاء الذين نشأوا في بيوت قادرة على التمييز الدقيق بين الصواب والخطأ هم الذين تقدموا في الحياة لأن آباءهم كانوا يكتمون الغضب فلا يظهر بشكل حاد لأن هؤلاء الآباء حاولوا أن يبتعدوا بأبنائهم عن آثار الغضب العنيف، ذلك أن الغضب العنيف بين الوالدين تنعكس آثاره على الأبناء، ولكن من الصحيح أيضًا أن كتمان الغضب بشكل صارم لا يمنع الأطفال أبدًا من الإحساس بوجود شيء ما غير طبيعي في سماء العلاقة بين الوالدين.

إن الأطفال يشعرون بما هو غريب في حالة آبائهم المزاجية، بل إننا نذهب إلى مدى القول بأن بعض الأبناء، يؤثر فيهم الخلاف غير المعلن تأثيرًا أشد من ذلك الخلاف الصاخب الذي ينتهي بسرعة. بل إن بعض الآراء العلمية الحديثة تقول أن أحد أسباب "الربو" في سنوات الطفولة الأولى هو الخلاف المكتوم بين الزوجين.

إن ذلك الصمت المليء بالغيظ المكتوم بين الزوجين بعد أي خلاف قد يستمر طوال النهار وقد تتخلله أكثر من مناقشة حادة تنفجر لمدة دقائق وتنقل الصورة العامة للخلاف إلى الأبناء. وليس معنى ذلك أننا ندعو إلى أن تقذف الزوجة زوجه بطبق عندما تغضب منه ولا نتصور أن يصفع الزوج زوجته إذا شعر بضيق منها، طبعًا لا أحد يستطيع أن يدعو إلى ذلك. إن ذلك لو حدث أمام الطفل فإن آثار هذا الخلاف المهين لأحد الطرفين تستمر في تدمير اطمئنان الطفل إلى زمن بعيد.

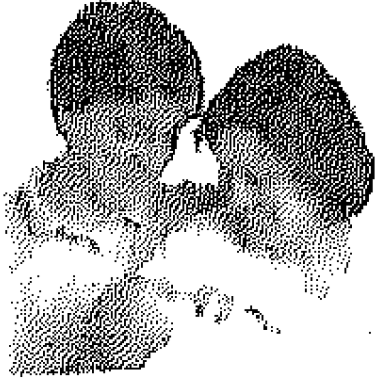
**نصيحة**

النصيحة الأولى التي توجه إلى الزوجين عندما يختلفان هي: لابد من ضبط الأعصاب، لأن آثار ذلك تنعكس على الأبناء

إنها تدمر الإحساس بالأمان في أعماق الابن وتجعله يشعر أن "النموذج العاطفي" يهتز ويجعله يتشكك في معظم العلاقات التي هي من هذا النوع ويستمر إحساس الابن بالعار والخجل والذنب ليس المهم هو طريقة الخلاف أو على ماذا يكون الخلاف بين الأب والأم أو حتى عدد

مرات الخلاف. إنما أهم ما يجب أن ننتبه له هو ما تأثير الخلاف على العلاقة الأساسية بين الزوجين وهل نختار طريقة التعبير المتحضرة ذات الأسلوب الراقي في أي خلاف أو صدام بين الآراء؟

والمهم أيضًا أن يؤكد الوالدان للأبناء أن الحب بينهما قوي وأن الاحترام بينهما قائم – وأنهما لا يختلفان حول أهداف الحياة الأساسية وهي تربية الأبناء ومساعدتهم في بناء المستقبل – وأن الخلاف كان حول مسائل ليست خطيرة..





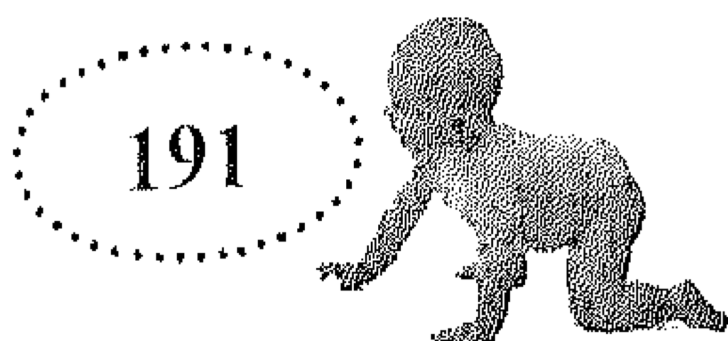
**الطـلاق:**

إن انفصـال الوالديـن يؤثـر عـلى جمـيع أعضـاء الأسـرة: الأب والأم والأولاد. عـندما يتم الانفصـال ويبقى الأولاد مـع الأم، يجـب عـلى الأم أن تـتذكر أنهـا الآن أصـبحت بمفـردهـا، ولا يوجـد لديهـا الدعـم الـلازم لتخفـيف وطـأة الضـغوطات اليومية، ممـا يعني أنه عليها مضاعفة الطاقة والمجهود، على المستوى الجسدي كما على المستوى النفسي.

لكن خبرة الانفصال هذه وتوليّ المسؤوليات بهذا الشكل الإفرادي قد يساعد الأم على الاقتراب أكثر فأكثر من أولادها، واكتشاف مواطن قوة في ذاتها لم تكن مدرك لها من قبل. وهناك بعض النقاط الأساسية التي يجب أن يأخذها الوالد أو الوالدة بعين الاعتبار عندما يتم الطلاق:

لا يجـب أبدًا اعتبـار الطفـل كصديق، وتحميلـه مسـؤوليات أكثر ممـا يستطيع تحملـه، فمـثلاً لا يجـوز أن نقـول لـه "أنـت الـرجل الآن في البيـت"، فللولـد الحـق في مـتابعة تطـوره بشـكل طبـيعي، فهـو لا يسـتطيع القفـز مـن الطفولـة إلى سـن الرشـد هكذا، ولا يجوز أبدًا النظر إليه وكأنه الشريك البديل في العلاقة.

لا يجـب عـلى الأب أو عـلى الأم أن يفصـحا عـن حياتهما وأحلامهمـا للأولاد، مـثل أن تشكو الأم أمـام ابنتهـا أنهـا حزينة أو مكتئبة أو مرهقة، فهذا من شأنه جعل الابنة تشـعر وكأنهـا هـي المسؤولة عـن حـزن أمهـا واكتئابهـا، وأن عليهـا الاعتنـاء بهـا (تلعب دور "الولد الشـافي"، وهـذا دور خاطئ جدًا في العلاقة بين الطفل وأهلـه).



هناك ميل عند الأب المطلق أو الأم المطلقة إلى أن يجعلا الطفل ينام معه أو معها في السرير. إن هذه الممارسة خاطئة جدًا، لأنها تجعل الطفل شريكًا في خصوصية الأب أو الأم، وهي تلبي حاجة الأب أو الأم للرفقة في لحظات الوحدة المؤلمة، ولكن لا تساعد الطفل أبدًا. فيجب أن يعلم الوالدان أن الطفل من خلال تطوره يحتاج لعالمه الخاص به بعيدًا عن احتياجاتهما، عالم فيه أسراره الخاصة حيث لا يفكر بهما، فالطفل يجب أن يبقى طفلاً يعيش طفولته بكل براءتها وخصائصها، كما يجب أن يكون هناك حدود واضحة بينه وبين أهله.

هناك ميل أيضًا عند الأم المطلقة أو الأب المطلق أن يكسرا القواعد السلوكية بالنسبة لتربية الأولاد بسبب شعورهما بالذنب، فالوالدان المطلقان يشعران دائمًا بأن شيئًا ما ينقص الطفل ، فيحاولان التعويض عن هذا النقص بالإفراط في الدلع والتدليل والتسامح وتبذير الأموال..

من المهم جدًا في حالات الطلاق أن يتابع كلا الفريقين حياتهما الطبيعية، وألا يستسلما لمشاعر الغضب أو القهر أو الوحدة أو الاكتئاب التي تنتابهما في معظم الأحيان: فالمواظبة على العمل مهمة جدًا في هذه المرحلة من الحياة، كذلك لقاء الأصدقاء وزملاء العمل والأقرباء.. فمن الأفضل بكثير أن يرى الطفل أباه أو أمه يعيشان حياتهما بشكل طبيعي بدلاً من أن يشعر بأنه أصبح المحور الوحيد الحصري لمشاعرهما واهتماماتهما.

هناك حاجة غريزية عند الأولاد، كل الأولاد، ذكورًا وإناثًا، إلى تواجد صورة أبوية، أو على الأقل صورة ذكورية في عالمهم، وهذه الحاجة تتفاقم عند الأولاد



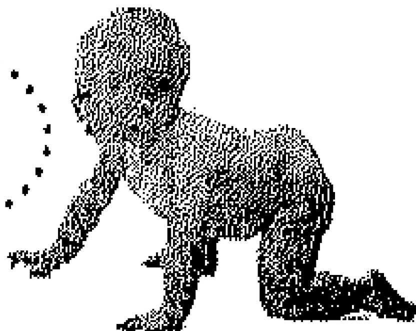
الذين يعيشـون مع أمهم من جرّاء الطلاق، لذلك ينصح الخبراء الأمهات المطلقات أن يشجعن أولادهـن الذكور، ابتداءًا من عمـر الثلاث سنوات على الانخـراط مع الـرفاق الصبيان، وأن يكون هـناك رجال لطفاء وطيبيي المعشر في حياة الأولاد مثل الجد، والعم، والخال، وابن العم، أو صديق للعائلة، أو حتى المعلم في المدرسة..

هـناك مـيل عـند الأب والأم المطلقـين أن يجعـلا مـن ولدهـم الشريك الروحي لحياتهما، بجعله يهتم باهتماماتهما، وهوايتهما الخاصة، ونشاطاتهما، وهكذا ينمو في عـالم لـيس عالمـه هـو بـل عـالم الراشـدين مـع اهـتمامات راشـدة. نعـود ونذكـر الوالدين أنه يجب على الطفل أن يعيش عمره.

**ملاحظة**

يكون الطلاق أحيانًا علاجًا حاسمًـا للمشـاكل النفسـية الـتي يعـاني مـنها الطفـل عندما يعيش مع أبوين يكره كل منهما الآخر!!

في الكثير مـن الأحيان، يصبـح الوالدان خلال عملية الطلاق أقل صبرًا مع أولادهما، وأقل تحسسًا لاحتياجاتهم، وتتعالى الأصوات وتتزايد الانتقادات وتُفقـد الأعصـاب عـلى حسـاب الأولاد.. فالشـعور بالاكتئـاب، وخيبـة الأمـل مـن الشريـك، والغضـب حـياله، كـل ذلـك بالإضـافة إلى الضـغوط المادـية الـتي تترتـب عـلى الأسـرة مـع الـتغيرات في كيانها، يجعـل علاقـة الأهـل بـالطفل ضعيفة جدًا، فيعـيش حالـة مـن الفوضـى والضياع، خارجيًا وداخليًا، ويشعر كأنه لا أحد يهتم به أو ينتبه لـه، وهكذا تـتطور المشـاكل السـلوكية عـند الطفـل، وكذلـك الاضـطرابات بالـنوم، والمخـاوف المختلفة، والعـوارض النفسـية – الجسـدية، إلى مـا هـناك مـن سلبيات تعيق تطـور شخصيته بشكل سليم.



إذا أردنا تحليل تأثير الطلاق على الأولاد، علينا أن نعتمد على ثلاثة محاور هي:

**الضياع العاطفي:** عندما لا يفهم الطفل ماذا يجري حوله، وعندما لا يُعطى فرصة لكي يتكلم عن مشاعره المتعلقة بخبرة الطلاق، يبدأ بابتكار نظريات خاصة بما يحصل ومعظم الأحيان تتمحور هذه النظريات حول لوم نفسه لما يحصل. فخيال الطفل واسع جدًا، ويجعله في الكثير من الأحيان يؤلف قصصًا غريبة حيث يلعب فيها دور الضحية، أو يقوم بتصرفات وحشية باحثًا عن معاقبة نفسه بواسطة عقاب الآخرين.

**الوفاء المنفصم:** عندما ينتقد الوالدان أحدهما الآخر باستمرار أمام الطفل، ويتبادلان اللوم، ويتحدث أحدهما ببغض وحقد عن الآخر للطفل، يشعر الطفل بالانفصام؛ فكيف يستطيع أن يحب أباه عندما تقول له أمه أن أباه شرير! وكيف يستطيع أن يحب أمه عندما يقول له أبوه أن أمه غير صالحة! وكيف يستمتع بعطلة نهاية الأسبوع مع والده إذا كانت أمه، طوال الأسبوع تتحدث له عن احتيال أبيه أو عدم قدرته على تحمل مسؤولياته كرب أسرة!

إن الأطفال بطبيعتهم أوفياء جدًا لمن يحبهم ومن يحبون، فمن الخطأ جدًا أن نخلق هذا الانفصام في وفائهم لوالديهم، وأن نجعله يشعر بأن هناك مؤامرة بينه وبين أحد الوالدين ضد الوالد الآخر.

**التغيرات في حياة الطفل:** إن الطلاق يعني تغيرات كثيرة في حياة الطفل، وفي معظم الأحيان يعني ذلك بيتًا جديدًا، ومدرسة جديدة، وأصدقاء جددًا، إضافة

إلى تغيرات في الظروف المادية التي تخلق ضغطًا متزايدًا على كاهل الأم أو الأب مما يؤدي إلى تدني الانتباه المكرّس للولد، علمًا بأن هذه المرحلة تتطلب العكس تمامًا، أي الانتباه المضاعف الحنان الإضافي.

**كيف نتجنب سلبيات الطلاق؟**

- أن نساعد الأولاد على التعبير عن مشاعرهم حيال مسألة الطلاق.
- أن يؤكد الوالدان للأولاد أن الطلاق ليس من ذنبهم، وأنهم غير مسؤولين عما جرى بينهما.
- أن يؤكد الوالدان مدى حبهما لهم، وأن هذا الحب ثابت ولن يتغير مهما تغيرت الظروف العائلية.
- أن يجيب الوالدان على كل أسئلة الأولاد بوضوح تام حول مصيرهم بعد الطلاق (أين سوف نعيش؟ مع من؟ كم مرة في الأسبوع سوف أرى والدي؟ أين سوف يعيش والدي؟ هل أستطيع التكلم معه بالهاتف؟ ... الخ).
- أن يتجنب الوالدان تورط الأولاد في مؤامرة مع فريق ضد الفريق الآخر، وأن يمنعا الأقرباء أو الأصدقاء منعًا باتًا من التحدث عن الفريق الآخر بشكل يمسّ كرامته أو يشوّه صورته أمم الأولاد.

فعند الأطفال دون السادسة من العمر، نلاحظ تضاعف الخوف من الانفصال، واضطرابات بالنوم، وعودة إلى سلوكيات طفولية مثل التبول اللاإرادي أو نوبات الغضب. وعند الأولاد بين السابعة والثامنة من العمر، يبرز الحزن والشعور بالوحدة فنشهد انزواء في تصرفاتهم، وسلوكًا عدوانيًا تجاه الآخرين

كعملية دفاعية خوفًا من أذى الغير. أما بين التاسع والعاشرة من العمر، فيسهل التحاور معه ، إذ أنه يستطيع تفهم عملية الطلاق أكثر من السابق، ولكن يبرز خلال هذه المرحلة شعور بالغضب تجاه الوالدين، كما تظهر العوارض النفسية- الجسدية مثل آلام المعدة أو آلام الرأس.

**الوالدان المطلقان**

- يجب أن لا تُطوى صفحة الماضي الذي يتقاسمه ثلاثة أشخاص، فهذا الماضي هو ملْك الطفل أيضًا ويجب ألا يُحرم منه.
- ينبغ ألا تتشوه صورة الشخص الغائب (الأب أو الأم)، وإنما يفضّل أن تبقى جميلة ومريحة في ذهن الطفل ومخيلته. ويمكن أن يتعرف إلى الواقع من دون تحميله أية مسؤولية، لئلا يعتقد أنه مسؤول عما حصل.
- يجب ألا يُحمَل الطفل على أن يكون شاهدًا أو حَكَمًا بين الأب والأم، وألا يحاول الأب (أو الأم) جعله من صفه أو رأيه.
- ينبغي أن يعرف الطفل متى يستطيع أن يقابل والدته (أو والده)، وأن يتأكد من استمرار عطف والديه عليه ومن اهتمامهما به.

والصراحة ضرورية. فالطفل يتألم من الكذب وإخفاء الأمور أكثر مما يتألم عند اطلاعه على الحقيقة، والسبب هو أنه لا يتوصل إلى فهم القلق عند والده (أو والدته)، وسوء المزاج، والغياب الدائم عن البيت. وقد يظن أن هذا التصرف هو دليل عدم محبته له، أو أنه هو المسؤول عن الانفصال فيفكر في إيجاد سبل المصالحة. لذلك ينبغي أن تقال له الحقيقة، والحياة بين والديه قد أصبحت غير

ممكنة والتفاهم مستحيل، وأنه لا علاقة له بالأمر، فحبه باقٍ ومسؤولية التربية باقية.

يتحتم على الوالدين أن يتوصّلا، كل من جهته ومع مساعدة شخص آخر (طبيب نفساني)، إلى إعادة تنظيم حياتهما العاطفية والاجتماعية. وبانتظار ذلك، يستحسن أن يتابعا مقاسمة الاهتمام بولدهما، عندما يتنقل من واحد إلى آخر، وأن يلتقيا في مناسبات تتعلق بولدهما: عيد المدرسة، عيد مولده، مرضه، انتقاله إلى المخيّم الصيفي.. وينبغي ألا تنقطع الصلة بينهما، بغية التعاون في حقل تربية ولدهما.

**التربية في غياب أحد الوالدين**

- يجب ألا يحاول الوالد (أو الوالدة) الحلول مكان الشخص الغائب الذي يحفظ للطفل مكانًا خاصًا.
- على الوالد (أو الوالدة) أن يعمل على استحضار الشخص الغائب بصورته الإيجابية، من دون اختراع صورة غير حقيقية له. فالوالد يعرف أن الغائب مثلك أنت، لا يمكن أن يكون كاملاً ويقبله كما هو. من جهة أخرى، لا يجب أن يشعر بأنه ينتمي إلى والد (أو والدة) سيئ الأخلاق.
- يجب ألا يغدو الطفل مؤتمنًا على الأسرار، مكان الشخص الغائب، لأن ذلك قد يؤثر على توازن شخصيته وحياته العاطفية.

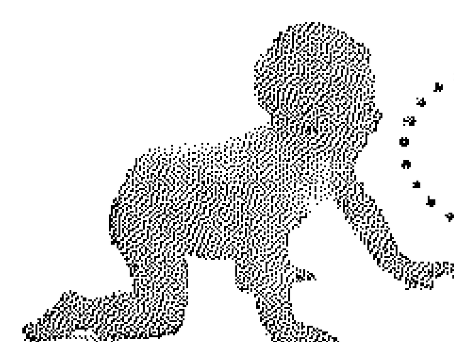



فيما بعد، قد يجد الطفل نفسه مجبرًا على العيش مع امرأة أبيه أو زوج أمه، ولا يتم ذلك من دون مشاكل تُذكر. ولا يعتبر دور أحدهما سهلاً، إذ يتحتم عليه أن يُظهر صبرًا طويلاً، وأن يحترم مشاعر الطفل، فلا يكون له إزاءه مواقف مبهمة. يجب مثلاً أن ينادي باسمه (وليس "بابا" أو "ماما"). وستواجهه ردات فعل بدافع الحسد أو المنافسة، كما قد تعتري علاقة الطفل بأخوته وأخواته الجُدد، أبناء الزوج (أو الزوجة)، مصاعب متنوعة. وقد يعتقد الطفل أن الأفضلية التي هي من حقه قد أُعطيت لغيره، ويجد نفسه بذلك ضحية فقدان العدالة في الأسرة الجديدة. فعند وجود هذا النوع من الزواج فإن على الزوجين أن يجتهدا للتصرف بعدالة ومساواة بين الأولاد، وأن يعملا على أن يشعر كل طفل بمحبة الاثنين له.

## ثالثاً - الغيرة والمنافسة بين الأخوة

لابد من الغيرة بين الأخوة أن تنشأ في كل أسرة، وإذا لم تكن مفرطة فهي تساعد الأولاد على أن يصبحوا أكثر تسامحًا واستقلالية وكرمًا. وكلما كان الوالدان متفقين ومتواصلين بشكل إيجابي، كانت الغيرة بين الأطفال أقل حدة، فعندما يكتفي الطفل بالعاطفة الدافئة التي يحصل عليها من والديه، لا يشعر بالحقد تجاههما كلما أعارا الانتباه لأخوته.

إن ما يجعل الطفل مطمئنًا في عائلته هو الشعور بأن والديه يحبانه ويتقبلانه كما هو. أما إذا كانا يقارنانه باستمرار بأخيه أو بأخته، علنيًا أو باطنيًا، فهو يدرك ذلك ويحزن يحقد على الأخ أو الأخت وعلى والديه.



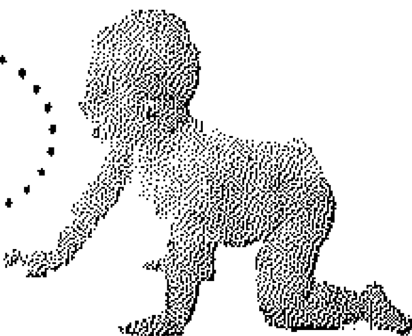




في أغلب الأحيان تستاء الأم من مشاكل الغيرة بين أولادها، وتحاول حل النزاعات بتطبيق مبدأ الحق المثالي، فتشتري مثلاً لكل منهم اللعبة نفسها؛ ولكن ما يحصل هو التالي: بدلاً من أن يفرح الأولاد بألعابهم المتشابهة كليًا، تراهم يتفحصون بدقة لعبة الأخ أو الأخت لكي يكتشفوا فرقًا واحدًا قد يؤكد لهم أن الأم تميز بينهم! ذلك لأن الأم بتصرفها هذا أكدت للطفل أنها اشترت له نفس اللعبة لكي لا يعتقد أنها تفضل أخاه عليه، بينما ما كان يجب عليها أن تؤكده هو أنها اشترت له اللعبة لأنها تعرف أنه يرغبها بشدة.

كلما قلّت المقارنات بين الأخوة، سلبية كانت أم إيجابية، جرت الأمور بشكل أفضل، فعندما نقول للطفل: "كن مهذبًا مثل أختك" نجعله يبغض أخته وفكرة التهذيب معًا. كذلك، فعندما نقول للفتاة المراهقة: "لا تنزعجي لأن أختك لديها أصدقاء أكثر منك، فأنت أذكى منها وهذا هو الأهم"، قد نساهم في تخفيف كآبتها لعدم تمكنها من جذب الأصدقاء، ولكن بنفس الوقت ندعم ونعزز رغبتها بالمنافسة مع أختها.

من الأفضل أن لا يتدخل الوالدان في شجارات الأخوة، فعندما يهب الأهل لمعرفة من المذنب ولمعاقبته، يؤدي ذلك إلى الشعور بالغيرة عند الفريق المعاقب، وما يجب أن ندركه كأهل هو أن السبب الرئيسي لشجارات الأخوة هو الغيرة، ولأن كل واحد من الأخوة يرغب بأن يكون هو المفضل لدى والديه! لذلك، فعندما يسرع الأهل لأخذ موقف معين مع أحد الأخوة ضد الثاني بهدف معرفة من المحق ومن

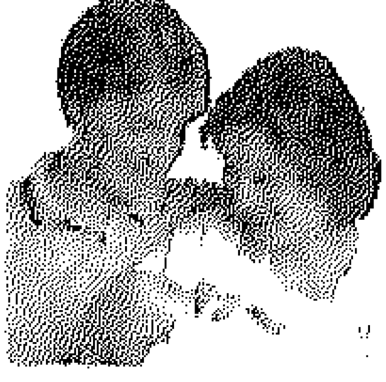


المذنب، يشجعون أولادهم على المشاجرة من جديد. وهكذا تصبح المعركة قائمة مثل مسابقة لمعرفة مَنْ مِنَ الفريقين سوف ينال رضى الأم...

الغيرة قد تكون مفيدة حينًا ومؤذية حينًا آخر: إنها عاطفة قوية حتى عند الراشدين. ولكنها – على الأغلب – أشد إزعاجًا للطفل الصغير جدًا، لأنه لا يعرف بالضبط ما أصابه.

وحين تكون الغيرة شديدة، فإنها قد تحيل حياة الطفل إلى جحيم فترة طويلة من الزمن. ومع ذلك فإن الغيرة جزء من واقع الحياة لا يمكن تجنبها كليًا. ومن هنا لا يجوز للوالدين انتظار تحقيق المستحيل. إلا أنهما يستطيعان عمل الكثير للحد منها ومساعدة الطفل على التسامي بها نحو مشاعر أخرى ليست أليمة، بل بناءة. فإذا ما أدرك الطفل أنه ليس ثمة سبب يدعوه إلى الخوف من منافسه، فذلك يعزز روحه المعنوية، بحيث يصبح أقدر على مواجهة حالات المنافسة في حياته المقبلة، سواء كان ذلك في العمل أو في المنزل.

مساعدة الطفل على أن يحس بأنه أصبح الآن أكبر وأنضج: إن رد الفعل لدى عدد كبير من الأطفال الصغار عند ولادة طفل جديد في الأسرة يكون في تصرفهم بأنهم هم أنفسهم لا يزالون أطفالاً صغارًا، ويتشوقون إلى العودة إلى حالة الطفولة الأولى ولو بعض الوقت فقط، وهي حالة طبيعية عادية. وهكذا تجد الأم طفلها الكبير يتوق أحيانًا إلى العودة إلى الرضاعة الزجاجية، بل إنه كثيرًا ما يبول في فراشه أو سرواله ويلطخ ثيابه بالوحل مثلاً. وقد يعود إلى التحدث بالطريقة التي كان يتحدث بها وهو طفل، ويبدو عاجزًا عن عمل شيء لنفسه.

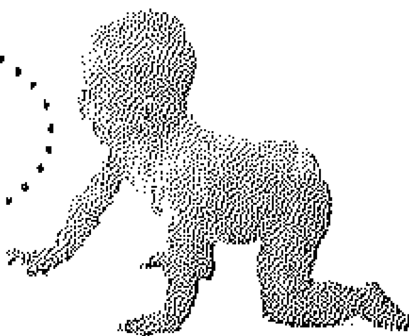


والأم الحكيمة تقابل هـذه التصرفات بـروح طيبة مرحة، ولا سيما حين يكون حنين الطفل الأكبر لتصرفات طفولته قويًا جدًا. بل إنها تستطيع أن تحمل هذا الطفل إلى غرفته بـروح طيبة، وتنزع عنه ثيابه وكأنها تلعب معه. وعندئذ يحس هـذا الطفل بأنه ليس محرومًا من هذه المداعبات التي يتصورها مبهجة ولكنها قد تثبت أنها خيبة للأمل.

ومهما يكن من أمر ففي اعتقادي أن في وسع الأبوين أن يساعدا الطفل أكثر إذا هما ركّزا، معظم الوقت، على ذلك الجانب الذي يريد أن ينمو وينضج من نفسه. وفي وسعهما كذلك أن يذكّراه بمدى ما يتمتع به من نضوج وقوة وذكاء أو براعة. ولست أعني بذلك أن تبثي فيه روح الغرور فتبالي في امتداحه، بل أقصد أن توجهي إليه الثناء بإخلاص على أن يكون ثناءً صادقًا وفي محله. وتستطيع الأم أن تشير من وقت إلى آخر إلى بعض جوانب ضعف الطفل الصغير وعجزه بلهجة ملؤها العطف والحنان.

**أيهما أكثر غيرة.. البنات أم البنين؟**

أظهرت إحدى الدراسات أن قيمة الشعور بالغيرة فيما بين 3-4 سنوات وقد بينت تلك الدراسات أن نسبة الغيرة في البنات أكثر منها في البنين، كذلك فإنها عند الأذكياء أكثر منها عند قليلي الذكاء وكذلك أسفرت تلك الدراسة على أن الغيرة تكون بنسبة أكبر بين الأطفال الذين لا يوجد فارق كبير في السن أي أنها توجد بين الأطفال المتقاربين في السن، وهذا واضح لأن الشاب الكبير أكثر غيرة. من الأطفال الذين يأتون بعده لأنه في يوم ما كان يمثل مركز الاهتمام في الأسرة وكان محط أنظار الجميع وأصبح يشارك في ذلك غيره ممن ترزق الأسرة بهم من الأطفال.



وهنا لابد من التذكير بأنني لا أطلب إجراء مقارنات مباشرة بين الطفل الكبير والطفل الصغير توحي بتفضيل الكبير على الصغير. ذلك أن مثل هذا التفضيل قد يرضي الطفل الكبير ولكن إلى حين. أما في المدى البعيد، فإنه سيشعر بعدم الاطمئنان في ظل والدين متحيزين، إذ قد يغيران موقفيهما فينقلب التفضيل. فعلى الوالدين أن يجعلا حبهما لطفلهما واضحًا جليًا بالطبع، وأقصد هنا التركيز على أهمية إتاحة الفرصة للطفل الكبر ليشعر بالفخر والاعتزاز بنضوجه، وتذكيره بأن هنالك سيئات كثيرة كون الطفل صغيرًا.

تحويل المنافسة إلى عنصر مساعدة: إحدى الطرق التي يحاول بها الطفل الصغير أن يتغلب على الألم الذي يحدثه فيه وجود منافس أصغر له، هي العمل كما لو كان هو نفسه لم يعد طفلاً ينافس أخاه الأصغر، بل هو الآن ثالث الوالدين لأخيه الصغير. ومن الطبيعي أنه حين يحس بغضب جامح من الطفل الصغير، فقد يتصرف معه كما يتصرف المستاء. ولكن حين يهيمن على الطفل الكبير شعور قوي بالطمأنينة، فإنه قد يصبح كذلك من طراز الآباء والأمهات الذين يتولون تعليم طفلهم كيف ينجز الأعمال ويعطونه اللعب والدمى ويساعدونه عند تناول الغذاء والاغتسال وارتداء الملابس والتسرية عنه حينما يشعر بالحزن والأسى، ويحمونه عند التعرض للأخطار. ويستطيع الوالدان مساعدة طفلهما الأكبر مساعدة ملموسة بإرشاده إلى كيفية تقديم العون لهما في أوقات وحالات لا يخطر بباله أثناءها أن يفعل ذلك، وكذلك من خلال إظهار تقديرهم البالغ لجهوده. ومما هو جدير بالذكر، أن كثيرًا من أمهات التوائم كن يدهشن أشد الدهشة حين يلاحظن



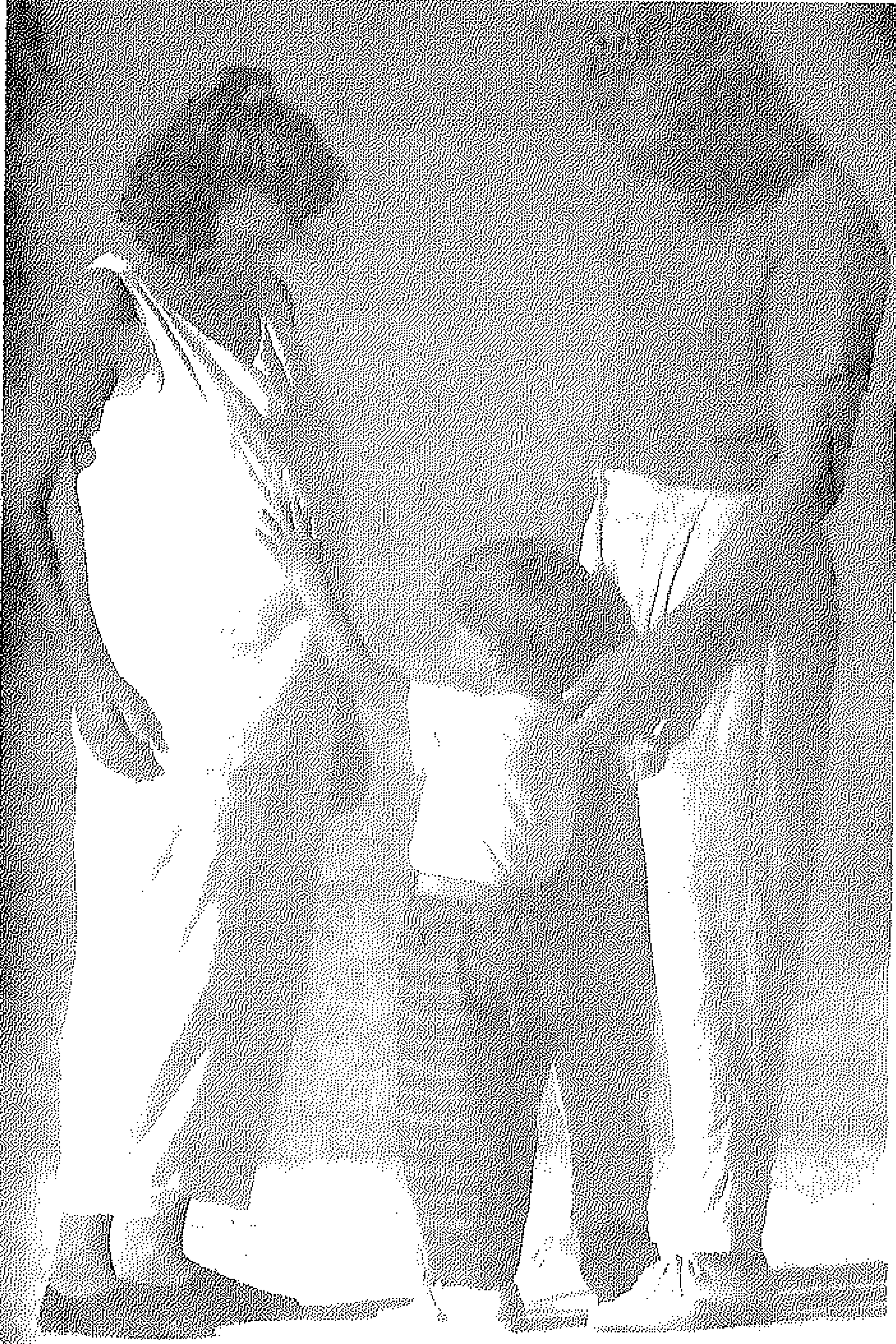
مـدى العـون الكبير الـذي تقدمـه لـهن أخت التوأمين الكبيرة، والتي لا يزيد عمرها علـى ثـلاث سـنوات مـثلاً. فحـتى الطفـل الصـغير يسـتطيع عـند الحاجـة أن يـأتي بمنشفة الحمـام أو الخرقة أو زجاجة الحليب. وهـو يستطيع أن يمثل - أو يتظاهر بتمثيل - دور القائم "بمراقبة" أخيه الطفل الصغير عندما تكون أمه بعيدة عنه.

ويظهـر الطفـل الواعـي رغبة ملحة في حمل أخيه الأصغر، إلا أن الأم تتلكأ في تلبية طلبه لئلا يسقط من بين يديه. ولكن إذا كان الطفل جالسًا على الأرض، على بسـاط أو فـراش أو سـجادة مـثلاً، فـإن خطـر سـقوط الطفـل الصـغير مـن بـين يديه يكون ضئيلاً.

وفي مـثل هـذه الحـالات يكـون في وسـع الوالديـن أن يسـاعدا الطفـل على تحويل مشـاعر الاسـتياء لديـه إلـى مشـاعر ملؤهـا الرغـبة في الـتعاون والحـب الصـادق للآخرين.

ويلاحـظ أن الطفـل الـبكر يـتولد عـنده عـادة الشـعور بالإهمـال عـندما يولـد الطفـل الـثاني لأنـه لم يسـبق أن شـاركه أحـد مـن قـبل في محـبة والديـه. أمـا الطفـل الأوسـط فلـيس مضـطرًا إلـى المناضـلة كـي يكـون أخًـا أو أبًـا عـندما تضـع أمـه طفـلاً جديـدًا، لأنـه يسـتطيع أن يلاحظ أنه لا يزال على كل حال واحدًا من أطفال الأسرة كمـا كـان مـن قـبل. وعلـى هـذا فـإن تصـرف الطفـل الـبكر تصـرف الأب نحـو أخيه الأصـغر يفسـر سـبب إقـبال نسـبة كـبيرة مـن الأطفـال الأبكـار علـى ممارسـة مهـن كالتعليم والأعمـال الاجتماعـية والـتمريض والطـب ممـا لـه علاقـة وثـيقة بالعـناية بالآخرين.

التمهيد للطفل بقدوم المولود الجديد: من المفيد للطفل أن يعرف مسبقًا أنه سيصبح له عما قريب أخ أو أخت، إذا كان قد بلغ من العمر ما يؤهله ذلك. فمثل هذه المعرفة المسبقة، كفيلة بأن تعوّده تقبّل الفكرة تدريجيًا. (ولكن إياك أن تعديه بأن يكون الطفل المرتقب ذكرًا أو أنثى، فهو ينظر إلى وعد كهذا بجدية تامة). إن معظم المعلمين وعلماء النفس للأطفال، يعتقدون أنه من المفيد للطفل أن يعرف أن الطفل الصغير (الجنين) ينمو داخل أحشاء أمه، وأن يحس حركته وهو في بطنها بيديه. ولكن من الصعب تفسير الأمر لطفل دون العامين من العمر.



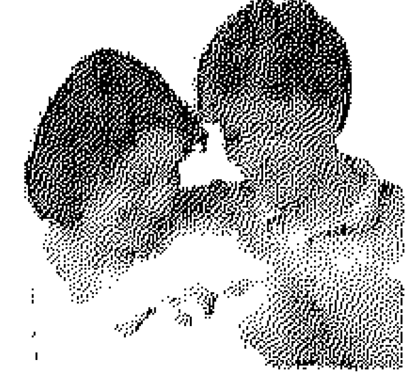
وينبغي أن لا تغير ولادة الطفل الجديد حياة الطفل الأكبر بأقل قدر ممكن، ولا سيما إذا كان الطفل الوحيد حتى ذلك الوقت. فمن الأفضل إذًا إحداث جميع التغييرات الممكنة قبل بضعة أشهر من موعد الولادة. فإذا كان من المقرر مثلاً إعطاء غرفته للطفل الجديد، فمن الحكمة نقله إلى غرفته الجديدة قبل ذلك بعدة أشهر، حتى يحس بأن سبب نقله هو نموه ونضوجه، لا لأن الطفل الجديد سينتزع منه مكانه. ويصدق ذلك أيضًا على نقله إلى

سرير أكبر. وإذا كان من المقرر إرساله إلى مدرسة للحضانة، فينبغي أن يتهيأ نفسيًا للأمر قبل موعد إرساله بشهرين. فليس ثمة شيء يجعل الطفل يمقت دار الحضانة بقدر شعوره بأنه ذاهب إليها منفيًا. ولكن إذا تهيأ ذهنيًا ونفسيًا للأمر مسبقًا، فإنه يذهب إليها منشرحًا وهذا يصرف عنه ما يكون أصابه من إزعاج بسبب ما طرأ على البيت من تغير.

عندما تعود الأم إلى البيت مع مولودها الجديد: إن اللحظة التي تصل فيها الأم إلى البيت قادمة من المستشفى تكون عادة لحظة قلق بالغ، فهي متعبة منهوكة القوى منشغلة البال. فالأب يعدو هنا وهناك مسرعًا يحاول تقديم المساعدة، أما الطفل الأكبر فيقف منزعجًا لا يلتفت إليه أحد، ويقول في نفسه: إذًا، فهذا هو الطفل الجديد!

فإذا كان من المرجح أن يكون حال الطفل الأكبر هكذا عند رجوع الأم من المستشفى، فمن الأفضل أن لا يكون موجودًا في البيت عند وصولها إذا كان ذلك ممكنًا. ولكن بعد مضي نحو ساعة من الزمن، وبعد أن يكون المولود الجديد قد استقر في المكان ورتبت الثياب في أماكنها أيضًا، واستقلت الأم في فراشها مرتاحة منشرحة الصدر، يكون الوقت قد حان لإحضار الطفل الأكبر وإدخاله على أمه التي يحسن بها أن تلاطفه وتدلله وتتحدث إليه وتبدي اهتمامًا بالغًا به، وله بعد ذلك أن يبحث موضوع المولود الجديد كما يشاء.

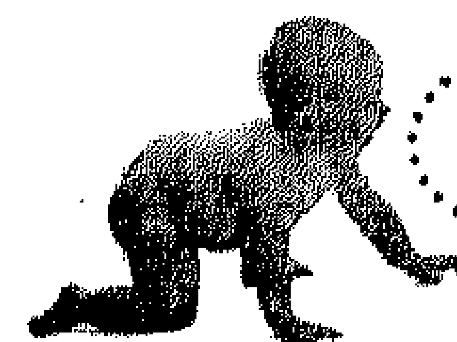
ولعل اللباقة تقضي بأن تحاول الأم التقليل من شأن المولود الجديد في الأسابيع القليلة الأولى، فلا تعامله معاملة تتميز باللهفة والحنان البالغين، ولا




تكثر الحديث عنه، بل يستحسن أن يكون اغتساله وتغذيته عندما يكون الأخ الأكبر خارج المنزل أو نائمًا. فكثيرون من الأطفال الصغار يشعرون بغيرة بالغة حينما يرون الأم تطعم المولود الجديد، ولا سيما إذا كان غذاؤه من ثدييها. فإذا كان الطفل الأكبر في هذه الحالة قريبًا من أمه فيحسن أن تترك له حرية الحركة، أما إذا كان يلعب بعيدًا عنها، فمن الحكمة أن لا يلفت نظره إلى ما تقوم به أمه حينذاك.

فإذا أبدى رغبة في أن يتناول حليبه هو الآخر من الزجاجة فرأيي أن تسمح له أمه بذلك، مبدية ما أمكنها من السرور. ومن الطبيعي أن تستاء الأم حين ترى طفلها الأكبر يحاول تناول الحليب من الزجاجة بدافع من حسده للطفل الصغير. بينما يتصور الطفل الأكبر حينذاك أن العودة إلى تناول الحليب من الزجاجة هي منتهى السعادة. على أنه حالما يبدأ بامتصاص الحليب من الزجاجة يصاب بخيبة الأمل، إذ لا يذوق إلا حليبًا مشبعًا بطعم المطاط. ومع هذا فإنه قد يحس بين وقت وآخر، برغبة عابرة في تناول الحليب من الزجاجة وتستمر هذه الرغبة عدة أسابيع، ولكن ليس هنالك أي خطر من أن يتعود ذلك ويرغب فيه إلى الأبد إذا كانت أمه تقدم له الزجاجة دون تبرم كلما طلبها، وكانت تعمل كل ما في وسعها على التغلب على ما يحسه من غيرة.

وهنالك أشخاص آخرون أيضًا يلعبون دورهم في إثارة الغيرة، فعندما يعود الأب إلى البيت راجعًا من عمله يحسن به أن يتحاشى سؤال زوجته "كيف حال الطفل اليوم؟"، إذ من الأفضل أن يتصرف وكأنه قد نسي أن هنالك مولودًا جديدًا

في البيت، فيأخذ مكانه بهدوء دون الإشارة إلى ذلك. وبعد فترة، وحين يلاحظ أن الطفل الأكبر منصرف إلى شيء ما، يكون في وسعه أن يتسلل إلى غرفة المولود الجديد ليلقي نظرة عليه.

وهنا قد تكون الجدة التي اعتادت المبالغة في إطراء الطفل الكبير مشكلة أيضًا. فهي تدخل إلى البيت حاملة رزمة بداخلها هدية رائعة للمولود وتلتقي الطفل الأكبر فتقول له دون وعي "أين أختك الصغيرة الحبيبة؟ لقد أحضرت لها هدية جميلة". وهنا تنقلب فرحة الطفل برؤيتها إلى مرارة. وإذا كانت علاقة الأم بإحدى زائراتها لا تؤهلها بلفت نظر الزائرة إلى الطريقة التي ينبغي لها أن تتصرف بها لكي لا تثير غيرة الطفل الكبير، فإن في وسعها أن تحتفظ بصندوق فيه عدد من الهدايا الرخيصة لتقدم منه للطفل إحدى الهدايا كلما جاءت زائرة ومعها هدية للمولود الجديد.

**الغيرة تتخذ أشكالاً عدة:** إذا التقط طفل ما لعبة وضرب بها أخاه الصغير أو أخته تدرك الأم أن مرد ذلك الغيرة. ولكن هنالك بعض الأطفال الذين يتمتعون بقدر أكبر من التهذيب. وحين يكون الطفل الكبير من هذا الطراز فإنه يبدي إعجابه بالطفل الوليد بضعة أيام، ولكن دون أن يقترن ذلك بالحماس، ثم يقول: "الآن، عودا به إلى المستشفى". وقد نجد طفلاً ما يحس باستياء بالغ من أمه فيعبث برماد المدفأة ويرميه على البساط بهدوء وكأنه لم يفعل شيئًا، ونجد طفلاً آخر بطبيعة مختلفة، يظهر عليه رد الفعل على شكل كآبة وتعلق بأمه، فيفقد الإحساس بالمرح أو اللعب بما لديه من لعب ودمى ويلحق بأمه أينما ذهبت ممسكًا

بأطراف ثوبها وإبهامه في فمه يمصه. وقد يبلغ الحال بمثل هذا الطفل حدًّا يبول معه في فراشه مع أنه كفّ عن ذلك منذ وقت غير قصير. وكثيرًا ما نجد طفلاً تنقلب غيرته إلى داخل نفسه، فيصبح التفكير في أخته الصغيرة همه الوحيد. فعندما يجد أمامه كلبًا مثلاً يكون كل ما يستطيع قوله هو: "الطفل الصغير يحب الكلب". وعندما يرى أصدقاءه يركبون دراجاتهم الهوائية ذات العجلات الثلاث، يقول: "إن لأختي الصغيرة دراجة كهذه أيضًا". إنه منزعج، ولكنه لا يعترف بذلك حتى بينه وبين نفسه. هذا الطفل يحتاج إلى المساعدة حتى أكثر من ذاك الذي يعرف بالضبط ما يضايقه.

جميل حقًا أن يبدي الطفل الكبير حبًا نحو أخيه الصغير أو أخته، ولكن ذلك لا يعني مطلقًا إغفال عنصر الغيرة. فقد تظهر آثارها بطرق غير مباشرة أو في ظروف خاصة معينة. فقد يكون لطيفًا معها داخل المنزل، ولكنه يعاملها بخشونة خارج المنزل عندما يرى أحدهم في الشارع يبدي إعجابه بها. ولقد يحدث في حالات أخرى أن لا تظهر على الطفل الكبير أية علامات على وجود منافسة بين الطفلين الكبير والصغير إلى أن يكون ذات يوم فيحبو الطفل الصغير نحو إحدى لعب أو دمى الطفل الكبير ليأخذها وفجأة تبدو على الطفل الكبير كل علامات الغيرة. وفي أحيان أخرى لا تظهر هذه العلامات والتغيرات في المشاعر إلا في اليوم الذي يبدأ فيه الطفل الصغير المشي.

ومن الحكمة أن نفترض أن هنالك دائمًا قدرًا من الغيرة والعاطفة، سواء ظاهرة أو مستترة. ومن هنا فليس لنا أن نتجاهل الغيرة أو نكبحها أو نجعل الطفل يبدو خجلاً بها بل علينا أن نسهم في جعل مشاعر العاطفة تطفو على السطح.

**كيف نعالج مختلف انواع الغيرة:** عندما يعتدي الطفل الكبير على أخيه الصغير أو أخته، فمن الطبيعي أن تصدم الأم وتنعت الطفل الكبير بما يخجله. ولكن رد الأم هذا ليس مفيدًا من وجوه عدة. فالطفل أولاً يكره أخاه الصغير، لأنه يخشى أن يستولي على حب الأم ويتلاشى حبها له. وعندما تهدده بقولها: "سوف لا أحبك بعد الآن" فإن ذلك يزيده قلقًا في أعماق نفسه. وقد يجبره الخجل أيضًا على كبت مشاعر الغيرة في صدره، علمًا بأن ما تحدثه الغيرة من أذى يكون إذا كُبح، أشد وقعًا وأرسخ قدمًا مما لو ظهر.

**ويترتب على الأم هنا ثلاث مهام:** أولاً أن تحمي الطفل الصغير، وثانيًا أن توضح للطفل الكبير أنها لا يمكن أن تسمح له بتنفيذ ما يكنه من مشاعر دنيئة نحو أخيه الصغير وثالثًا أن تطمئنه إلى أن أمه لا تزال تحبه. فإذا ما رأته يتقدم من أخيه الصغير بوجه مكفهر وهو يحمل في يده أداة مؤذية، فعليها أن تثب نحوه وتمسك به، وتعنفه بشدة، موضحة أنها لا يمكن أن تسمح له بإيذاء أخيه الأصغر. ولكنها تستطيع بين الحين والآخر أن تزيل توتر أعصابه، بأن تضمه إلى صدرها في حنان، وتقول: "أنا أعرف ما تحس به أحيانًا، فأنت تتمنى لو لم يكن لأمك طفل آخر يشغلها عنك. ولكن لا داعي لأن تحزن، فإن حب أمك لك لا يقل مطلقًا عن حبها لأخيك الصغير". فإذا ما أدرك في لحظة كهذه أن أمه تتفهم مشاعره الغاضبة (لا أعماله المؤذية) دون أن يفقد حبها له، فإن في هذا خير برهان على أنه لا داعي لأن يقلق.

أما بشأن الطفل الذي ينثر الرماد في حجرة الجلوس، فمن الطبيعي أن يثير عمله هذا غضب أمه، ويدفعها لتأنيبه. ولكنها حين تدرك أنه إنما أقدم على ذلك بدافع اليأس والمرارة، فإنها قد تحس فيما بعد، بأن عليها أن تطمئنه، وتحاول أن تتذكر ما بدر منها تجاهه فأثاره ولم يستطع احتماله.

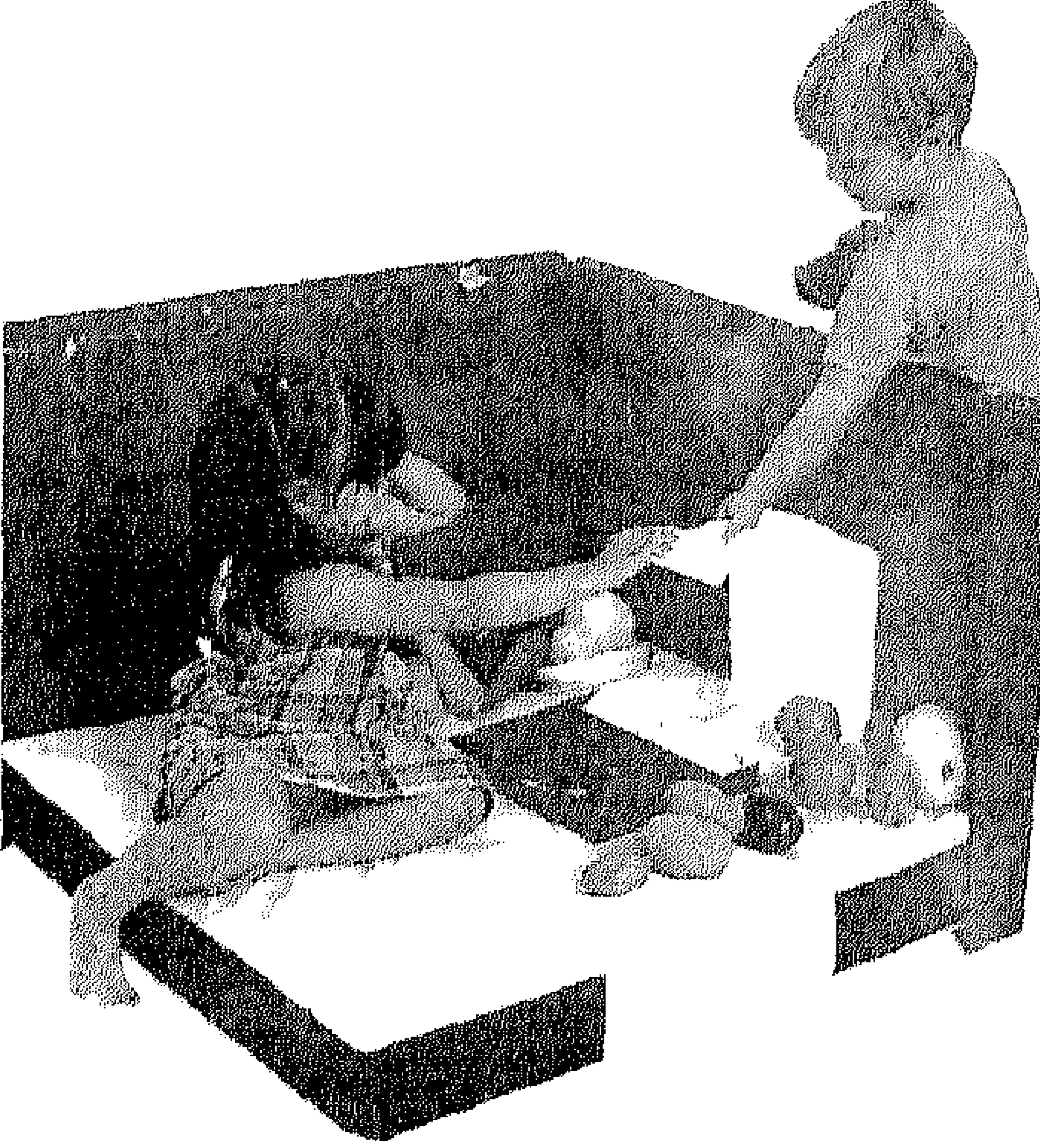
**ملاحظة**

العديد من الأهل يصرون على أن يتشارك الأخوة ألعابهم: من الأفضل أن نقترح على الأخ الأكبر أن يعطي لأخيه الصغير الألعاب التي أصبحت مملة بالنسبة له، فهكذا يشعر بنضوجه ويعتز بهذا الشعور، مما يجعله أكثر كرمًا

والطفل الذي يحس بالغيرة تأكل قلبه، فتنتابه الكآبة بسبب حساسيته البالغة، وكبته لمشاعره، يحتاج إلى معاملة ملؤها العطف والتطمين حتى أكثر من الطفل الذي لا يخفف من حدة مشاعره إلا الشدة والعنف. والطفل الذي لا يجرؤ على التعبير عما يضايقه قد تتحسن مشاعره إذا قالت له أمه بتفهم: "إنني أعرف أنك تحس بالاستياء من أخيك الصغير، بل حتى من أمك أحيانًا لأنني أعتني به". فإذا لم يستجب لهذه اللفتة بعد وقت قصير، فقد يكون من الضروري أن تأتي الأم بمساعدة لها تعتني بالطفل الصغير لتوفر وقتًا أطول تعتني فيه بطفلها الأكبر. فإذا أثمرت هذه الخطوة ونجحت وأعادت للطفل الكبير مرحه القديم، ترك ذلك في نفسه أثرًا طيبًا هو، في المدى البعيد أغلى من المال الذي تنفقه الأم على المرأة المساعدة.

وثمة سؤال يطرح نفسه: هل ينبغي حثّه أو إكراهه على أن يشارك أخاه الصغير بلعبه؟ أما إكراهه فممنوع. وأما مطالبته بلطف بأن يتخلى لأخيه الصغير

على ألعاب وأدوات لا تليق إلا بالصغار، فقد يولد عنده الشعور بأنه أصبح كبيرًا فضلاً عن تنمية روح الجود والعطاء فيه. ولكن لكي يكون للجود معنى، ينبغي أن يكون صادرًا من أعماق الكريم نفسه، ولابد للإنسان قبل أن يكون كريمًا أن يمتلئ قلبه بالأمن والطمأنينة والمحبة. أما إذا أُكره الطفل إكراهًا على أن يكون كريمًا رغم عدم شعوره بالأمن والطمأنينة ورغم ما يحس به من أنانية، فإن هذا الإكراه يزيد تلك العيوب ويرسخها في نفسه.



ويمكن القول بصورة عامة بأن غيرة الطفل تكون في ذروتها قبل أن يتجاوز الخامسة من العمر، لأنه يكون حينذاك أكثر اعتمادًا على أبويه، وتكون اهتماماته خارج نطاق أسرته ضعيفة محدودة بعد. أما عندما يزيد عمر الطفل على السادسة فإنه يبدأ في الابتعاد قليلاً عن أبويه، وفي تكوين مكانة خاصة به بين أصدقائه. فإذا أبعد عن تسليط الأضواء في بيته فذلك لا يؤذيه كثيرًا، وإن كان من الخطأ التوهم أن الغيرة تتلاشى في الطفل حينما يكبر، فهو لا يفتأ يحتاج إلى الاهتمام، والإحساس بأن أمه تحبه ولا سيما بادئ الأمر.

والطفل ذو الحساسية المتناهية أو الذي لم يجد له مكانًا بعد في العالم الخارجي يحتاج من الحماية بقدر ما يحتاج الطفل الصغير العادي. بل إن الفتاة

المراهقة، بكل ما تتسم به من رغبة متزايدة في أن تصبح أمًا قد تحسد لا شعوريًا، أخاها الأصغر أو أختها.

على أن ثمة تحفظًا واحدًا أود هنا أن أضيفه، وإن بدا متناقضًا، ذلك هو أن الأبوين، أحدهما أو كلاهما قد يقلقان أحيانًا كل القلق بسبب ما يلاحظانه على طفلهما الكبير من آثار الغيرة، ويحاولان جاهدين تخليصه من هذا الشعور، إلى درجة يصبح معها أقل شعورًا بالأمن. وقد يبلغ بهما الأمر إلى الإحساس بالإثم لأنهما أنجبا طفلاً آخر، ويشعران بخجل من ذلك، وينصرف اهتمامهما إلى إرضاء الطفل الأكبر، فإذا وجد طفل ما أن أبويه قلقان ويبدوان وكأنهما أجرما بحقه، فذلك يولّد في نفسه القلق، ويزيد من شكه في حقيقة شعورهما، الأمر الذي يزيد من تدني شعوره نحو والديه كليهما والطفل الصغير معهما. وبعبارة أخرى، فإن على الأبوين أن يكونا على غاية من اللباقة في التعامل مع طفلهما الكبير، كما لا ينبغي أن يقلقا عليه، أو يتخذا منه موقف من يشعر بالذنب.

ألا يحتاج الطفل الصغير هو الآخر إلى شيء من العناية؟ من المؤكد أننا كنا نفكر في غيرة الطفل الأكبر من أخيه الصغير وحتى في تجاهل هذا الصغير أحيانًا تجنبًا لإثارة الطفل الآخر الأكبر. فالطفل الصغير يحتاج هو الآخر إلى قدر كبير من العناية والعطف لكنه في أيامه وأشهره الأولى ينام ثلاثة أرباع الوقت. وعلى هذا فليس هناك من مشكلة بالنسبة لتدليل الطفل الصغير ومداعبته، الأمر الذي يوفر عناية أكثر للطفل الأكبر، الذي يحتاج آنذاك إلى مزيد من العناية، والعطف والحنان. فإذا نجح الوالدان بهذه المهمة منذ أول الشوط، اعتاد الطفل الأكبر شيئًا

فشيئًا التعايش مع أخيه الصغير وزال ما كان يشعر به من ذعر لدى إحضاره إلى البيت. زد على ذلك أنه عندما يصبح الطفل الصغير بحاجة إلى عناية أكبر بعد بضعة أشهر من ولادته يكون الطفل الكبير قد اكتسب من العاطفة والحنان والعناية ما يجعله يشعر بطمأنينة لا يستاء معها مما يظفر به أخوه الصغير من الاهتمام والرعاية.

**ملاحظة**

إن ميلاد طفل جديد في الأسرة يمثل بالنسبة للطفل الأكبر منه عملية تنازل عن عرش الحب.لذلك يجب التأكيد على الاطمئنان بالنسبة للطفل الأكبر وتحويل الغيرة إلى تجربة بنّاءة.

الغيرة بين الأطفال الواعين:

لابد أن يكون هنالك شيء من الغيرة بين الأشقاء. فإذا لم تكن شديدة، فأغلب الظن أن تسهم في جعل الأطفال ينمون وهم أكثر تسامحًا واستقلالاً وكرمًا. وبمقدار نجاح الوالدين في معاملة أطفالهما بمقدار ما تخف الغيرة بينهم. وعندما يقنع كل طفل بما ينال من عاطفة والديه تقل أسباب غيرته من بقية أشقائه وشقيقاته.

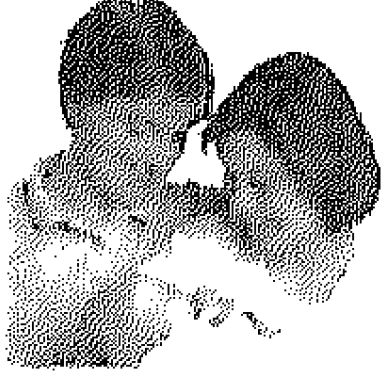


ويمكن القول بأن العنصر الجوهري الذي يجعل الطفل يحس بالأمن والسلام وهو بين أفراد أسرته هو شعوره بمحبة والديه وقبولهما به كما هو، سواء ذكرًا كان أو أنثى، ذكيًا أو غبيًا، وسيمًا أو قبيحًا. أما إذا

كانا يقارنان بينه وبين أشقائه وشقيقاته سواء علنًا كان ذلك أو خفية فإنه يحس بذلك، ويشعر في قرارة نفسه بالاكتئاب والاستياء من بقية أخوته وأخواته ومن أبويه أيضًا.

والواقع أنه كلما خفّت المقارنات بين الأخوة والأخوات، سواء كان ذلك مديحًا أو انتقادًا كان ذلك أفضل. أما أن تقولي لابنك مثلاً "لماذا لا تكون مهذبًا كأختك؟" فهذا يجعله يمقت أخته وأمه وفكرة التهذيب نفسها أيضًا.

والأجدى، بصورة عامة، أن تبقى الأم بمنأى عن معظم الخلافات التي تنشب بين الأخوة الأطفال الذين يستطيعون تدبر أمرهم. أما إذا ركزت على تحديد المسؤولية وبالتالي توجيه اللوم، فإنها تثير لدى واحد منهم على الأقل شعورًا بالغيرة. فالأطفال يتشاجرون بسبب الغيرة، ولأن كلاً منهم يود أن يظفر من أبويه بتقدير وعطف أوفر، أما إذا تدخلت الأم دائمًا لكي تقرر من المذنب من الجانبين المتشاجرين ومن البريء، فإنها بذلك تشجع الجانبين على استئناف الشجار. وفي كل مرة يحاول كل من الجانبين أن يظفر بعطف أبويه ويسمعهما يؤنبان الجانب الآخر. وعلى ذلك، إذا كان للأم أن توقف شجارًا ما لإنقاذ حياة أحد الأخوة أو للحيلولة دون إلحاق الظلم بأحد الفريقين، أو لإعادة الهدوء لترتاح هي نفسها، فمن الأفضل حينئذ أن تطالب بوضع حد للشجار، وأن ترفض الاستماع إلى المناقشات، وأن تتصرف وكأنها غير آبهة لاعتداء أحد على حقوق الآخر، (ما لم يكن واضحًا وجليًا أن أحد الفريقين هو الملوم دون ريب)، وأن تركز على ما ينبغي عمله بعد انتهاء الشجار، متناسبة ما حدث وكأنه لم يكن. وفي وسعها، في



بعض الحالات، أن تقترح بحزم، تسوية معينة، كما أن في وسعها، في بعض الحالات الأخرى، أن تصرف اهتمام الفريقين إلى عمل آخر.

## ثالثاً - نظرة الطفل للموت

الموت هو أحد حقائق الحياة.. وكما يولد الإنسان فهو أيضًا يموت والآباء والأمهات يسألون كثيرًا هذا السؤال: كيف نفسر الموت للطفل الصغير؟

ويكون مصدر السؤال أحيانًا هو موت أحد أقارب الطفل أو أحد أصدقاء العائلة. وقد يكون السبب في تردد هذا السؤال الحائر على ألسنة الآباء والأمهات هو مشاهدة طفل صغير لجنازة أو مقبرة أو عندما يموت حيوان أليف كان يعيش في المنزل وكان الطفل سعيدًا بصداقته واللعب معه.

يتوصل الطفل إلى فهم فكرة الموت عند بلوغه الثالثة من عمره. وهو يعتقد في البداية أنه ظاهرة قابلة للانعكاس، وأن الفقد قد يرجع، وفيما بعد يفهم أن الغياب يكون نهائيًا ولا رجوع بعده. ويؤدي موت أحد أفراد العائلة إلى نتائج تتعدى إطار غياب شخص عزيز. ومن هذه النتائج أن الطفل يكفّ عن الاعتقاد بالقدرة الكلية التي كان يتصورها في أهله. ويرسم عنهم صورة أخرى أقل صلابة، وذلك في وقت يكون هو نفسه بحاجة ماسة للعون.

إن الطفل الذي يبدأ الذهاب إلى المدرسة يكون متوسط عمره هو ستة أعوام فما فوق، ويكون قد تكوّن عنده شيء من القدرة على التقبل الفلسفي لحقيقة أن الموت هو نهاية كل إنسان. وفي نفس الوقت يملك نوعًا من المعرفة بأن الموت في

أغلب الأحيان لا يأتي إلى من هم في مثل عمره. أما عن الطفل الناشئ فهو لا يملك القدر الكافي من الإدراك الكامل لحقائق الحياة اليومية التي تجعله يتقبل حدوث الموت بسهولة. إنه طبعًا يختلف عن الطفل الأكبر منه عمرًا والذي يعرف بعض الحقائق المجردة عن الميلاد والموت، ويمكنه أن يفهم جيدًا ما جرى. إنه يعرف أن الموت معناه غياب الإنسان إلى الأبد واستحالة رؤيته مرة أخرى. وبعد مدة يمكن للطفل الأكبر سنًا أن يطمئن.

وحتى تتضح لنا الصورة يمكننا أن نتخيل ما يحدث لنا نحن الكبار. إن كلاً منا تمر به خبرة مرهقة وتجعله يمضي ليلة غاية في القلق نتيجة لشعوره بأنه ارتكب ذنبًا أو ارتكب فعلاً أضر بأحد أو أن هناك خطرًا يمكن أن يهدد إنسانًا آخر. لكن مع شروق الشمس سرعان ما نكتشف أن معظم مخاوفنا وشكوكنا قد ذهبت وضاع أثرها ونندهش ونتعجب كيف تملكنا الخوف والجزع إلى هذا الحد المرعب أثناء الليلة السابقة. هذا المثل يمكن أن نطبقه على الأطفال الصغار الذين هم دون الخامسة. إن الطفل الصغير يعيش في حالة من الضبابية وعدم الفهم أمام الموت. إنه عديم الخبرة ويجهل الإحساس الذي يفرق بين ما هو واقعي وحقيقي وبين ما هو خيالي. وهذا الجهل يجعله يعيش في قلق شديد وتوتر مرهق عندما يواجهه أمر لا يعرف عنه شيئًا.

إن الطفل بين عامه الثاني وعامه الرابع يتميز بحب الاستطلاع ويكون على قدر كبير من الحساسية المرهفة وقدرة كبيرة على التخيل، وهو يشعر بإحساس قوي بأنه يعتمد اعتمادًا كليًا على والديه، ويخاف خوفًا شديدًا من أي خطر على





الوالدين.. لأن ذلك الخطر قد يحمل انفصاله عن أبيه أو أمه، ولذلك فإن فكرة الذهاب بدون عودة إلى عالم آخر وفكرة أن الملائكة يحملون الإنسان بجسده ولحمه ودمه إلى جوار الله الغفور الرحيم، هذه الفكرة تزعج الطفل وتزلزل إحساسه بالأمان دون أدنى شك.

إن الطفل في عامه الثالث أو الرابع يكون في مرحلة من التطور الوجداني بصورة يطبق فيها كل شيء على نفسه سواء أكان خيرًا أم شرًا.. فالطفل عندما يشاهد إنسانًا يقود سيارة فإنه فورًا يتخيل نفسه في مكان الرجل ويتخيل كيف يمكن أن يقود السيارة بنفسه، كما يتخيل مدى السعادة التي تمده بها هذه العملية. ويبدأ في تمثيل دور السائق. وعندما يسأل عن القبور ولماذا يتم بناؤها.. هنا يصطدم بأول تفسير للموت وتكون كلمته الأولى عن ذلك هي.. وهل سأموت أنا أيضًا؟

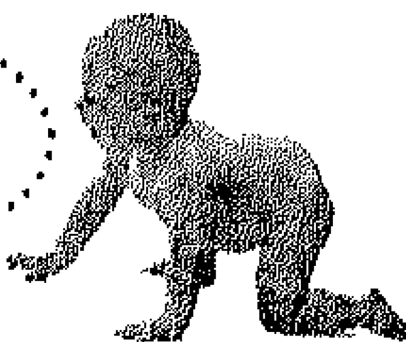
وهذا هو السبب في أنه يصعب أن نفسر لطفل صغير موت شخص آخر. وفيما يتعلق به، فإن موته هو يكون موضوع الكلام.

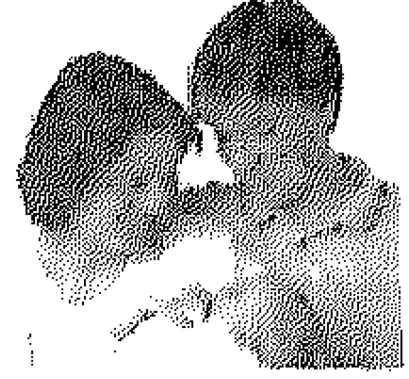
**ملاحظة**

ليس هناك طريقة سحرية تضمن لنا عدم إصابة الطفل بالقلق والشكوك.. ولكن عندما نواجه الطفل بهدوء ونتحدث إليه باطمئنان فإن الإحساس بالأمان ينتقل إلى أعماقه.

وحيث أن لديه رغبة قوية في أن يبقى حيًا وأن يظل إلى جوار والديه، فإنه من المستحيل وصف الموت بطريقة تحول دون إقلاقه أو إزعاجه بحيث لا يزايله الاطمئنان بصورة ما.



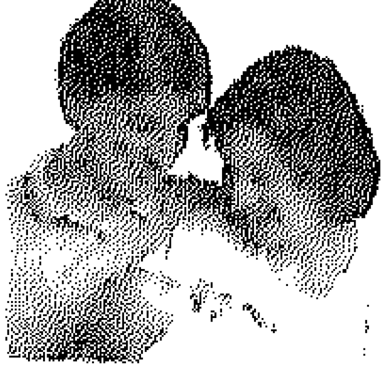




وبعض الآباء، حاولوا أن يجعلوا الموت أمرًا غير مخيف بأن يفسروه قائلين "أن الناس الكبار في السن جدًا تعبوا من الحياة كثيرًا، وآثروا أن يرقدوا ويموتوا في سلام تمامًا مثل النوم". وهذا التفسير ليس مفيدًا جدًا، لأن الطفل لا يستطيع أن يتصور أن إنسانًا يبلغ به التعب إلى مثل هذا الحد، إنه تشبيه محفوف بالخطر، لأنه يحدث أحيانًا أن طفلاً من النوع الشديد القلق ينمو في نفسه نوع من الخوف المرضي من النوم خشية ألا يستيقظ أبدًا..

إن معظم الأطفال تعلموا شيئًا عن الموت وهم دون الخامس أو السادسة من العمر ودون أن يبدو عليهم ما يدل على أنهم أصيبوا بقلق لا حد له، أو بحيرة بالغة.. إنهم يصنعون لأنفسهم نوعًا من التكيف مع فكرة الموت بشكل ما. وهذا يتم جزئيًا عن طريق الكبت أو الرفض أو الاستنكار. وفي وسعك أن تلاحظ أن الطفل في أول الأمر يسأل أسئلة قلقة، ثم فجأة يصبح مهتمًا بأمر لا يمت إلى الموت بصلة، وتبدو على ملامحه علامات السرور. وقد يستمر سائر يومه غير مكترث، ثم لعله بعد ذلك عندما يأتي وقت النوم يعلن فجأة "لن أموت أبدًا" وهو يظن أن في وسعه أن يبعد خطر الموت عنه بقراره هذا أو ربما بدلاً من ذلك يعود ثانية إلى مزيد من الأسئلة المزعجة.

وهناك عامل آخر في منتهى الأهمية وهو موقف الأبوين من الموت، فالأب الذي يخاف هو نفسه من الموت إلى حد الرعب، سواء كان ذلك جهرًا أو سرًا، سوف يجد صعوبة ومشقة في تفسير ظاهرة الموت فلسفيًا لطفله. والأم التي لا تقلق بشأن أي شيء والتي لا تخشى موتها، بل ولا تفكر فيه، والتي لا تساورها أية مخاوف تجعلها تخاف من الكلام عن الموت حتى لا تزعج طفلها تكون بصفة عامة



قادرة على صياغة الكلمات المطلوبة بطريقة تتضمن أن الموت بعيد جدًا وأنه لا يستحق كل هذا القلق من الآن..

أما الأم أو الأب الذي ينظر إلى الموت نظرة أكثر مهابة وإجلالاً ويملك إيمانًا دينيًا قويًا بأن الرجوع إلى الخالق، عندما يحين الميعاد، معناه السعادة النهائية، فإنه ينقل اطمئنانه إلى طفله، سواء استطاع الطفل أن يفهم معنى كلامه أم لا..

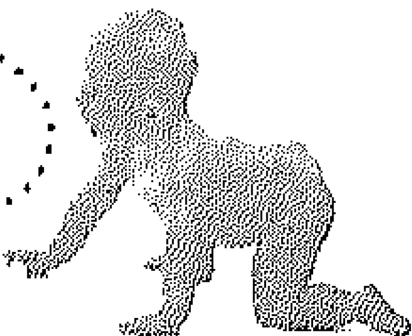
أما الموقف المفزع حقًا، عندما يموت أحد أفراد عائلة الطفل فإنه يخلق مشكلات مختلفة تمامًا سنتناولها فيما يلي.

**موت أحد أفراد الأسرة:**

ماذا يحدث للطفل عندما يدق الموت باب البيت ليختطف واحدًا من أفراد الأسرة؟ الأب أو الأم. الأخ أو الأخت، الجد أو الجدة؟

عندما يموت أحد أفراد العائلة أو قريب لهذه العائلة فإن علاقة الطفل بهذا الموت تكون مزيجًا من الإحساس بالحسرة والقلق وتستمر هذه الأحاسيس بين الحزن والقلق لمدة شهر. ثم مثلاً هناك الإحساس بالافتقاد، وخصوصًا عند موت أحد أفراد الأسرة كالأخ أو الأخت، وهناك الحزن الحاد الذي تتكرر موجاته في نفس الطفل. وهذا الحزن ينتج بطبيعة الحال مع الوعي التام بأن من مات لن يراه الطفل بعد ذلك ولم يعد موجودًا في هذا العالم.

أما عندما يموت الوالد أو الوالدة فإن حزن الطفل يكون في غاية العنف. إن الطفل يعلن كل يوم عن حاجته لرؤية من مات. إن صورة الأب أو الأم تزور



خيال الطفل أكثر من مرة في اليوم الواحد. إنه يشعر في كل مشكلة أنه لو أن الأب لم يمت أو أن الأم لم تمت لكان من السهل حل هذه المشكلة. إنه كلما احتاج إلى تحقيق أي رغبة من رغباته يتذكر على الفور من مات.

**ملاحظة**

موت أحد أقارب الطفل المحبوبين يترك غالبًا بصمات الإحساس بالذنب في أعماق هذا الطفل.

وعندما يحسن التصرف فهو يتجه بذاكرته إلى الإنسان الذي أحبه كثيرًا واحتاج له دومًا. إن الحزن يحفر في أعماق الطفل بصورة حادة ومرعبة. ويتجدد هذا الحزن والأسى كل يوم. ويستمر ذلك لفترة طويلة من الزمن، يستمر شهورًا إلى أن يشغل الطفل حياته بعلاقات جديدة تشغل هذا الفراغ العاطفي الذي عانى منه بفقد الأب أو الأم.. وتختلف المشاعر وطريقة التعبير عن ذلك من طفل إلى آخر. فالبنت غالبًا ما يكون أسلوب تعبيرها عن الحزن هو فقدان الإحساس بالمتعة في الحياة. ويظل الحزن يخنقها إلى أن تنفجر الدموع في أي لحظة. هذا إذا لم تستمر في عويل أو بكاء قد لا ينتهي. وهناك طفل آخر من نفس العائلة لا يبدو عليه أبدًا أي مظهر من مظاهر الحزن. ويبدو متجهم الوجه وبلا أي انفعال ظاهري، كأن شيئًا لم يحدث ونحن نعلم أن هذا المظهر السطحي لا يمثل انعدامًا حقيقيًا أو نقصًا في المشاعر، وإنما كل ما في الأمر أن الطفل يملك شخصية مدربة وهو قادر على ضبط انفعالاته والتحكم فيها.

ولمساعدة الطفل كي يعي اختفاء الفقيد، يمكن أخذه إلى المدافن ليرى القبر الذي يضمه، ولا يجب إبعاده عما يحصل داخل الأسرة، ولا سيما إذا أظهر رغبته

في المشاركة. وفيما بعد، ينبغي مساعدته على تذكر الشخص الذي فقدته العائلة، فلا نتردد في تذكّر الأوقات الجميلة التي كان يقضيها الطفل مع الفقيد.

وتكون ردات فعل الطفل تجاه موت قريب متعلقة بموقف المحيطين به، وبالعلاقة الخاصة التي كانت تربطه بالفقيد. فإذا ما كان يتمنى موته، أو كان يسمعه من حين إلى أخر يتلفظ بعبارات اللوم تجاهه والتذمر من تصرفه (هذا الولد يسبب لي الصداع، تصرّفه يميتني...) يشعر الطفل بحزن عميق ويجد نفسه مذنبًا، ويعتقد أنه مسبّب الوفاة. ولابد في هذه الحالة شرح أسباب الوفاة الحقيقية للطفل ليعود إليه الاطمئنان.

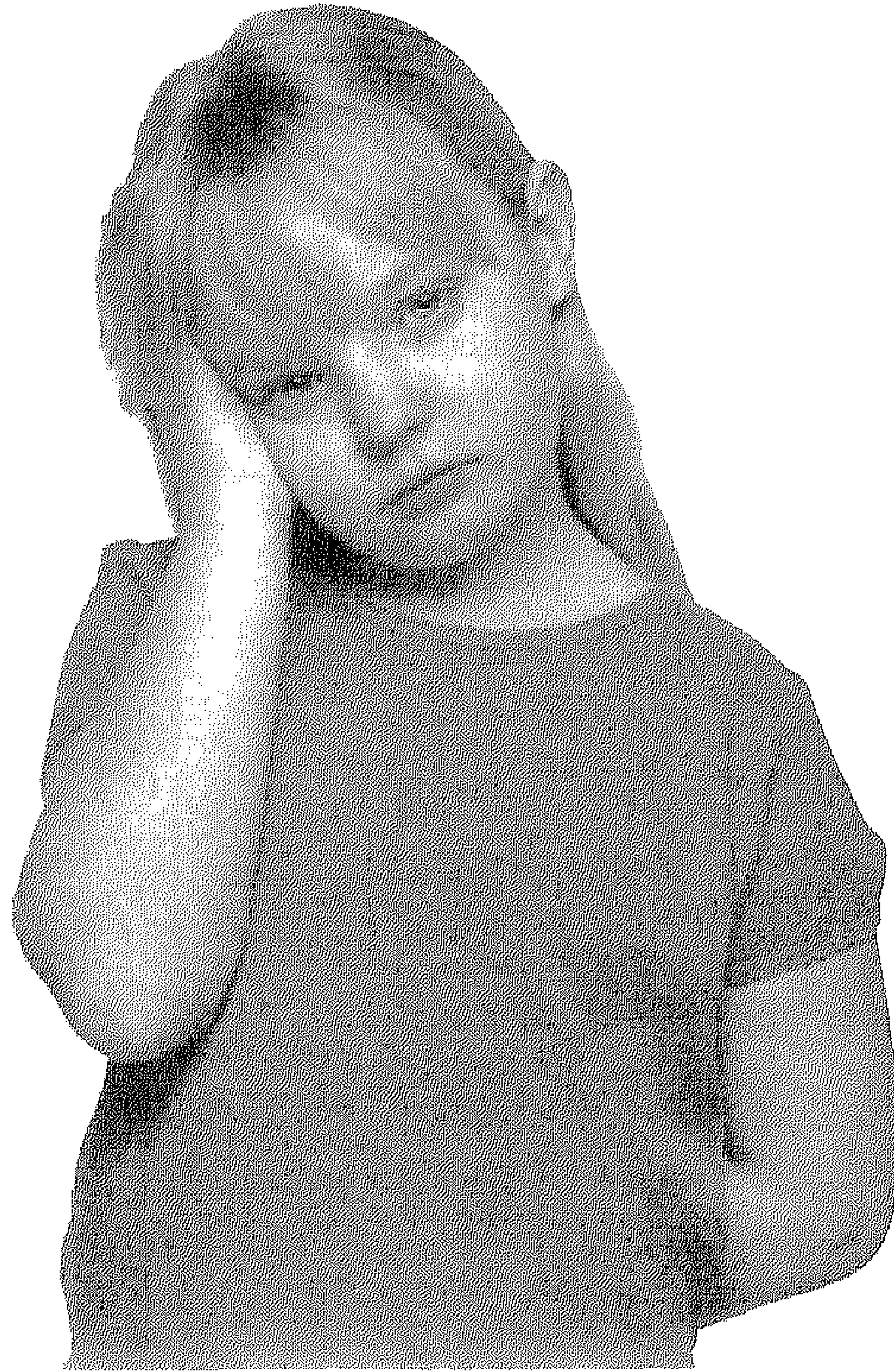
كلما كان الطفل صغيرًا، كان بالتالي شعوره بفداحة الخسارة شديدًا لدى فقده أباه أو أمه. من الضروري أن يستمر الطفل ببناء شخصيته وتكوين ذاته، على الرغم مما حصل، متشبهًا بمن فقده. وهنا تبرز أهمية الدور الذي ينبغي أن يؤديه من بقي حيًا من الوالدين، إذ يجب أن يذكّر طفله بصورة الوالدة أو الوالد، وبشخصيته، مع التركيز على ما كان يتمتع به من قيم، مهما كانت الأحاسيس تجاهه. والمرحلة التي تلي الوفاة تعتبر على جانب كبير من الخطورة والدقة، لأن الطفل قد يرفع الفقيد إلى مرتبة المثال، ويتخذ موقفًا عدائيًا من الوالد الآخر الذي لا يزال على قيد الحياة. مقابل ذلك، قد يحاول الطفل تعزية من بقي على قيد الحياة من الوالدين، عن طريق تقديم العطف وكل ما يطلبه من عون، في الوقت الذي يكون فيه الطفل بحاجة إلى من يعزيه أيضًا. وليس من الضروري أن يُخفي الأب أو الأم الحزن عن الطفل، شرط ألا يسيطر هذا الحزن على علاقتهما.

الفصل

6

# الاضطرابات السلوكية عند الأطفال

مشاكل التغذية - مشاكل النوم - النظافة - اضطرابات النطق والكلام - انحرافات سلوكية



# الفصل السادس
# الاضطرابات السلوكية عند الأطفال

## أولاً - مشاكل التغذية

أين تبدأ مشاكل التغذية؟ ما هي الأسباب التي تؤدي إلى نشوء هذه المشاكل لدى الكثير من الأطفال؟ السبب بوجه عام هو اندفاع الأمهات إلى تغذية أطفالهن على أفضل وجه. فالشهية تختلف باختلاف الأطفال، إذ يأتي كل واحد منهم إلى هذه الدنيا بقدر من الشهية يلائم تكوينه.



كذلك تخلق مع الطفل غريزة العناد إذا أُرغم على عمل لا يريده، وغريزة النفور من طعام لا يستسيغه. يضاف إلى ذلك أن الإنسان لا يُقبل دائمًا على الطعام نفسه بمقدار متساوٍ من الشهية. لذلك، فإرغام الطفل على تناول صنف من الطعام يؤدي إلى انخفاض شهيته له أو حتى إلى فقدانها كليًا. وتبدأ مشكلات التغذية أكثر ما تبدأ بعد شفاء الطفل من مرض ما، إذ تحاول أمه دفع الطعام في فمه، أملاً في أن يستعيد في أقرب وقت ممكن ما فقده من وزن أثناء مرضه، وهي تفعل ذلك قبل أن تعود إليه كامل شهيته.



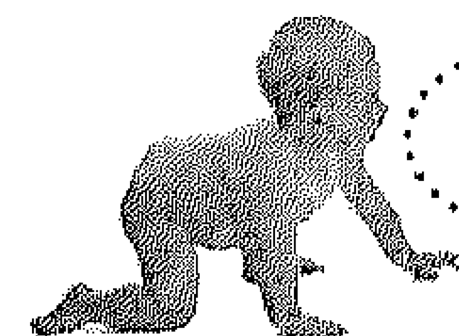

ومـن العوامـل الأخـرى الـتي تتسـبب في فقـدان الشـهية الغـيرة مـن شـقيق وُلـد حديثًا، أو القلق على أنواعـه. ومهمـا كـان السبب الأساسي، فإن ما يزيد من حجم المشكلة، قلق الأم واندفاعها إلى إطعام طفلها رغمًا عنه.

ومشـاعر الأم قوية جدًا عندما تواجه مشكلة غذائية. ومن أبرز هذه المشاعر الخوف من أن يصاب طفلها بنقص في الغذاء، أو يفقد مقاومته للأمراض العادية. ومهمـا حـاول الطبيب طمأنتها والتأكيد لها بأن المرض لا يصيب الطفل الذي يشكو من مشكلة غذائية أكثر مما يصيب غيره، فإنها لا تقتنع وتظل أسيرة القلق.

كذلـك قـد يسـتحوذ عليهـا شـعور بالذنـب، إذ يخيـل لهـا بـأن أقاربهـا وأقـارب زوجهـا والطبيـب يعتـبرونها أمًـا مهملـة. وبالطـبع لـيس لـهذا الشـعور وجـود إلا في خيالها وفكرها. ويضـاف إلى ذلـك، الشعور بخيبة الأمل والغضب حين ترى الأم جميع جهودها تذهب سدى. إنه يفوق جميع المشاعر الأخرى ألمًا وشقاءً.

ولمواجهة هذه المشكلة، إليك بعض التوصيات:

إضـفاء جـو من البهجة في أثناء تناول الطعام: ليس الهدف حمل الطفل على لأكل، بل إثارة شهيته بشكل يرغب معه في الأكل طبيعيًا. حاولي أن لا تتكلمي عن مسلكه في الأكل، سواء تشجيعًا أو تهديدًا. ولا تثني عليه إذا تناول مقدارًا كبيرًا من الطعام، أو توبخيه إذا اكتفى بالقليل منه. إنه يستعيد شهيته من تلقاء ذاته عندما يتحرر مـن ضـغطك. قدمـي إليه في بـادئ الأمـر الأطعمـة الـتي يفضلها، واستبعدي تلك التي يكرهها وينفر منها.





الاستنكاف عن تناول أصناف جديدة من الطعام: ننصح الأم التي لا يتناول طفلها إلا أصنافا معينة من الطعـام، ويـرفض أن يـلمس أيـة أصناف أخرى، أن تستمر في تقديم الأصنـاف المفضلـة لديه، علـى أن لا تخصص لكل وجبة من الوجبات اليومية صنفًا معينًا، بل أن تقدم في وجبة الغداء اليوم مثلاً ما قدمته في وجبة العشاء البارحة، وأن تقدم في وجبة العشاء غدًا، ما قدمته اليوم في وجبة الفطور، وهكذا يمكن لها من وقت لآخر أن تضيف صنفاً من الأصناف التي كان فيما مضى يتناولها - لا التي يكرهها - دون أن تذكر له شيئًا عن هذه الإضافة الجديدة. فإذا رفضها فينبغي ألا تعلق على بذلك بشيء. ويمكنها أن تعيد الكرّة بعد حولي أسبوعين، وأن تحاول في الوقت نفسه إضافة صنف آخر.

لا يجوز التمييز بين الأطعمة: دعي طفلك يأكل القدر الذي يشاء من الصنف الذي يشاء (ما دام طعامًا مغذيًا). وإذا شاء أن لا يتناول أي شيء من أي صنف آخر، فدعيه وشأنه. قدمي له أقل مما يستطيع أكله لا أكثر: إذا كان طفلك ضعيف الشهية، فقدمي له القليل من الطعام. وبعد أن ينتهي من تناول ما قدمت إليه، لا تسأليه إذا كان يرغب في المزيد، بل دعيه يطلب المزيد بنفسه.

**مـلاحـظـة**

أفضل طريقة لحث طفلك على تناول كل أصناف الأطعمة، هو أن تتظاهري بأن الأمر لا يعنيك ولا يهمك، إذا قدمت له صنفاً من الطعام ورفض أن يلمسه.

تشجيع الطفل على إطعام نفسه بنفسه: هل ينبغي على الأم أن تقوم بإطعام ولدها إذا كان ضعيف الشهية؟ الطفل الذي يلقى تشجيعًا صحيحًا يبدأ بالاتكال على نفسه فيما بين الشهر الثاني عشر، والشهر الثامن عشر من عمره. أما إذا استمرت الأم القلقة في إطعام طفلها حتى يبلغ الثانية أو الثالثة أو الرابعة (والأرجح مع قدر كبير من التحريض)، فإنه يألف عملها هذا ويعتبره من البديهيات، ومن دلائل عطفها عليه واهتمامها بأمره. فإذا توقفت فجأة عن إطعامه فإنها تجرح شعوره وتُفقده شهيته كليًا لفترة يومين أو ثلاثة أيام. وبما أن انقطاعه عن الطعام لفترة كهذه هو أكثر مما تستطيع أمه أن تتحمله فإنها تعود إلى إطعامه. وإذ يسجل الطفل على أمه نصرًا كهذا، يدرك في الوقت نفسه مقدار قوته، ومقدار ضعفها تجاهه، فيعيد الكرّة كلما هي حاولت من جديد إطعامه.

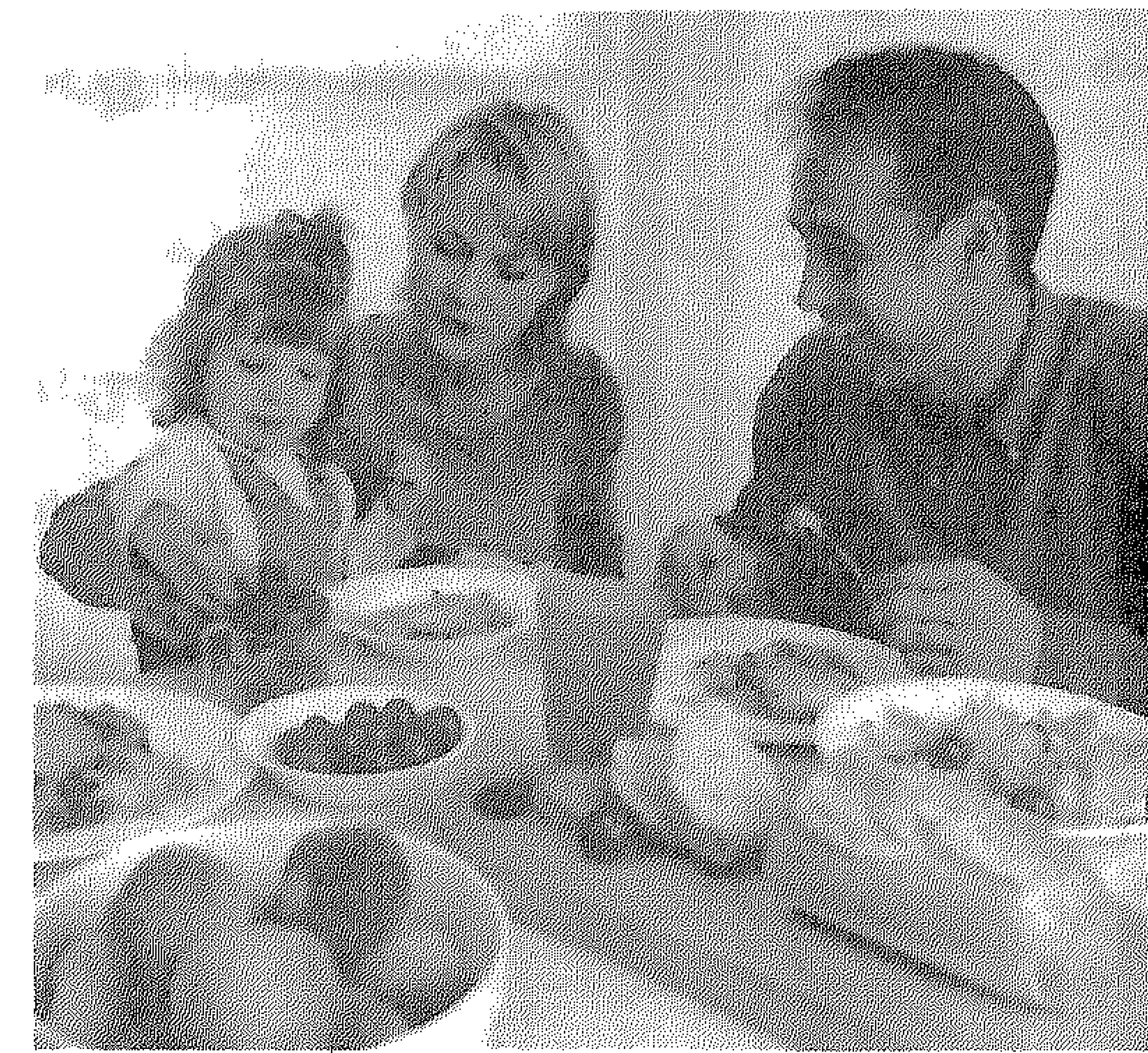
ويحتاج كل طفل بلغ الثانية أو أكثر أن يطعم نفسه بنفسه. إلا أن تدريبه على ذلك عمل دقيق قد يستغرق بضعة أسابيع. ولا يجوز أن ينشأ لديه انطباع بأنك تحرمينه حقاً من حقوقه، بل ينبغي أن تنشأ لديه رغبة ذاتية للقيام بذلك العمل.

قدمي له طعامه المفضل في جميع وجباته اليومية، وانسحبي إلى غرفة مجاورة أو إلى المطبخ بعد أن تتظاهري أمامه بأنك نسيت شيئًا ما. أطيلي فترة غيابك يومًا بعد يوم، وعندما تعودي إليه، أظهري بمظهر المسرور وبادري إلى إطعامه دون أي تعليق، سواء كان قد تناول شيئًا من طعامه أو لم يتنازل. وإذا غضب أثناء غيابك، وراح يستدعيك لإطعامه، عودي إليه مسرعة واعتذري له. والأرجح أن تقدمه سيكون بطيئًا وغير منتظم. فبعد أسبوع أو أسبوعين قد يتوصل





إلى تناول وجبة كاملة بنفسه، ومع ذلك فقد لا يتناول شيئًا من الوجبة التالية إلا من يدك. لا تجادليه أبدًا في ذلك. وإذا تناول صنفًا واحدًا من أصناف الوجبة، لا تحثيه على تناول صنف آخر. وإذا بدا راضيًا عن نفسه امتدحيه ولكن باعتدال، ودون أن تظهري قدرًا كبيرًا من الحماس. كي لا يشتبه أن في الأمر خدعة.

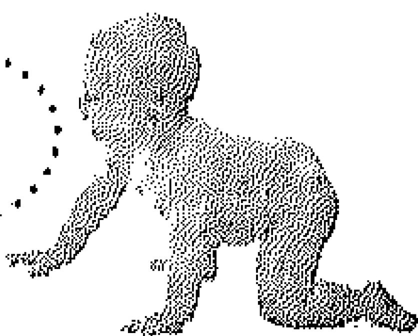


وإذا أحجم طوال بضعة أيام عن تناول أي شيء بنفسه، اعمدي إلى تجويعه، قدمي إليه نصف المقدار المعتاد، فهذا من شأنه أن يدفعه إلى البدء بالأكل بنفسه، شرط أن تنفذي ذلك بود ومحبة في محاولتك هذه.

**ملاحظة**

إن مسألة الغذاء مسألة لا يمكن أن نعرف لها قاعدة ما عند بعض الآباء والأمهات. فهم ينظرون إلى الطفل في بعض الأحيان على أنه لا يأكل جيدًا، رغم أنه يأكل جيدًا. وقد ينظرون إلى الطفل على أنه يأكل جيدًا رغم أنه بالفعل سيئ التغذية !

وعندما يصل إلى مرحلة تناول نصف الوجبة التي تقدمينها إليه بنفسه، لا تحاولي إطعامه النصف الآخر، بل دعيه ينهض عن المائدة جائعًا، فالجوع المتتابع يدفعه إلى المزيد من الأكل بنفسه.



وبعد أن يكون قد أكمل تدريبه على إطعام نفسه بنفسه، لا تعودي إلى إطعامه أبدًا مهما كان الأمر. فإذا بدا في يوم من الأيام مرهقًا، وطلب منك إطعامه، قدمي إليه ملعقتين أو ثلاثة ملاعق بشكل عفوي ثم توقفي عن إطعامه، بحجة أنه لا يبدو جائعًا. لا تدعي عاطفتك تتغلب عليك، لأنه ما إن تعودي إلى إطعامه عندما يبدو مرهقًا، أو يصاب بوعكة، حتى تذهب جميع جهودك السابقة أدراج الرياح، وينبغي عليك إعادة تدريبه من جديد.

هل ينبغي أن تلازم الأم الغرفة التي يتناول فيها الطفل طعامه: يتوقف ذلك على ما ألفه الطفل وما يرغب فيه، وعلى قدرة الأم على التغلب على قلقها. فإذا كانت قد تعوّدت الجلوس قربه، فتغيبها فجأة قد يثير الاضطراب في نفسه. وإذا كان بإمكانها أن تجالسه وتؤانسه دون أن تتدخل في شؤون طعامه، فلا بأس من بقائها قربه. وإلا فمن الأفضل أن تنسحب من الغرفة بهدوء وتدريجيًا.

**لا تلجئي إلى الرشوة:** ليس من المستحسن قطعًا أن تحملي طفلك على الأكل عن طريق الرشوة، كأن تقصي له قصة كلما تناول ملعقة من الطعام. وقد ينفع هذا الأسلوب في الوقت الراهن، إلا أن ولدك سيطلب حتمًا المزيد من الرشوة مرة بعد مرة، وسينتهي بك الأمر إلى قضاء ساعة أو أكثر من التهريج، مقابل بضع ملاعق من الطعام يتناولها من دون شهية.

كذلك لا تطلبي منه أن ينهي وجبته إكرامًا لك أو لوالده أو لكي يستحق قطعة من الحلوى، أو لكي ينمو جسمه ويزداد قوة. وباختصار، لا تطلبي منه أن يأكل.

ولا بـأس مـن الـتحدث أو سـرد الحكايـات أو الاسـتماع إلى المذيـاع في أثـنـاء تناول الطفل طعامه، شرط أن لا يكون لذلك أية صلة بحمله على الأكل.

وكمـا أن خـير الأمـور الوسـط، فكذلـك مـن المستحسـن أخـذ رأي الطفـل في شؤون الغذاء اليومي، ولكن لا يجوز قطعًا أن يعتقد بأن مشيئته هي فوق كل مشيئة.



**التقـيؤ:** الطفـل الـذي تجـاوز السـنة مـن عمـره ولا تتقـبل معدتـه شيئًا غير الطعام المهروس، هو طفل كـان يـرغم عـلى تـناول الطعـام، أو على الأقل كان يدفع على تناوله. وأن ما يحمله على التقيؤ ليس تكتل العام بحد ذاته، بل دفع هذه الكتل دفعًا داخل جوفه. ويعالج التقيـؤ بإحـدى ثـلاث خطـوات، أولهـا تشـجيع الطفل على تناول طعامه بنفسه كليًا، وثانيها إقناعه بتقبل الطعـام بوجه عـام، وثالثها التباطؤ بشكل غير اعتيادي في تخشين طعامه.

وهنـاك أطفـال يتقـيؤون حتى إذا تناولوا أطعمة مهروسة. ويبدو أن السبب في ذلـك يعود في بعض الحـالات إلى لزوجة الطعام. حاولي تخفيف اللزوجة بشيء من الحليب أو الماء، أو قطّعي الخضار والفاكهة قطعًا صغيرة بدلاً من هرسها.

## ثانياً - مشاكل النوم

بين الثالثة والسادسة من عمره، يعرف الطفل بعض الاضطراب العابر في النوم، لذلك يستحسن تفهم الوضع، وأن نبدي في الوقت نفسه بعض الحزم، لمساعدة الطفل على تجاوز هذه المصاعب.

يعتبر النوم الجيد ضروريًا لتوفير نمو متزن عند الطفل. وتتطور حاجاته إلى النوم ويتغير انتظامه مع تقدمه في العمر، لتتناقص ساعات النوم تدريجيًا. فساعات النوم تختلف بين طفل وآخر، وقد تتبدل عند الطفل الواحد تبعًا للمراحل والظروف التي يمر بها. والمعيار الصحيح في هذا المجال هو صحته، والسهولة في نهوضه من النوم صباحًا، والحيوية التي يبديها في نشاطه.



يكون نوم الطفل، بين الثالثة والعاشرة من عمره، شبيهًا بنوم الإنسان البالغ. وخلال الليل يتتابع نوعان من النوم بالتناوب: نوم عميق أو بطيء، ثم نوم خفيف مضطرب. وهكذا فإن نومًا من تسع ساعات يمر بست مراحل، بمعدل ساعة ونصف لكل مرحلة. أما اليقظة فغالبًا ما تتم خلال النوم المضطرب.

**النوم البطيء:** يبدأ ليل طفلك بنوم عميق، وهو يحوي أربع مراحل، بدءًا بمرحلة أولى أقل عمقًا من غيرها، وانتهاءً بمرحلة رابعة أكثر عمقًا من غيرها. لا يتحرك جسم الطفل ويكون تنفّسه منتظمًا.

**النوم المضطرب:** يبدو الطفل خلاله على شيء من الاضطراب، وتكون مقلتاه في حالة تحرك سريع، كما يقوم بحركات في وجهه، وينتفض قليلاً (ارتجاج عضلي)، ويحرك يديه ورجليه بينما تكون العضلات مرتخية، أما تنفّسه فيكون سريعًا وكذلك نبض قلبه.

هذا ما يُعرف بنوم الأحلام. وهذه الأحلام، مفرحة كانت أم محزنة، تساهم في إعطاء النوم نوعية جيدة فيتمتع الطفل بصحة جسدية ونفسية ممتازة. وتؤدي الأحلام دورًا مهمًا في تطوير مَلَكة اكتساب المعلومات عند الطفل، وفي توفير أجواء تحرّك الذاكرة. ثم إن المكتسبات الجديدة يحفظها الطفل بشكل أفضل إذا استتبعتها مراحل نوم. تختلف الأحلام بحسب العمر والجنس (بخاصة ابتداءً من السنة الخامسة) وكذلك بحسب المحيط الثقافي. تكون أحلام الطفل على علاقة بما يحدث له في حياته خلال النهار السابق، وفيها يتم تحقيق ما كان ينبغي أن

يتحقق في الواقع. في ما بعد تساعده الأحلام على تجاوز الأزمات والمصاعب التي تعترضه، ويكون هذا التجاوز رمزيًا وصوريًا.

**الأحلام المزعجة والكوابيس:**



وهي شائعة جدًا عند الأطفال من كلا الجنسين بين الأربع والخمس سنوات، وتخف ابتداءًا من عمر الثماني سنوات، وهذه الكوابيس مخيفة توقظ الطفل بعنف، فيصرخ بقوة ويشعر بحاجة ملحّة إلى التهدئة، وغالبًا ما تحدث في أواخر الليل (في مرحلة النوم المضطرب). وهي نادرة إجمالاً ولا تتميز بردات فعل جسدية، أي أن الولد لا يعرق ولا تتسارع دقات قلبه. وهو يستطيع تذكّر حلمه وسرد مراحله، يعي ما أخافه ثم يعود الطفل إلى النوم بهدوء بعد أن يهدأ ويطمئن. وإذا ما تكررت الكوابيس ليلة إثر ليلة فإنها تكون نتيجة حالة غير طبيعية، فعلى الأهل أن يبحثوا عن السبب علهم يجدون أن هناك ضغطًا شديدًا على حياة الطفل اليومية، أو تغييرًا مفاجئًا في حياته قد يتطلب طاقة كبيرة للتكيف والطفل غير قادر على ذلك. كما نذكر أخيرًا بأن الإرهاق الجسدي عند الطفل خلال النهار قد يؤدي إلى مثل هذه الكوابيس ليلاً.



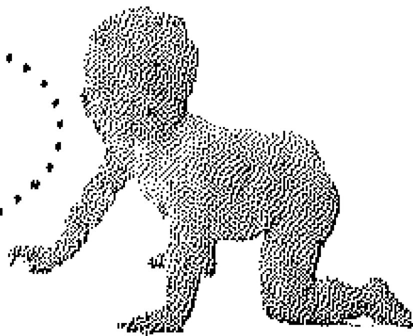
**مدة النوم ونمطه:**

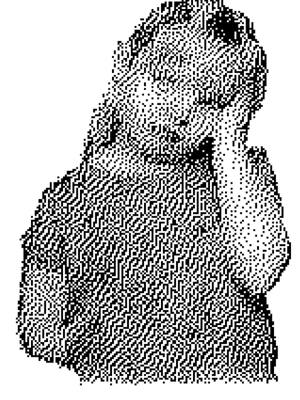
بعد عمـر الثالثة، ينام الطفل حوالي اثنتي عشرة ساعة، أي عشر ساعات في أثنـاء الليل ونحـو ساعتين في أثناء النهار. إلا أن بعض الأولاد يرفضون النوم خلال النهار بعد عمـر الثالثة، أو ينام البعض الآخر أحيانًا حتى السابعة من العمـر ولا يعتبر هـذا الأمـر غير عـادي. أما الوقت الذي ينبغي أن يأوي فيه إلى الفراش فهو بين السابعة والنصف والثامنة والنصف مساءًا، خصوصًا إذا كان عليه الذهاب إلى المدرسة في صباح اليوم التالي.

**تقاليـد النـوم**

عـوّدي طفلـك علـى أوقـات محـددة ومنـتظمة للطعـام وللنـوم ولا تنسي النظام الليلي. ثم إن الطفل، بين الثالثة والرابعة من عمره، يستطيع أن يميز بين الحلم والحقيقة. اجعليه يخبرك عن كوابيسه وبسّطيها بشكل طـريف فهـو يطمئن لـدى معرفته بأنه ليس الوحيد الذي تنتابه مثل هذه الكوابيس. لا تـترددي في قـراءة قصـة مخـيفة أمامـه طالما أن نهايـتها سعيدة فـالأولاد يحـبون هـذا النـوع مـن الحكايات لأنهـا تخفـف من وطأة شعورهـم بالخوف.

لا تختصـري الوقـت الـذي ينـبغي أن تمضيه قـرب طفلـك وقت النوم، ومقابل ذلك ليس من الضروري أن يطول مكوثك قربه إلى ما شاء الله. ويجـب أن تعـرفي كـيف تقـاومين مـناوراته لإبقـائك قـربه، ولـو كـان ذلـك يُفـرحك. لا تقـبلي بـأن يمسـك يـدك قبـيل أن يغفـو، ويستحسن ألا تـبقي قربه حتى يغفو، كي يتدرب شيئًا فشيئًا على الاستقلالية.





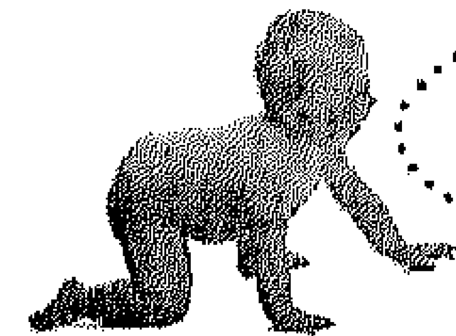


ويستحسن أن يراك طفلك قبيل النوم، إذ يكون بحاجة إليك قدر حاجته إلى النوم. كما ينبغي أن تأخذي نمط تصرفه بعين الاعتبار، فبعض الأطفال ينامون باكرًا وعليك أن تراقبي علامات التعب والنعاس وتشجعيهم على النوم مباشرة. وإذا لاحظت أن طفلك يبدو كمن ينقصه النوم، فقد يعني ذلك أنه يمر في حالة حزن أو قلق. وعليك عند ذلك أن تبحثي عن السبب وتحدثيه عما يذكره.

**الخوف من الانتقال إلى النوم:**

في حدود الثالثة أو الرابعة من العمر، يقع الطفل أحيانًا ضحية مخاوف غير منطقية، تحمله على رفض النوم. وإذا حاولت إكراهه على ذلك فإنه يقاوم ويصرخ، وقد يستمر الأمر ساعات على هذه الحال. فهو يخاف من العتمة، ويتذرع بوجود حيوانات أو مخلوقات غريبة تحت سريره أو في خزانته. يطالب بالضوء وبإبقاء الباب مفتوحًا، ويرغب في أن تبقي معه أو أن ينام في سريرك... لذلك ينبغي أن بعث الاطمئنان في نفسه، من دون أن تنفي كليًا مخاوفه، وحاولي التخفيف من حدتها وأثرها. كما عليك إقناعه بأنه لن يصيبه أي منها وأنك تريدين أن يبقى في سريره.

**الخوف من الافتراق:** إذا كان الطفل شديد الإحساس كثير الاعتماد على أمه - بوجه خاص إذا كان وحيدًا ليس له أخ أو أخت - فقد تضطر أمه إلى مغادرة المنزل لعدة أيام أو الذهاب إلى العمل خارج المنزل، وتستدعي امرأة أخرى للعناية به. إنه في العادة لا يثور أثناء غيابها، إلا أنه عند عودتها يلتصق بها كالعلقة



ويمنع المرأة الأخرى من الاقتراب منه، ويتولاه الذعر كلما خطر له أن أمه ستغادر المنزل من جديد. ويزداد قلقه هذا وقت النوم فيقاوم بضراوة كل محاولة لنقله إلى الفراش. وإذا ابتعدت أمه عنه يتملكه الرعب، ويأخذ في الصراخ. وإذا جلست قربه هدأ ويستمر هادئًا ما استمرت هي قربه. أما إذا حاولت النهوض والتوجه نحو الباب، فإنه يقفز فورًا ويتعلق بها.

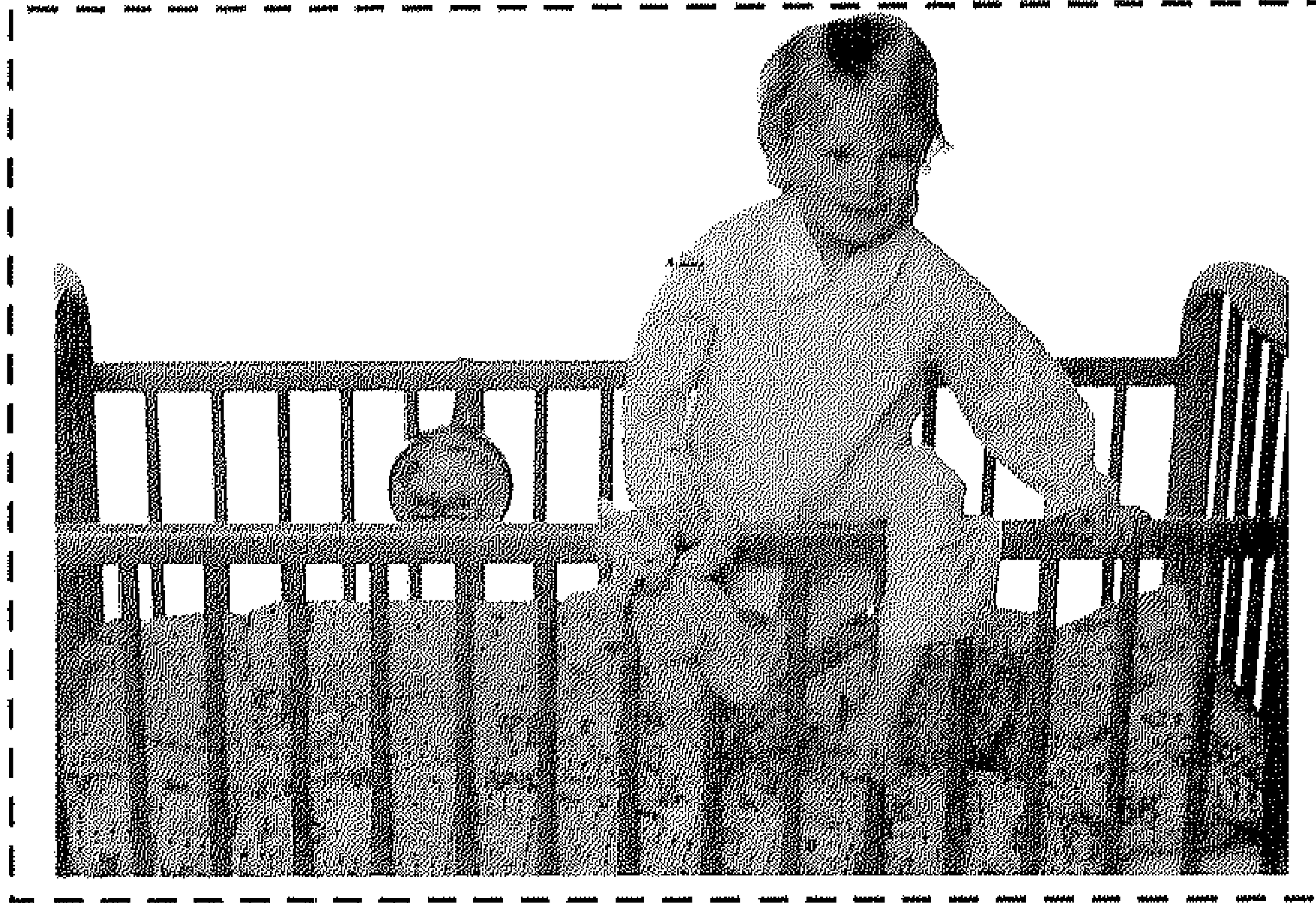


وفي بعض هذه الحالات ينشأ لدى الطفل قلق بالنسبة للتبويل فيكثر من طلب الذهاب إلى المرحاض، وعندما تأخذه أمه إلى المرحاض لا يبول شيئًا يُذكر، إلا أنه ما أن تعود به أمه إلى الفراش حتى يعود إلى طلب الذهاب من جديد إلى المرحاض للتبويل. وقد تتساءلين ما إذا كان طفلك يفعل ذلك كذريعة لإبقائك قربه. ومع أن هذا هو الواقع، إلا أن الأمر ينطوي في الوقت نفسه على أكثر من ذلك. فطفلك يخشى بالفعل أن يبول في فراشه، وقد يستيقظ عدة مرات أثناء الليل تحت تأثير هذا الخوف. ذلك أن هذه هي السن التي تبدأ الأم فيها تأنيب طفلها إذا بال في فراشه. ويحتمل أن يفكر الطفل في حالة كهذه بأنه إذا بال في فراشه فإن أمه ستفقد محبتها له وتتصرف عنه.

## ترتيبات مريحة لمقاومة رفض النوم

- اتباع نفس النظام كل ليلة: الاستحمام وتنظيف الأسنان، وارتداء ملابس النوم.
- الهدوء: ينبغي ألا يسود الضجيج في البيت وقت النوم، واحرصي على ألا يكون صوت التلفزيون عاليًا وعلى أن تكون الموسيقى هادئة. ولا تُحمّسي الطفل قبيل نومه، بل شجعيه على الرسم أو أخبريه قصة ما فهذا يريحه ويهدئ أعصابه. وإذا كان وجوده يعيق راحة أخيه أو أخته، يمكنك تخصيص غرفة أخرى لهما مؤقتًا. وإذا طالب بوجود أخيه أو أخته، اجعلي تجاوبه معك شرطًا لعودة أخوته إليه، وهو عادة لا يحب أن يكون وحده.
- الراحة: يجب ألا تكون حرارة الجو مرتفعة داخل غرفة النوم كما يجب أن تفسحي له مجال إشعال الضوء بأمان وسلامة (وضع مصباح كهربائي قرب سريره في متناول يده). وينبغي أن يكون سريره مريحًا وواسعًا ليتخذ وضعية النوم التي يراها مريحة، ليضع بقربه لعبته المفضلة إذا شاء ذلك. لا تدعيه ينام في سريرك أو ينسلّ إليه ليلاً، فهذا ما ينبغي ألاّ تقبلي به، خصوصًا إذا كان في حالة اجتياز ما يُعرف باسم عقدة أوديب. في هذه المرحلة، يحاول التدخل في حياتك الخاصة، ويجعل نفسه منافسًا لأحد الوالدين في المقابل، بشكل لا واعٍ. واعلمي أن الطفل لا ينام جيدًا إذا كان جائعًا، وما يقضمه من قطع حلوى أو بسكويت لا يحل مكان عشاء يؤمن له الشبع؛ احرصي على أن يتناول وجبة عشاء كاملة.
- التفرغ للطفل: يعتبر وقت النوم مرحلة مهمة يقاسم فيها الطفل أهله عواطف حميمة. لذلك عليك أن تخصصي له وقتًا كافيًا تعمدين خلاله إلى سرد حكاية تكون نهايتها سعيدة وإن كانت مخيفة، أو تستعرضين معه مجريات النهار، أو تداعبينه بلطف وهدوء، قبل حلول لحظة الانتقال إلى السرير. هذا كله يساعد طفلك على أن يجتاز براحة واطمئنان مرحلة الانفصال الليلي عنك. وبعد بلوغه السنة الثالثة، تتكاثر مطالب طفلك، فهو يصر على أن تكون أغراضه حوله مرتبة بهذا الشكل لا بذاك، ويلح على أن تسردي له الحكاية نفسها وبالطريقة عينها.. وهذه المطالب تخف أو تزول في حدود سنته الخامسة. أما دميته المفضلة والمرافقة له فلها دور مهدئ ومريح في الأوقات الصعبة، ويصل وقت يتخلى عنها الولد تلقائيًا.

والطريقة الفضلى لمعالجة مثل هذا الوضع، أن تذكر الأم طفلها بطريقة ودية ولكن حازمة، بأنه بال وشرب منذ فترة وجيزة، وأن تودعه متمنية له ليلة سعيدة ونومًا هانئًا وتغادر غرفته دون تردد. أما إذا ترددت أو بدت عليها إمارات القلق، فإنها تثبت بذلك مخاوفه. ويستحسن حتى ولو راح يشكو أو يصرخ باكيًا لبضع دقائق، أن لا تعود إليه. ذلك أن علاج هذه الحالة في بدايتها لا يستغرق أكثر من ليلة أو ليلتين، أما إذا تطورت، فقد يستغرق علاجها بضعة أسابيع.



والفئة الأخرى هي فئة الأطفال في سن الثانية الذين ما أن يأوي أحدهم إلى سريره حتى يقفز منه متجهًا حيث يجلس والداه. طفل كهذا هو كثير الدهاء ويعرف كيف يتودد إليهما في حالة كهذه، وبالتالي يصعب عليهما اللجوء إلى القسوة. علمًا بأن الواجب يحتم عليهما استعمال القسوة بدون تردد، لأن تكرار القفز من السرير قد يؤدي في نهاية الأمر إلى معارك بينه وبينهما تستمر ساعة أو أكثر كل ليلة. وإذا تطورت مشكلة القفز من السرير لدى طفل في سن الثانية، ولم يعد بالإمكان حلها، يتساءل الوالدان عما إذا كان يحسن إقفال باب الغرفة التي يرقد فيها طفلهما، وهذه الفكرة لا أنصح باللجوء إليها.

أما إذا كان الطفل يخاف النوم وحيدًا في غرفته فليشاركه الغرفة أحد أشقائه أو شقيقاته سواء كان أصغر منه أو أكبر.

**أم تتساءل**

**يطالب طفلي بإبقاء المصباح مضيئًا في الليل، فهل أقبل طلبه؟**

يمكنك أن تضعي في غرفته مصباحًا ليليًا بنور خافت، كما يمكنك ترك باب غرفته غير مغلق كليًا من أجل أن يدخل من الممر الخارجي بعض النور إلى غرفته.

**ما أن يغفو طفلي حتى يعود وينهض فجأة من فراشه، فما العمل؟**

اطلبي منه العودة إلى سريره فور نهوضه، وإلا فإن العقاب يكون بانتظاره. وعليك، من ناحية أخرى، أن تتبني طريقة محددة معه. لا تقفلي الباب كليًا لكي يشعر بحضورك. كوني حازمة في ما يتعلق بحاجاته وبنظام نومه.

**كيف يمكن أن اعالج خوفه في الليل؟**

حدثي طفلك عما يخفيه أو يغضبه، واجعليه يخبرك بما يجري معه في المدرسة. حاولي أن تخففي من مخاوفه وأقنعيه بأنك دومًا إلى جانبه.

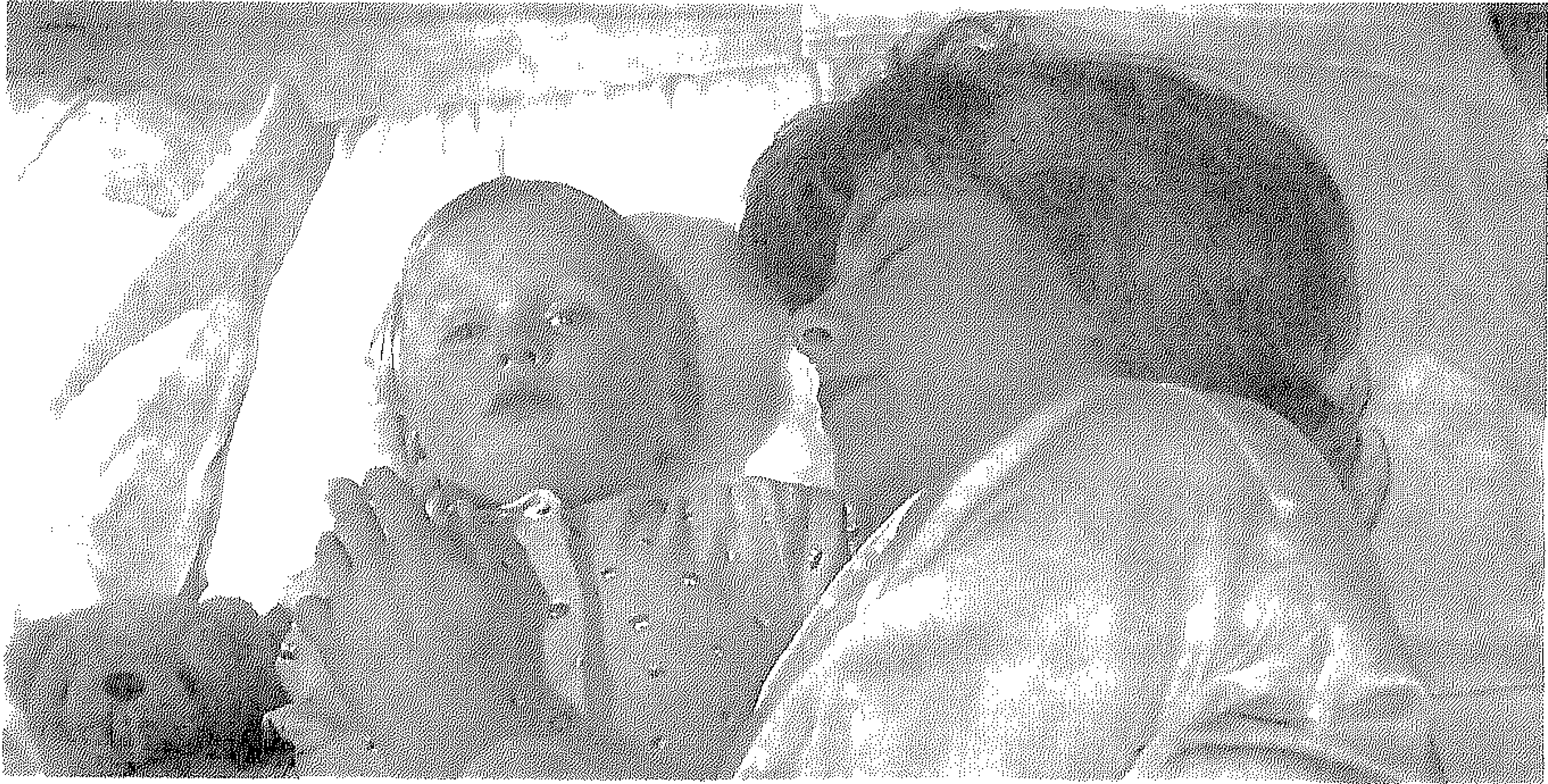
**ما العمل لمواجهة مخاوفه من المخلوقات الخيالية؟**

لا يكون طفلك دائمًا قادرًا على التفريق بين الواقع والخيال، ويحتاج بالتالي إلى أن يشعر بالاطمئنان. لذلك لا تُشركي نفسك في عالمه ولا تتظاهري بأنك ستقتلين ما يراه من مخلوقات، لأن ذلك يجعله يتأكد من وجودها. ومن دون أن تُنكري عليه حقيقة خوفه، أقنعيه بأنك ستكونين قربه وأنه سيكون معك بأمان.

**هل ينبغي أن اتدخل عندما يصرخ فجأة في الليل؟**

يختلف تصرفك بحسب السبب الذي من أجله كان هذا الصراخ. فإذا كان رعبًا ليليًا (وهذا لا يدوم سوى وقت وجيز يعاود بعده ولدك النوم)، لا داعي للتدخل. أما إذا كان كابوسًا فإن عليك أن تخففي من روعه وتهتمي بتهدئته.

**الجزع عند النوم:** يُطلق اسم الأوهام النعاسية على الظواهر الحسية التي تحدث قبيل النوم. وهي تتسبب بأحاسيس جسدية تخيف الطفل: اهتزاز عنيف للجسم، اعتقاد بالسقوط في الفراغ، شعور بشلل أحد الأعضاء، توهم وجود خيال يتحرك في السقف ويوحي بوجود مخلوق غريب.. هذه الأوهام المقلقة تنتاب النائم عندما يكون في حالة شبه وعي، مما يجعل الطفل قادرًا على تذكرها في اليوم التالي، وهذا ما يحمله على الخوف عندما يحين وقت النوم. لذلك لا تترددي في الحديث عن هذه الأشياء، لأن ذلك يطمئنه ويريحه.



**سؤال تردده بعض الأمهات**

**هل نسمح للطفل أن ينام معنا في السرير نفسه، عندما يقوم في منتصف الليل؟**

إن هذا أمر سهل بالنسبة لكثير من الأمهات، لكن هذا تصرف خاطئ له نتائج غير محمودة.

**السرنمة (السير أثناء النوم):**

يستيقظ الولد في القسم الأول من الليل، فيتجول خلال بضع دقائق، ثم يعود إلى النوم، وهو لا يتذكر في اليوم التالي شيئًا مما حدث. ولا داعي للقلق من هذه المظاهر، حتى ولو وجدت أن طفلك قد وصلك إلى حافة الشرفة. إلا أن تكرار هذه المظاهر الليلية أو حدّتها يستوجب استشارة الطبيب. وغالبًا ما تنتاب السرنمة الأطفال الذين بلغوا السادسة من العمر وما فوق، وقد تستمر فتتوقف في سن البلوغ.

**النوم الزائد:**

قد يبدو الطفل في حالة نعاس زائد خارج أوقات النوم العادية. وعند ملاحظة أن الطفل ينام أكثر من المعتاد، واستمر على هذه الحال عدة أيام، وأنه يفضل النوم على اللعب، مع فقدان الحماس، فإنه قد يكون مكتئبًا لسبب ما. حاولي البحث معه عن سبب حزنه، أو استشيري الطبيب في هذا الأمر.

**التمايل الموقع وصرير الأسنان:**

إذا كان ولدك يتصرف بشكل طبيعي خلال النهار، فإن هذه المظاهر لا تعكس اضطرابًا نفسيًا. فصرير الأسنان هو عبارة عن حركات لاواعية تتخلل النوم البطيء والخفيف، ويمكن أن تتكرر عدة مرات في الليل. وقد يلجأ الطفل، في لحظات النوم الأولى، إلى التأرجح في سريره، ويبالغ بعضهم في ذلك إلى حد صدْم الرأس بقضبان السرير. ويمكن اعتبار هذه المظاهر بمنزلة نداء للأهل أو لفت لنظرهم، كي يزداد اهتمامهم بالطفل. وهي غالبًا ما تظهر عند الطفل الذي يتميز

بالحيوية الزائدة التي تترجم بهذه الحركات. لذلك يجب ألا نفرض على هذا الطفل الهدوء والتعقّل خلال النهار، وإنما مشاركته نشاطات حركية.

**تحاشي المنومات**

تؤثر المنومات على أنظمة النوم الفزيولوجية الطبيعية عند الطفل. وهي تضر بمركز التنبه وجهاز التنفس، كما تخفّض نشاط القلب.

للمنومات أيضًا تأثيرات سلبية ثانوية منها أنها تقلل من تنبه الطفل خلال النهار أو على العكس، تزيد من اضطرابه. قد يعتاد الطفل تناول هذه الأدوية مما يؤدي إلى زيادة الجرعات والتعوّد العقّاري.

## ثالثًا - النظافة

في كل مرة تغيِّرين فيها حفاض طفلك، تجدين أن هذا الحفاض متسخ، وتتساءلين: متى يصبح طفلي نظيفًا؟ والواقع أن تدريب الطفل على النظافة يمكن أن يبدأ بين الشهر الثامن عشر والشهر الرابع والعشرين. قبل ذلك، وعلى الرغم من إحساس غريب يشعر به الطفل في المثانة والمعي، فهو يجهل أنه يستطيع السيطرة على الحاجة إلى التبول والتغوّط وضبطها.

**شروط التدرّب:**

لا يتوصل طفلك إلى أن يكون نظيفًا إلا بعد أن يكون قد بلغ النضج الفيزيولوجي والعاطفي الكامل. يجب أن يكون قد أصبح قادرًا على الشعور بالحاجة إلى إفراغ مثانته وأمعائه، وقادرًا على إمساك نفسه إلى أن يصبح في

وضعيّة تسمح له أن يقضي هذه الحاجة. كما ينبغي أن يصبح جاهزًا للبقاء جالسًا على نونيّته وقتًا طويلاً من دون أن يملّ (من خمس إلى عشر دقائق)، وأن يدرك أخيرًا ما قام به عندما يرى أن نونيته قد امتلأت.

**آلية النظافة:**

قبل بلوغ الطفل الشهر الثامن عشر، يقضي حاجاته، من تبوّل وتغوّط، نتيجة لمنعكس آلي لاإرادي للعضلات التي تسمى ملساء. ثم يصبح شيئًا فشيئًا قادرًا على ضبط عضلات تسمى مخطّطة وتعمل بأمر من الدماغ، أي من الإرادة، وعلى العمل بالتالي دون تسرّب البول أو البراز.

**البول:** تفرز الكليتان البول فيتجمع في المثانة وتحبسه عضلة دائرية، هي العضلة العاصرة. وهذه العضلة تمنع سيلان البول من المثانة عند تجمعه فيها تبعًا. وتتكون العضلة العاصرة من مجموعة عضلات ملساء ترتخي تلقائيًا عندما يتجاوز الضغط على المثانة حدًا معينًا، كما تتكون من عضلات مخططة تستجيب لأوامر الدماغ.

**البراز:** يتجمع البراز في المستقيم، ويضبط تحركه بواسطة العضلة العاصرة للشرج. وهذه العضلة، كعضلة المثانة، تكون في حالة دائمة من الانكماش تخضع كذلك للأوامر الميكانيكية المحلية وللإرادة. وإذا كان البراز رخوًا قليل الكثافة، فإنه يؤخر الوقت الذي يتمكن فيه الطفل من أن يكون نظيفًا، ومن السيطرة على العضلات العاصرة، لأن إمساكها يغدو صعبًا. وبالمقابل إذا كان ولدك ينمو ويتطور طبيعيًا ويأكل بشكل عادي، يمكنك ترك الأشياء تنتظم تلقائيًا، ومتابعة التدريب

بهدوء. أما إذا كان تعلم النظافة بطيئًا جدًا، فيمكن معالجة الأمر بأدوية خفيفة تجعل البراز متماسكًا، مما يسمح للطفل بالتقدم المطرد نحو النظافة.

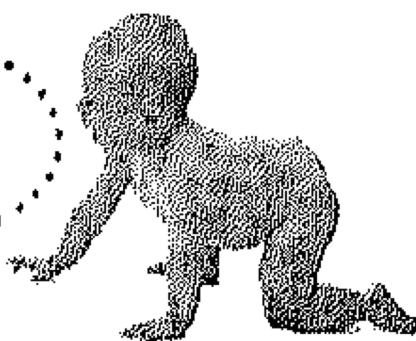
تتحقق النظافة في أعمار مختلفة، وذلك بحسب الأطفال. وهي نادرًا ما تكون قبل الشهر السادس عشر، ويمكن أن تتم في الشهر الثامن عشر. والمعروف عادةً أن الأطفال، من إناث وذكور، يتنبهون إلى النظافة في حدود السنتين، وذلك خلال النهار فيتخلصون من البراز أولاً ثم من البول، ولا يتوصلون أحيانًا إلى النظافة ليلاً إلا بعد بلوغ الثلاث سنوات.

**ملاحظة**

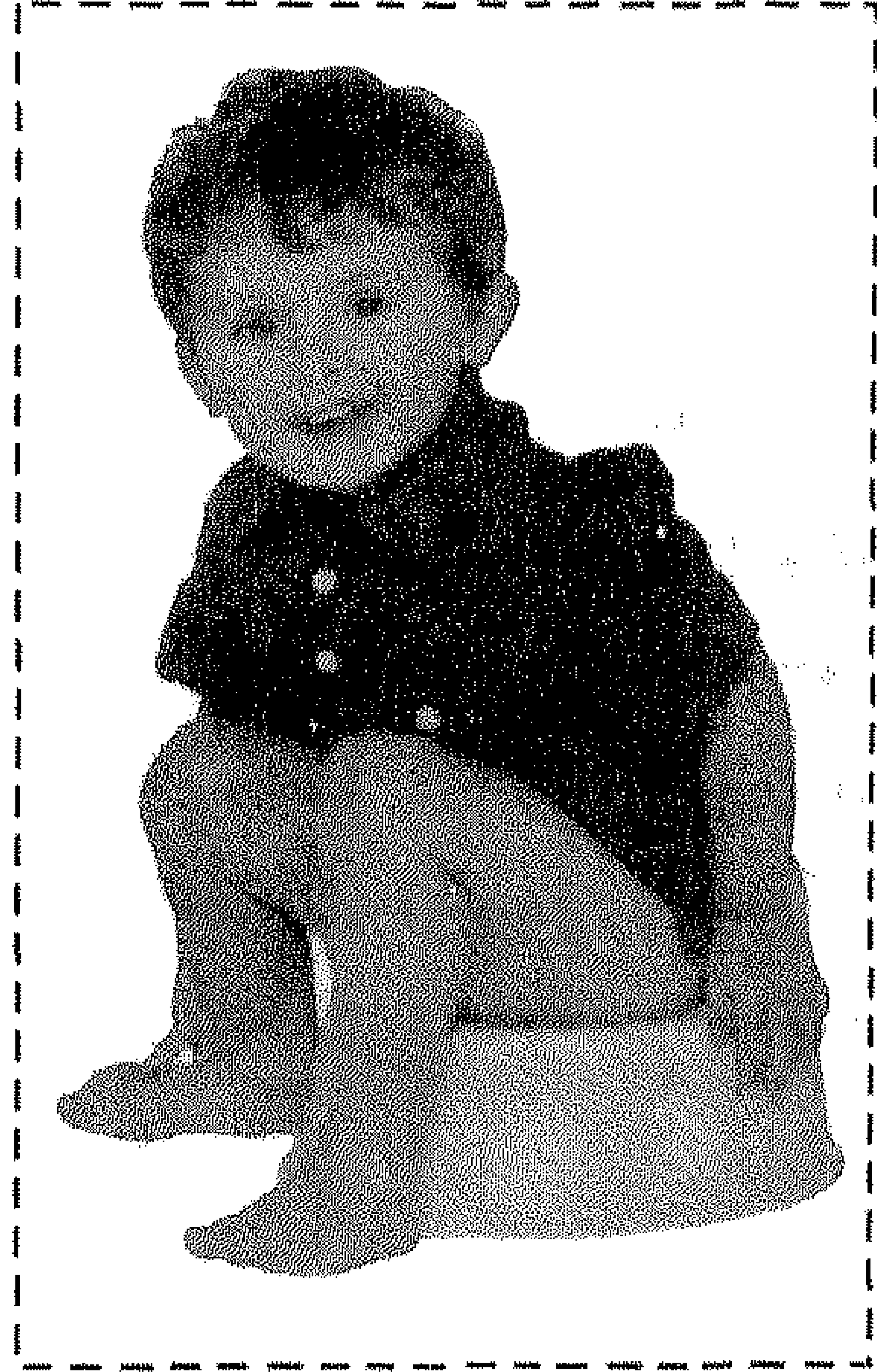
لا تستعجلي إلغاء الحفاض، لئلا تتعقد الأوضاع بالنسبة لك وللطفل، فقد لا يكون طفلك جاهزًا بعد للجلوس على النونية. في بداية الأمر، يجد الطفل لذة في الجلوس، وفي النهوض والتنقل ملوّحًا بالنونية. ويبدأ التدرب الفعلي في حدود عمر السنتين، أو بعد ذلك بقليل عند الذكور الذين يتأخرون قليلاً عن الإناث في موضوع النظافة. واعلمي أن الأطفال يتوصلون إلى التحكم بأمعائهم قبل التحكم بالمثانة، وبينما هم يتعلمون كيف يحافظون على نظافتهم خلال النهار، يستمرون في التغوط والتبول ليلاً، إلى أن يصلوا إلى عمر الأربع أو الخمس سنوات أحيانًا.

## أهمية النونية:

النونية وسيلة تبادل عاطفي: لا يكفي أن يكون الطفل ناضجًا على الصعيد الجسدي، والعضوي، والعصبي، لكي يصبح نظيفاً. إنما يجب أن يرغب في النظافة أيضًا، أي أن يساهم ويبذل جهده لاجتياز هذه المرحلة. لذلك يجب تدريبه على ذلك، وينجح هذا التدريب إذا كانت العلاقة مع الأهل سليمة، ولاسيما مع الأم.

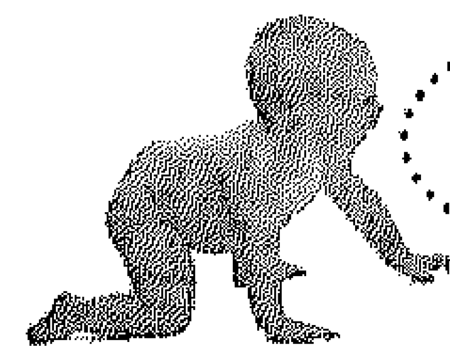



ويجري التدرب على النظافة بشكل طبيعي، ضمن إطار التطور الطبيعي لكل طفل، ولا ينبغي أن يتحول التدريب موضوع توتر داخل العائلة.



بعدما يكبر طفلك ويمشي، لا يعود بإمكانك اعتباره طفلاً تابعًا كليًا. فغذاؤه الذي أصبح غنيًا بالخضر، وخصوصًا باللحوم، يعطي برازه رائحة قوية. وبعد العلاقة الحميمة والخاصة، التي قامت بينكما، فإن كلاً منكما يشعر بضرورة الانتقال إلى مرحلة جديدة. وعندما يتبول الطفل في النونية أو عندما يتغوط، ينبغي أن يعي ما يقوم به. وهو في البداية يقوم بذلك، لا لتلبية حاجة جسدية فقط، وإنما لإرضاء أمه. إلا أن هذا الوضع يتخذ طابع الازدواجية، فهو من جهة يرغب في أن يكبر ويصبح أكثر استقلالية، ومن جهة لا يريد التخلي عن العلاقة العاطفية الحميمة التي تربطه بأهله.

**التدرب على النونية:** يكاد دورك أن ينحصر في تشجيع الطفل على استعمال النونية، وتهنئته على التقدم الذي يحققه. وينبغي أن تهدف محاولاتك إلى حمله على اتخاذ المبادرة، وطلب النونية أو البحث عنها بنفسه، ومناداتك عندما ينتهي من التغوط. وعليك مقابل عمله أن تُظهري تقديرك وإعجابك بما حققه، وتصرفي

بدراية وتروٍّ حتى لا ينزعج طفلك. لا تترددي في التصفيق أمام نونية مليئة، لكن لا تُظهري تأثرًا بارزًا.

**اختيار الوقت المناسب:** يتطلب التدرب تعاون الطفل واهتمامه، وما أن يصبح طفلك قادرًا على المشي، والجلوس والنهوض وحده، حتى يصبح بإمكانك أن تعرضي له النونية وتقدمي له هذا الشيء الجديد الذي يستطيع الجلوس عليه ونقله من مكان إلى آخر.

**اقترحي عليه استعمال المرحاض الكبير**



بعد مرور عدة أسابيع على استعمال ولدك النونية بنجاح، خلال النهار، اقترحي عليه أن "يكون مثلك" ويستعمل المرحاض الكبير. وعليك وضع مقعد خاص بالأولاد على المرحاض، ليطمئن إلى أنه لن يسقط داخله، ووضع درج أمام المرحاض ليتمكن من بلوغه. كما عليك أن تساعديه في محاولاته الأولى، إلى أن يتقن الأمر. وإذا أراد الصبي أن يتبول فحسب، فارفعي غطاء المرحاض وكرسيّه، وعلمي ولدك كيف يوجه قضيبه. أما إذا أراد التبرز فساعديه على إنزال سرواله، والصعود إلى المرحاض؛ وقومي بأمر مشابه مع ابنتك. ابقي بجانب ولدك حتى يفرغ، وساعديه على النزول.

بعد تحضيره لهذه المرحلة الجديدة، لا يبقى إلا أن تنتظري الوقت الذي يقرر فيه هو استعمال النونية التي تضعينها بتصرفه. لا ترفضي أي مساعدة يطلبها، واجتهدي في مراقبة الحركات والإيماءات والتحركات والكلمات (يُنزل سرواله، يتذمر، يقرفص، ينادي)، التي تشير إلى رغبته في استعمال النونية، كما

يمكنك تقديمها له وإن لم يطلبها. قد تلاحظين أنه يحتاج النونية في أوقات محددة، وباستطاعتك كذلك تقديمها صباحًا أو مساءًا أو بعد كل وجبة، وذلك مدة دقائق معدودة. وإذا لم يتبول أو يتغوط، لا تلحي، فقد يتوصل إلى ذلك في محاولة أخرى. إنه يلجأ إليها حينًا ويرفضها حينًا آخر مفضلاً الحفاض. أما إذا تبول أو تغوط، اطلبي منه النهوض فور انتهائه لكي يفهم الغاية من استعمال هذا الشيء ثم اعمدي إلى إفراغ النونية في المرحاض ثم سحب المياه وذلك على مرأى منه.

**نوع النونية:** ينبغي أن تكون النونية مريحة، ثابتة، سهلة الاستعمال وجميلة المنظر. ويجب أن يتقبلها طفلك برضى وارتياح، لأنها ستصبح ملكه والشيء الذي يستقبل "هداياه". تحاشي النونية التي تكون داخل مقعد أو كرسي يعتليها فيمزج الطفل بين اللعب والأكل والتغوط. فكل نشاط له مقوماته الخاصة به، ولا تُكتسب النظافة مصادفة أو خلال اللعب أو الأكل. هناك أنواع من النونيات معدة خصيصًا للأطفال يمكن تركيبها على كرسي المرحاض، علمًا أنها مخصصة للأطفال الذين تزيد أعمارهم على ثلاث سنوات والقادرين على الجلوس على كرسي المرحاض والنزول عنه وحدهم. وعندما يصل إلى العمر الذي يتعرف فيه إلى كيفية وضع الأشياء بعضها داخل بعض، يمكنه أن يفهم أن النونية تصلح لاحتواء البراز الذي يكون داخل الحفاض قبل التخلص من هذا البراز في المرحاض.

**الحد من المنازعات:** يجب ألا يتحول هذا التدريب الدقيق إلى موضوع توتر للعائلة كلها. فكلما كانت رقابتك ضاغطة، جاء رفض الطفل قويًا، لأنه يشعر بأنك تعلقين أهمية زائدة على حاجاته. افسحي له المجال والوقت من دون أن تُظهري نفاد الصبر.

**أم تتســاءل ؟؟**

**يفضل طفلي التغوط في الحفاض عوضًا عن استعمال النونية، فما العمل؟**

حاولي أن تعوديه استعمال النونية حتى يبلغ عمر السنتين والنصف، واشرحي له حسانتها من دون توبيخ أو إكراه. وفي أيام الصيف، دعيه نهارًا من دون حفاض، وإن أدى ذلك إلى اتساخه، حتى يدرك بأنه يتسخ فعلاً. فلذلك يعلّمه أدراك حاجاته بسهولة، وتمالك نفسه واكتشاف فائدة النونية.

**يخاف طفلي من منظر البراز، فكيف أحرره من هذا الخوف؟**

إن البراز، في نظر الطفل، هو قسم من الجسم، وقد يخاف لدى رؤيته يخرج ثم يختفي مع مياه المرحاض. لذلك عليك أن تشرحي له أن ما يقوم به هو عملية طبيعية مشتركة بين الناس كلهم. حاولي كذلك تفسير ألعابه فإذا رمى أشياء أخرى في المرحاض وسحب المياه فوقها فذلك يساعده على الشعور بالارتياح.

لا توبّخيه إذا استمر في توسيخ حفاضه، أو إذا تغوط قليلاً خارج النونية. فهو لا يتعلم كل شيء بين يوم وآخر، وعليك أن تشجعيه من دون أن تكترثي لفشله. لا تكوني شديدة التدقيق في التفاصيل، ولا تربطي البراز بفكرة الاتساخ، أو القصاص، أو المرض. أظهري له فرحك، فهو يستحق بأن يكون معتزًا بنجاحه في هذا التدريب الصعب.

## التبول في السرير:

يندهش بعضنا في الأسباب التي قد تجعل الطفل يبول في فراشه. إن بعض الأسباب هي نتيجة عيوب خلقية يولد بها الطفل. وأحيانًا يكون السبب في ذلك هو

أحد الأمراض، وبناء عليه فلا يستطيع الطفل أن يضبط مسألة التبول تمامًا. وعلينا أن نعرف أن معظم الأطفال الذين يبللون فراشهم في الليل لا يعانون من أمراض جسدية وعند الواحد منهم القدرة على التحكم في نفسه طول ساعات النهار رغم أنه قد يبلل ملابسه قليلاً لا لشيء إلا لأنه لم يذهب بسرعة إلى المرحاض بل يتكاسل عن ذلك وتكون النتيجة أنه يبلل ملابسه.

وهناك بعض الأطفال يكون تبليلهم ليلاً للفراش هو نتيجة لظروف نفسية. وأكثر هذه الحالات انتشارًا هو أن الطفل الذي يصل عمره إلى 24 شهرًا أو ثلاث سنوات ويتوقف عن تبليل الفراش لعدة أسابيع طويلة لكنه يعود مرة أخرى إلى تبليل الفراش ليلاً عندما تضع أمه مولودها الجديد، لأنه هنا يشعر بعدم الاستقرار وعدم الأمان، ولهذا فهو ينكص مرة أخرى إلى فترة من عمره ويتصرف تصرفات تلك الفترة فيبلل الفراش ليلاً. إن "النكوص" مسألة طبيعية بالنسبة لكل إنسان يعاني قلقًا ويسمونه في علم النفس إحدى العمليات اللاشعورية لأن الإنسان يحمي به نفسه من القلق. وهكذا يمكننا أن نشاهد أن الطفل لا يبول في الفراش ليلاً فقط ولكنه قد يمص أحد أصابعه أو يتشبث بأنه كثيرًا ولا يطيق فراقها ولو للحظة واحدة.

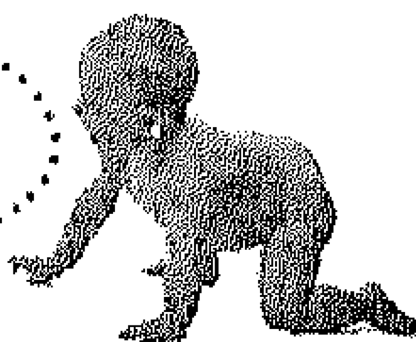
وقد يكون التبول في الفراش له هدف الانتقام من الأم أو مضايقتها لأن هذا الطفل الوليد الذي حملته في بطنها وأتت به إلى الدنيا إنما جاء ليدمر إحساسه بالحنان ويعتدي على مملكة الحب التي يتمتع بها.

وعندما نرغب في علاج مثل هذه الحالات فلابد أن نعمل على إعادة الإحساس بالأمان بالنسبة للطفل وأن نؤكد له أن مجيء طفل آخر لا يعني أننا لا نحبه. إن هذا يجب أن يترجم عمليًا كل يوم وكل دقيقة. ليس هذا معناه إفساد الطفل بالتدليل ولكن معناه أن نجعل الطفل يحس جيدًا أنه ما زال يتمتع بحبنا الكامل.

يحدث معظم التبول ليلاً للأطفال من الذكور. معظم الأطفال الذكور الذين لا يمتنعون أبدًا عن تبليل الفراش ليلاً بل بعضهم يصل به الأمر إلى حد تبليل الفراش حتى عمر السادسة والثامنة العاشرة والثانية عشرة، وهؤلاء في معظم الأحوال لا تكون الأم قد قابلت صعوبات أكثر من المعتاد في تدريب الابن على الذهاب إلى المرحاض وكيفية استعماله أثناء النهار، هذا عندما كان ابنها في عامه الأول أو الثاني لأنه كان يقابل كل محاولة لتدريبه بمنتهى العناد والرفض مما كان يسبب للأم الضيق والتوتر. وهناك أطباء نفسانيون توصلوا إلى نتيجة مؤداها أن معظم حالات تبليل الفراش عند الأبناء هي وجود إحساس بالتوتر الشديد بين الأم والابن، تكون الأم قوية الشخصية قادرة دائمًا على أن توجه اللوم والنقد للابن بحكم طبيعتها وهي في آن واحد توجه له اللوم والتوبيخ وتحاول أن تكشف له عن أخطائه تمامًا. إنه في نظرها ينطق بعض الكلمات التي لا يجب أن ينطقها وهو في نظرها عنيف مع الآخرين، وهو في نظرها طفل يسبب الضجيج ويحدث الفوضى. وهذه أشياء

**ملاحظة**

يشعر الطفل بالخجل من عملية التبول في الفراش، رغم أنه لا يعلن عن ذلك، ولهذا من المطلوب أن نفهمه أننا على ثقة بأنه يحاول التحكم في نفسه ليلاً.

طبيعية في الأطفال لكنها لا تستطيع إدراك ذلك. والطفل في أغلب الأحيان يملك رهافة في الإحساس تجعله يهاب ويخاف من أن يغضب أمه. والطفل أيضًا في هذه الحالة يكون من النوع المسرف في الاعتماد على والدته في الطفولة ويخاف أن يفقد "المساعدات" القيمة التي تقدمها له الأم، وهو سريع الاقتناع بأنه ولد غير ناضج وأن الأم إنسانة طاغية القوة والسيطرة.

ورغم هذا فالطفل لا يرضخ إلى الاستسلام حتى لا ينال غضب الأم لكنه يتعود الحصول على لذة مستترة من إغضاب الأم ولهذا فهو يستفزها لا شعوريًا ببعض المكر مما يثيرها عصبيًا. إنه يقاوم الخضوع لسيطرة الأم رغم أنه يحصل على لذة مستترة منه. والمشكلة هنا يصفها الطب النفسي بأنها صراع شديد وعميق بين اللذة المريضة من الاستسلام وبين الأمل على أن يكون طبيعيًا وإنسانًا له إيجابية. إن هذا النوع من الأطفال الذين يبللون الفراش ليلاً، لا يفعلون ذلك نتيجة لعدم التدريب على التحكم في النفس، أو لأنه غارق في النوم. إن الذي يحدث هو أن الطفل يحمل حلمًا مزعجًا قهريًا يشاهد فيه قوة داهمة أو شخصًا عملاقًا أو حيوانًا متوشحًا أو أي شيء واهم، ويعاني الطفل من القلق أثناء الحلم ويحصل أيضًا على لذة ما. وهكذا نرى أن عملية التبليل التي تحدث هي نتيجة طبيعية كرد فعل لهذه الانفعالات المثيرة.

وإذا استطاعت الأم التي تعاني من مشكلة أن ابنها يبلل فراشه كل ليلة أن تعالج الابن بنفسها فهذا أمر جيد. والأم التي لا تستطيع ذلك عليها أن تنتبه إلى عدم إهانة الطفل وإلى ضرورة أن تؤكد له أنها تثق به وأنه سيستطيع أن يصل في أيام معدودة إلى التحكم في نفسه. إذا كانت الأم قد وقعت في براثن عناد الطفل

واستفزازه ومحاولة إهانته دائمًا بسبب ذلك فإن عليها أن تعترف للطفل بأنها ستبدأ معه بداية جدية وتقول له باعتذار أنها كانت مخطئ في هذا الأسلوب. ولابد أن أسلوب التحقير لشأنه قد أغاظه، لكنها تعلم أن عددًا كبيرًا من الأطفال في مثل هذا العمر يعانون من هذه المشكلة نفسها وهم يستطيعون أن يمارسوا قدرتهم على التحكم في النفس بالمحاولة، وإنها تثق في أنه سيحاول وأنه سيحقق القدرة الكاملة على التحكم في النفس.

**أم تتساءل ؟؟**

**هل نوقظ الطفل في منتصف الليل ونصحبه إلى المرحاض حتى يتبول وهو نصف نائم؟**

إن معنى ذلك عند الطفل أن الأب والأم لا يثقان فيه، ولا يثقان في أنه قادر على التحكم في النفس، وأنه لا يستطيع أن يقوم بكل أموره بنفسه.

**هل نجعله يغسل ملاءات السرير وينشرها بنفسه أمام الجيران؟**

إن هذا أسلوب يحمل قدرًا كبيرًا من الإهانة ويفقد الطفل كرامته لأنه طبعًا لا يرغب في أن يعرف الآخرون عنه أنه يبول على فراشه ليلاً وخصوصًا الأصدقاء الذين في سنه.

**هل نمنع الطفل من تناول أي سائل قبل أن يذهب إلى النوم وفي فترة المساء؟**

إن الطفل في الحقيقة سيحس بالعطش فورًا وسيذل كل المحاولات للتوسل إلى الأم ليشرب، وقد يسبب هذا نوعًا من الضيق للابن وللأم معًا وهذا لا يفيد الطفل ولا يفيد الأم.

**هل نرسل الطفل إلى أحد مخيمات الأطفال؟**

إننا يجب ألا نفعل ذلك إلا بناء على رغبة الطفل. وعلينا أن نتأكد أيضًا من أن المشرفين على هذا المخيم أناس يملكون النضج الكامل والنظرة العلمية التي تتيح لهم حماية الطفل من بقية الأطفال، لأن أي مخيم من أي رحلة قد يكون قطعة من الجحيم للطفل الذي يبلل فراشه ليلاً.

ويؤكد الطب النفسي للأطفال أن الطفل الذي ينام مع أمه وأبيه في الحجرة نفسها، أو الذي لا تفصله عنهما مجرد جدار يمكن أن يتسرب منه الصوت قد يتأتى له من جراء ذلك اضطراب نفسي شديد. بل إن مسألة تبول الطفل في الفراش قد تكون نتيجة لذلك. ولهذا فلابد أن ينام الطفل في مكان بعيد عن مكان نوم الأم والأب.

**من اجل أن تتحاشي بلل السرير**



- اهتمي بوضع طفلك الصحي، خصوصًا من جهة تأمين نوع منتظم له.
- لا تحرمي طفلك من شرب الماء في المساء، بحجة الخوف من التبول. ولم يكن عدم شرب الماء يومًا حلاً لمشكلة سلس البول.
- اشرحي له كيف تتم عملية التبول، وكيف يمكن أن يضبط الإنسان نفسه، وذلك عن طريق الرسوم.
- اجعلي ولدك يتبول في الحمام قبيل انتقاله إلى النوم.
- لا تضعي له، بشكل تلقائي، حفاضًا عند النوم من أجل إيجاد مخرج لمشكلة التبول.
- اقتني دفترًا خاصًا يدوّن فيه ليالي الجفاف وليالي البلل ويُحضره معه لدى معاينة الطبيب.
- اجعليه يشاركك في تبديل أغطية السرير المبلل، من دون أن تقاصصيه، وليحمل هو نفسه هذه الأغطية إلى غرفة الغسيل.

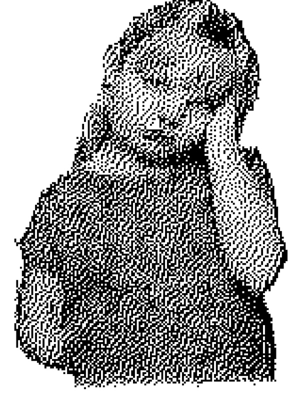
أمـا بالنسبة للفتيات.. فالسبب الشائع بين الفتيات هـو أن الفتاة غالبًا مـا تميل إلى أن تدخل في مباريات التنافس مع أخوتها ومع سائر الأولاد، وهي تقترب جدًا من والدها وتكاد لا تفترق عنه وتتمنى أن تشاركه كل اهتماماته وتحمل أن تعمل في المجال نفسه الذي يعمل به عندما تكبر.

وإذا كنا نستطيع أن نقول أن الطفل الذي يبلل فراشه ينم عن رغبة أو إحساس منه بأنه ما يزال طفلاً صغيرًا، فإننا نستطيع القول أن الفتاة التي تبلل فراشها في معظم الأحوال تحاول بكل قوة أن تكون كالولد تمامًا. ونستطيع التغلب على هذه المشكلة بأن لها بأننا نحبها ونجد السعادة في وجودها كفتاة وعندما تحصل الفتاة على مثل هذا النوع من الحب والصداقة، وخصوصًا مع الأب فإن هذا يساعدها على تخطي مثل هذه المشكلة.

> **ملاحظة**
>
> ليست المشكلة في تبول الطفل في فراشه إنما المهم فعلاً هو الإجابة عن السؤال التالي:
>
> هل هناك متاعب نفسية وراء ذلك؟

**سلَس الغائط:**

غالبًا ما يكون سلَس الغائط عابرًا، ولا يعكس وجود مرض خطير، إنما يبقى إجراء فحص طبي أمرًا مفيدًا. ويكون سلس الغائط، كحال سلس البول، إما أساسيًا لم يتعرف الطفل بسببه إلى النظافة الدائمة، وإما ثانويًا يظهر بعد مرحلة نظافة. والحالة الثانية نادرة وتحدث على الأخص مع الصبيان الذين تجاوزوا السادسة من العمر، وغالبًا ما يكون التغوط خلال النهار. أما سبب هذه الظاهرة فعائد إلى صدمة عاطفية، أو إلى تغيير في نمط حياة الطفل. أما إذا استمرت هذه الأعراض فيستحسن إخضاع الولد لعلاج نفساني.

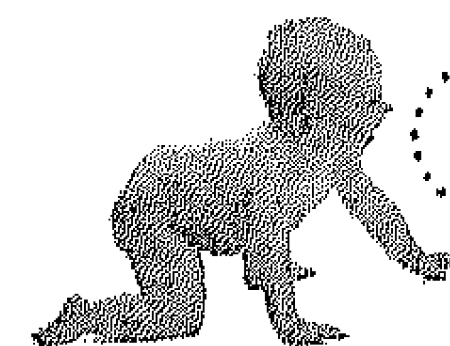



غالبًا ما يكون سَلَس الغائط نتيجة اكتساب غير كامل لضبط التغوّط، ويكون التبرز في السروال حادثًا طارئًا ولكنه يتكرر ويكون التغوّط غير كامل، كما يكون سائلاً أكثر الأحيان. ويلاحظ أن الطفل يخبئ بعد ذلك ثيابه المتسخة، ويتصرف كأن شيئًا لم يحدث فلا يأتي على ذكر ما فعله. وقد يترافق سلس التغوّط بالإمساك لا بل ويأتي نتيجة له، بسبب اتباع نظام غذائي غير متوازن، أو بسبب إكراه الطفل على النظافة في وقت مبكر، أو بسبب نمط حياة غير منتظم وخوفه من استعمال حمامات المدرسة، أو انتمائه إلى مدرسة لا تسمح للصغار بالذهاب إلى الحمام عند شعورهم بالحاجة إلى التغوّط أو التبوّل. كما قد يعود الإمساك إلى خوف الطفل من الوجع، بسبب جرح بسيط في الشرج أو البراز القاسي. ولا شك في أن معاينة طبيب الأطفال تساعد على إزالة الأسباب العضوية (مرض في الجهاز الهضمي مثلاً) ومعالجة الإمساك.

## رابعاً - اضطرابات النطق والكلام

كل طفل يختلف عن غيره من حيث عدد الكلمات التي يعرفها ويستعملها، فبعض الأطفال يتحلون بقاموس غني بالمفردات ويستعملونها في حديثهم اليومي بالشكل الملائم، والبعض الآخر يملكون قاموسًا محدودًا من الكلمات السهلة.

ولهذه الفروقات عند الأطفال تأثيرًا بالغ الأهمية فيما يتعلق بإنجازاتهم المستقبلية. ويجب أن نتذكر أن معظم اختبارات الذكاء تشمل أجزاء مهمة من شأنها تقييم نطق الطفل. لذلك، فإن الطفل ذا القاموس الفقير والمحدود قد يعتبر أقل ذكاء من طفل ذي قاموس كبير وغني.







وحاول العديد من الخبراء في مجال النطق معرفة العوامل المؤثرة التي تقف وراء فقر أو غنى قاموس المفردات، وتوصلوا أن سبعة أنواع من الخبرات التي تؤثر على تطوير النطق عند الأطفال، وهي:

1- **كمية الكلام الموّجه مباشرة إلى الطفل خلال الطفولة:** حيث تشير الدراسات في هذا الإطار أن نطق التوأم بتطور ببطء مقارنة بنطق الطفل الوحيد، وهذا الفرق يعود إلى كون أم التوأم منهمكة في توزيع نفسها بين الولدين، وبالتالي تأتي كمية كلامها الموجه مباشرة إلى كل واحد منهما أقل من كلام الأم التي تستغل كل لحظة من وجودا مع ابنها الوحيد في إقامة حوار مباشر معه.

2- **تسمية الأشياء التي نعرضها أمام الطفل:** عندما يحرص الوالدان على تسمية كل شيء يقع تحت انتباه الطفل أو كل شيء يتفاعل معه الطفل في المحيط، يصبح الطفل أكثر انتباهًا لهذا الشيء، وبالتالي تصبح عملية اقتران الشيء باسمه أسهل.

3- **التحاور مع الطفل خلال اللعب:** إن تسمية الأشياء للطفل غير كافية، إذ يجب على الوالدين أن يشاركا طفلهما في اللعب. فالكلام الذي يستعمله الوالدان خلال اللعب هو كلام سهل مكوّن من جمل قصيرة واضحة وقريبة جدًا من قدرة الاستيعاب عند الطفل. إضافة إلى هذا، فالكلام خلال اللعب يسمح للطفل أن يدرك الربط بين الشيء والظرف المحيط به، مما يساعد لاحقا على استخدام هذه الظروف نفسها كمرجعية لتفهم معنى الكلمات ولإدخال كلمات جديدة تتلاءم مع الظرف نفسه.

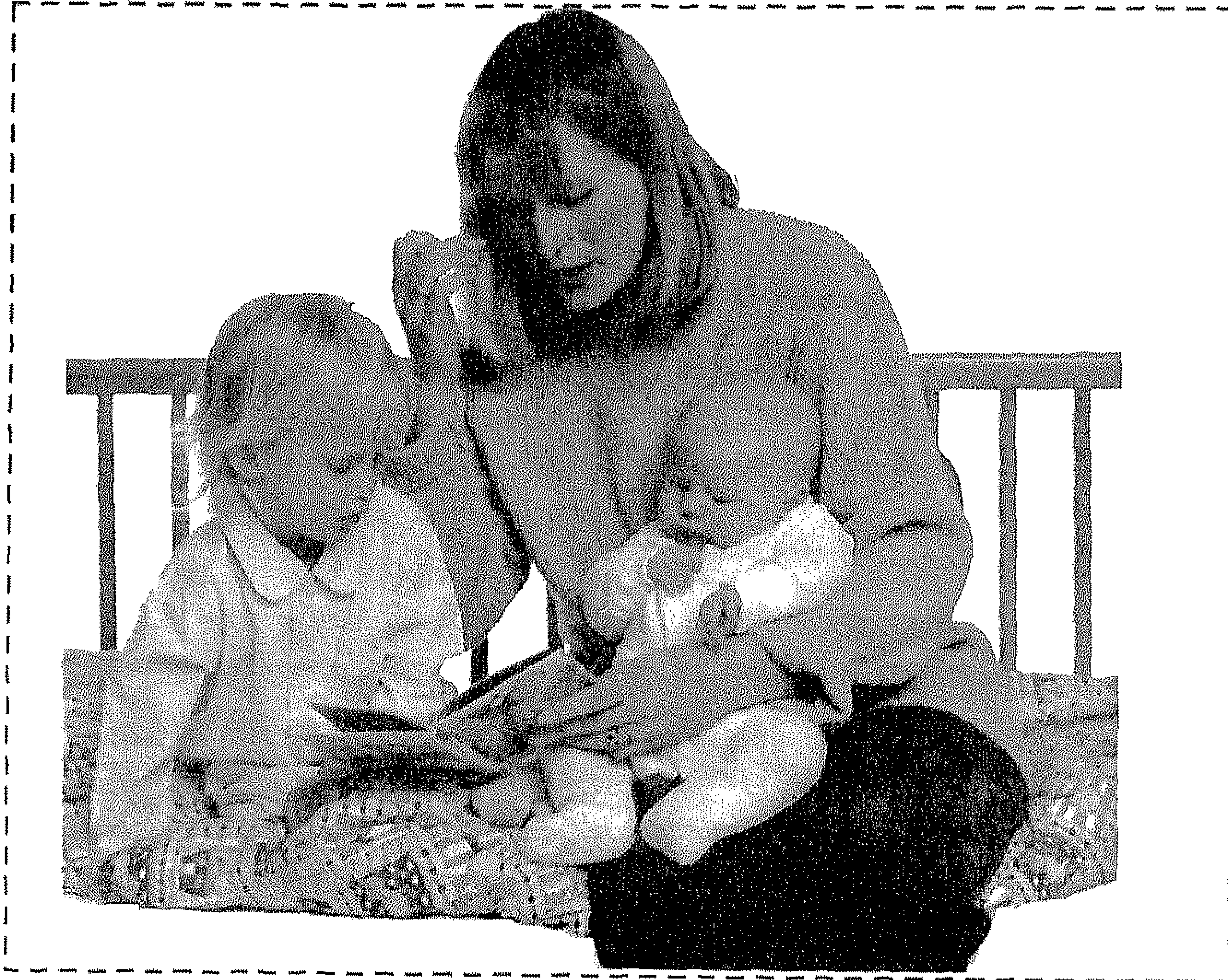
**اختلاف جنسية الوالدين**

يمكن أن يتكلم كل من الوالدين بلغته الخاصة مع الطفل، فيعتاد الطفل على هذا الوضع ويتوصل إلى الانتقال من لغة إلى أخرى، من دون صعوبة. ومن أجل أن تأتي ازدواجية اللغة ناجحة، ينبغي أن تسير الحياة العائلية في جو عاطفي سليم. أما إذا كان الخلاف قائمًا بين الوالدين فإن الطفل يجد صعوبة في الاختيار بين لغة الأم ولغم الأب، وهذا ما يعيق تقدمه في الكلام.

4- **القراءة للطفل:** من المهم جدًا أن نعرض الكتب المصورة أمام المولود، وأن نتحدث عن كل صورة معه، وأن ننتظر ردة فعله لهذه الخبرة "المرئية-السمعية"، وقد تأتي ردات فعله على شكل إصدار إشارات صوتية هي تعبير عن ابتهاجه واهتمامه بما نقدمه له. بهذه الطريقة، ومنذ الشهر الخامس بعد الولادة، نحمسه على التبادل "الحواري" مع الآخرين، ونجعله يقدر القيمة الاتصالية للنطق، كما أننا ندربه على قواعد الحوار السليمة وهي الاستماع إلى الآخر ومن ثم "إبداء الرأي"، وكلما كبر الطفل وأصبح ينطق ببعض الكلمات يجب على الأهل أن يستعملوا الكتب المصوّرة لإغناء قاموس المفردات لديه، فيعلمون الطفل، من خلال الصور الجذابة، أسماء جديدة لأشياء عديدة قد يراها أو لا يراها في محيطه اليومي.

إن العديد من الدراسات تشير إلى أن الأطفال الذين يتعرضون لمثل هذا النوع من القراءة مع الأهل منذ الصغر ينطقون بشكل أسرع، وتكون جملهم أطول

وأكثر تعقيدًا من جمل الأطفال الذين لم يخضعوا لمثل هذه التجربة. المهم هنا هو أن عملية القراءة هذه يجب أن تكون ناشطة، وأن تهدف إلى حث الطفل على طرح الأسئلة حول ما يراه أمامه من صور وألوان وأشكال، وما نعنيه هو أنه يجب أن يكون الطفل مشاركًا فعالاً بدلاً من أن يكون مجرد مستمع مستقبل للمعلومات. فكلما استجاب الأهل لأسئلة الطفل، ازدادت وتعقدت مفرداته. ولكن يجب التذكير هنا بأهمية التأكد من أن اكتساب كل هذه الكلمات الجديدة يتلاءم مع قدرة الاستيعاب عند الطفل، فلا ينفع أن نحشو رأس الطفل بعدد هائل من المفردات من دون أن يكون قد استوعب معناها، وربطها بظروف معينة تساعد على ترسيخها في ذاكرته لمدى بعيد.

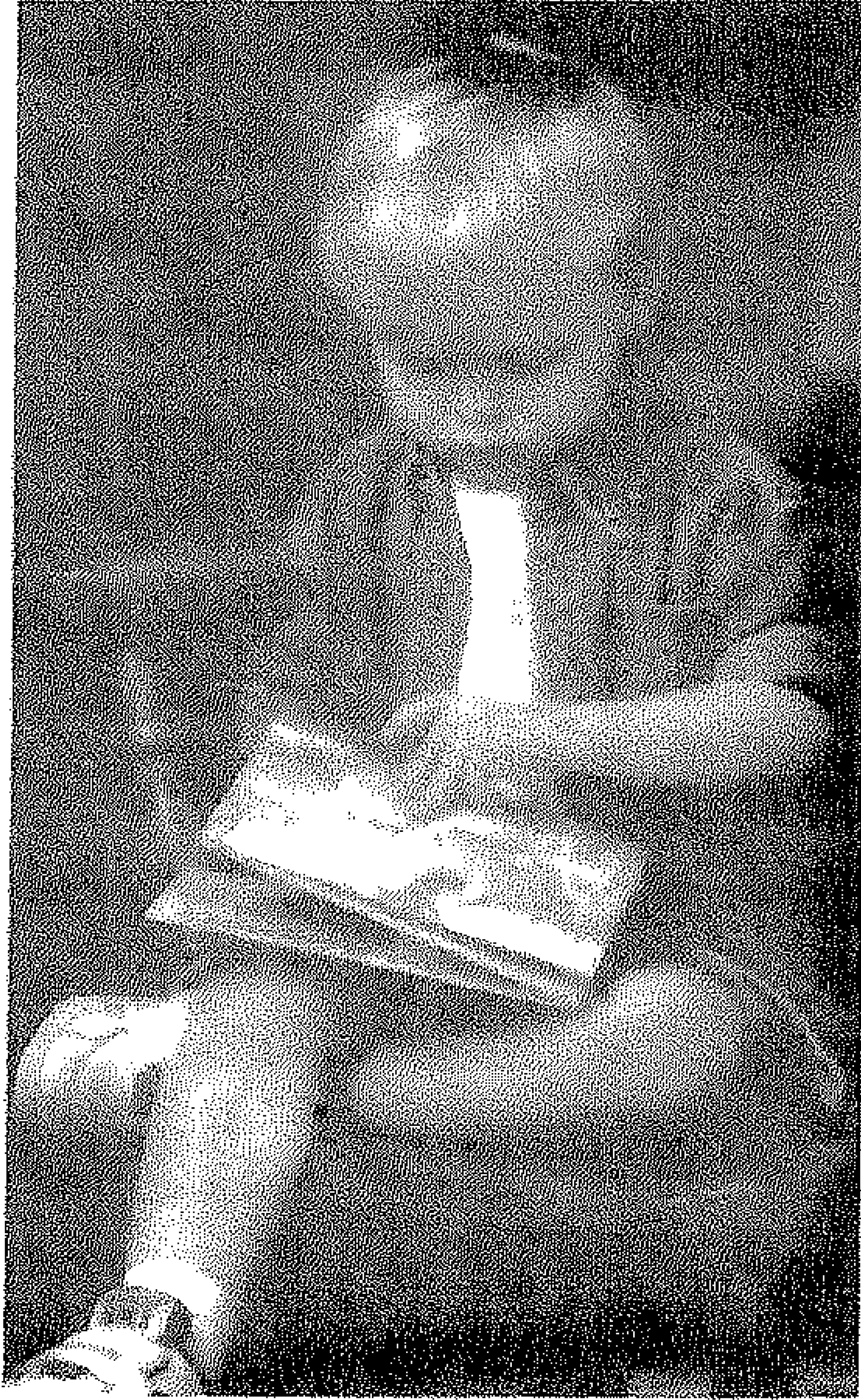


5- **تشجيع الطفل على استعمال الكلمات الصحيحة:** يأتي هذا التشجيع من خلال الحفز الإيجابي من قبل الأهل لكل الكلمات التي ينطقها الطفل بالشكل السليم، وعندما تتميز الكلمة بقيمة وظيفية فعلية يعبر الطفل من خلالها عن احتياجاته أو مشاعره. إن هذا التشجيع يكون تلقائيًا ضمن التبادل الكلامي اليومي في حياة الطفل، مثل الأم التي تعطي كوب الماء لطفلها عندما ينطق كلمة "ماء"، ولا تستجيب له عندما يقول "مبو". في هذا الإطار، ينصح الخبراء الأهل بأن لا يستجيبوا لمطالب الطفل عندما يلجأ هذا الأخير للإشارة، بل أن يشجعوه على التعبير عن احتياجاته مستخدمًا الإصدارات الصوتية في البدء، ولاحقًا الكلمة الصحيحة للشيء الذي يريده.

6- **مشاهدة التلفزيون:** هناك تأثير إيجابي للبرامج التلفزيونية المخصصة للأطفال على تطوير النطق، فالطفل يتعلم الكثير من المفردات الجديدة من خلال مشاهدته مثل هذه البرامج، لكن لا يجب على الأهل أن لا يتّكلوا على التلفزيون لتنمية قدرات طفلهم اللغوية، إذ يجب أن نتذكر أنه لا بديل للتبادل الكلامي مع الأشخاص الآخرين، فالتلفزيون لا يوفر للطفل هذه الفرصة للاحتكاك والحوار والتواصل التي تجعل الطفل عنصرًا ناشطًا وفعالاً في عملية اكتساب النطق.

7- **القراءة المستقلة:** إن قدرة الطفل على القراءة هي أفضل الطرق لتنمية النطق عنده، فمن خلال القراءة يتعرض الطفل إلى أشكال كلامية أكثر تعقيدًا من الكلام الذي يستخدمه أهله معه في حواراتهم اليومية. من خلال القراءة، يتعلم الطفل كلمات أكثر دقة من الكلمات



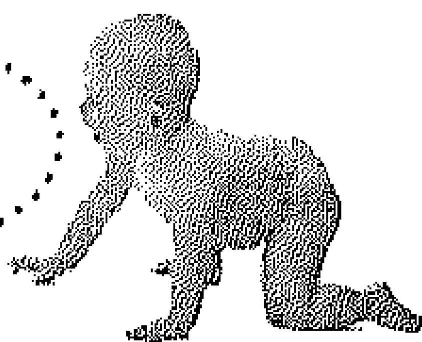


التي يسمعها من الكبار خلال حديثهم معه، وهي كلمات إجمالاً سهلة إذ أن الأهل يبسطون كلامهم عن قصد حين يتكلمون مع الصغار لكي يتأكدوا من استيعابهم لما يقال لهم.

**مشاكل الكلام:**

تعود المشاكل التي تعترض الطفل في الكلام إلى أسباب متنوعة. بعض هذه المشاكل تنتج عن عوامل فيزيولوجية كسوء تركيب الحنك، وهي تُشخّص عادةً في وقت مبكر. وبعضها الآخر له علاقة بمشاكل السمع، وفي هذه الحال ينبغي التأكد من مدى قدرته على السمع، فعلى الأم ألا تتردد في اصطحابه إلى الطبيب المختص، في حال وجود الشك، لمساعدته على التغلب على إعاقته. ونشير أخيرًا إلى أن عددًا من الأطفال يتمتعون بذكاء طبيعي وصحة جيدة، ويجدون مع ذلك صعوبة في امتلاك اللغة أول الأمر، لأسباب مجهولة، ثم يتغلبون على هذه الصعوبة عن طريق التدرب على النطق الصحيح.

1- **اللفظ السيئ:** يجد الطفل بعض الصعوبات في لفظ بعض الكلمات والحروف، فيقول مثلاً "زَدّي" بدلاً من "جدّي" و"ثماء" بدلاً من "سماء". وسبب هذا اللفظ السيئ يعود إلى أن الطفل قد تعوّد وضع اللسان في الأسنان الأمامية عند الابتلاع كما يفعل الطفل عندما يرضع. وغالبًا

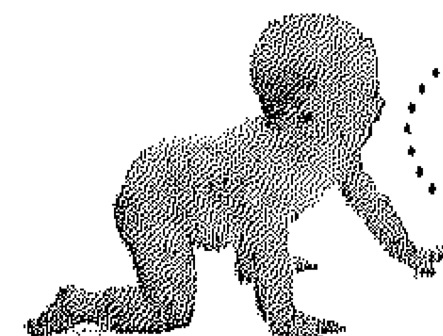


ما يجب الأهل في لغة الطفل ظاهرة محبّبة. وإذا لم تضمحل هذه الظاهرة تلقائيًا في حدود السنة الرابعة، يصبح عرض حالة الطفل على متخصص بتقويم النطق أمرًا ضروريًا. وقد نجد طفلاً يُحسن لفظ كل حرف، ومع ذلك لا يتوصل إلى لفظ الكلمة كلها بشكل صحيح، فيقول مثلاً "علبة" بدلاً من "لعبة" و"لمح" بدلاً من "ملح". إذا استمر على هذه الحال بعد عمر الأربع سنوات، يُستحسن اللجوء إلى متخصص بتقويم النطق.

2- التأتأة: وهي ظاهر اعتيادية بين سن الثانية والثالثة، إننا لا نفهم التأتأة فهمًا كاملاً، وهي في الغالب وراثية، وتظهر بين الذكور من الأطفال بوجه عام. وهذا يعني أنه يحتمل ظهورها عند بعض الأشخاص، أكثر من ظهورها عند بعضهم الآخر. ويبدو أن محاولة منع طفل من استعمال يده اليسرى ليستعمل اليمنى تتسبب في ظهور التأتأة في بعض الحالات، ذلك أن منطقة الدماغ التي تسيطر على النطق تتصل اتصالاً وثيقًا بالمنطقة التي تسير على اليد التي يفضل الإنسان استعمالها بصورة طبيعية. فإذا أُرغم على استعمال اليد الأخرى، فقد يتسبب هذا الإرغام على ما يبدو في تشويش الأعصاب المسيطرة على النطق.

**ازدواجية اللغة**

يُجبر عدد من الأطفال، منذ البدء، على تعلم لغتين. وكان الاعتقاد السائد بأن تعلم لغتين أمر صعب بالنسبة إلى طفل صغير، إلا أن هذا الاعتقاد لا يؤخذ به اليوم. ففي العقود الأخيرة من القرن المنصرم، كثُر الاختلاط بين الشعوب. وهذا ما حمل الأطفال على أن تكون لهم لغة مزدوجة. وقد لوحظ أن ازدواجية اللغة تساعد على تنمية الذكاء وعلى إقامة علاقة مع الغير تتسم بالمرونة.

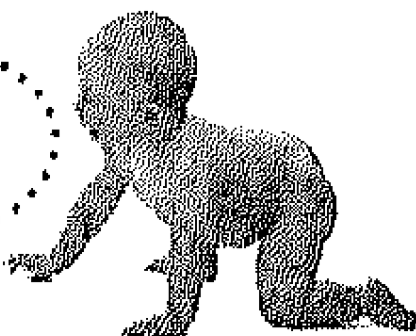







ونعلم كذلك أن الانفعال لدى الطفل يلعب دورًا هامًا بالنسبة للتأتأة. وأكثر ما تصيب التأتأة الأطفال المتوتري الأعصاب. وبعضهم لا يتأتئ إلا إذا اهتاج أو تحدث إلى شخص معين. وكمثال على ذلك: طفل بدأ بالتأتأة عندما عادت أمه إلى البيت بمولود جديد. إنه لم يُبد أية غيرة في الظاهر، ولم يحاول أبدًا أن يضربه أو يلحق به أي أذى. لكنه صار طفلاً مضطربًا فحسب. وهناك طفلة تجاوزت سن الثانية وبدأت بالتأتأة بعد أن غادر منزل والديها نسيب لها كان يقيم في المنزل نفسه، وكان كثير التودد لها. وبعد أسبوعين توقفت عن التأتأة، ثم عادت إليها لفترة وجيزة عندما نقل والدها سكنها إلى مكان آخر، ثم بعد شهرين دعي والدها إلى الخدمة العسكرية، فعادت إليها التأتأة من جديد. وتزداد التأتأة لدى الأطفال عندما تتوتر أعصاب الوالدين. وأظن أن احتمال تولّد التأتاة لدى الطفل يزداد إذا أكثر من الاستماع إلى الأحاديث والقصص، واستحثه الآخرون على التحدث والقراءة، وإظهار مواهبه كذلك قد تتسبب صرامة الأب في تولّد التأتأة لدى الطفل.

لماذا تكثر التأتأة بين سن الثانية والثالثة؟ هناك تفسيران محتملان لهذا السؤال، أحدهما أن الطفل في هذه السن يبدأ في بذل مجهود كبير في النطق. فبينما كان في الماضي يكتفي بنطق جمل صغيرة، يحاول في سن الثانية تركيب جمل طويلة للتعبير عن أفكار جديدة. إنه يعيد تركيب جملة واحدة ثلاث مرات أو أربعًا دون أن يتمكن من إكمالها، لأنه لا يجد الكلمات المناسبة لذلك. وبما أنه من الطبيعي أن لا يبدي الشخص الذي يستمع إليه اهتمامًا كبيرًا بما يقول، فإنه يزداد تعثرًا في كلامه. كذلك يمكن أن يكون للعناد الذي يرافق هذه المرحلة من العمر تأثير في النطق.



**خطر المصاصة**

ينبغي أن يكون الطفل قد تحرر من المصّاصة، لأن ذلك قد يؤخر عملية التطور اللغوي. والواقع أن زجاجة الرضاعة والمصاصة تفرضان على الطفل أن يستمر في الابتلاع ومد لسانه نحو أسنانه الأمامية. والاستمرار على هذه الحال يعيق تعلّم اللفظ الصحيح. علمًا أن هذه الطريقة في الابتلاع التي تريحه عندما يكون طفلاً بعد، تعيق تطور الكلام.

**معالجة التأتأة:** قد يستحوذ على الأبوين الهم والحزن، خاصة إذا كان أحدهما قد كافح فترة طويلة للتخلص من التأتأة، عندما يتبين لهما أن طفلهما أخذ في التأتأة أيضًا. إلا أنه ليس هناك ما يدعو إلى القلق. وفي ظني أن تسعة أطفال من كل عشرة يبدؤون بالتأتأة بين سن الثانية والثالثة ويتخلصون منها في غضون بضعة أشهر، إذا عولجت بشكل صحيح. أما التأتأة المزمنة فحالات استثنائية. لا تحاولي تصحيح نطق الطفل أو تدريبه على النطق في منتصف سن الثانية، بل حاولي أن تتبيني ما الذي يحمله على التوتر. فإذا كان السبب في ذلك افتراقك عنه لفترات تمتد بضعة أيام، فحاولي أن لا تبتعدي عنه من جديد خلال شهرين. وإذا كنت تكثرين من التحدث إليه أو تحثينه بقوة على التحدث، فامتنعي عن ذلك. دعيه وألعابه بدلاً من التحدث، وليكن لعبه مع أطفال يستطيع التفاهم معهم. قدمي له لعبًا يتلهى بها داخل المنزل وخارجه حسبما يشاء دون أن يكون معه من يحاول السيطرة عليه. ولا أعني بذلك أن تتجاهليه كليًا، بل فلتكن مجالستك له هادئة دون إظهار أية سيطرة. وعندما يتحدث إليك، أصغي إليه





بانتباه كلي كي لا تستثيري نقمته. وإذا كانت الغيرة هي السبب في اضطرابه، حاولي أن تتجنبي إثارتها ما أمكن. والملاحظ أن التأتأة لا تدوم أكثر من بضعة أشهر، تزيد خلالها أحيانًا وتنقص أحيانًا أخرى، لكنها لا تزول دفعة واحدة، بل بشكل تدريجي. ولا علاقة للقيد الكائن تحت اللسان بالتأتأة ومن هنا لا يجوز قطعه.

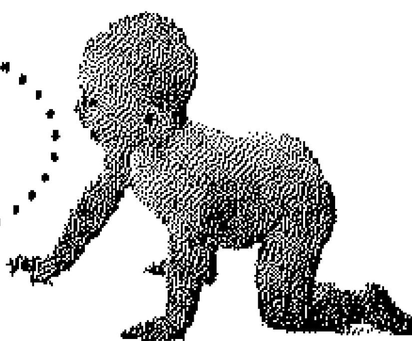
أما التأتأة الحقيقية، ذات الطابع المرضيّ، فتكون طبيعتها مختلفة، وقد تظهر في أي سن. وهذه التأتأة قد تكون نتيجة صدمة نفسية، وتتسم بتكرار المقاطع والكلمات أو العرقلة في بداية الجمل. وإذا ما لاحظت صعوبة من هذا النوع مستمرة عند طفلك، فينبغي استشارة متخصص في هذا الموضوع من دون تأخير، فكلما كانت المعالجة مبكرة، ازدادت فرص نجاحها.

3- **قلة الكلام أو انعدامه:** عندما نلاحظ أن الطفل، بعد بلوغه السنة الثالثة، لا يتلفظ إلا بعدد قليل من الكلمات، ولا يستعمل صيغة المتكلم ولا يتوصل إلى تركيب جملة، فإنه يتوجب إخضاعه للمعالجة من دون تأخير. وقد تبرز المشكلة بشكل آخر، إذ يكون كلام الطفل بالكاد مفهومًا، وتكون جمله قصيرة، ولا يُحسن التكلم مع رفاقه، ولا يقيم أي علاقة مع الكبار. بما أن الطفل يعاني من صعوبات في التواصل، فإنه قد يشكون من اضطرابات في سلوكه.

**في البلاد الأجنبية**

من أهم الصعوبات التي تعترض الطفل في البلاد الأجنبية، أن يجهل الوالدان لغة البلاد، وأن يجد الطفل نفسه مضطرًا إلى التحدث بها خارج البيت. في هذه الحالة، يستحسن إدخال الولد باكرًا إلى دار حضانة أو مدرسة، من أجل أن يتآلف سريعًا مع اللغة التي يتعلم بها القراءة.





هذه الاضطرابات يمكن أن تعود إلى تأخر في النمو، فيكون اكتسابه للكلام متأخرًا، في الوقت الذي يكون تقدمه طبيعيًا في سائر الحقول. هذا التأخر يمكن أن يعوّض تلقائيًا في أكثر الأحيان، إلا أنه من المؤسف الانتظار حينما يمكن أن يخضع الطفل لعلاج لتقويم النطق يسمح له منذ البداية بالانسجام في المدرسة.

في بعض الحالات النادرة، يكون الاضطراب في الكلام على جانب من الخطورة، ويعود سببه إلى عوامل نفسية خطيرة، أو إلى خلل في الدماغ. في هذه الحالة يستطيع الطبيب المتخصص في الكلام وحده تشخيص المشكلة لمعرفة ما إذا كان الاضطراب عائدًا إلى تأخّر في النطق بسيط، أو أنه متعلق بمشكلة جدية. لذلك يجب الاهتمام بالأمر، دون تردد، لدى ملاحظة مثل هذه الاضطرابات.

## خامساً - انحرافات سلوكية

### 1- الكذب:

يلاحظ أن كثيرًا من الأطفال يكذبون بحكم ظروف مرحلة النمو التي يمرون بها، فالطفل أو المراهق قد يكذب رغبة في جذب الانتباه إليه. كما يحدث عندما يبالغ المراهق في ذكر مغامراته لأصدقائه وأنداده. كذلك من المعروف أن الطفل الصغير – لا يستطيع أن يميز تمييزًا قاطعًا بين الحقيقة والخيال ويدفعه ذلك إلى الكذب. فالطفل الصغير يختلط عليه الأمر فلا يعرف الفرق بين ما حدث بالفعل وبين ما تخيله هو. القصص والأساطير الخيالية التي يسمعها الطفل الصغير تترجم في خياله إلى واقع ولذلك يراها تحدث أمامه، يراها بعين الخيال



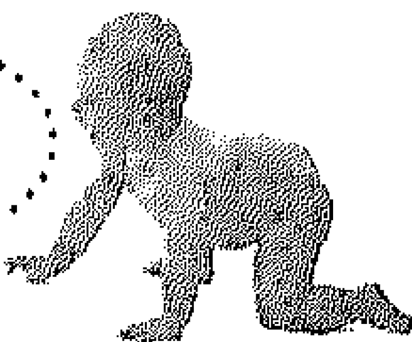


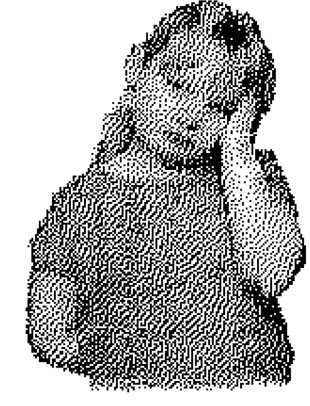
كما لو كانت ماثلة أمامه فعلاً. والمعروف أيضًا أن خيال الطفل قوي لدرجة تجعله أحيانًا أقوى من الواقع نفسه وإعطاء الطفل الفرصة لكي يخبر بنفسه الأشياء الحقيقية وتوسيع ذهنه بالمسائل العلمية يساعد في التمييز بين الحقيقة والخيال. كذلك هناك بعض الأطفال الذين يميلون للكذب على سبيل اللعب أو لتأثير كذبهم على المستمعين أو الكذب بدافع الخوف أو الولاء.

إن تأليف القصص في عمر الرابعة أمر طبيعي، فلا داعي لتأنيب الطفل ومعاقبته عندما يقوم بهذا النشاط، أو حتى جعله يشعر بالذنب، كما أنه لا يجوز مناداته بالكاذب. كذلك فلا داعي للأهل أن يقلقوا من هذا الأمر طالما كان الطفل سعيدًا واجتماعيًا مع بقية الأطفال. لكن إذا أمضى الطفل وقتًا كثيرًا من النهار يتحدث عن أصدقاء ومغامرات خيالية ليس لهدف المتعة بل كأنه يصدقها فعليًا، فقد يشير ذلك ربما إلى أنه غير راضٍ عن حياته، هنا يُفضل تشجيعه على بناء صداقات مع رفاق من نفس العمر، ومساعدته على الاستمتاع واللعب معهم، كما أن ذلك قد يطرح سؤالاً آخر يتعلق بنوعية العلاقة التي تربطه مع والديه.

لكن، في عمر الست والسبع سنوات، يبدأ الطفل بالتمييز بوضوح بين الصواب والخطأ في محيطه، وهذا أمر طبيعي في مجرى التطور الأخلاقي عند الإنسان. ففي مثل هذا العمر تترسخ الأخلاق والقيم الاجتماعية الصالحة بشكل وطيد، وهكذا يتعلم الطفل من ناحية أن قول الحقيقة شيء مرغوب فيه اجتماعيًا، ومن ناحية أخرى، يتعلم أن الكذب قد يساعده في الدفاع عن نفسه في ظروف معينة.









## أنواع الكذب:

**الكذب الوظيفي:** أي الكذب لكسب امتياز معين أو منفعة معينة، مثل الكذب حول العلامات المدرسية. إن ردة فعل المحيط على هذه الأكاذيب هي التي تقرر مصير هذا السلوك. فاللامبالاة أو التصديق يعززان الكذب عند الطفل ويساعدانه على تعميمه إلى ظروف مختلفة.

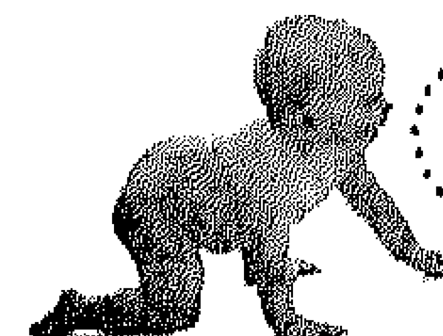
والمبالغة في تلقين الدروس والمواعظ الأخلاقية قد تؤدي إلى وقوع الطفل في سلسلة من الكذب المتكرر (لتغطية الكذبة الأولى)، فيعتبر أن الكذب هو الطريقة الوحيدة والأسهل للتعامل مع متطلبات الأهل والمدرسين، أو لتغطية مشاكل خطيرة.

**توصيات**

- إفهام الطفل أنك تحترمه لأنه يقول الحقيقة.
- عدم مناداة الطفل بالكاذب.
- لا يجوز التظاهر بأن الطفل نجح في خداعك، بل ينبغي إفهامه بلطف أن الكذب لا يجوز.
- يجب أن يعلم الطفل أنه سوف يفقد ثقة الآخرين إذا استمر بالكذب.
- تشجيع الطفل على قول الحقيقة حتى ولو كان في الأمر ما يحرجه، وأنك تريد مساعدته وليس معاقبته.

من المهم جداً أن نشير إلى الطفل أننا ننتبه إلى أكاذيبه من دون الإصرار المبالغ على ذلك، هكذا يتعلم الطفل أن الكذب لا ينفع، علماً بأن أكثر أسباب الكذب هي لفت الانتباه، أو الانتقام من الأهل.

**الكذب التعويضي:** وهو أيضاً يمنح الطفل امتيازاً معيناً ولكن هذا الامتياز هو إعطاء صورة ذاتية أفضل بالنسبة له، مثلاً، عندما يخترع الطفل عائلة أغنى



أو أجمل، أو عندما يخترع إنجازات مدرسية متفوقة، أو بطولات رياضية خارقة، أو حياة غرامية مثيرة.

في الطفولة، تعتبر هذه الاختراعات طبيعية، حتى أن بعض الأطفال يطورون ما نسميه "بالرواية العائلية"، وهي كناية عن عائلة منسوجة من خيال الطفل، وهي كبيرة ومعقدة ويدور فيها كل أنواع الحوار بين أعضائها، أو يخترع الطفل أخًا توأمًا له ويتحاور ويلعب معه.

حتى عمر الست، لا داعي للقلق حيال هذا الأمر، طالما كان الطفل سعيدًا في أسرته، واجتماعيًا لديه أصدقاء، ولا يتصرف بغرابة في البيت وفي المدرسة. أما إذا استمرت هذه الممارسات عنده بعد هذا العام، فيتوجب عليان التدخل لمعرفة السبب الحقيقي وراء هذه التخيلات:

فإذا كان الوالدان بعيدين عاطفيًا عن ابنهما ولا يظهران الحنان والمحبة التي يحتاجها، فقد يخترع الطفل عائلة محبة عطوفة سخية بالتعبير العاطفي تجاهه.. وإذا كان الوالدان متسلطين ويعاقبانه بشدة، قد يلجأ الطفل إلى اختراع أخ أو رفيق شرير ليلومه على كل التصرفات السيئة التي قام بها أو قد يفكر بالقيام بها.

## 2- السرقة:

يتناول الأطفال خلال السنوات الثلاث الأولى من حياتهم أشياء لا تخصهم. ولكن ذلك ليس في الحقيقة سرقة لأنهم لا يميزون تمييزًا واضحًا بين ما يخصهم وما لا يخصهم. ولا يجوز توبيخ الطفل عند إقدامه على أخذ أشياء لا تخصه، وزرع الاعتقاد في نفسه بأنه طفل شرير. إن كل ما ينبغي عمله في حالة كهذه، هو تنبيه

الطفل إلى أن الشيء الذي أخذه لا يخصه، بل يخص شخصًا آخر قد يحتاج إليه، وأن لديه هو أشياء كثيرة في المنزل يمكنه التصرف بها. ويمكن اعتبار أخذ الأشياء سرقة بعد أن يبلغ الطفل سن السادسة، إذ يصبح بإمكانه التمييز بين الخير والشر. إنه يأخذ الشيء خفية، ويخبئه وينكر أنه أخذه.

وإذا اكتشفت الأم أن طفلها ارتكب سرقة، ثار غضبها وانهالت عليه بعبارات تملأ نفسه بالحزن والعار. ومع أنه من المستحسن ومن الطبيعي أن يستنكر الأبوان إقدام طفلهما على السرقة، إلا أنه لا يجوز توبيخه إلى حد إثارة الرعب في نفسه.

ولنفرض أن طفلاً في سن السابعة سرق بعض المال، رغم أنه لا ينقصه حسن التربية ولا يبخل عليه أبواه بالألعاب أو بالمال اللازم لمصروفه الخاص. فما هو تفسير ذلك؟ الأرجح أن طفلاً كهذا يشعر بالوحدة والانعزال، أو أن علاقاته بأبويه ليست حميمة إلى الحد المطلوب، أو يلاحظ أنه فاشل في كسب الأصدقاء. والدليل على ذلك هو أن معظم الأطفال الذين يسرقون، يوزعون ما يسرقونه على أترابهم، أملاً في كسب صداقتهم. إن الرغبة في كسب المزيد من العطف تلعب دورًا كبيرًا في الإقدام على السرقة في جميع مراحل العمر، رغم أن هناك عوامل أخرى كالخوف والغيرة والحقد.

## كيف يمكن إصلاح طفل يسرق؟

إذا اكتشفت الأم أو المدرسة أن طفلها أو تلميذها سرق شيئًا ما، فينبغي أن تكون حازمة معه، وأن تصر على أن يعيد الطفل ما سرقه إلى صاحبه. وبعبارة أخرى، ينبغي أن لا تهوّن عليه الكذب حين يتراءى له أنها لا تؤاخذه على سرقته.



وفي الوقت ذاته ينبغي إعادة الشيء المسروق بطريقة لا يشعر الطفل معها بالذل والعار فليس المطلوب إذلال الطفل، بل إفهامه بأن السرقة أمر غير مسموح به. كذلك ينبغي منح الطفل مزيدًا من العطف، ومساعدته على كسب الأصدقاء، وتزويده - إذا أمكن - بمبلغ كافٍ من المال لمصروفه الخاص، بحيث يشعر أنه لا يقل عن أترابه شأنًا.

**توصيات لمواجهة السرقة عند الأطفال**

- يجب إفهام الطفل أن السرقة غير مسموح بها وغير مقبولة ضمن تقاليد العائلة.
- عند اكتشاف السرقة، يجب التصرف بصرامة: على الأهل أن يعرفوا من أين أتى الطفل بالشيء المسروق وأن عليه ردّه أو دفع ثمنه.
- التأكد من أن الطفل لم يستفد من السرقة تحت أي ظرف كان.
- عدم إذلال الطفل وإحراجه وتسميته "بالسارق".
- بعدما يعاد الشيء المسروق إلى مصدره، من الأفضل عدم فتح الموضوع ثانية مع الطفل.
- مراقبة سلوك الطفل بعد حادثة السرقة، فإذا تكرر الفعل قد تكون السرقة ناتجة عن مشاكل خطيرة معقدة في تطوره العاطفي، ويجب معرفة السبب الحقيقي بمساعدة اختصاصي نفسي يكشفه ويصمم الخطة

وهناك أولاد يلتحقون بمجموعات تعتبر السرقة معنى من معاني الرجولة. فهؤلاء الأطفال لا ينبغي معاملتهم معاملة المجرمين، بل يجب توفير المدارس ووسائل الترفيه اللازمة لهم.

وهناك أيضًا أطفال ينقصهم الضمير الحي أو الشعور بالمسؤولية نتيجة حرمانهم من العطف أو الأمان. أما إصلاح هؤلاء الأطفال فمن شأن أطباء النفس أولاً وإحاطتهم بالعطف والحنان ثانيًا.

**3- الخوف:**

إن مخاوف الأطفال تختلف باختلاف العمر وهي أمر اعتيادي في سن الثالث وحتى الخامسة. ففي سن الثالثة أو الرابعة ينشأ نوع جديد من المخاوف يتصل بالظلام والكلام وآلات إطفاء الحريق والموت والمقعدين والمعوقين وما إلى ذلك. فمخيلة الطفل عند بلوغه هذا العمر، تكون قد تطورت بحيث أصبح يعي الأخطار المحدقة به. وأن فضوله يتشعب في جميع الاتجاهات، ولا يعود يكتفي بالتساؤل عن أسباب هذا الشيء أو ذاك، بل يود أن يعلم ما هي صلة هذا الشيء به. إنه يسمع عن الموت، وبعد أن يستفسر عنه يسأل إذا كان سيمون هو أيضًا ذات يوم.

وتكثر هذه المخاوف لدى الأطفال الذين اضطربت أعصابهم فيما مضى بسبب التغذية والتدرب على المرحاض وما أشبه ذلك، أو الذين استثيرت مخيلاتهم بالحكايات المخيفة أو الإنذارات المتعددة، أو الذين لم يمنحوا فرصة لإنماء شخصياتهم، أو الذين أفرط والداهم في حمايتهم. ويبدو أن الاضطرابات السابقة المتراكمة تتبلور الآن في مخيلة الطفل على شكل مخاوف واضحة. ولا أعني

بهذا أن كل طفل يشكو من الخوف قد أسيئت معاملته فيما مضى. وفي ظني أن بعض الأطفال يأتون إلى الدنيا بأحاسيس مرهفة أكثر من بعضهم الآخر، وأن جميع الأطفال معرضون للخوف من شيء ما، مهما كانت درجة العناية بهم.

فإذا كان طفلك يخشى الظلمة، حاولي طمأنته بالأعمال لا بالأقوال لا تهزئي به أو تغضبي عليه أو تجادليه بهذا الشأن. دعيه يتحدث عن مخاوفه إذا شاء، وحاولي إقناعه بأنك متأكدة من أنه لن يصاب بأي سوء ما دمت تحيطينه برعايتك وحمايتك. ولا يجوز بالطبع أن تهددي طفلك برجال الشرطة والشياطين وما إلى ذلك. أبعديه عن مشاهدة الأفلام المخيفة، وعن سماع قصص الجن، ولا تستمري في صراعك معه حول شؤون التغذية والتبويل في الفراش. وجهيه إلى التصرف بشكل سليم منذ البداية بدلاً من أن تدعيه يتصرف حسب هواه، فتضطري عندئذ إلى تقويم اعوجاجه. ابحثي له عن أصحاب يلاعبونه كل يوم. لا تغلقي باب غرفته أثناء الليل، وإذا شئت أضيئي غرفته بنور خافت تبديداً للظلام.

واعلمي أنه على الأرجح سيطرح أسئلة عن الموت عند بلوغه هذا العمر، فاستعدي لذلك بأجوبة تبدد مخاوفه، كأن تقولي له بأن كل إنسان سيموت عندما يشيخ ويصبح مرهقاً وعاجزاً، ويفقد الرغبة في الحياة، أو أن الإنسان عندما يصاب بمرض عضال يأخذه الله ليعتني به. احتضنيه والعبي معه، وطمئنيه إلى أنكما ستقضيان سنوات عديدة سوية.

إن الخوف من الحيوانات أمر اعتيادي لدى الأطفال في مثل هذا العمر. لا تحاولي تقريبه من كلب أو حيوان أليف لتبعثي الطمأنينة في نفسه. فخوفه من

الحيوانات سيتبدد تلقائيًا مع مرور الوقت. ويصح القول نفسه في الخوف من الماء. لا ترغمي طفلك على النزول في حوض من الماء، إذا كان ذلك يخيفه. هذا النوع من الخوف يزول أيضًا مع مرور الوقت.

ويكافح الطفل بطبيعته هذه المخاوف باللجوء إلى ألعاب تتصل بها. فالخوف لدى الإنسان يحمله على القيام بعمل ما لتبديد ذلك الخوف. وإن مادة "الأدرينالين" التي يفرزها الجسم عند الخوف تزيد من دقات القلب، وتولد السكر اللازم لزيادة الحركة فيندفع الإنسان في جريه كالريح، أو يقاتل كأشرس الحيوانات. إن النشاط يبدد الخوف أما القعود فيلهبه. فإذا كان طفلك يخشى الكلاب، دعيه يسدد لكمات من قبضة يده إلى دمية تمثل كلبًا فيعيد ذلك شيئًا من الاطمئنان إلى نفسه.

بين سن الثانية وسن الخامسة يخاف الطفل من الأذى الجسماني، فالطفل في هذا العمر، يود أن يعلم سبب كل شيء، وينزعج بسهولة، ويتخيل أن الأخطار التي يشاهدها ستدْهمه. فإذا شاهد رجلاً كسيحًا أو مشوهًا، يود أولاً أن يعلم ماذا أصابه، ثم يروح يتساءل عما إذا كان سيصاب هو أيضًا بالأذى نفسه. ولا يضطرب الأطفال من رؤية الإصابات الحقيقية فحسب، بل يضطربون أيضًا للاختلافات الطبيعية بين الذكر والأنثى. فإذا شاهد صبي بنتًا عارية، يعجب لفقدانها القضيب، ويسأل عما حل به. فإذا لم يتلق جوابًا مقنعًا في الحال، يستنتج أن مصيبة ما حلت بقضيبها، ثم يروح يتساءل عما إذا كان سيصيبه ما أصابها. وتقع البنت في الحيرة نفسها إذا شاهدت صبيًا عاريًا، وتروح تسأل بقلق عن قضيبها

وما حل به. ولا يجوز تجاهل أسئلة كهذه أو منع الطفل من طرحها، لأن ذلك يزيد من مخاوفه ويحمل الأنثى على الاعتقاد بأن مصيبة ما حلّت بقضيبها. ويجعل الذكر يتخيل بأن الخطر نفسه يتهدده هو أيضًا. وينبغي الإجابة عن هذا السؤال بأن الطبيعة شاءت أن يختلف الذكور عن الإناث في التكوين، وأن الصبي يشبه أباه والبنت تشبه أمها، وأن كليهما سيكون سعيدًا في المستقبل بتكوينه الخاص.

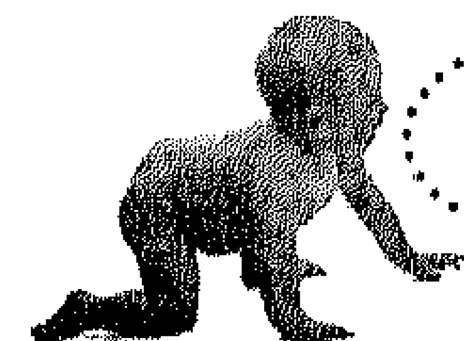
**نصائح للتخفيف من مخاوف الطفل**

- مسؤولية الأهل ليست مكافحة الخوف عند الطفل، لأن الخوف شعور طبيعي وموجود عند كل الأطفال. المهم هو مساعدة الطفل في اكتساب استراتيجيات بنّاءة للتعامل مع مخاوفه.
- طمأنة الطفل الخائف وتهدئته وتوفير الثقة والأمان له.
- عدم السخرية من الطفل، وعدم محاولة إقناعه بأن مخاوفه غير منطقية أو تافهة.
- التحلي بالصبر حيال هذه المخاوف لأنها سوف تزول.
- تجنب الأفلام المرعبة على التلفزيون، أو القصص التي تحتوي على مضمون مخيف وصور مفزعة.
- توفير الفرص الكافية للاختلاط مع أطفال من عمره، فكلما انهمك وشارك في نشاطات خارجية، خفّ قلقه من مخاوفه الداخلية.
- يجب تشجيع الطفل على التعبير عن مخاوفه، وأن يتكلم عنها.





| العمر بالسنوات | نـــــوع الـمـــخـــاوف |
|---|---|
| سنتان | مخاوف سمعية (القاطرات - الرعد - المكانس الكهربائية) مخاوف بصرية (الألوان القاتمة - المجسمات الضخمة - العرائس المتحركة) مخاوف مكانية (الانتقال إلى بيت جديد) مخاوف شخصية (الانفصال عن الأم وقت النوم - خروج الأم من البيت). |
| سنتان ونصف | مخاوف من الحيوانات والأحجام الضخمة (الناقلات). |
| ثلاث سنوات | مخاوف بصرية (المسنون - الأقنعة - الظلام - حيوانات - رجال الشرطة - اللصوص)، مغادرة الأم أو الأب (خاصة ليلاً). |
| أربع سنوات | مخاوف سمعية (الماكينات) الظلام - الحيوانات البرية - مغادرة الأم (خاصة بالليل). |
| خمس سنوات | فترة خالية نسبيًا من المخاوف (إذا كانت موجودة، تكون واقعية مثل الخوف من الإيذاء - الأشرار - الاختطاف - الكلاب - الخوف من عدم عودة الأم أو الأب إلى المنزل). |
| ست سنوات | تزايد المخاوف: سمعية (جرس الباب - التليفون - الأصوات المخيفة - أصوات الحشرات)، خرافية (الأشباح - العفاريت - الساحرات)، مكانية (الضياع - الغابات)، العناصر الطبيعية (النار - الماء - الرعد - البرق)، اختباء أحد في المنزل أو تحت السرير - النوم المنفرد - البقاء في حجرة مغلقة - الخوف من ألا يجد أمه عند العودة للبيت أو أن يحدث لها أذى أو أن تموت - اعتداء أحد عليه بالضرب - الجروح والدم. |
| سبع سنوات | مخاوف بصرية (الظلام - الممرات الضيقة - الظلال على الجدران)، الخوف من الحروب والدمار - الجواسيس واللصوص - اختباء أحد في المنزل - الوصول متأخرًا إلى المدرسة - فقدان حب الآخرين. |



## 4- الخجل والثقة بالنفس:

نلاحظ أن الطفل الذي ليس لديه ثقة بالنفس تزداد مشاكله السلوكية، وتخف قابليته للطعام أو قد تزداد وتظهر المشاكل الصحية، وتبرز عنده العدوانية، ويجتاحه شعور بالقلق وعدم الأمان، ويتدنى تحصيله المدرسي.

**ملاحظة**

اتفق علماء النفس على تحديد الثقة بالنفس بالخصائص التالية:

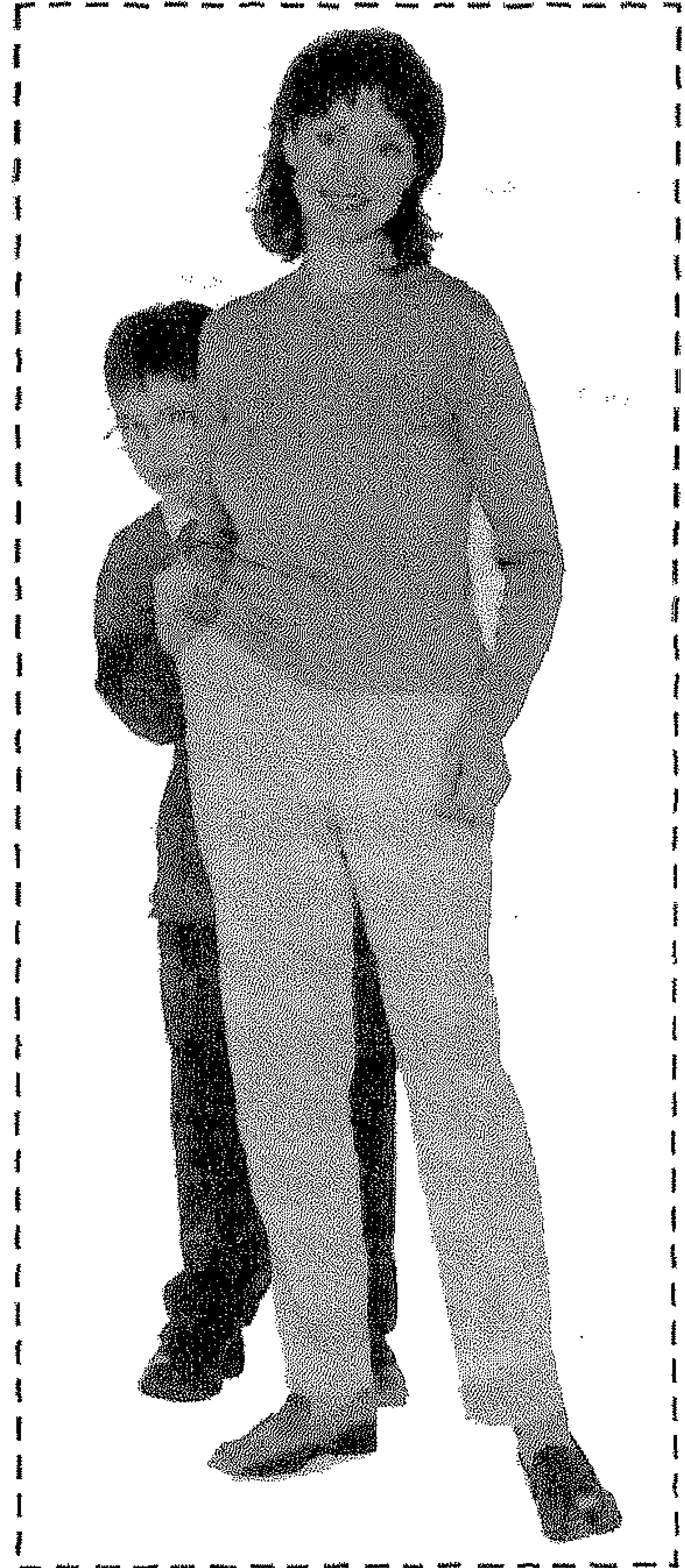
- أن يشعر الإنسان أن له قيمة.
- أن يحب الإنسان نفسه.
- أن يتقبل الإنسان نفسه مع كل نواقصه.
- أن يكون للإنسان ثقة بالمستقبل.
- أن يشعر الإنسان أنه يستطيع تجربة أشياء جديدة وأنه سوف ينجح.
- أن يشعر الإنسان أنه جزء لا يتجزأ من هذا العالم، وأنه ينتمي إليه.

### تطور الثقة بالنفس:

**من الولادة حتى السنة الأولى:** خلال هذه المرحلة المبكرة جدًا من حياة الطفل، تُكتسب الثقة بالذات من خلال ابتسامات واحتضانات الوالدين له، وتحدثهما معه، ولمسهما له بحنان.. كل ذلك يعطيه فكرة إيجابية عن العالم حوله، عالم تُنفذ فيه احتياجاته بعاطفة وحنان، عالم آمن يشعر فيه الطفل أن أهله له ويحبونه من دون شروط...

**من العام الأول وحتى العام الثالث:** وهي مرحلة مهمة جدًا، إذ أن الطفل يكتسب فيها الاستقلالية، ولكنها أيضًا تسمى "بالمرحلة السلبية" إذ نلاحظ أن الطفل في هذا العمر يقول "لا" لكل شيء يطرح عليه، فهو يحاول أن يكتشف هويته

وقدراته. لذلك، فإن تشجيع الاستقلالية عند الطفل هي الركيزة الأساسية للثقة بالنفس وللتخلص من الخجل، فيجب إذن أن ندعم كل خطواته نحو الاستقلالية، أن نشجع كل مبادراته الشخصية للقيام بأشياء معينة، أو أن نذكره دائمًا كم نحن نحبه وكم هو جميل وبارع...الخ، فالطفل الذي يشعر أنه مشكلة في البيت، لن يطور الثقة بنفسه.



**من العام الثالث وحتى العام الخامس:**

وهي مرحلة ما قبل المدرسة. يكتشف الطفل حدوده فيقارن نفسه بالأولاد الآخرين، ويكتشف أن فلانًا أسرع منه في الركض، وفلانًا أبرع منه في الرسم، فمن الطبيعي أن تتزعزع ثقته بنفسه خلال هذه المرحلة بعدما كان هو الأفضل والأسرع في عيون أمه في البيت. في هذه المرحلة، يتعرض الطفل لأشخاص جدد غير الأشخاص الذين اعتاد عليهم في عالمه البدائي: هناك الأولاد الجدد في الصف، وهناك أيضًا المعلمة أو المعلمات، وكل واحد من هؤلاء الأشخاص لديه تأثير كبير على شخصية الطفل. فالمعلمة التي لا تلتفت إلا نادرًا لرسماته الجميلة، أو الطفل الذي يدفعه في الملعب ويوقعه على الأرض



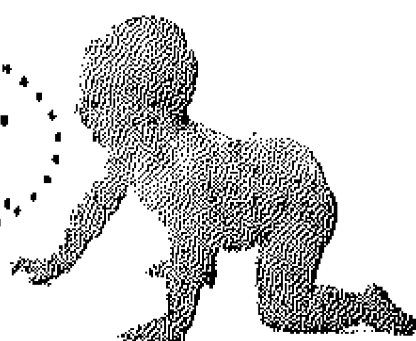


صـارخًا: "لا أريد أن ألعب معك"، قد يسببون الكثير من الانزعاج عند هذا الطفل الذي اعتاد في السابق على أن يكون كل شيء جميلاً وشبه كامل في حياته. وهكذا تحدث الصدمة الأولى في حياته. لهذا السبب نرى أن هناك دورًا كبيرًا يستطيع الأهل لعبه لمساعدة الطفل على تخطي هذه الصدمة، والصدمات اللاحقة في حياته اليومية.

**5- الكسل:**

الكسل مشكلة تشكو منها كثير من الأمهات، فتلاحظ الواحدة منهن أن ابنها أو ابنتها يميل إلى عدم القيام بعمل ما أو يبطئ في القيام بهذا العمل، أو يحاول أن يجد فرصة للهرب من القيام بمثل هذا العمل. إن الطفل قد يميل إلى التكاسل خصوصًا في الفترة التي تسبق التحاقه بالمدرسة، وقد تزيد درجة تكاسله غالبًا في سنوات الدراسة الأولى.

ومشكلة التباطؤ تظهر في بعض الأحيان أثناء محاولة الأسرة لتدريب الطفل على ضبط التبرز والتبول واستخدام المرحاض. إن الكثير من الأطفال ينتبهون إلى أن عملية تبرزهم في الإناء الخاص به أو في المرحاض هو أمر شخصي. والطفل يتعرف على برازه كما يتعرف على جسده. إنه يشعر بنوع من الإحساس بالملكية لهذا "البراز" لذلك لا يرغب في إخراجه بعيدًا عن جسده. إنه يحاول أن يحتفظ به داخل أمعائه، خصوصًا في الوقت الذي تجبره أمه على الجلوس على النونية أو على المرحاض. وإن كانت الأم من النوع القلق الذي يحاول أن يتابع دائمًا مسألة تبرز الطفل فإن الطفل قد يقاوم هذه الضغوط بأن يقاوم عملية التبرز لمدة أيام.



بل إنه يتعود على ذلك. ويظل يعاند الأمر ويظل يتباطأ ويؤجل عملية التبرز. وتأخذ المسألة شكل عناد دائم. وقد يصبح التباطؤ والتكاسل أسلوبًا متبعًا في كل سلوكه.

ويظهر أحيانًا أخرى الميل إلى التكاسل والتباطؤ عند طفل آخر بدون أن يظهر هذا العناد الصريح بينه وبين والدته بخصوص مسألة التعود على الانتظام في عملية التبرز. إن ذلك لا يكون سببًا للمشاكل خلال عام الطفل الأول، لكن بعد أن يتم الطفل عامه الأول أو الثاني فإن المشاكل بسبب التكاسل تبدأ في الظهور.

إن الأم والأب ينتظران من الابن أن يحضر إلى مائدة الطعام في ميعاد الطعام. وأن يقوم هو نفسه بتناول الطعام دون مساعدة أحد وأن يسير على خطوات الأم وسرعتها نفسها وهو يسير معها إلى أي مكان. إن هذا العمر – عام أو عامين – تكون فيه قدرة الطفل وسرعته بطيئة لأن قدرته على التركيز أيضًا بطيئة. يتشتت ذهنه في مجالات مختلفة. وهكذا تفقد الأم القدرة على الصبر فتبدأ في إصدار الأوامر بلهجة عصبية ويبدأ الطفل في العناد. كما أننا يجب أن ننتبه جيدًا إلى أن الطفل في عامه الأول والثاني يبدأ في الرغبة في الاعتماد على نفسه والاستقلال عن والدته. إنه يشعر أنه قد أصبح من المحتم عليه أن يعلن للجميع أن له "شخصية" وأن له "كرامة" وأن له حقوقًا كإنسان صديق. إن كلمة "لا" هي أسهل الكلمات التي ينطقها الطفل أثناء أي أمر يحمل صفة السيطرة المطلقة عليه. إن كلمة "لا" هي أسهل الكلمات التي ينطقها في أي مناقشة. إنه يرفض أن يسيطر عليه أحد بشكل مهين للكرامة. كما أنه يحاول أن يصنع كل شيء. إنه يحاول مثلاً أن ينتعل حذاءه بمفرده رغم أنه يفتقد القدرة عمليًا على





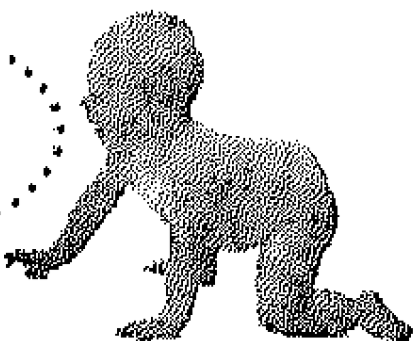
ذلـك، وفي بعـض الأحيان لا تسعف الطفل القـدرة علـى اللحاق بأمـه وهـي تسـير مسـرعة فيتخلف عنها. عندئذ تحاول الأم أن تنادي الابن، فيقف في مكانه "ويمثل" أنه لا يسمعها. وعندما تعود لتمسك بيديه فقد يحاول أن يبدي استقلاله عنها بأن يجري إلى الخلف. هـنا تقع الأم فريسـة نفـاد الصبر والضيق من تباطؤ الطفل وعناده. إن على الأم أن تأخذ المسائل بهدوء أعصاب وبسهولة ولا داعي أن تظن أن الابن هـو آلـة ستطيعها طـوال الـنهار والليل. ذلـك يجعل الحياة أسـهل ويخلص شخصية ابنها من الوقوع في العناد. إن عليها أن تؤكد للابن الإحساس بأنه كائن مستقل وأنها تحترم ذلك. وهـذا مما يجعل اللحظة التي يظهر فيها الطفل العناد أو التباطؤ قليلة للغاية. فالأم التي تستعمل ذكاءها تستطيع إقناع الطفل بتنفيذ ما تريد. لكن إذا استسلمت الأم إلى الغضب ونفاد الصبر وعدم القدرة على السيطرة على غضبها، فإن هـذا الغضب إذا مـا واجهت به الطفل، لن يقابلـه الطفل إلا بالعناد.

**مـلاحـظــة**

الطفل الكسول قد يزداد عناده وتماديه في الكسل، كلما شعر أن هناك من يضغط عليه للتخلي عن الكسل !

إن الأم التي تتميز بعدم الصبر وبالرغبة الكاملة في السيطرة على الطفل وتحاول أيضًا أن تضبط رغبات العدوان التي في أعماقها، هذا النوع من الأمهات هـو أكثر الأنواع تعرضًا للضغط على أطفالهن. ولا تدري الواحدة منهن أنها بهذا الإلحاح في الإسراع إنما تنمي في نفس الابن الإحساس بالتباطؤ والتكاسل. وربما





تكون الأم من النوع الذي يشعر في أعماقها بضرورة توجيه النقد لكل سلوك الرجال وتختزن في أعماقها رغبة في التنافس مع الرجال، يحدث ذلك نتيجة مشكلات قديمة بينها وبين الأب أو أحد أخوتها الذكور أثناء طفولتها، وهذا النوع من الأمهات يكون سريع التوتر، وتكون أيضًا معرضة لنفاد الصبر مع ابنها.

**6- كثير البكاء:**



البكاء.. أو ادعاء البكاء وإطلاق أصوات "النشج" أو الانتحاب مسألة مثيرة للأعصاب تمامًا. وهذا أمر شائع بين الأطفال الذين في الثانية أو الثالثة من العمر.

**حالة واقعية:** كانت فرحة الأسرة بقدوم طفلها فوق حدود التصور، كان الأب يحمله دائمًا ليلاعبه والأم تنفذ له كل ما يطلب وتحمله أيضًا، كانت الأسرة كلها تحت أمر تسليته ولهذا كان يرفض هذا الطفل أن يسلي نفسه كعادة بقية الأطفال في مثل عمره. وعندما بلغ هذا الطفل العام الأول من عمره بدأ يلح على الأب والأم في طلب أنواع جديدة من التسلية في معظم لحظات النهار. وأصبح دائم اليقظة لا يهدأ ولا ينام، كثير المطالب، وقد أحدث هذا للأم ضيقًا لأن للصبر



حدودًا. ولعلنا نعرف أيضًا أن هناك سببًا هامًا هو الذي يجعل صبر الآب آو الآم يتلاشى بمنتهى السرعة وهو أن الطفل كلما تقدم في العمر كلما استطاع أن يعتمد على نفسه نوعًا ما، وهكذا تقل درجة تدليل الآباء والأمهات للطفل. ذلك أنه لم يعد ذاك "العاجز" عن الاعتماد على نفسه كما كان في البداية. ولكن ليس هذا هو الذي يحدث دائمًا، ذلك أن بعض الآباء والأمهات يلاعبون الأبناء حتى سن الثالثة. يقدمون لهم الطعام من زجاجة الرضاعة، تحمله الأم أو يحمله الأب. يدور حوار بين الطفل ووالديه بأسلوب يقلد فيه الوالدان طريقة الطفل في الكلام.

وفي حالة الطفل الذي نتحدث عنه كان لا يطيق الجلوس وحيدًا في مكان ما. وإذا وضعته الأم بعيدًا عنها ولو لثانية واحدة فإنه يبدأ في إصدار أصوات "النحيب" والأنين وادعاء البكاء. وهكذا حتى تأتي إليه أمه وحتى تحمله على يديه وتحاول الأم أن "تنسى" مؤقتًا هذا البكاء وهذا النحيب. لكن استمرار الطفل في إطلاق صيحات البكاء دون دموع مسألة تدفع الأم إلى الإحساس بالشفقة والقلق وعدم راحة الضمير فتذهب إلى طفلها لتلعب معه لمدة دقائق تحمله فيها على ذراعيها، وعندما تريد أن تضعه في حجرته أو على أرض الحجرة وفور أن يلمس سريره أو الأرض فإن "نوبة" النحيب والبكاء دون دموع تبدأ على الفور وبمرور الوقت تبدأ الأم تحس بالضيق ونفاد الصبر والغيظ من هذا الطفل الذي يبالغ في كل شيء. ولأنها كانت بلا تجربة وتخاف عذاب الضمير، أصبح من العسير عليها أن تتعرف على الإحساس بالضيق الذي يصل إلى درجة العداء، هذا الإحساس

الذي كان ينمو في أعماقها وظلت تضغط على نفسها وتكرر هذا الإحساس وتستسلم دائمًا لمطالب الطفل.

وأنا أؤمن أن الوليد الذي لم يصل عمره حتى إلى الشهور العشرة يحس بمشاعر أمه مهما حاولت إخفاءها. وهذا يولد في الطفل إحساسًا بالقلق والضيق ويجعله يندفع إلى المزيد من المطالب، إنه يطلب التفرغ الكامل له، إنه يطلب الاهتمام الدائم به ويشعر بمدى سلطانه على الأم ويشعر أنه ليس لها أي حق في أن ترفض له أي طلب. إن هذا الإحساس يأتي إليه من الأم نفسها، إنه يحس أنها تشعر بعذاب الضمير لو رفضت له طلبًا من المطالب. وهكذا يدفع الابن ليصبح مستبدًا صغيرًا يرفض أن يعصاه أحد خصوصًا من الأب أو الأم. ولهذا تقع الأم أسيرة دائرة من العذاب.

إن بكاء الأطفال فعلاً أو بكاءهم التمثيلي له إحدى نتيجتين في سلوك الأمهات. هناك أم تعرف تمامًا كيف تتحكم في مشاعرها وتظهر ابتسامة الود على ملامحها ويكون الصبر مسيطرًا على مشاعرها مهما حاول الطفل أن يثير أعصابها. إنما هناك أم أخرى تفقد أعصابها عند أول صوت يصدره الطفل بالبكاء ولا تحاول أن تسيطر على نفسها أو على الطفل. إنه من المهم أن تحاول الأم أن تسري على قاعدة في عدم انفلات الأعصاب مع الابن. فالموقف الهادئ المنضبط مع الابن هو الذي يجعله يكف عن استغلال البكاء كوسيلة لابتزاز الأم.

والأم تستطيع أن تضع حدًا لبكاء الطفل أو لادعائه التمثيلي بالبكاء فورًا، هذا إذا استطاعت الأم أن تتناسى تمامًا الإحساس بالذنب تجاه الطفل، لأن

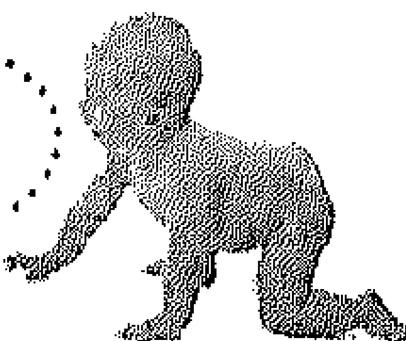




الإحساس بالذنب يحد من قدرة الأم على التصرف مع الابن ويمنعها من رؤية الموقف بوضوح. قد يعتقد البعض أنني أبسط هذا الأمر كثيرًا. وقد تقول بعض الأمهات أنه ليس من السهل عليهن أن يفعلن ذلك.

إن الآباء والأمهات في معظم الأحيان يتركون الطفل يبكي ويشكو ويسبب المتاعب والضيق لمجرد أن الأب أو الأم يرفض طلبًا لهذا الابن وهو طلب يمكن أن يحقق له شيئًا من السعادة ونفكر نحن بعد الرفض في أننا أخطأنا لأننا رفضنا للطفل طلبًا. هنا يلتقط الطفل هذا الشك الذي في أعماقنا ويحاول أن يبتز موافقتنا مرة أخرى. وأحيانًا أخرى نظهر نحن الضيق من الابن لمجرد أن أعصابنا متوترة، فنترك الابن بعد ذلك "ينتقم" منا بأن نعطيه الفرصة ليبكي بصوت مزعج أو ليتصرف بطريقة غير مهذبة أو يرفض الأوامر. لكن عندما نملك زمام أنفسنا ونتصرف باتزان وثقة ونعطي الأبناء حقهم الكامل في الحب متيقنين من أننا نتبع معهم أسلوبًا عادلاً في التعامل والتفاهم، هنا يمكننا أن نسيطر على الأطفال دون أية متاعب لأننا سنتعامل معهم بالود الحازم وهذا "الود الحازم" يخلق في أعماق الأبناء إحساسًا بالاطمئنان ويولد في نفوسهم الإحساس بضرورة طاعتنا. وعندما يبدأ أحدهم في ادعاء البكاء بهدف أن نرضخ لمطالبه التي لا نقتنع بها ونقول له في لهجة واضحة "إننا نرفض هذا البكاء" فإن الطفل يفهم تمامًا من نبرة صوتنا الواثقة أنه من الأجدى له أن يمتنع عن البكاء لأنه جهد ضائع.

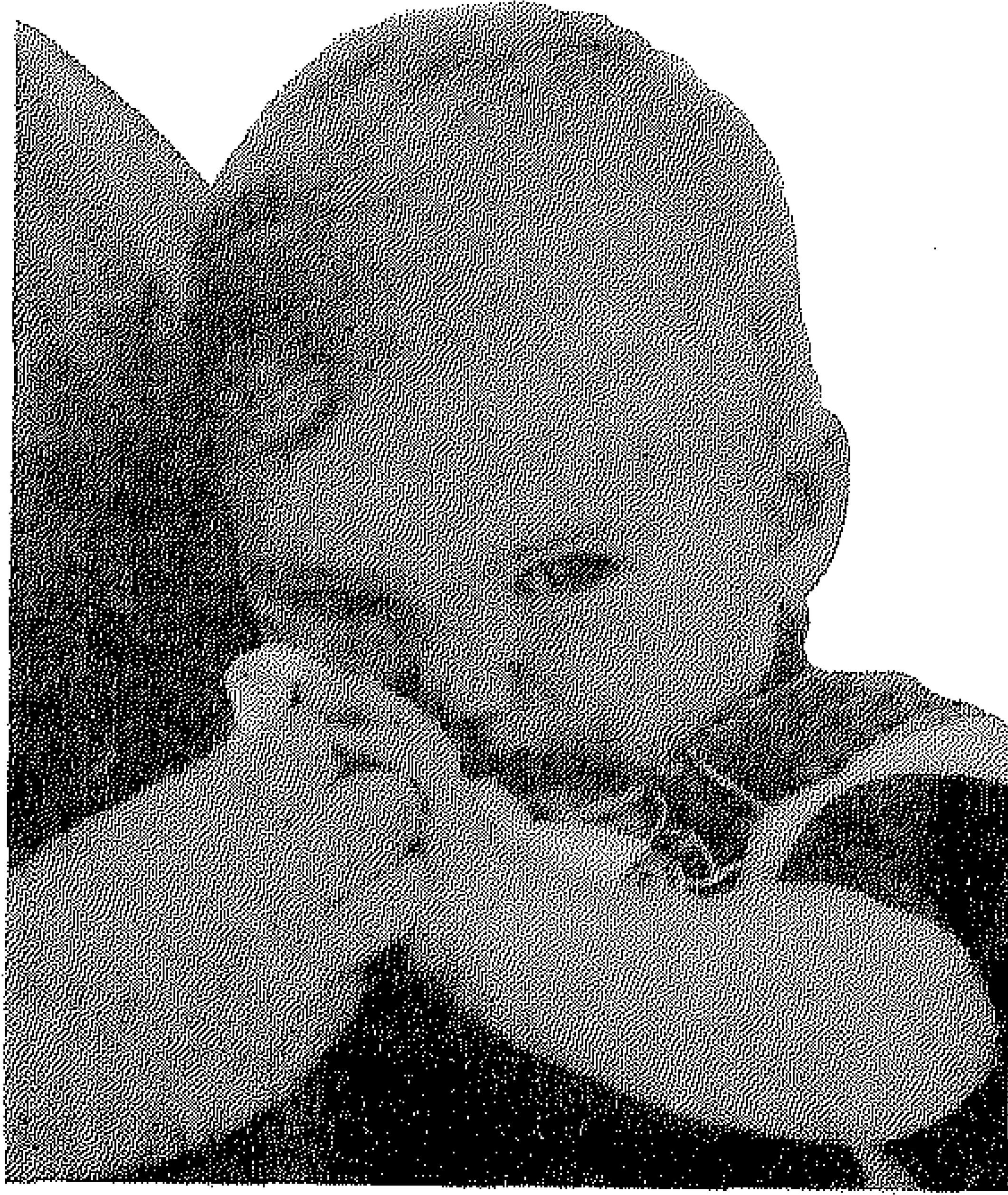
لكن عندما تترسخ لدى الطفل عادة البكاء يومًا بعد يوم وأسبوعًا بعد أسبوع وشهرًا بعد شهر وتتأكد الأم من أنها تريد أن تضع حدًا لهذه المسألة المزعجة فإن







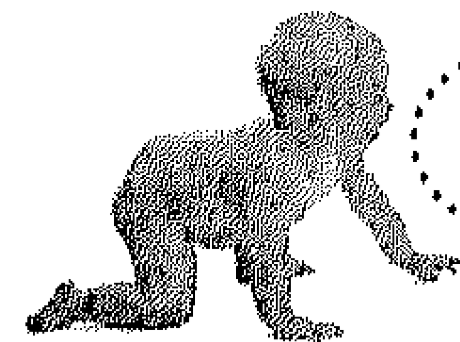
على الأم أنْ تعرف أن ليس هناك إحساس بالإثم والضيق يحول بينها وبين السيطرة على سلوك الطفل بأسلوب معقول.



**7- العدوانية:**

تمثل دراسة العدوان لدى الأطفال موضوعًا حيويًا في إطار علم نفس الطفل، وبالطبع الطفل يرث جنسه ذكرًا كان أم أنثى، ولكنه يتعلم، من خلال العديد من العمليات، اكتساب الدور الذكري أو الأنثوي اكتسابًا. ذلك الدور الذي يتوقعه منه المجتمع كذكر أم كأنثى، فهل ما قد يظهره الطفل من سلوك عدوان يأتي من عملية التعلم هذه؟ بمعنى هل السلوك العدوان فطري يولد الطفل مزودًا به أم أنه سلوك متعلم ومكتسب من خلال تفاعل الطفل مع البيئة التي يعيش في كنفها؟ الطفل لابد وأن يكون قد مارس العدوان لفترة ما من مرحلة ما من مراحل حياته. ولكن بالطبع هناك أطفال أكثر عدوانًا عن غيرهم. ففي العدوان، كما في غيره من سمات الشخصية وقدراتها وخصائصها، توجد فروق فردية واسعة.

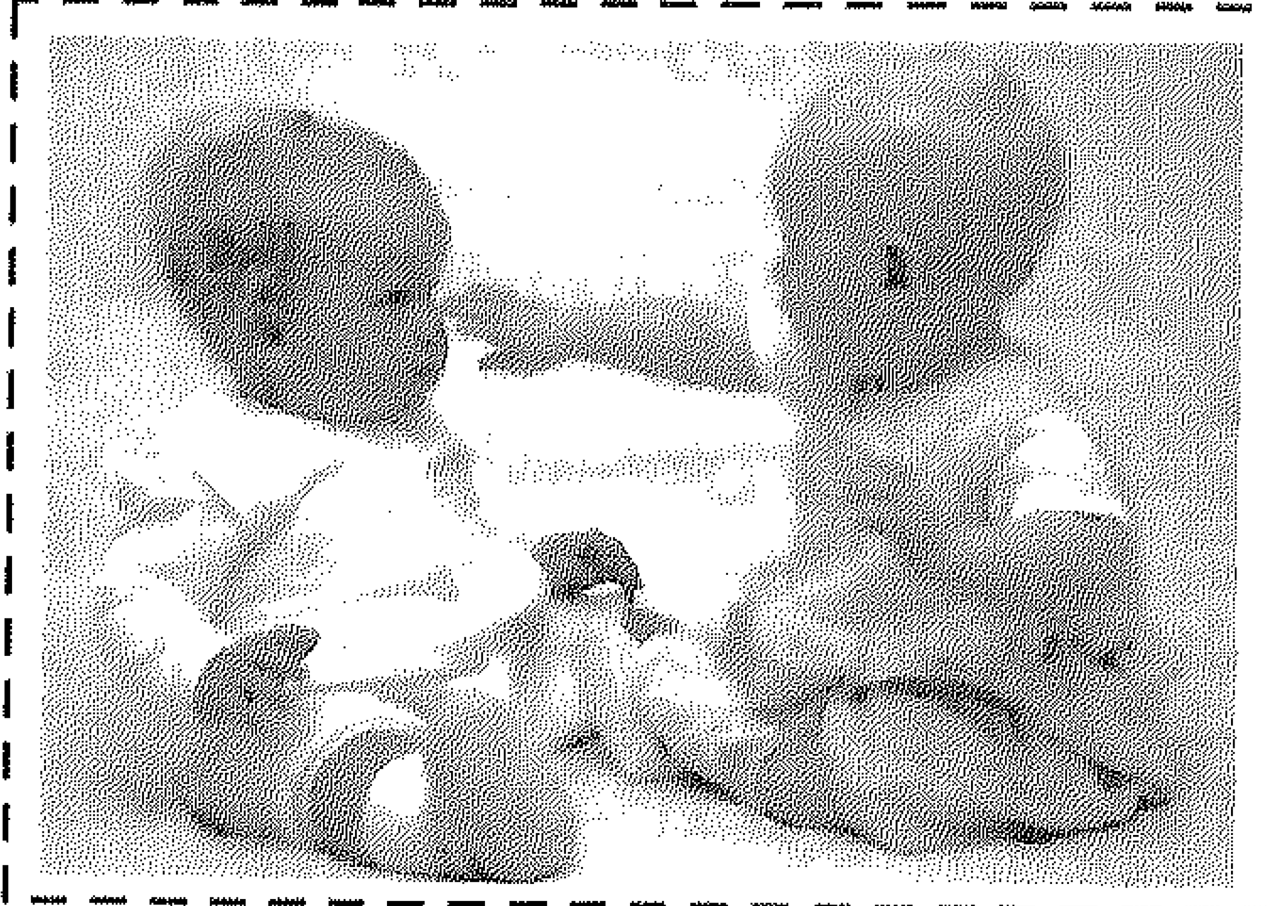
وفي دراسة العدوان يلزم أولاً تعريفه أو تحديد معناه، كذلك يتعين معرفة الأساليب التي يعبر بها الطفل عن عدوانه، وكذلك التعرف على الأسباب والدوافع أو العوامل والظروف والمواقف التي قد تقود الطفل إلى السلوك العدواني. إيمانًا منا بأن كل سلوك لابد وأن تكون له أسباب أو علل تدفع إليه.





معظم تعاريف العدوان تشير إلى حقيقة إيذاء شخص ما أو تدمير شيء ما. وبالطبع تتعدد أشكال العدوان، وإن كان أبسطها السب أو القذف اللفظي. ولاشك أن هذا السب يغضب من يقع ضده هذا العدوان.

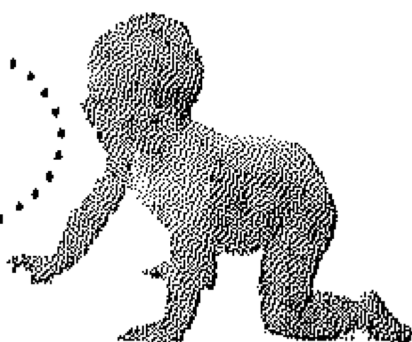
الطفل عندما يقترب من نهاية عامه الأول يحاول أن يجرّب إيذاء الآخرين، فعندما يغضب من أمه فهو يحدق إليها بنظرة غاضبة، وقد يفكر في أن يشد شعرها أو يعضها من خدها. إنه يشعر أن هناك ما يستدعي أن تعاقب عليه الأم ويشعر بدافع لعقابها وإلحاق الأذى بها، ولكنه يملك في الوقت نفسه إحساسًا بأن هذا السلوك الذي قد يسلكه شيء لا يتناسب معه.



ملاحظة

الطفل الذي لم يبلغ بعد الثالثة من العمر لا يملك رغبة في الهجوم على غيره هجومًا قاسيًا أو مؤذيًا إلا إذا علمه أحد هذا اللون من الهجوم وشجعه عليه.

إن الأم المتزنة تستطيع أن تنبه الطفل إلى أنها لا تحب أن تصدر عنه مثل تلك التصرفات ولا يمكن أن تبيح له ذلك. وهذا عن طريق إفلاتها من محاولة غضبه منها أو أن تضربه برفق على يده التي يشد بها شعرها. ولكن هناك بعض الأمهات اللواتي يتصفن بأحاسيس يشوبها بعض الانحراف. وتلعب الواحدة منهن



مع طفلها لعبة "إذ آذيتني سأؤذيك". وتتركه يعضها ثم تمثل أنها تبكي ويكرر الطفل عض أمه بصورة أكثر عنفاً. ويضحك الطفل ضحكة تظهر أسنانه. وتظهر عليه ملامح التلذذ بتعذيب الآخرين.

والطفل في عامه الأول أو الثاني يرغب في العض كأسلوب أول في الهجوم والدفاع عن نفسه. كما أنه يحاول أن يضرب الخصم بأي شيء ثقيل أو يوقعه على الأرض. هذا هو الأسلوب المنتشر في هذا العمر للدفاع عن النفس وهو أسلوب بدائي المظهر ومباشر جدًا. ولكن عندما يصل الطفل إلى عامه الثالث أو الرابع فإن الأم تستطيع أن تلاحظ أن الطفل يتجه حتى في أسلوبه العدواني إلى التحضر. إنه يبدو أكثر نضجًا، فالطفل الطيب القلب ذو المشاعر الرقيقة لا يرد العدوان فورًا إنما يحاول من البداية أن يستفسر وأن يحتج. وقد يرد العدوان بعد ذلك.

ومن المهم جدًا أن نلاحظ بأن الأحاسيس العدوانية تأخذ شكل اللعب، فالطفل يلعب دور راعي البقر الذي يسرع بالتقاط المسدس وإطلاق النار على اللص الشرير الذي يحاول سرقة البقر أو تهديد المدينة. ويلعب الطفل أيضًا دور العملاق الذي يهجم على المنزل فيسحقه. ويكون هذا "المنزل" بطبيعة الحال مصنوعًا من المكعبات التي يلعب بها الطفل. ويلعب الطفل أيضًا دور الشرطي الذي يقود سيارة سريعة ليطارد اللصوص، وهذا النوع من الألعاب ينقي أعماق الطفل من أحاسيس الضيق والكراهية والغضب..

يأخذ الميل إلى العدوان صورًا أخرى عند بعض الأطفال خصوصًا في مجال الأسرة. إن كل أب وكل أم من الذين أنجبوا أكثر من طفلين أو طفلين فقط..

يعرف جيدًا أن هناك إحساسًا بالغيرة يتولد في أعماق الطفل الصغير عندما يأتي إلى الأسرة مولود جديد. إن الطفل الذي لم يتعد العام الثالث يتعرض إلى الإحساس بضرورة العدوان على هذا المولود الجديد. ويظهر هذا في محاولات الضرب أو الوخز أو توجيه أي إساءة إلى هذا المولود الجديد.

ونحن نلاحظ بين طفل وآخر ظهور ميل إلى العدوان عند أحد الأطفال بشكل مؤقت، يحدث ذلك كرد فعل لأي متاعب يجدها الطفل خارج نطاق الأسرة مثل عدوان أحد أطفال الجيران عليه وعدم قدرته على رد هذا العدوان ومثل إحساسه بصعوبة الدروس التي يتلقاها في المدرسة، كل هذا يدفعه إلى الإحساس بالضيق وبعدم الثقة بالنفس، ويخاف من أن يسخر منه أحد ويدفعه هذا الإحساس إلى العدوان. ولكن ميل الطفل إلى العدوان يأتي في معظم الأحوال من أسباب عائلية ومن مشاكل تحدث له في حدود علاقاته بأفراد أسرته. ولهذا فلابد أن تبحث الأسرة عن تلك الأسباب.

> **ملاحظة**
>
> عندما يتجه الطفل نحو العدوان فهو غالبًا ما يعبر عن مشكلات نفسية توجد داخل الأسرة نفسها.

**العنف المتلفز:**

إن مشاهدة العنف على التلفزيون يشجع الأولاد على التصرف العدواني، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن برامج الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال تحتوي على أعلى نسبة من مشاهد العنف مقارنة بأي برنامج آخر.

إن الأطفال دون الثامنة من العمر يتأثرون كثيرًا بالتلفزيون، خاصة أنهم لا يفهمون كثيرًا ما يشاهدون، ولأنهم لا يملكون القدرة على ربط المشاهد العديدة ضمن وحدة قصصية ذات معنى، وبالتالي لا يربطون تصرفات البطل بالدوافع التي حثته على مثل هذه التصرفات وعواقبها. كذلك، فإن الطفل في هذا العمر لا يميز بسهولة بين الواقع والخيال التلفزيوني.



إن معظم الدراسات تؤكد أن مشاهدة العنف على التلفزيون تزيد السلوك العدواني عند الأطفال ضمن العائلة وفي المدرسة، ويبدو أن هذا التأثير السلبي طويل المدى إذ أن هناك أكثر من دراسة تابعت تطور الأطفال على مدى سنوات عديدة وبينت أن المراهقين والراشدين الذين شاهدوا البرامج العنيفة بكثرة خلال



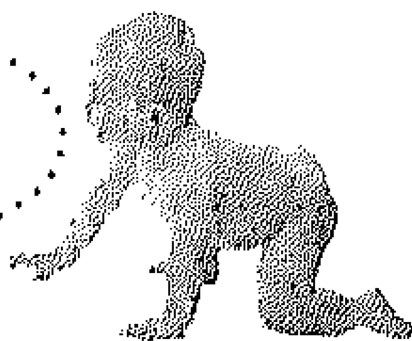


طفولـتهم يميلون إلى اللجوء إلى أساليب عدائية لحل مشاكلهم، ويكونـون أكثر عرضـة للانحـراف في نمـط حـياتي غـير محـبّذ اجتماعـيًا مقارنـة بالمـراهقين والراشدين الذين لم يمضوا أوقاتًا كثيرة بمشاهدة العنف على التلفزيون.

**نصائح للحد من التأثير للتلفزيون**

- وضع قوانين ثابتة بالنسبة لعدد ساعات المشاهدة، والمثابرة في تطبيق هذه القوانين (ينصح بساعتين فقط يوميًا).
- عدم استعمال التلفزيون كمكافأة أو عقاب، لأن ذلك قد يزيد من جاذبيته للطفل.
- تجنب الأهل مشاهدة التلفزيون بكثرة أمام أولادهم.
- الإشراف على محتوى البرامج التي يشاهدها الطفل.
- اشتراك الأهل مع الأطفال في مشاهدة التلفزيون ومساعدتهم على فهم ما يرون على الشاشة، والتمييز بين الخيال والواقع.
- منع تناول الطعام أمام التلفزيون.
- محاولة اختراع أساليب أخرى لتمضية الوقت مثل ألعاب كرتونية أو حتى كمبيوتر بدلاً من التلفزيون.

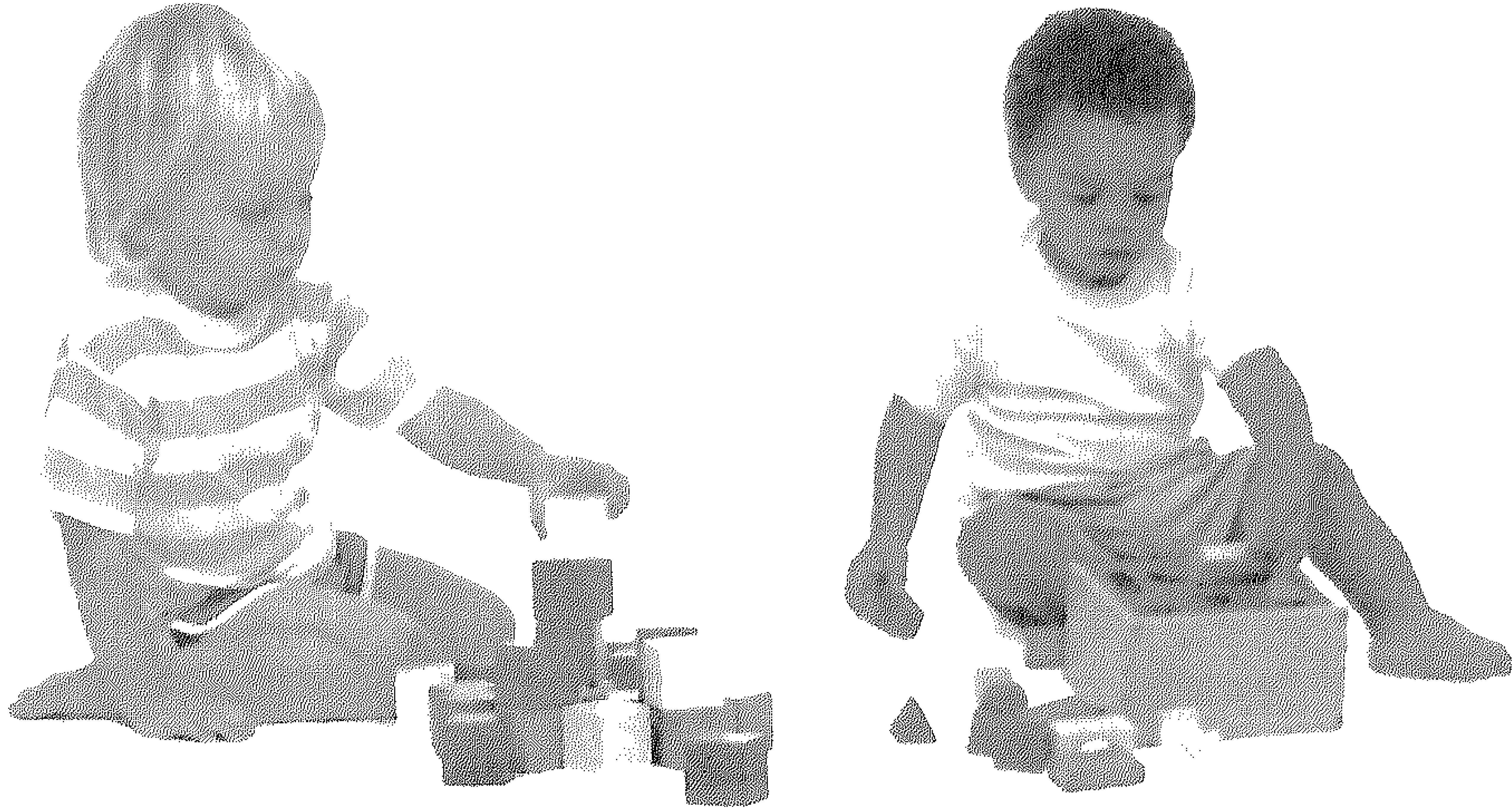




الفصل
7

# الألعاب والأنشطة في حياة الطفل

اللعب - أنشطة خارج البيت - الرياضة



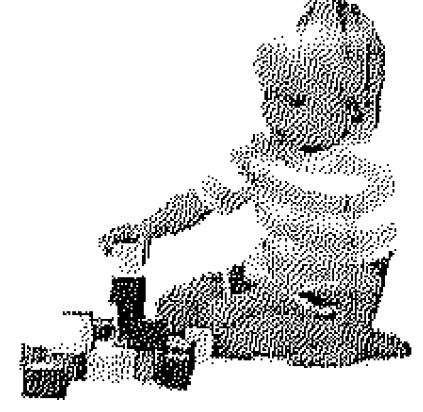
# الفصل السابع
# الألعاب والأنشطة في حياة الطفل

## أولاً - اللعـــب

عندما نشاهد أطفالاً يبنون بالقوالب أشكالاً هندسية شتى، كالطائرات مثلاً، أو يتعلمون الوثوب، فإننا معرضون، بوصفنا كبارًا، لأن نتوهم أن هذه أعمال غير جدية بالنسبة لإعداد الدروس وإنجاز الفروض البيتية أو الأعمال والوظائف الأخرى. ومرد ذلك إلى ما غرسه في نفوسنا الجيل الماضي منذ طفولتنا، من أن اللعب هو نوع من اللهو ليس إلا..

لكن الحقيقة هي أن الطفل الذي ينقل لعبة الأطفال المسماة خشخيشة من يد إلى يد، أو يتعلم الحبو، أو يدفع قطعة من البلاستيك فوق بلاط الغرفة وكأنه قطار، إنما يتعلم شيئًا من فنون الحياة. فهو يتدرب على القيام بأعمال مفيدة فيما بعد، تمامًا كما يفعل طالب المدرسة الثانوية حين يتعلم الهندسة مثلاً. فالطفل يحب لعبته لا لأنها سهلة، بل لأنها صعبة، فهو يكافح في كل ساعة من النهار ليتدرب على شيء جديد أصعب مما أنها التدرب عليه من قبل.

فأم الطفل البالغ من العمر عامًا واحدًا مثلاً، تشكو من أنه يمل اللعب بالقوالب المفرغة ويؤثر اللعب بالأوعية والأدوات المنزلية. والسبب في ذلك واضح،





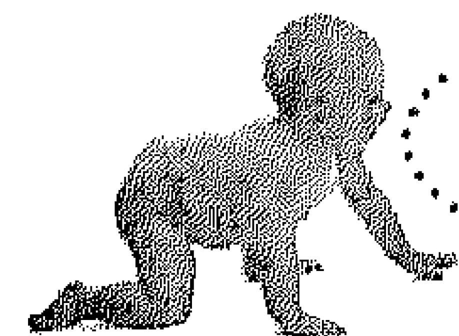
فهو يرى أمه تلعب بهذه الأوعية والأدوات لا بالقوالب، الأمر الذي جعل النوع الأول أحب إليه من النوع الثاني.

**اللُعب والدمى البسيطة:**

في المراحل الأولى من النمو يحب الأطفال عادة اللعب والدمى البسيطة، ويلعبون بها أطول مدة. وليس سبب ذلك هو بساطة الأطفال بل سعة خيالهم.

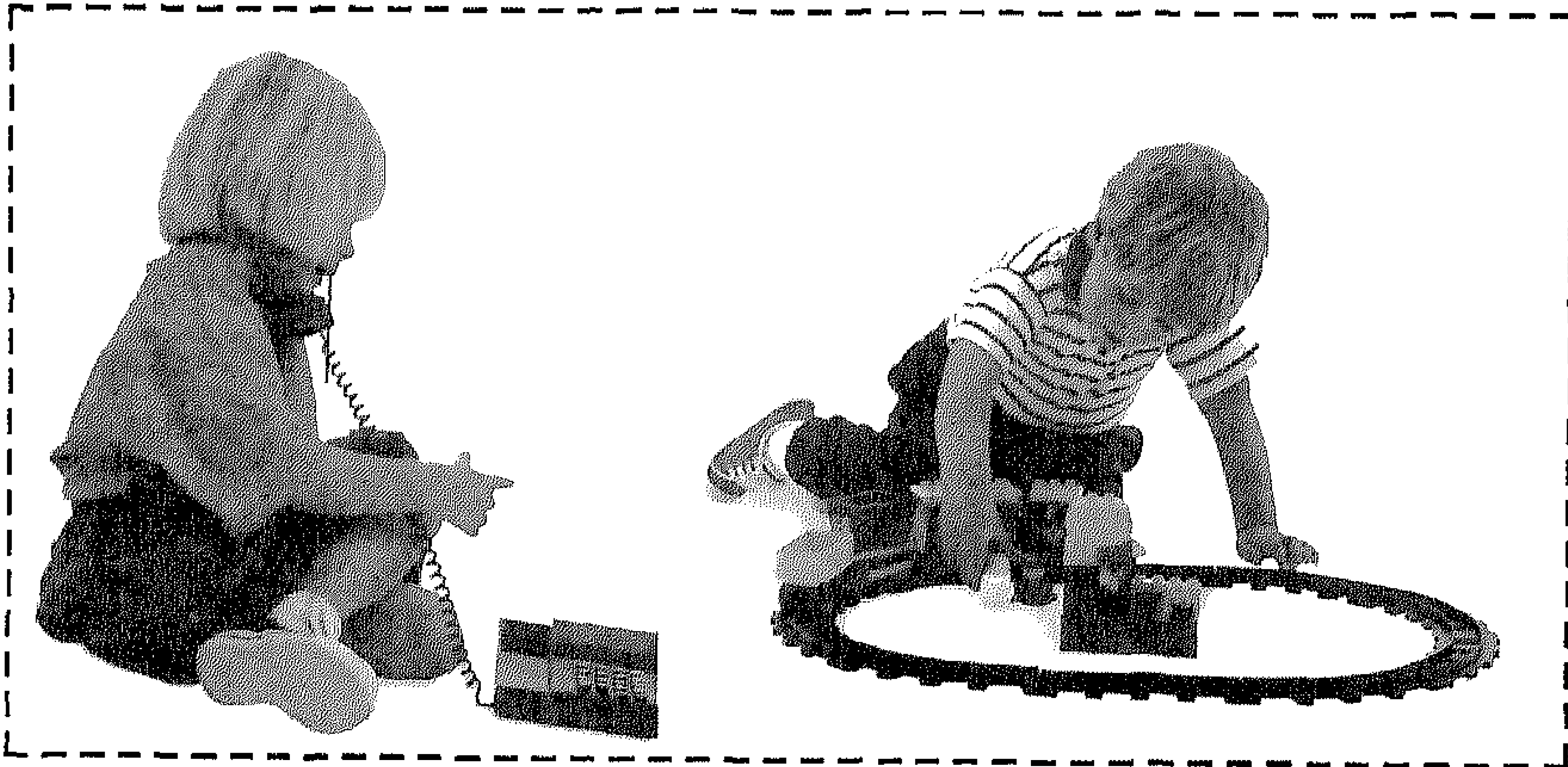
وكثيرًا ما يحس الآباء والأمهات ذوو الدخل الضئيل بألم بالغ لعجزهم عن ابتياع سيارات لامعة براقة مثلاً لأطفالهم، ولكن لننظر ما يستطيع طفلك أن يصنعه بصندوق من أدوات اللعب. فهو يستطيع أن يصنع منها سريرًا للنوم، أو منزلاً للسكن، أو سيارة شحن، أو خزانًا، أو قلعة، أو مكانًا للعب والدمى، أو مرآبًا، فلا تسمحي لنفسك بأن تقعي فريسة الألم لعجزك عن ابتياع دراجة وثلاث عجلات، أو ما شابه ذلك من اللعب. إن ما قصدت قوله، هو أن تعطي الأفضلية للأشياء البسيطة الصغيرة، أما الأشياء الغالية الثمن فاتركيها إلى أن تصبحي قادرة على شرائها وعندما تعرفين ما يفضله منها.

وقبل أن يستطيع الطفل استخدام يديه ومراقبة المواد الزاهية الألوان والمعلقة بحبل متدل من سريره، والتحرك قليلاً، أي قبل إتمام السنة الأولى من عمره، يحب الإمساك بالأشياء التي تصدر أصواتًا، والتي يستطيع أن يمضغها، كاللعب البلاستيكية الجديدة. ولكن يجب أن تكون هذه الأشياء مما لا تزول عنها الدهانات، والتي لا خطر من تساقط قشور منها في يد الطفل أو فمه.



وعندما يكون الطفل بين عام وعام ونصف من العمر، يمر في مرحلة يفتنه فيها وضع أشياء داخل أشياء أخرى ودفعها أو سحبها. والدمى الناعمة والحيوانات القماشية هي أيضًا مما يحبه معظم الأطفال في سني حياتهم الأولى، وإن كان بعضهم لا يهتم لمثل هذه اللعب.

وعندما يقترب الطفل من السنة الثانية من العمر يشتد اهتمامه بالتقليد. وكيسًا يحتوي على قوالب خشبية بأشكال مختلفة أهم وأجمل من لعب أو دمى في نظر الطفل الذي يتراوح عمره بين السادسة والثامنة.



دعي الأطفال يلعبون وفقًا لمستواهم الخاص: فالأم التي اشترت لابنتها الصغيرة دمية بملابس كاملة، تود أن تكون الدمية لابسة ثيابها حسب الأصول، بما في ذلك الملابس الداخلية. ولكن الطفلة الصغيرة قد تكون راغبة في أن تبدأ بإلباسها معطفًا أحمر. والأم تبتاع لطفلها الصغير صندوقًا من الطباشير الملون، وكتابًا يتألف من صور ملونة، فيتناول إصبعًا برتقاليًا ويلون به إحدى صفحات

الكتاب ضمن الخطوط، دون أن يزعجه استخدام اللون البرتقالي لرسم لون السماء والأعشاب على السواء.

ومعنى ذلك أن الطفل يكتسب اهتمامًا خاصًا بأداء أشياء معينة في سن معينة. فاهتمامه بإلباس الدمية حسب الأصول، ثم العناية بالتلوين واللعب بالقطارات بشكل واقعي، كل منها لا يأتي إلا في مرحلة معينة من تطوره، أي في سن معينة. فلا داعي للإلحاح عليه واستعجال وضعه في مرحلة ما، فإن ذلك لا يؤدي إلا إلى إثارة الشعور بالعجز لديه، الأمر الذي يؤذيه أكثر مما ينفعه، فطفلك يجب أن يلعب أبوه معه إذا كان راغبًا في النزول إلى مستوى الطفل في اللعب. فعلى الأب أن يساعد طفله إذا طلب ذلك. فإذا اشترى الأب لعبة معقدة جدًا، فمن الحكمة أن يترك الطفل يلهو بها كما يشاء، سواء فعل ذلك بطريقة صحيحة أو خاطئة وإلا فليخبئها عنه بلباقة إلى أن تصل سنّه إلى حد يمكنه من اللعب بها حسب الأصول.

رأت "ميلدرد بارتن"، أن مراقبة سلوك الأطفال بين السنتين والخمس سنوات من العمر تجعلنا نميّز بين مراحل مختلفة لنوعية اللعب عندهم. فبين العام الثاني والعام الثالث، يقضي الطفل معظم وقته في اللعب المنفرد حيث يبدو غير مبال لوجود الأولاد الآخرين في محيطه، ويراقبهم أحيانًا ولكن لا يشاركهم اللعب. تدريجيًا، يتحول هذا النوع من اللعب إلى نوع شبه اجتماعي، تسميه "بارتن" اللعب المتوازي، أي أن الطفل يلعب قرب الأطفال الآخرين ويستعمل نفس الأدوات لكنه لا يحاول التدخل أو التأثير عليهم من خلال الكلام أو الحركة،



ونلاحظ أن اللعب المتوازي شائع عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاث والست سنوات، عندها تظهر بوادر المشاركة في اللعب حيث تراهم منهمكين بألعاب مستقلة عن ألعاب الآخرين، إنما يتبادلون الألعاب والكلام خلال اللعب، إلى أن يصبح اللعب، في العام السادس، من نوع اللعب بالتعاون، وهو لعب اجتماعي مئة بالمئة، حيث يلعب الأطفال مع بعضهم، فتصبح نشاطاتهم موجّهة نحو هدف واحد، وهو إنجاح اللعبة (مثل لعبة "القطار" حيث يجلس الأطفال على المقاعد ويتخذ أحدهم دور قائد القطار والآخرون دور الركاب.

معظم الأهالي عند مراقبتهم لأولادهم خلال اللعب، يلاحظون أن محاولة "بارتن" هذه لتصنيف أنواع اللعب بشكل تدريجي حسب عمر الطفل، لا تتطابق كليًا مع ما يحصل على الأرض عند الأطفال. فبالرغم من أن نسبة اللعب المنفرد

بالفعل تنخفض مع العمر، يبقى شائعًا بكثرة بين العامين الثالث والرابع (40٪ من وقت اللعب في هذا العمر)، كما أن اللعب المتوازي لا يختفي كليًا مع التقدم بالعمر، إذ نلاحظ أن الطفل حتى في عامه السادس يقضي ما يقارب 20٪ من وقته في هذا النوع من اللعب.

ما يجب أن نلفت انتباه الأهل إليه هو أننا عندما نقيم سلوك الطفل، ننظر إلى درجة النضوج الفكري في كل نوع من أنواع اللعب المطروحة أعلاه، والهدف هو طمأنة الأهل حول قلقهم عندما يتساءلوا إذا كان ابنهم الذي يلعب بمفرده في أغلب الأوقات يتطور بشكل طبيعي، وهناك بعض أشكال اللعب المنفرد تثير القلق، وهي عندما نلاحظ أن الطفل يمضي وقتًا كبيرًا في القيام بحركات بسيطة متكررة مع أو من دون أشياء، كالركض بشكل دائري في الغرفة من دون هدف معين، أو دحرجة سيارة إلى الأمام وإلى الخلف لفترة طويلة من الوقت أيضًا بشكل تكراري. أما إذا كان الطفل يمضي الكثير من وقته في لعب وظيفي منفرد، أي بالرسم والتلوين أو تركيب المكعبات حسب تصميم معين، أو اللعب بالمعجون لخلق أشكال معينة، فلا داعي أبدًا للقلق. إن مثل هؤلاء الأطفال يتحلون إجمالاً بنسبة ذكاء عالية، وعندما يلعبون مع الآخرين يبرزون مهارات اجتماعية جيدة.

**الألعاب الخيالية والوهمية:**

تعتبر الحقيقة اليومية منطلقًا لخيال الطفل، فيخترع أدوارًا يمثلها، ويستعين أو لا يستعين لذلك بالألعاب التي بحوزته، ويحاول تجسيد مراحل الحياة اليومية في البيت: يقلّد أهله في تحضير الحلوى، وتقديم عصير الفاكهة، وتحضير حمّام



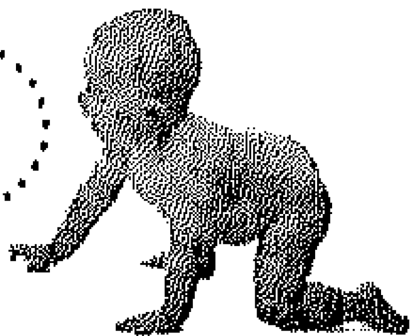
الدمية وسرير دبّه الصغير، كما يقود شاحنته الصغيرة، ويقوم باتصالات هاتفية.. وهو يقلّد بعض وجوه الحياة الاجتماعية أيضًا، فيؤدي دور المربية أو الطبيب أو التاجر. بعد ذلك، يمكن أن تساعده رسوم الكتب وما يراه على التلفزيون على لعب أدوار جديدة، فيقوم بدور أمير، أو ذئب، أو راعي بقر مع مسدس. وفي عمر السنتين والنصف إلى الثلاث سنوات، يقلد بنجاح أهل بيته ومحيطه، فيعيد حركاته أمه ويقلد صوتها، كما يقلد أخوته وأخواته.

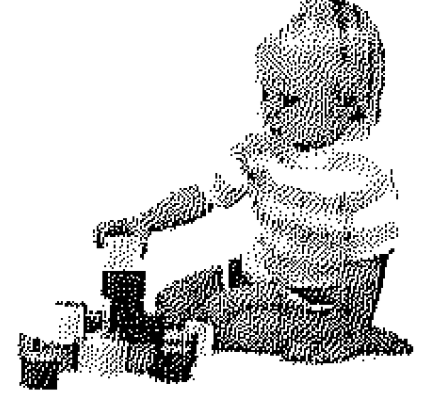
**المشاركة في اللعب**

إلى جانب لحظات الوحدة الضرورية لطفلك، أظهري له اهتمامك به. انضمي إلى عالمه وشاركيه في لعبه وفي جولاته الخيالية. ساعديه على ابتكار المواقف الطريفة والمسلية، عن طريق سرد الأخبار المتنوعة وتقليد بعض الشخصيات أو الحالات واستعراض الكتب المصور معه.

## التعبير عن النزاع:

يحاول ولدك أن يوجد من خلال ألعابه، عالمًا يناسبه ويؤمن له سعادته. وينطبق هذا العالم الخيالي على الواقع الذي يعرفه، وفيه يعبّر عن مشاعره

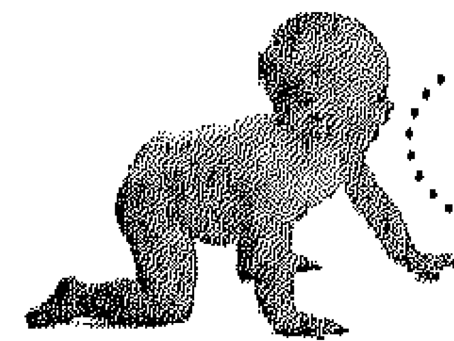




العدائية ويسيطر على أزماته النفسية. وبهذه الطريقة، يمكنه مثلاً أن يُغيِّب أهله، كأن يختبر في ألعابه الانفصال عنهم أو حتى موتهم. وعلى الرغم من المُثُل السلمية التي يؤمن الأهل أجواءها، فإن عليهم أن يتقبلوا واقع الطفل، وهو ميله إلى ممارسة لعبة الحرب. فهو يجتهد في صنع سلاح قد يكون من قطعة خشب، على الرغم من تجنب الأهل إعطاءه مسدسًا أو سيفًا أو أي أداة قتل.

### لعب البنات ولعب الصبيان:







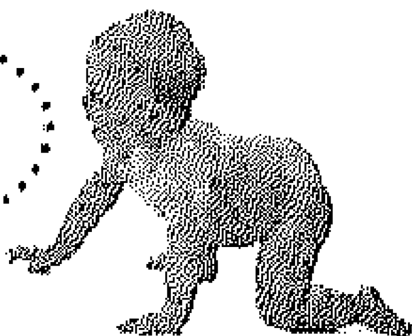
غالبًا ما يكون عالم اللعب الذي يبتكره الأولاد مختلفًا بين البنت والصبي. وإذا كان صحيحًا أن البنات والصبيان يتلقون الدروس نفسها ويمارسون النشاطات الفنية ذاتها، أو حتى الرياضية أحيانًا، فإن الأهل يتصرفون مع الطفل بطريقة لا شعورية انطلاقًا من كونه صبيًا أو بنتًا. وهذا ما يوجّه الطفل، منذ ولادته، نحو هويته الجنسية. وتصعب معرفة إن كانت ميول البنت تختلف أصلاً عن ميول الصبي أم أن الضغوط الاجتماعية والعاطفية والعائلية تلعب دورًا في ذلك. وفي حدود السنة الثالثة، تتبلور الفروق بين الجنسين. فالبنت تميل إلى الاهتمام بدميتها وبأمور المطبخ (على الرغم من أن الصبي قد يميل إليها أيضًا)، كما تجد لذّة في ارتداء ملابس أمها أو أختها الكبرى. أما الصبي فيهتم بتمثيل دور رجل الشرطة، أو الجندي، أو سائق الشاحنة.

## لَعب وتنكُّر:

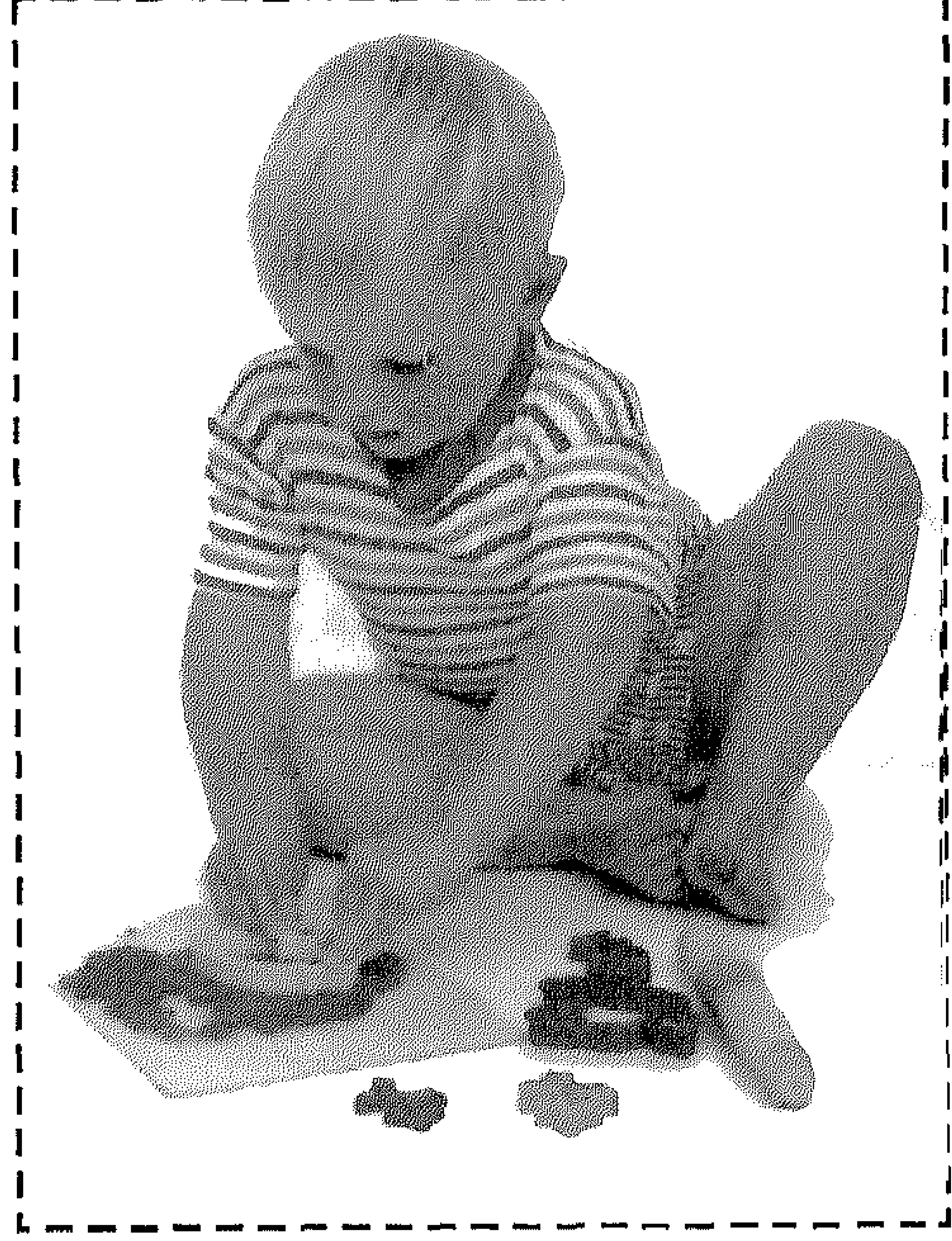
تُعرض على الطفل لُعب معقدة تساعده على تقليد وقائع الحياة (هاتف، مقوَد سيارة، عدّة طبيب، أسلحة متنوعة). هذه اللُّعب تسمح له بجعل عالم الواقع على قياسه، وتفسح أمامه المجال ليعيش هذا الواقع (مرآب، مزرعة..) أو ليعيش عالمًا خياليًا (تنكر في زي جنية، بطل أسطوري..)، كما أن الأشياء العادية البسيطة تمكنه من ابتكار عالم على قياس مخيلته.

**تنمية المخيلة**

يجب أن تحترمي أيها الأم اللحظات التي يكون فيها طفلك ساكنًا ومستسلمًا إلى خياله، سارحًا في الأحلام وعيناه شاردتان. لا تعتقدي بأنه يشعر بالضجر، بل دعيه يبحث عن عالم خاص يرتاح إليه. فلحظات السكون هذه تتيح نموه الفكري، بخلاف ما قد يبدو في الظاهر.



## ألعاب التيقظ:



ألعاب البناء التي يلجأ فيها الطفل إلى التكديس، وشد البراغي، والتشبيك، وألعاب الجمع تساعد على نماء تفكيره المنطقي. أما ألعاب التنسيق (مرآب وسيارات، مطبخ وأدواته) فتساعد على تنمية مهارته، وعلى إطلاق العنان لمخيلته. ويميل الطفل كذلك إلى الألعاب القائمة على التصنيف، كوضع العِجْل قرب البقرة، والمهر قرب الفرس..

## طفل مدمر لألعابه:

قد يلاحظ الآباء أن أبناءهم مفرطون في استهلاك وتدمير الألعاب وهذا قد يكون ناتج عن:

- اللعبة كبيرة عن سن الطفل مما يجعل الطفل يشعر بالإحباط لأنه يعرف كيف يلعب بها ولهذا يقوم بتدميرها.
- قد تكون اللعبة مثيرة للعنف مثل ألعاب الحرب والمصارعين فهي تثير النزعة التدميرية عند الطفل.

- قد يكون الطفل غير سعيد بها وكان يريد لعبة أخرى لذا على الوالدين مراعاة التالي:
  - اختيار اللعبة المناسبة للسن المناسب.
  - قضاء بعض الوقت لتعريف الطفل كيف يلعب بها.
  - تنمية نزعة المحافظة على الممتلكات وعدم التفريط فيها أو تدميرها في سبيل الحصول على غيرها.
- عدم تشجيع الحصول على لعبة جديدة في حالة تدمير السابقة بل العكس التأخير في الحصول على لعبة جديدة طالما لم يتمكن من المحافظة على السابقة.
- تعريف الطفل بأسلوب بسيط أن الحصول على لعبة اقتضى أن يعمل الأب أو الأم للحصول على مال للتمكن من شرائها وأن هذا الحال غير متوفر دائماً فيجب المحافظة على اللعبة لعدم سهولة الحصول على غيرها.
- محاولة شراء ألعاب تنمي نزعة البناء عند الطفل مثل بناء منزل أو تركيب سيارة أو مكعبات للحصول على شكل معين، لما لهذه الألعاب من فائدة في تنمية قدرة الطفل بالنجاح عند إتمام الشكل المطلوب وكذلك توسيع مداركه لإمكانية تكوين عدة أشكال فرعية من الأشكال الأساسية.

**اللعب مع سائر الأولاد:**

ينفتح الطفل شيئًا فشيئًا على العالم الخارجي، بعد أن كان قبل ذلك مكتفيًا بعالمه الخاص. يكتشف الحياة خارج بيته وتغتني مخيلته بأشكال جديدة متنوعة.





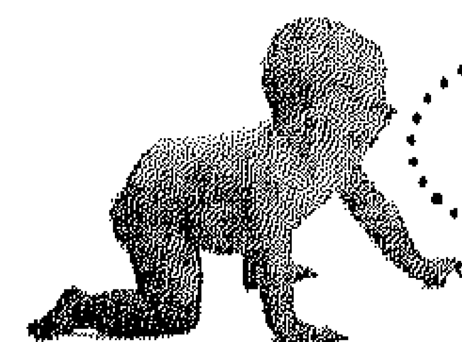
ويدرك أن هناك أطفالاً غيره، فيتقرب منهم، منتظرًا أن يلعبوا معه، ويتسع بذلك عالمه ويزداد تعلقه به. وهو لا يعود مهتمًا بنفسه بعلاقته الشخصية بالأشياء، وإنما يبدأ بالتفاعل مع الغير وإشراكه في لُعَبه، ومقاسمته حياته والتحاور معه.

قبل السنة الثالثة، يستطيع الطفل اختيار رفيق له من بين الأولاد يكون صديقه وزميله في اللعب. وغالبًا ما تكون صداقة الطفولة الأولى قوية ودائمة.

**اللعب الجماعي**



يجب أن يتصل طفلك بغيره من الأطفال، لكي يشاركهم ألعابهم ويستفيد من اكتشافاتهم. وعلى الرغم من المشاكل التي قد تنتج، فإن الاحتكاك بالغير يساهم في تكوين شخصيته، ويجعله يعتاد تدريجيًا واقع الحياة.



## اللعب داخل البيت:

يبقى البيت المسرح الذي ينطلق فيه الطفل بكل الألعاب التي يتخيلها، وفيه ينكبّ على الألعاب الجماعية. كما تدخل الإلكترونيات والمعلوماتية إلى عالمه، وكذلك التلفزيون وألعاب الفيديو، وفيما بعد يدخل مجال الكومبيوتر.

**الفوضى والترتيب**

إن ركوب الدراجة الصغيرة الثلاثية العجلات أو اللعب بالكرة في ممرات البيت أو قاعة الجلوس، لا يعتبران من الأنشطة المطمئنة المقبولة لدى الأهل. مع ذلك، لابد من أن تتاح للطفل فرص اللعب في الداخل، كجر شاحنة مليئة بالمكعبات وتسلق الدرج أو المقاعد والتأرجح على حصان هزاز واللعب في مغطس الحمام والرقص أو القفز على إيقاع أغنية، وذلك بانتظار أن يأتي وقت اصطحابه إلى الحديقة العامة. واعلمي أن الطفل الذي يعشق الفوضى عند بلوغه الشهر الثامن عشر، يحب الترتيب أيضًا، ويجد متعة في إعادة الأشياء إلى أماكنها. استغلي هذه الظاهرة واطلبي منه أن يساعدك في ترتيب لعبه.

**الألعاب الفكرية الجماعية:** يبدأ الطفل ألعابه الجماعية الأولى داخل البيت، عندما يقترب عمره من الخمس سنوات. إلا أنه من العبث إخضاع طفل دون السادسة من عمره لقواعد اللعب والانضباط. لذلك فإن اللعب، في هذا العمر، يلبي الدعوة إلى المهارة اليدوية، والسرعة، ودقة الملاحظة، عبر عناصر مصوّرة تتداخل أو تنضم وتتناسق، أو عناصر تُجمَّع وتُكدّس ثم تُنثر، وهذا ما يريح الطفل ويُفرحه. ولاشك في أن اللعب القائم على المهارة أو الذاكرة أو التفكير المنطقي، يعلّم الطفل مبدأ التقاسم، واحترام القواعد، والصبر في انتظار دوره، والرغبة في الفوز، فضلاً عن الاستعداد لتقبل الخسارة.

وكثيرة هي الألعاب التي تساعد على تفتُّق الذهن، كلعبة الأحصنة، وقد طُوِّر عدد من ألعاب الكبار ليصبح في مستوى الأطفال، كالألعاب المثقَّفة القائمة على الأسئلة والأجوبة. وإلى جانب ألعاب الحظ، هناك ألعاب قوامها المعلومات العامة (كالموسيقى وآلاتها، وعلم الفلك، والكيمياء..) وباستطاعة الطفل الذي يميل إلى التحليل والتفكير أن يشرع في الألعاب القائمة على التخطيط، كلعبة الضامة أو الشطرنج..

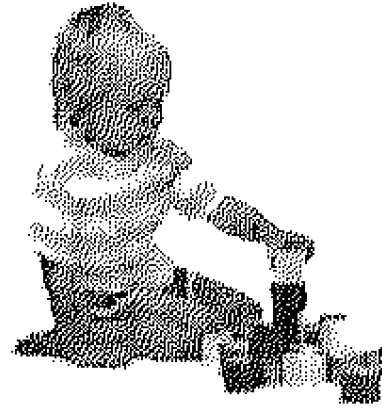
**ألعاب الفيديو:** لا يحتاج تأثير الصورة على الطفل إلى الإثبات، وعلى الوالدين تقع مهمة التوجيه وحسن الاختيار، بغية توفير الفوائد المرجوة والحد من التأثيرات السلبية.

وتساعد ألعاب الفيديو على توخي الدقة في العمل وترسيخها، وتُنبِّه حس القرار، القائم على حسن الاختيار. وبفضل تصحيح

**التأثيرات السلبية لألعاب الفيديو**

قد يكون الإفراط في الاسترسال في ألعاب الفيديو سببًا في أن يصبح اللعبِ الوحيد الذي يرتاح له الطفل، ويغدو مفضلاً على علاقته بأهله وبرفاقه، كما قد يتحول سببًا للتوتر عنده. ثم إن ما قد يتركه هذا اللعب من توتر في المساء، قد ينتج عنه عدم القدرة على النوم. ويُعتقد، فوق ذلك، أن الإفراط في مشاهدة الشاشة عند الطفل يمكن أن يكون وراء نوبات الصرع. إنما يعتبر هذا الاحتمال استثنائيًا ولا يصيب إلا من كان لديه استعداد له.

حتى لو كان لعب الفيديو على عكس التلفزيون قائمًا على مبدأ المشاركة بحيث يتاح للطفل أن يتدخل في مسار الأحداث، إلا أنه يفقد، بالمقابل، متعته وفائدته. ويمكن القول، أخيرًا، إن الأشكال المشوّهة والألوان الزاهية التي يعرضها معظم أنواع اللعب، من الأمور التي تؤثر سلبًا على الذوق السليم وعلى مفهوم الجمال الذي لا يكون قد تكوّن بعد عند الطفل.



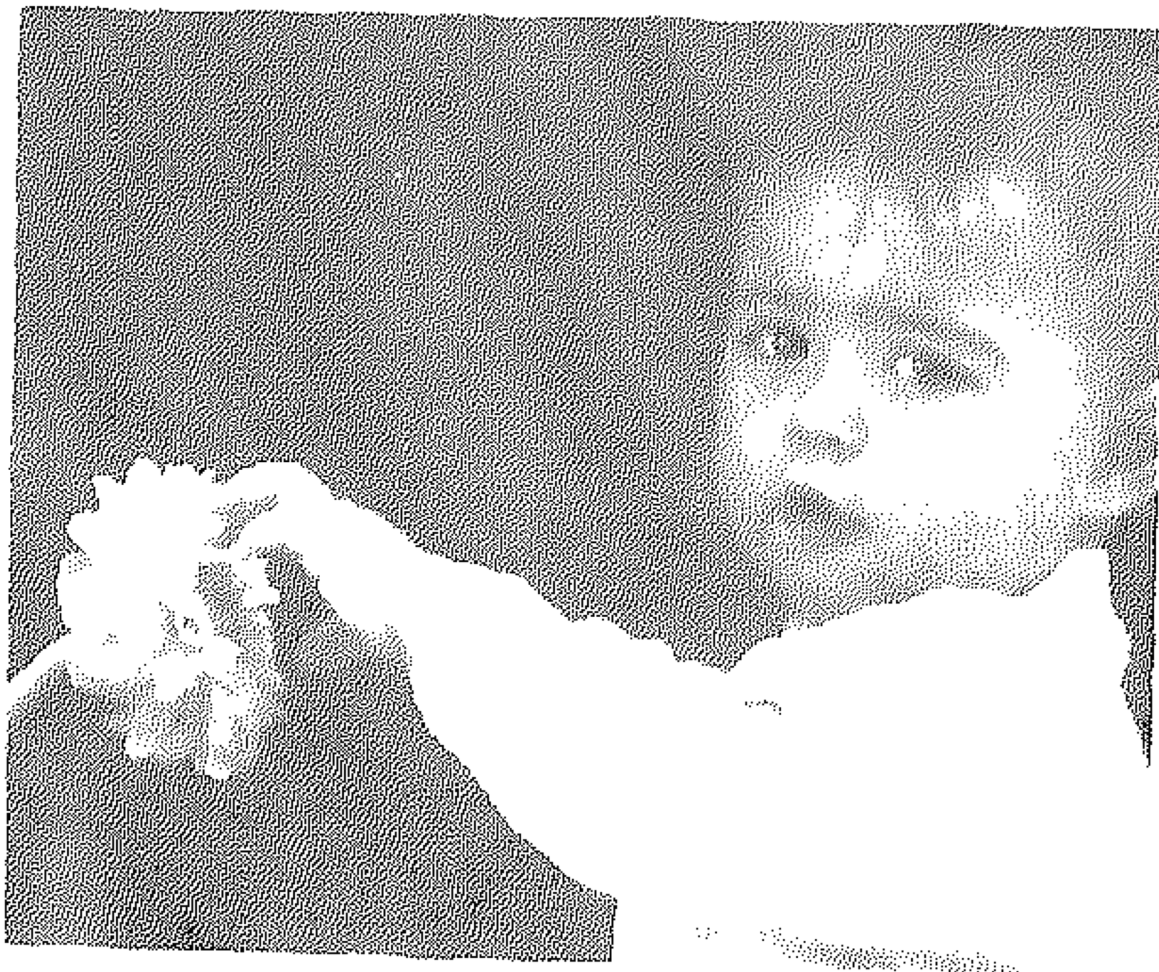
أخطاء التقدير، يتوصل الطفل إلى النتيجة الفضلى، بعد الموازنة بين الاحتمالات المتعددة التي تبرز أمامه. وتعمل هذه الألعاب على تطوير سرعة ردت فعل اللاعب، وعلى تحقيق القدرات المتنوعة. مع ألعاب الفيديو، يتعرف الطفل إلى متعة الفوز، ويدخل بواسطتها إلى ميدان المعلوماتية. بالاستناد إلى الكمبيوتر، يستطيع أن يتآلف مع عالم الكمبيوتر الخاص بالأطفال، وهو عالم له متعته الخاصة وفوائده المتنوعة.

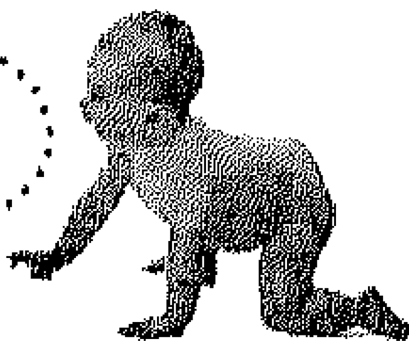
## ثانيـا - أنشطـة خـارج البيت

يرغب طفلك في الخروج من البيت حتى عندما يكون بعد صغيرًا في المهد النقال أولاً ثم في العربة. وعندما يتوصل إلى المشي والركض والقفز، يصبح الخروج من البيت ضروريًا لتنمية قدراته الجسدية. ومع قدرته على تنسيق حركاته، تزداد رغبته في توسيع حقل اللعب، واستهلاك طاقته. ثم إن النزهات في الحديقة العامة، وقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الريف، والرحلات إلى البحر، تعد مناسبات لاكتشاف الطبيعة وتعلم أشياء جديدة.

**اكتشـاف العـالـم**

ينبغي أن يتعرف طفلك إلى الأزهار والأشجار والحشرات في أثناء النزهات. إلفتي انتباهه إلى الطائرات والسيارات وسائر الآليات، فذلك كله يمكن أن يثير فضوله. وهذا الاكتشاف للحياة والطبيعة والتقنية قد يغدو منطلقا لتخيلات جديدة.





## أ) اللعب بالماء:

يألف الطفل الماء حتى قبل ولادته. ولاشك أن الأم لاحظت ما للماء من دور مهدئ، عندما تضعين الطفل في المغطس وقتًا طويلاً (تحت مراقبة دائمة) فيمضي وقته يلهو بالماء فرحًا مع بعض الدمى الطافية. وفي عدد من أماكن السباحة، نجد بركًا خاصة بالأطفال، بدءًا من الشهر الرابع. كما تُخصص في أماكن أخرى أوقات معينة لسباحة الأطفال تكون خلالها حرارة الماء ملائمة، فيضع الأطفال العوّامات ويتحركون بسهولة في الماء برفقة أهلهم. خارج هذا النطاق المميز، لا يستحسن أن يُحمل الأطفال إلى أماكن السباحة قبل بلوغهم العام الثاني، بسبب الزحام والضجيج، واحتواء الماء على الكلور المطهِّر.

**تذكير**

تذكري أن الطفل لا يُترك وحده في الماء، لا في بركة السباحة ولا في حمّام البيت. ومع المراقبة الدائمة، يستطيع الطفل أن يتخبط في الماء بمرح مع الشعور بالارتياح.



يتغلب الطفل مع الوقت على الشعور بالخوف من الماء ويختبر ألعابًا مائية مختلفة. ولا يتوصل إلى تعلّم السباحة الفعلية إلا عندما يبلغ الخامسة أو السادسة من عمره، فلا داعي إذًا إلى إكراهه على ذلك قبل هذا العمر.

لذلك فإن نـزول الطفل إلى الماء داخل البركة الصغيرة في حديقة البيت، أو على شاطئ البحر، يبقى مجرد متعة.



**ب) الحديقة العامة:**

إن تنظيم الحدائق العامة يساعد الأطفال على اللعب بأمان، بعيدًا عن خطر السيارات، في منأى عن النفايات وسائر ما تسببه المدينة من أذى. ويحوي عدد كبير من الحدائق العامة حوضًا رمليًا أو ميدانًا معْشبًا للعب. ومنها ما يحوي الأراجيح والزحلوقات والدوارات وغير ذلك. والحديقة العامة مكان لقاء الأولاد ومتسع لاختبار الحياة، وهي تقدم فرص التعارف وإقامة الصداقات. كما أنها في المقابل تفسح المجال أمام تحديات متنوعة يواجهها الطفل.

**الطبيعة والحيوانات:** يرتاح الأولاد كثيرًا إلى الطبيعة بصورة عامة، وهي تشكل مكانًا مفضلاً للاكتشافات. وهم يُفتنون على الأخص بالحيوانات المتنوعة التي تنتشر فيها: النمل، البقر، الدجاج، الأرانب، الطيور، ومخلوقات أخرى تثير الفضول. والمعروف أن الألعاب والكتب المخصصة للأطفال تستثمر إلى حد بعيد حب الحيوانات هذا. وإذا كان عدد من الأطفال الذين يعيشون داخل تجمعات سكنية كبيرة لا يعرفون من الطبيعة إلا ما يرونه في الحديقة العامة، فإنهم يرغبون كثيرًا في اكتشاف أشياء أخرى من عالم النبات والحيوان.

**تجنب أخطار الطبيعة**

تنتشر في الطبيعة نباتات وحشرات سامة ينبغي أن يتنبه لها الطفل في عمر مبكر. امنعيه مثلاً من أكل الكريات الحمراء الجذابة التي تحملها النباتات، وحذريه من لمس الحشرات التي تحط على الزهور.. إذا كان لديك حيوان أليف، حاولي أن تشرحي لطفلك ضرورة احترامه، والاحتراز من شد ذيله أو أذنه. فالكلب أو الهر الذي يُعتد عليه بهذه الطريقة يمكن أن يعض أو يخدش. وأكثر الحوادث مع الحيوانات الأليفة تحصل مع الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين السنة والثلاث سنوات.

إن الطفل الذي لا يُتاح له الاتصال المباشر بالطبيعة يفقد فرصًا مؤاتية لإرضاء فضوله وإشباع لذاته. فاللعب في المرج الأخضر، وتنشق روائح الحقول، والتمتع برؤية الأزهار، قد تكون مناظر عادية ولكنها بالغة الأهمية في نظر الطفل وهي تثير لديه فرحًا لا يُضاهى، ويجب ألا يقتصر التمتع بها على ابن الريف وحده. فإذا كنت من سكان المدينة، عليك أن تصطحبي طفلك باستمرار في نزهات إلى الحقل، والجبل، وشاطئ البحر، بانتظار أن يتمكن فيما بعد من الانطلاق في الطبيعة، ضمن نطاق مخيمات العُطل. وإذا كان الأمر مستحيلاً عليك، يمكنك أخذ الطفل إلى حديقة الحيوانات أو إلى الحديقة العامة.

## ج) العروض الفنية:

يفتح ولدك عينيه بفضول لتأمل العالم من نحوه، وكل ما يراه يشكل عنده مشهدًا مهمًا، وهو ينمي مخيلته بمغامرات يمكنه أن يشارك فيها. لذلك عليك أن

تتيحي لـه مجال إغناء خبراته بعروض فنية جديدة وطريقة، كالدمى المتحركة والسيرك.

**الدمـى المـتحركة:** تكون مشاهد الدمى المتحركة مكيَّفة عادةً للأطفال الذين يقل عمرهم عن الثلاث سنوات. ذلك أنها تجعلهم يشاركون في العمل، وتدعوهم إلى الرد على الأسئلة، وإلى الصراخ والتصفيق. وغالبًا ما يمثّل أشخاص الدمى وجوهًا تستثير خيال الطفل كالأميرات والملوك والطيبين والأشرار.. ويتأثر الأولاد بهذه الشخصيات ويتحمسون لأعمالها، ويحملهم هذا التأثر على أن يبتكروا مشاهد مماثلة. وهكذا فإن كل شيء يمكن أن يتحول عند الطفل إلى دمية متحركة يمكنك أن تساعدي طفلك على ابتكار دمى وعلى القيام بتمثيلية تروي حكاية يخترعها معك.

**السيرك:** يفرح برؤية البهلوان، والمهرج، والحيوان المدرَّب، ويشعر بأنه قد انتقل في السيرك إلى عالم آخر. يجب ألا يكون العرض طويلاً كي لا يتعب الطفل، وأن يكون قريبًا ما أمكن من المنصة ليكون شعوره بالمتعة كاملاً.

**د) مخيـم العُطل:**

بين السادسة والعاشرة من العمر، يهتم الطفل بالعلاقات الاجتماعية وإقامة الصداقات. وبدافع من حماسته المتدفقة وميله العارم إلى الاحتكاك بالغير، يكتشف المواجهة مع الآخرين. وإذا كان البيت لا يزال عنده المكان المفضل لألعابه، بمفرده أو مع رفاقه، فإن حاجته إلى استهلاك طاقته وإحساسه بضرورة التمتع

بحرية واسعة يدفعانه إلى التطلع نحو الخارج، حيث تنتظره هيئات اجتماعية متنوعة لتطرح أمامه مجالاً واسعة للأنشطة المتنوعة.

ويهدف مخيم العطل إلى اكتشاف آفاق جديدة ورياضات حديثة وإلى العيش في الجماعة. وهو بالنسبة إلى الكثيرين من سكان المدينة مجال للتعرف إلى الطبيعة وللقيام بأنشطة مشوقة متعذرة داخل البيت، كاكتشاف المغاور، وتجذيف القوارب، من مراقبة قريبة وعلى مستوى يتناسب مع العمر. ويساهم مخيم العطل وفي وضع الطفل على طريق استقلال الشخصية، بانخراطه في حياة جماعة لها قواعدها وأنظمتها العامة، بعد انفصاله عن حياته العائلية. ومن أجل أن تسير الأمور على الطريق الصحيح يتخذ عدد من الاحتياطات.

**التحضير للانفصال:** على الرغم من أن الانفصال عن الأهل يمكن أن يبدأ في عمر الثلاث سنوات، فإن الانتقال للاشتراك في مخيم العطل يجب ألا يتم قبل عمر السادسة أو السابعة. وينبغي أن يتم هذا الانفصال على مراحل، فيُمضي الطفل، في مرحلة أولى، نهاية الأسبوع عند رفيق له، ويختبر من ثم صفاً في الطبيعة أو بين الثلوج. ولا تنسي الصفوف الخاصة بالاكتشافات حيث يمكن أن يمضي الطفل بضعة أيام من الأسبوع أو أيام الفرص، وذلك ابتداءً من سن الرابعة. وبعيداً عن أجواء دور الحضانة، فإن هذه الصفوف تؤمن أنشطة منظّمة ومفيدة، ومنها زيارة الغابات، والمتاحف، والمعارض.. من جهة ثانية، يجب أن تتوصلي أنت إلى التغلب على هذه الصعوبة، لأن الطفل لا ينفصل عنك مطمئنًا إلا إذا لاحظ عندك الاطمئنان والارتياح.



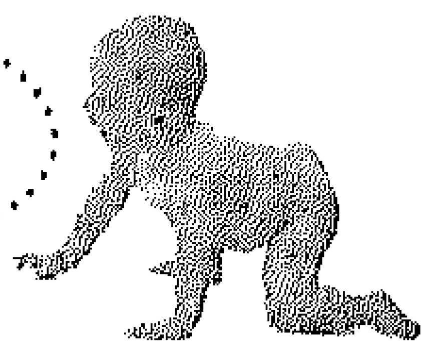
**اختـيار المخـيم:** يمكنك أن تستعلمي عن نـوع المخـيم ومدتـه لـدى المصـادر المختصـة كالمدرسـة أو الـبلدية أو المؤسسـة الـتي تسـتفيد غالـبًا مـن الدعـم المـالي. وغالـبًا مـا تكـون المخـيمات علـى أنـواع (بحـر، ريـف، جبل) وتهـدف إلى اكتشـاف الجديـد، والقـيام بأنشـطة رياضـية وثقافية. وباسـتطاعة المـراجع المعنـية بالأمـر أن تجيب عن كل ما ترغبين معرفته حول ما يهم طفلك.

**تحضـير الإقامــة:** تكـون لائحـة الأغراض التي يجب أن يحملهـا طفلـك معـه معروضـة لـدى المســؤولين عــن المخـيم ويستحســن أن تلـتزمي بهــا. اكتبي اسم ولدك على شريـط يـخــاط داخـــل كـــل ثــوب أو يُكتب بواسـطة حبر لا يُمحـى. وعندما يتقرر يوم الحيل يسلّم مـال جيب طفلك داخل مغلّف إلى المسؤول.

**أيام العطل**

إذا كـان طفلـك مقـيدًا بـدوام مدرسـي، يتوجـب عليك أخذ التدابير المسبقة حول كيفية قضاء أيام عطلته الطويلة أو القصيرة. وباستطاعته الالتحاق بمراكز خاصـة أعدت لـهذا الأمـر، أو قضـاء هـذه الأيـام عـند جديـه، أو عـند أقـربائه. ومهمـا كـان الـتدبير المـتخذ فإنـه ينـبغي ألا تـنـتظري الـلحظة الأخـيرة لـتقومي بالتحضـيرات. علـيك مناقشـة الأمر معه ليكون المكان المختار بموافقته، وليتعرف إلى الأسـباب الـتي تحملـك عـلى اتخـاذ هــذا الـتدبير. ولا يستحسـن أن يـأتي القـرار وكأنـه الحل الوحيد.

وإذا كنـت تـنوين الاتصـال بطفلـك فإنـه ينـبغي الاتصـال مسـبقًا بالمسـؤول واستشـارته بالأمـر وأعلمي طفلـك بمـا اتفق عليه. فقـد يكـون مستحبًا أحيانًا عدم الاتصال بالطفل، لئلا يستيقظ عنده الحنين إلى البيت وأهله.



## لسلامة الطفل

**في الحديقة:**

- لا تتركي الأولاد وحدهم في الحديقة، من دون مراقبتهم نم حين إلى أخر، حتى وإن كانوا قد تجاوزوا السادسة أو السابعة من العمر.
- أبعديه عن أمكنة تجميع النفايات.

**على الدراجة:**

- نبهي طفلك إلى عدم السير بشكل متعرج وملتوٍ بين السيارات، لئلا يصطدم بها، وضرورة السير إلى يمين الطريق.
- ينبغي ألا يترك طفلك الدراجة تنطلق بقوة في المنحدر، لئلا يؤدي ذلك إلى السقوط الخطر عند التوقف الفجائي.
- تأكدي من سلامة الدراجة، فالمكابح يجب أن تبقى في حالة جيدة، وكذلك الدينامو.

**مساحات اللعب:**

- راقبي طفلك، من قريب أو بعيد، عندما يمرح ويلهو في ملعب ما.
- نبهي طفلك إلى عدم النزول في الزحلوقة، عندما يكون أحد رفاقه أمامه، وعليه أن ينتظر خلوّها من الأولاد.
- اطلبي من طفلك أن ينتظر توقف دوران الدوّارة لكي يصعد إليها أو نزل منها.
- احرصي على دفع الأرجوحة، مع إبقائها داخل الإطار الذي ينبغي أن تكون فيه.

**السباحة:**

- لا تتركي طفلك يسبح وحده، أو مع أولاد آخرين، في مستنقع أو بركة أو نهر أو مصب ماء أو مسبح.
- دربي طفلك على دخول الماء تدريجيًا، وعلى تجنب تعريض نفسه لحرارة الشمس القوية قبل أن يستحم، لئلا يتأثر جهازه العصبي.
- كل طفل لا يحسن السباحة، ينبغي أن يضع طافية في ذراعيه، كما يجب ألا يبتعد باتجاه المياه العميقة، وإن كان يضع طافية.



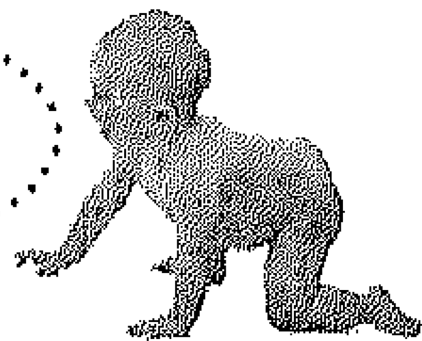


## ثالثاً - الرياضـــة

يعتبر النشاط الجسدي حاجة طبيعية عند الطفل، وضرورة في مجال تطوره المتناسق، على صعيدي العقل والجسم. ويساعد هذا النشاط في استهلاك الفائض من الطاقة، ويؤمن أجواء الثقة بالنفس. وهو يتمثل في الرياضة البدنية للبنات والصبيان على حد سواء.

### مبـــادئ أساسيـــة

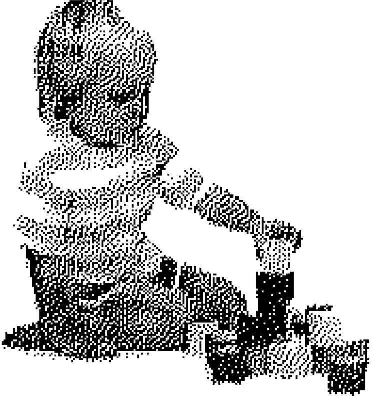
- المحافظة على حدود القدرة الجسدية عند الطفل، وعلى مدى الاستيعاب لديه، ولا تحاولي إكراهه على ما يفوق طاقته.
- تأمين حرية اختيار الرياضة التي يرتاح لها، وإن بدّل رأيه عدة مرات. فالتنقل بين أنواع الرياضة، قبل الاستقرار على ما يفضله، يساهم في التكوين الصحيح لشخصيته.
- لا يجب الحرص على جعل الطفل بطلاً، بحجة بدء النشاط الرياضي في عمر مبكر، إذ لا علاقة بين الرياضة المبكرة والتفوق.
- الحرص على تأمين غذاء متوازن يتوافق والمجهود الزائد الذي يبذله.
- إخضاع الطفل، من حين إلى آخر، لمراقبة طبية، خصوصاً إذا كان يمارس رياضة لها طابع المنافسة، أو إذا كان يبذل جهداً كبيراً عند التمرين، ولا يجب التقليل من أهمية المعاينة الطبية في حقل الرياضة.



يتزايد اهتمام المجتمعات بالنشاط الرياضي، ويحتل الأطفال ضمنه مركزًا مهمًا. والهيئات الكثيرة المعنية تفسح المجال أمام انطلاقة ولدك في حقل الرياضة حيث يشعر بارتياح بارز. ومهما كانت بنيته، فإنه يستطيع ممارسة الرياضة، إلا في حالات معينة، ولاشك في أن كل ظاهرة غير طبيعية تستدعي معاينة الطبيب، وعند الاطمئنان إلى سلامته الصحية العامة، يمكنك تشجيعه على ممارسة الرياضة. وينبغي ألا تكون الرياضة مجرد تسلية ومتنفسًا لمكبوتات النفس، فهي تربية قائمة بذاتها، وبواسطتها يطوّر الطفل خصائص إيجابية يستفيد منها لاحقًا. من هذه الخصائص أن الرياضة تهذّب الذوق وتوجّه الجهد، كما تساعد على تجاوز الذات، والقبول بالمشاركة. إنما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، أن الانخراط الجدي في حقل الرياضة يتطلب الحذر واتخاذ الاحتياطات الضرورية.

## في أي عمر تبدأ الرياضة؟

يُفضل أن يبدأ الطفل نشاطه الرياضي في عمر مبكر. إلا أنه، قبل عمر الثالثة، لا يمكن التفكير بالرياضة الفعلية. فابن السنتين يتوصل إلى ضرب الكرة، وابن السنتين والنصف أو الثلاث سنوات قد يتمكن من ركوب الزلاجة على منحدر بسيط، وهذا ما يساعد على البدء بتنسيق حركاته وتعلّم استعمال بعض الآلات الرياضية. وبين الثالثة والسادسة يتبع الطفل، في المدرسة، تربية رياضية تهدف إلى تنمية عضلاته، عن طريق التسلق، ولعب الكرة، والتمارين القائمة على حفظ التوازن.

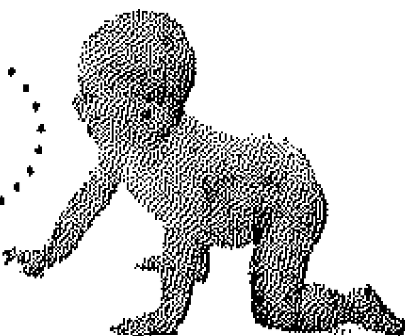


ابـتداءً مـن عمـر السادسـة، تهـتم هيئات رياضية متخصصة بالنشاط الرياضي، كالنوادي التي تتبع سياسة رياضية تفسح المجال أمام بروز أبطـال في حقـول متـنوعة. إن العمـر المناسـب لمباشرة الرياضـة يتعلق بنـوع النشاط المختار، وبالمـدى الـذي بلغه الطـفل في نمـوه الجسدي والنفسي. فلا يُنصح مثلاً بالفروسية والجيدو قبل بلوغ عمر السادسة، لأن العمود الفقري والجهاز العضلي لا يكونان بعد قد بلغا درجة الصلابة الكافية. ومهما يكن من أمر، يجب قبل اتخاذ القرار بمباشرة نوع معين من الرياضة، أن يخضع الطفل لفحص طبي، للتأكد من مدى استعداده.

**الرياضة مع الأهل**

يجب ألا يُحمل الطفل على مقاسمة الأهل نشاطهم الرياضي قبل أن تكتمل السنوات الثلاث من عمره. فلا يمكنه مثلاً مرافقة الوالدين إلى رياضة التزلج أو ركوب الخيل في هذا العمر. مقابل ذلك، يُستحسن أخذه في نزهة على دراجة، إذا كان الوقت والمكان ملائمين للقيام بهذه النزهة.

من جهة أخرى، ينبغي أن يكون الطفل قادرًا على فهم قواعد النشاط المختار، وأن تكون لديه رغبة فيه، مع الاستعداد لتطبيق مقوماته. فغالبًا ما يرفض الطفل ممارسة نوع رياضي معين بسبب عدم وجود حافز له، أو بسبب قلقه. وهناك طرق كثيرة لحمله على تقبل الرياضة، كأن نقوم بشرح ما للرياضة من فوائد جسدية (توفير القوة)، وفوائد نفسية (تقوية الثقة بالذات)، فضلاً عن أن الرياضة سبيل لإقامة علاقات مع الغير وعقد صداقات متنوعة.



**استهلاك القوى**

قبل عمر الثلاث سنوات من العبث أن نطلب من الطفل احترام قواعد الألعاب التي لا تناسب عمره، فليركض ويقفز ويتسلق ويزحف كما يحلو له، والموانع الوحيدة التي تُفرض عليه هي تلك التي تؤمن له سلامته. فالطفل يحب ركوب دراجة بثلاث عجلات، ولكنه لا يكون مؤهلاً بعد لركوب دراجة بعجلتين. وهو يجد متعة في ركْل الكرة، ولأن عمله لا يعتبر ضمن لعبة كرة القدم إلا بعد مرور بضع سنوات. كما لا يُعد القفز والركض عنده من ألعاب القوى، مع الإشارة إلى أن هذا النشاط الجسدي الذي يقوم به ينبغي أن يكون مراقبًا بانتباه.

## رياضات ضرورية (السباحة والدراجة):

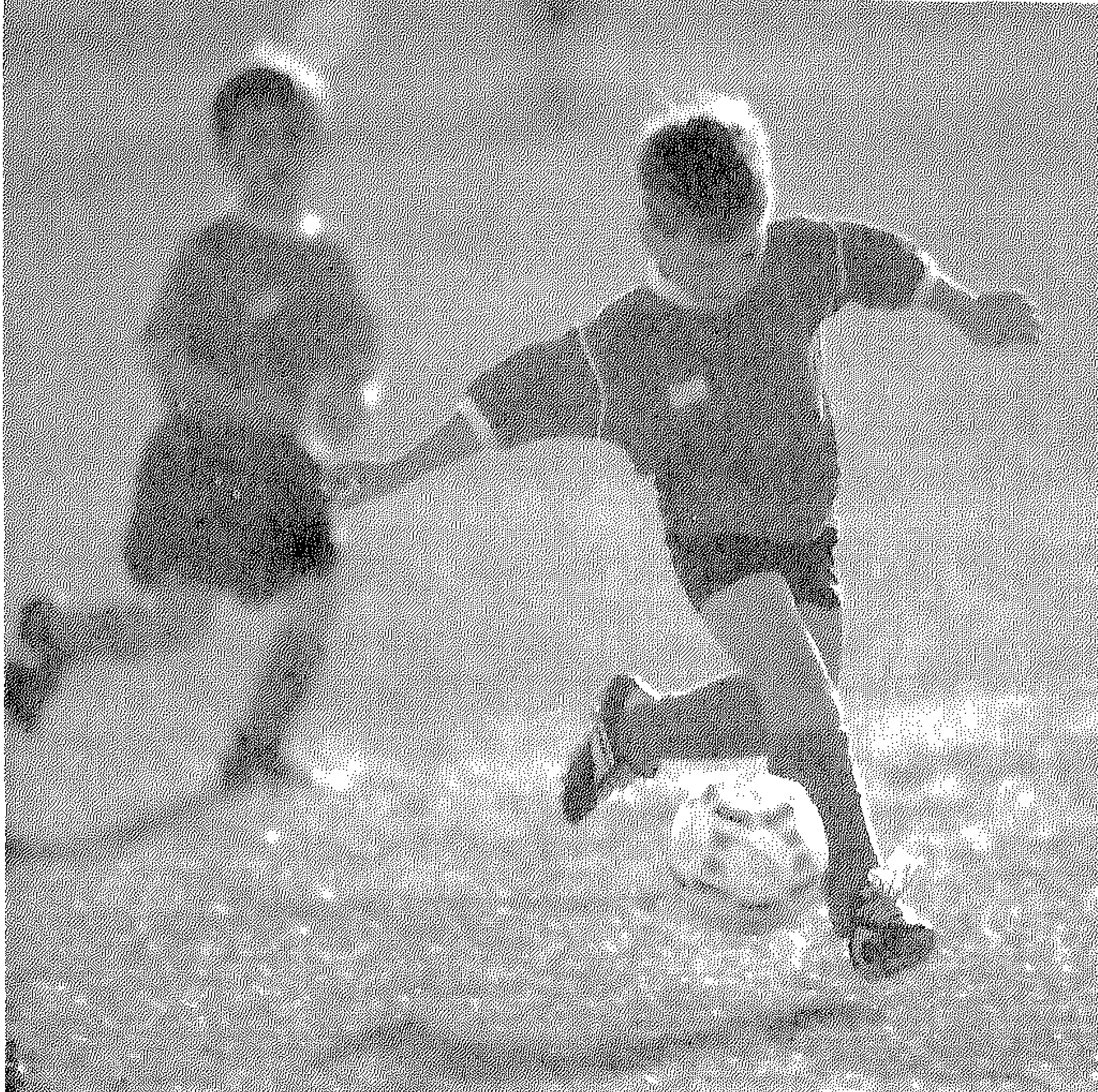
قد لا يكون طفلك ميّالا إلى الرياضة، أو قد يفضل نوعًا قليل الانتشار، فمهما كانت ميوله، فإن عليه،على الأقل، أن يتعلم السباحة وركوب الدراجة. وإلى جانب المتعة التي يشعر بها مع هذين النوعين من الرياضة، فإن فيهما فوائد جسدية ونفسية متنوعة.

غالبًا ما يتعرض الطفل لحوادث السقوط في الماء، ولا سيما خلال أيام العطلة. وهذا ما ينبغي أن يحمل الأهل على إقناع الطفل بضرورة تعلم السباحة، وإن لم تكن فرص النزول إلى الماء متاحة دائمًا أمامه. ومن شأن السباحة وركوب الدراجة تنمية مجمل العضلات والقدرة على التنفس، وتنشيط القلب، وتنسيق الحركات. ولهذين النوعين من الرياضة أثرهما النفسي على الطفل. فقد يشعر

بنقص كبير عندما يجد أنه لا يحسن السباحة وركوب الدراجة، في الوقت الذي يتقن فيه رفاقه ذلك. وعندما يصبح كبيرًا، يصعب عليه تعلم هاتين الرياضتين، وقد لا يجد فيهما متعة ورغبة.

## صفات بطل المستقبل:

بعد أن يصبح الطفل مغرمًا بالرياضة، يحلم في أن يصبح بطلاً. إلا أن الإرادة الحقيقية والرغبة الجامحة لا تكفيان لكي يفرض نفسه بارزًا في النشاط الذي اختاره. فقبل كل شيء، يجب الاطلاع على البيان الطبي الذي يحدد كفاءاته التي تخوله الانطلاق في النشاط الملائم.



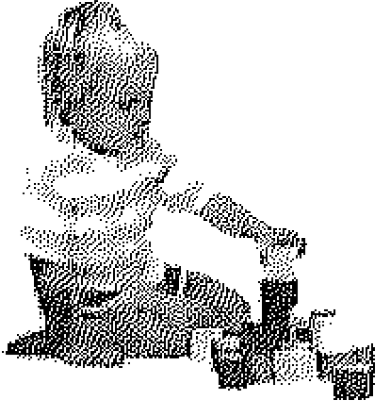
ينبغي أن تتوفر في الطفل خمس خصائص جسدية، ليستطيع دخول مجال التنافس في الرياضة.

- **الجَلَد:** هو التمكن من بذلك جهد طويل ومتواصل، مع الاحتفاظ بمستوى واحد من القوة المعتدلة.
- **قوة العضلات:** هي القوة التي تُبذل في سبيل التفوق على الخصم ومقاومته، عن طريق ثبات الجسم وحسن استعمال الوسائل المطلوبة.
- **التنسيق:** القدرة على حسن مواجهة التغييرات والتطورات غير المرتقبة.
- **السرعة:** هي إمكانية تحقيق عمل رياضي صحيح في أسرع وقت ممكن.
- **الليونة:** هي مرونة المفاصل والعضلات، التي تسمح بتنفيذ الحركة على الوجه الصحيح، لتحقيق الغاية المطلوبة.

**التوازن بين أنواع الرياضة:**

ينبغي التنبه إلى التكامل بين أنواع الرياضة، أو إلى عدم وجود تكمل بينها. فالسباحة وألعاب القوى هي من الأنشطة المكملة لكل أنواع الرياضة التي تتسم بطابع التنافس، لأنها تُحرك الجسم كله، ويمكن اعتبارها أساسًا في التمرين الرياضي.

- **الرياضة الفردية والرياضة الجماعية:** إن الطفل الذي يمارس نشاطًا رياضيًا فرديًا، كالمبارزة مثلاً أو المسايفة، يجب أن يبحث عن نشاط رياضي آخر مكمّل، في لعبة جماعية مثل كرة القدم.

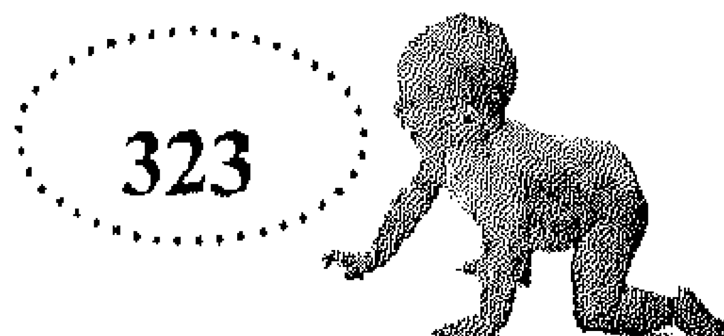


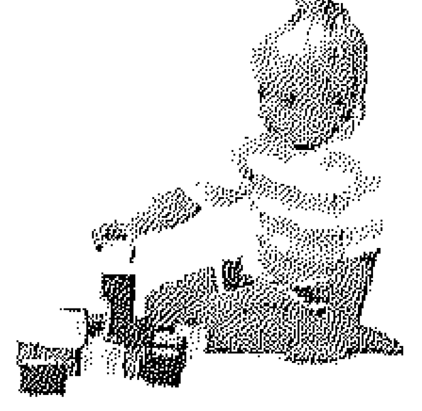
- **الرياضة المعادلة والرياضة غير المعادلة:** إن الطفل الذي يمارس رياضة غير معادلة، مثل كرة المضرب، وفيها تشتغل أعضاء معينة من الجسم على حساب غيرها، ينبغي أن يخصص وقتًا لممارسة رياضة أخرى معادلة، كالسباحة، والعدو، والكرة الطائرة. إذا كان يستحسن تحاشي ممارسة نوع واحد من الرياضة دون سواه، فإن ممارسة عدة أنواع من الرياضة تضغط على ناحية واحدة من الجسم هي ما ينبغي تجنبه أيضًا (الفروسية مع المسايفة أو الجيدو، بالنسبة للعمود الفقري).

- **رياضة في الداخل ورياضة في الخارج:** يمكن أن تُغني أنواع من الرياضة التي تمارَس داخل الغرفة، كالحركات الرياضية أو الجيدو، عن تمارين أخرى تُجرى في الهواء الطلق كرياضة ركوب الدراجة أو ألعاب الكرة.

## الرياضة والإعاقة الصحية:

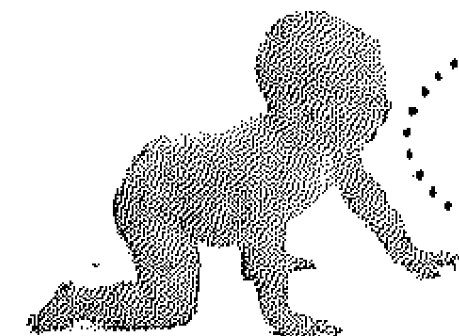
إن الأطفال المصابين بأمراض القلب أو التنفس، أو السكري، أو بعاهات حركية أو عصبية، يجب أن يخضعوا لمراقبة طبية منظّمة. فالأطباء المتخصصون الذين يتابعون المراقبة يهتمون بتوفر التوازن بين المتطلبات النفسية والجسدية للجهود المطلوبة، وبين قدرة الطفل على التكيف. ولاشك في أن محيط الطفل العائلي والمدرسي يبد نحوه تعاطفًا وعناية زائدة. ولكن هذا الموقف، مهمًا كان متفهمًا، ينمي حول الطفل، بصورة غالبة، جملة ممنوعات ينبغي أن يتجنبها الطفل، ومن بينها النشاط الرياضي.







باستثناء بعض الأمراض الخطيرة التي تتسم بالدقة في بعض المراحل (النمو، المراهقة)، قليلة هي الحالات التي يُحظر فيها كل نشاط رياضي، شرط أن ترافقها الرقابة الطبية. وعلى الرغم من إعاقة الطفل فإنه يتوصل أحيانًا إلى



نـتائج تـرفع معـنوياته وتـنمي ثقـته بنفسـه وتجعلـه يشـعر بسـعادة الحـياة، إذ أن النشـاط الرياضي يُخرجه من العزلة الاجتماعية التي يعاني منها. من جهة أخرى فإنـه لـيس مستبعدًا أن يعمـل النشـاط الرياضي المختار على تحسين حالة المريض. فقـد يحـل هـذا النشـاط مثلاً محل جلسـات المعالجة بالتحرّك، كما قد يسهّل مفعول العلاج الطبي بالأدوية ويساعد الجسم على تقبّلها.

| أنواع الرياضة بحسب الأعمار | |
|---|---|
| قبل عمر الثلاث سنوات: | حـركات رياضـية بسـيطة، تـزحلق في مـزلجة (عـلى مـنحدر ثـلجي بسيط)، سباحة مراقبة (في بـركة خاصة بالأطفـال)، تـزّلج عـلى الجليد (جلسـت قصيرة). |
| من الثالثة إلى الخامس : | سـباحة، تـزلج عـلى الجليد، تـزلّق عـلى قـبقاب بعجـلات، رقـص إيقـاعي وكلاسيكي، ركـوب دراجة بثلاث عجلات ثم بعجلتين، كرة السلة للصغار. |
| في عمر السادسة: | فروسـية (عـلى خيول صـغيرة)، تـزلج عـلى أنواعـه، جيدو (بدايـة الرياضة)، كرة القدم (خمسة لاعبين لكل فريق). |
| في عمر السابعة: | حـركات رياضـية فنـية، كـرة الطاولـة، كـرة المضـرب، كاراتـيه، ركض،بيسبول. |
| في عمر الثامنة: | رقص كلاسيكي، مسـايفة، قفـز، هوكي، رمايـة (تيرو) بالبندقية، رمايـة بالقوس، رياضـة الدراجـات، كـرة القـدم، ملاكمـة للأطفـال، مصارعة، غولف. |
| في عمر التاسعة: | كـرة اليـد، جيدو، غطـس، رياضـة اللـوح الشـراعي، كرة السـلة، سباق السـيارات الصـغيرة، تسلق الجـدران، ركـبي (نـوع مـن كـرة القـدم) سكواش. |
| في عمر العاشرة: | ملاكمة، تزلج على الماء، تسلق الجبال، تجذيف، ألعاب قوى (عدو، رمي أثقال، قفز عالٍ وقفز طويل، غطس..) |

**مخاطر يجب تفاديها:**

إن جسم الطفل الذي يشهد نموًا متزايدًا يكون إجمالاً سريع العطب. ويجب بالتالي ألا يخضع لجهد رياضي زائد ومتكرر يمكن أن يضاف إلى العمل المدرسي. ثم إذا كان الطفل ميالاً إلى نشاط رياضي معين فينبغي ألا نستعجل توجيهه نحو الاختصاص في هذا الحقل. ويجب ألا يُخضع دائمًا لضغوطات المدرّب، وعلى الأهل أن يدركوا أن هذا التوجيه المبكر قد تظهر عواقبه السلبية عندما يصل الطفل إلى عمر البلوغ، بسبب التدريبات القاسية، أو بسبب الفشل الذي قد يُمنى به والأحلام التي يبددها الواقع.

الفصل

8

# رياض الأطفال والمدرسة

رياض الأطفال - المدرسة



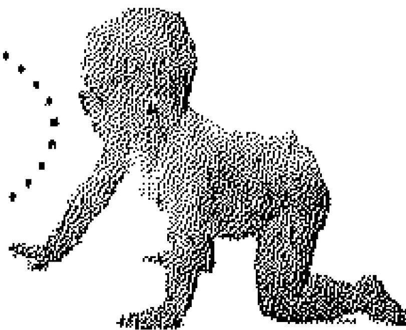


# الفصل الثامن
# رياض الأطفال والمدرسة

في أيامنا هذه، مع تيار تحرر المرأة الذي اجتاح المجتمعات الغربية ونجح في التوغل، ولو ببطء وخجل، في مجتمعاتنا الشرقية، أصبحت المرأة - الأم - تتجه خارج منزلها نحو ميادين العمل المتعددة وتتحدى دورها التقليدي كربة منزل من خلال انخراطها في العالم المهني الذي كان محصورًا بالرجال. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، مثلاً، تشير إحصاءات إجمالية للتسعينيات من القرن الماضي أن أكثر من نصف الأمهات الأمريكيات مع أطفال دون السنتين يعملن خارج المنزل. حتى أصبحت صورة "الأم العاملة" صورة مألوفة في المجتمع.

## أولاً - رياض الأطفال

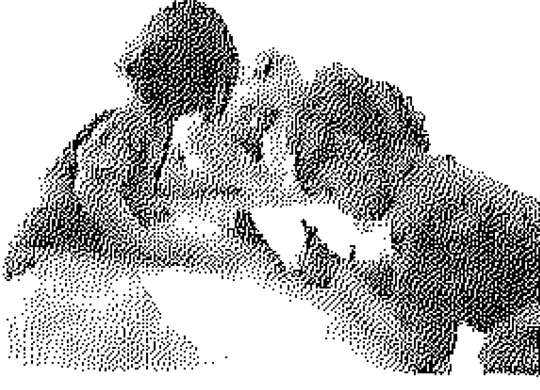
لرياض الأطفال فائدة تعود على معظم الأطفال، إلا أنها ليست ضرورية لجميع الأطفال. إنها لازمة بوجه خاص للطفل الوحيد، ولأولئك الذين لا مجال لهم ليلعبوا ويلهوا مع غيرهم من الأطفال بسبب انعزال أماكن سكنهم أو ضيقها، أو أولئك الذين يصعب على أمهاتهم تربيتهم لسبب من الأسباب. ويلزم لكل طفل في سن الثالثة أن يجتمع بأمثاله من الأطفال، لا ليلهو معهم فحسب، بل كذلك ليتدرب على التعايش مع غيره. وهذا أهم شيء في حياته. كذلك يحتاج الطفل إلى

فسحة يسرح فيها ويمرح، وإلى أشياء يتسلقها أو يستعملها في البناء، وإلى ألعاب يتلهى بها، وأشخاص كبار غير أبويه يتعامل معهم. ورياض الأطفال تقضي هذه الحاجات وتكمل دور المنزل.



وعندما يقرر الأبوان إرسال طفلهم إلى الروضة، ينبغي أن يتأكدا أولاً من أن تلك الروضة يشرف عليها مختصون في تربية الأطفال وفيها فسحة كافية للعب الأطفال واستراحتهم في الداخل والخارج، وتحتوي على المعدات والتجهيزات اللازمة لتدريب الأطفال وتسليتهم، ولا يزيد عدد الأطفال عند من يعتني بهم في الروضة على عشرة.



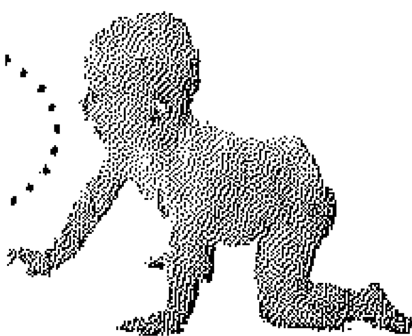


**الخصائص الجيدة لروضة الأطفال**

- الجو العام: المحيط الداخلي نظيف، الإنارة جيدة، التهوية ملائمة، المحيط للعب الخارجي متوفر، وعدم ازدحام الأطفال في القاعات.
- الألعاب والتجهيزات: مواد اللعب متلائمة مع عمر الأطفال ومحفوظة في رفوف على متناول يد الأطفال. كذلك الأسرّة. والكراسي العالية، ومقاعد وطاولات الأطفال جميعها متوفرة وملائمة مع حجم الأطفال.
- النشاطات اليومية: يجب على البرنامج اليومي أن يتضمن أوقاتًا للعب النشيط واللعب الهادئ، وأوقات قيلولة، ووجبات طعام ملائمة. كذلك، فإن على البرنامج أن يكون مرنًا لاستيعاب الاحتياجات الخاصة بكل طفل، والجو العام دافئًا، والإشراف مستمرًا على الأطفال.
- معلمات مؤهلات: من المفترض أن تكون المعلمة قد خضعت لبرامج تدريب ميدانية في مجال تطور الطفل، وفي الإسعافات الأولية.
- التنسيق مع الأهالي: شعور الوالدين بأنه مرحب بهما في أي لحظة من النهار، والمعلمة مستعدة للإجابة على كل أسئلتهما حول تطور طفلهما.

## متى يلتحق الطفل بروضة أطفال؟

السن الثالثة في معظم الحالات هي السن المثالية لالتحاق الطفل فيها بروضة أطفال. وتعتقد بعض الأمهات أن كل ما يتعلمه الطفل في هذه السن هو تقطيع الورق، ويفضلن تأخير إرسال أطفالهن حتى يبلغوا الرابعة حين يصبح بإمكانهم تعلم أشياء مفيدة. وهذا تفكير خاطئ، ذلك لأن التعليم هو جزء صغير مما يمكن لروضة الأطفال أن تقدمه لهم. فالطفل في هذه السن يحتاج إلى شيء أهم من



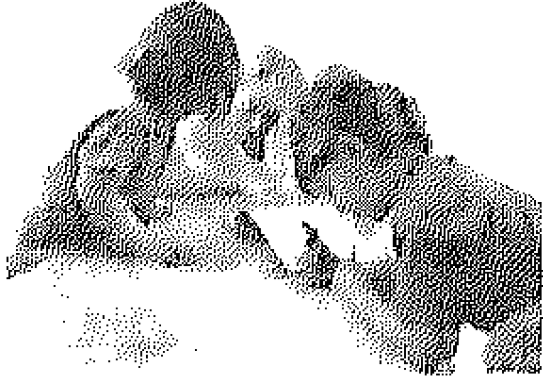
التعليم، وهو الاختلاط مع الأطفال، وتنسيق أفكاره وأعماله وألعابه معهم. وبقدر ما يتأخر عن ممارسة هذه الأوجه من النشاط يقدر ما يصعب عليه ممارستها فيما بعد.

وهناك رياض تقبل الأطفال في سن الثانية، ولا اعتراض على ذلك إذا كان الطفل يتمتع بنزعة استقلالية، وقدرة المدرسة على إدخال الطمأنينة إلى نفس الطفل. إلا أن الكثيرين من الأطفال ليسوا في الحقيقة مؤهلين بما فيه الكفاية لذلك. إنهم لا يزالون يعتمدون في هذا العمر على أمهاتهم، ويهابون الأطفال الآخرين والأشخاص الكبار. ولا أعني بذلك أن يظل هؤلاء الأطفال ملتصقين بأمهاتهم، بل يجب بذل كل جهد لجمعهم بغيرهم من الأطفال. وتمكينهم من بناء استقلالهم الذاتي.

**تهيئة الطفل:**

من أجل تحضير الطفل لهذا الحدث المهم، يجب أن يُشرح له لماذا يذهب الأطفال إلى رياض الأطفال، وما الفائدة التي يجنيها منها. وبالنظر إلى طِباع الطفل، نصور له روضة الأطفال على الشكل الذي يجذبه. فهي، بالنسبة إلى بعضهم، المكان الذي فيه يلعب مع أطفال من عمره، وكوّن صداقات معهم، وفيه يسمع الموسيقى، وتكون أمامه مساحات كبيرة يفرّغ فيها طاقته. وهي، بالنسبة إلى بعضهم الآخر، المكان المناسب لنموه.

ويستحسن أن تركز الأم على التفاصيل الصغيرة، وعلى وقائع الحياة المدرسية (يقوم الأطفال بأشياء كثيرة مسلية، ولكن هناك قواعد تتبع، فلا يمكن





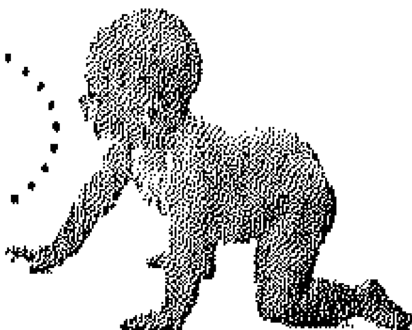
أن يفعل الطفل ما يشاء وساعة يشاء). وفي أوقات النزهات، يمكن للأم السير معه إلى المكان الذي يقع فيه مبنى روضته المقبلة. كما تخصص رياض الأطفال أيامًا تفتح فيه أبوابها أمام الأهالي، في أواخر السنة، ليتم التعرف إليها.

أيتها الأم، اصطحبي معك طفلك، فهو يكتشف هكذا إطار عالمه المقبل، وفيما بعد تتذكرين معه ما شاهدتماه بالتفصيل. فبصحبتك له، يمكنه أن يتجول في الأقسام المختلفة التي سينمو فيها قريبًا، فيدخل الصف الذي فيه مقعده الصغير، الأغراض التي ستكون بتصرفه (مطبخ صغير، لوازم المائدة، لُعب متنوعة، درّاجات، مكعبات...) ولعب أخرى (تركيب صور، كتب برسوم، أدوات رسم...). تستطيعين الدخول معه إلى قاعة الراحة، إذا كانت متوفرة، ليتأمل الأسرّة الصغيرة التي تنتظره ليرتاح على أحدها خلال وقت معين من النهار وإلى قاعة الطعام والحمّامات. كما يمكنه التعرف إلى ملعب الروضة وتجهيزاته: بيت لعبة، زُحلوقة، دروج. وقد يلتقي معلّمته والأطفال الذين سيتعوّد معاشرتهم.

**الأيام الأولى:**

يفرح الطفل ابن الرابعة بالذهاب إلى روضة الأطفال إذا كان ذا نزعة استقلالية. فهو لا يحتاج إلى أي تشجيع، بخلاف الطفل ابن الثالثة، خصوصًا إذا كان مرهف الحس متعلقا بأمه. إنه في اليوم الأول من ذهابه إلى الروضة، قد لا يبدأ في الصراخ في اللحظة التي تنصرف أمه فيها عنه إلا أنه قد يفتقدها بعد لحظات. وعندما يتبين له أنها انصرفت يتملكه الرعب، ويرفض العودة إلى الروضة في اليوم التالي. وفي حالة طفل كهذا ينبغي تدريبه على الذهاب إلى الروضة تدريجيًا. فخلال الأيام القليلة الأولى، تبقى الأم إلى جانبه بعض الوقت،





ثم تعود إلى المنزل. وهكذا يتولد لديه شعور بالألفة نحو المدرسة والأطفال يمكنه من التغلب على مخاوفه عندما تتوقف أمه عن ملازمته. وإذا أصيب طفل كهذا بأي أذى في الروضة، بعد أن تكون أمه قد توقفت عن ملازمته، يعاوده الحنين إليها، ويعود إلى القرار إلى المعلمة فيما إذا كان ينبغي للأم العودة إلى ملازمته لبضعة أيام أخرى. وعندما تلازم الأم طفلها في الروضة، يجب ألا تلتصق به، بل أن تفسح له المجال كي يشارك الآخرين في نشاطهم، ويندمج بهم، بحيث لا يعود يتطلب وجودها قريبة منه.

وهناك من الأمهات من يزيد قلقها في بعض الحالات على قلق الطفل ساعة تنصرف عنه في الأيام الأولى. فإذا بدت إمارات القلق عليها عند انصرافها فذلك يثير مخاوف الطفل، ويحاول منعها من الانصراف. فإذا كانت الأم بمثل هذا الحنان ورقة القلب، فمن الأفضل أن تطلب من المعلمة أن تساعدها على حسن التصرف عند الانصراف.

أما إذا كان الطفل يمتنع عن الالتحاق بروضة أطفال تتمتع بجميع المزايا المطلوبة، فعلى الأبوين أن يكونا حازمين، وأن يُفهما طفلهما أن جميع الأطفال يذهبون إلى الروضة كل يوم. فالحزم مع مرور الزمن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة، أما إذا كانت مخاوف الطفل شديدة إلى حد الهلع فينبغي استشارة طبيب نفساني مختص بشؤون الأطفال.

**ردة الفعل في البيت:**

يصاب بعض الأطفال بالإرهاق خلال الأسابيع الأولى بسبب التحاقهم بروضة الأطفال. وهذا لا يعني أن الطفل غير قابل للتكيف مع حياته الجديدة. إنه

### قلة الكلام

عندما نسأل طفلاً صغيرًا عما قام به في يومه المدرسي، يكتفي بالقول: كنت ألعب. قد يبدو هذا الجواب مختصرًا جدًا، ولكنه معبر عن الحقيقة. وسنلاحظ، فيما بعد، أنه قد ينطلق في شرح أنشطته إلى حد الثرثرة. بانتظار ذلك، ينبغي أن تُطرح عليه أسئلة محددة للتعرف إلى ما قام به، ولكن من دون إصرار. فالروضة هي الحقل المخصص لطفلك، وإذا كان تصرفه طبيعيًا إجمالاً معك، إذا كان سعيدًا في المدرسة وإذا كان تصرفه طبيعيًا في البيت فذلك يعني أنه بخير ولا مجال بالتالي للقلق. والمعروف أن هناك رياض أطفال ترسل إلى الأهل، شهريًا، تقريرًا حول الأعمال الصغيرة التي حققها الطفل، مرفقًا بنسخ عن الأغنيات والقصائد التي حفظها، وغير ذلك من الأنشطة المتنوعة.

يحتاج بعض الوقت، ويستحسن أن تبحث الأم مع إدارة الروضة فيما إذا كان من الأفضل توقيفه مؤقتًا عن متابعة الحضور إلى الروضة. ويفضل في بعض الحالات أن يداوم نصف دوام، على أن يكون حضوره في الساعات الأخيرة وليس في الساعات الأولى، ذلك أن انصرافه قبل الدوام يفسد عليه متعته، ويثير نقمته. ومما يزيد المشكلة تعقيدًا أن بعض الأطفال تتوتر أعصابهم إلى حد الامتناع عن النوم وقت القيلولة. والطريقة لحل هذه المشكلة هي الامتناع عن إرسال الطفل إلى الروضة يومًا أو يومين في الأسبوع. وهناك أطفال يتصرفون تصرفًا حسنًا في الروضة، إلا أنهم يكثرون من إثارة المتاعب في المنزل. ولا حل لذلك سوى أن يتحلى الوالدان بالصبر ويبحثا الأمر مع إدارة الروضة.

## ما الغاية من مرحلة رياض الأطفال؟

**التحضير للحياة المدرسية:** يتعلم الطفل كيف يسير داخل المجموعة في حياة منظّمة لها متطلبات وأوقات وأنماط خاصة. ويكون عليه الخضوع لنمط حياتي جديد (أنشطة متنوعة، رياضة، غناء، نزهات..) وذلك في أمكنة مختلفة من الروضة. وكل مكان مُعد لأن يكون مسرحًا لنشاط معين.

**نصيحة**

يجب أن يقيم الوالدان علاقة ثقة مع الأشخاص الذين يُعهد إليهم الطفل.

**التحضير للحياة الجماعية:** يكتشف الطفل غيره في الروضة، فيتفاعل معه ويلعب، ويشاركه الأنشطة المتنوعة، كما يجابه هذا الغير، فيساعد كل ذلك على تكوين شخصيته.

**تعلم الجديد:** إذا كانت الأنشطة التي يمارسها الطفل في مدرسته الأولى هي على شكل ألعاب، فإنها بالمقابل تهدف إلى أشياء أخرى. فمن خلال اللعب، يتعلم الطفل كيف يفكّر، ويضع كل قدراته العقلية والجسدية في سبيل تحقيق ما يُطلب منه.

### أنشطة رياض الأطفال:

قد يكون مضحكًا أن نفكر بأن الطفل يُمضي نهاره في اللعب والرسم في روضته. فكل معلم أو معلمة تطبق بالتناوب أربعة أنواع من الأنشطة اليومية حسب نشاط الأطفال.

**التعبير الشفهي والكتابي:** يهتم المعلم بإيجاد أجواء تواصل، وتبادل لغوي، عبر الأعمال الفردية أو الجماعية. فالتعليق على الحكايات والصور والألعاب

والأغنيات، يهدف إلى حمل الطفل على الكلام وتحسين مخارج حروف الكلمات. وسماع المقطوعات الموسيقية وكذلك التسجيلات الصوتية، من العوامل المساعدة على تحديد أنواع الأصوات وعلى اكتساب الأذن رهافة حسية. كما تساعده الرسوم المتنوعة على اكتساب المهارة اليدوية والتقرب من الكتابة، فهو يرسم الدوائر والخطوط، ويلوّن داخل الرسوم الجاهزة. ولا شك في أنه يشعر بالاعتزاز عندما يتوصل إلى كتابة اسمه.



**الأنشطة الجسدية:** يهتم الطفل بالتعرف إلى جسده وإلى قدراته الجسدية. تدرّبه التمارين المتنوعة على تجاوز الصعوبات المحددة. وتتيح تمارين معينة مجال التعبير أمام الطفل، كالركض والقفز والزحف والانزلاق والانقلاب، كما تساعده على تطبيق تناغم معين في اللعب. وتعمل عناصر مساعدة على تنسيق حركاته،

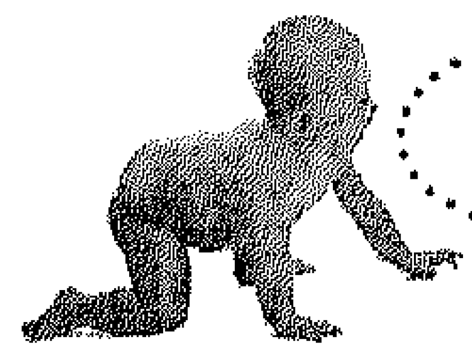
كاللعب بالعجلات، والسير على عكّازات عالية، واللعب بالكرة. كما يعتبر الرقص، والحركات الإيقاعية، من العوامل المنمِّية للجسم والعقل معًا.

**الأنشطة العلمية والتقنية:** تتيح المدرسة الأولى للطفل مجال القيام بأنشطة متنوعة تهدف إلى التنمية العقلية. فالمشاركة في غرس النباتات، ومراقبة نمو البذور وتفتح البراعم، وتركيب الأشكال عن طريق القصّ واللصق والطيّ، كلها أمور تثير فضوله وتحمله على التفكير. ثم إن جمع الأشياء بحسب أصنافها وأشكالها وألوانها، ومقارنة بعضها ببعض، والاعتياد على التقسيمات داخل الروضة (يقسّم الصف إلى عدة زوايا: المكتبة، زاوية التلوين، زاوية الدُّمى، زاوية الألعاب...)، كلها تقرّب الطفل شيئًا فشيئًا من العلوم الرياضية.

**الكبار في روضة الأطفال**

يشكل الكبار في روضة الأطفال الجسم التعليمي، وهم المعلمين والمعلمات الذين أمضوا عدة سنوات في التخصص العالي. تقضي مهمتهم بتربية الأطفال، مع الحفاظ على خصوصياتهم واحترام حاجاتهم. ويوفرون لهم الإفادة عن طريق الأنشطة المتنوعة، ويوجهون ألعابهم. وهم ينقلون إليهم إرثًا ثقافيًا كاملاً، عن طريق الغناء والرقص والموسيقى، والقراءات والحكايات. ويكون المعلمون والمعلمات مسؤولين عن صفوفهم طول السنة، وعن التربية التي ينقلونها إلى التلاميذ. وهم يستعينون، لبعض الأعمال المتعلقة باللباس والنظافة، بمساعدين ليس لهم دور تربوي. كما يلتقي الأطفال كبارًا آخرين، من أمثال المسؤولين عن قاعة الطعام والمهتمين بأعمال الحراسة في الروضة.

**الأنشطة الفنية:** تساعد الأدوات والتقنيات المتعلقة بالفن على تنمية مخيّلة الطفل، وتقوي لديه القدرة على الخلق والإبداع. فهو يتكيف مع الأشكال الفنية كلها

(الرسم، النحت، التصوير، الموسيقى) عن طريق العمل بها، ومشاهدة الفيديو، وزيارة المتاحف والمعارض المتنوعة.

## ثانيا - المدرسة

يعتبر الانتقال إلى المدرسة الابتدائية خطوة مهمة في حياة الطفل. وغالبًا ما يحضّر الأهل الطفل لهذا الانتقال، عن طريق زيارة المدرسة برفقته من حين إلى آخر. ويكون الطفل قد أصبح جاهزًا لتطوير معارفه، سنة بعد سنة، بعدما غدا قادرًا على تعلم القراءة والكتابة والحساب.

وعلى الرغم من أن الأوقات التي أمضاها في رياض الأطفال تكون قد هيأته لهذه الخطوة، فإن الدخول إلى المدرسة الابتدائية يكون مصحوبًا بانفعالات متنوعة عند الطفل. لذلك يُفضل أن يُحضّر نفسيًا لهذا الأمر، فيزور المدرسة برفقة أحد والديه في أوقات تفتح فيها الأبواب لهذه الغاية. كما يمكن للأب أو الأم التعرّف على المسؤولين والمربين في هذه المدرسة، وهم بدورهم يساعدونهم على تحضير الطفل نفسيًا للمرحلة المقبلة.

فبعد الليونة في مرحلة رياض الأطفال، تأتي مرحلة المدرسة الابتدائية، فتفترض الأيام الأولى تدريبًا مدروسًا يقوم به المعلمون. إنهم يفسحون المجال أمام التلاميذ للتحرك، داخل الصف وخارج، عن طريق تناوب أوقات الاسترخاء وأوقات التركيز الفكري مع الاهتمام بالتمارين التي تنشط القوة المحركة عندهم.

**يوم الدخول**

على الرغم من اعتياده سابقًا على الحياة المدرسية فإن اليوم الأول في مدرسته الابتدائية يكون له طابعه الخاص، لأنه يدخل فيه عالم الكبار. لذلك يُفضل أن تصحبي ولدك إلى مدرسته في هذا اليوم وادخلي معه إلى الصف إذا سُمح لك. في مساء اليوم نفسه، سجّلي على ورقة تعلّقينها في غرفته توزيع أوقات النشاط المدرسي لليوم التالي، لكي لا تنسي تحضير الكتاب المطلوب أو الأدوات الرياضية التي ينبغي أن يحملها. ويُستحسن أن تقيمي علاقة مع بعض أهالي التلاميذ، وأن تتصلي بعد أيام بإدارة المدرسة للاستعلام والتوجيه. ولا تنسي حضور الاجتماعات التي يعقدها المعلمون لأولياء التلاميذ، فهي أساسية وضرورية لمتابعة نشاط ولدك خلال السنة كلها.

## المناهج التربوية المتنوعة:

**اللغة:** تعتبر السيطرة على اللغة، قراءة وكتابةً، ضرورية لمتابعة المراحل المدرسية وللنجاح في المواد الأخرى، فتُكرّس لها السنتان الأوليان. ونادرًا ما نجد ولدًا متمكنًا من لغته يكون ضعيفًا كليًا في الحساب. وغالبًا ما تبرز صعوبة اللغة في الكتابة (في الإملاء والإنشاء). في ما عدا ذلك، يساعد حفظ الأشعار والأغنيات على تطوير الذاكرة.

**الرياضيات:** الهدف هو تلقين الطفل طرقًا وأساليب خاصة بالنهج العلمي من خلال المعاينة والتحليل والاختبار. تهتم المدرسة بتلقين الرياضيات بواسطة أدوات القياس والهندسة والتقنيات الحسابية وسواها. ويُدرّب الطفل على تطوير قدراته في مجال التفكير المنطقي، وفي استيعاب المسائل التجريدية، ويتعلم كيف





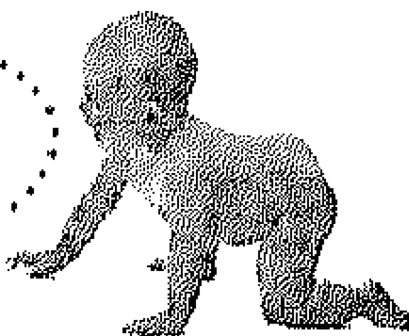
يبين المسائل ويبرهنا. وللحساب الكتابي كما للحساب الذهني حصة كبيرة ضمن توزيع النشاط المدرسي، فيدرس الطفل الأعداد، ثم العمليات الأساسية (الجمع والضرب والطرح والقسمة) التي تساعده على حل المسائل المتنوعة. كما تُخصص أوقات كافية للعلوم التقنية والمعلوماتية، فضلاً عن العلوم البيولوجية والفيزيائية، عن طريق شروح يستطيع الطفل استيعابها.

**اللوازم المدرسية**

- جهّزي بعناية اللوازم التي يحتاجها طفلك لمدرسته.
- يُفضل أن تختاري اللوازم المعروفة والمتينة، ولا تفسحي المجال أمام العروض الكثيرة والمغرية للوازم يبطل طرازها بسرعة.
- محفظة الكتب ضرورية، ويستحسن أن تكون لينة ومتينة. وتكون عادة مجهزة بحمالتين تساعدان على حملها على الظهر فلا يشعر الطفل بثقلها. ولا بأس في إلصاق شريط عاكس للضوء فوقها.
- احرصي على أن تكون سعة المحفظة كافية لاستيعاب اللوازم المدرسية، التي غالبًا ما تتكاثر إنما يجب أن تبقى على قياس ولدك ومناسبة لعمره.

**التاريخ والجغرافيا:** تبقى الأنظمة العامة والأحداث المعينة، كالانتخابات مثلاً، غامضة لدى التلميذ إذا لم يطّلع عليها، وكذلك بعض المظاهر الطبيعية كالمد والجزر..

**التربية الفنية:** تساعد دروس الرسم والتصوير، وكذلك جلسات سماع الموسيقى، على إيقاظ الذهن وتطور مَلَكة الإبداع والتعرّف إلى الإرث الثقافي.



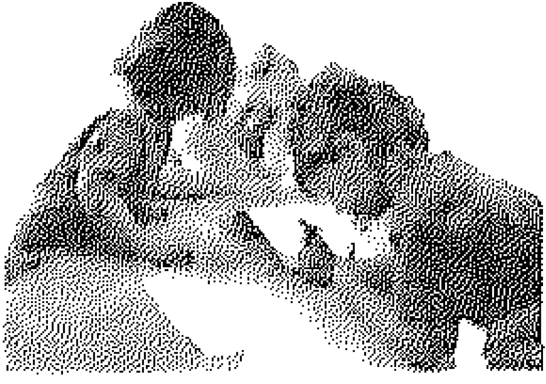
التربية البدينة: يكون التوازن العام عند الطفل ناقصًا ما لم تهم التربية بالرياضة البدنية. فممارسة الرياضة الفردية والجماعية كفيلة بتوفير النشاط وبتأمين النمو الصحيح له.

**الصفوف الخاصة بالاكتشافات:**

خلال المرحلة الابتدائية، قد تتاح لطفلك فرصة الاشتراك بصفوف خاصة بالاكتشافات. فينتقل مع مدرسه ورفاقه لقضاء بضعة أيام أو أسابيع على شاطئ البحر، أو في الريف، أو الجبل. ويتم ذلك في مراكز استقبال متخصصة في تدريب الأولاد على التنقل والتعامل في قلب الطبيعة.

ولا تعتبر هذه الصفوف بمنزلة عطلة، فالأيام تكون مليئة بالأنشطة المتتابعة القائمة على متابعة البرنامج وعلى دراسة البيئة وعلى النشاط الرياضي. وهي تهتم بالاختبارات المتثقفة، وتفسح أمام الطفل مجال العيش مع مجموعة، بعيدًا عن الأهل، وبذلك تنمو شخصيته ويتحرر الخجول من الانكماش على الذات. وقد يتوصل بعضهم إلى إبراز مواهب قلما تظهر في مجال الدروس العادية.

فضلاً عن ذلك، يقضي الهدف التربوي من هذه الصفوف وضع ما يُكتشف في خدمة تدريس المواد في الصفوف العادية: دراسة عالم النبات وعالم الحيوان (في الطبيعة أو في المزرعة)، والتعرف إلى الأوضاع الاقتصادية وذلك من خلال المراقبة التي يقوم بها الأطفال وملاحظاتهم. وهكذا فإن هذه الصفوف المتنقلة توسّع باستمرار آفاق المعرفة المتنوعة عند التلميذ، وتتيح أمامه مجال الاكتشافات المختلفة: زيارة أماكن أثرية، حضور حفلات موسيقية، رحلات بحرية، وعند الاقتضاء تنظيم رحلات إلى الخارج.



**أيام العطل المدرسية:**

لا يتمكن عدد كبير من الأطفال من القيام برحلة بعيدة خلال أيام العطلة المدرسية، فتُنظّم لهم برامج خاصة تدور حول الألعاب والأنشطة المتنوعة، من يدوية وثقافية ورياضية في الهواء الطلق. ويُشرف على هذه الأنشطة متخصصون في الحقل التربوي.

**مركز التسلية:** يستقبل التلاميذ في عطلة نهاية الأسبوع، وفي أيام الفرص خلال الأسبوع، وقد يكون هذا المركز داخل بناء المدرسة أو خارجها. أما الأنشطة فمتنوعة: موسيقى، رسم، أعمال يدوية، فيديو.. كما ينظم المركز رحلات قصيرة تؤمن للأولاد التسلية والفائدة: حديقة الحيوانات، زيارة القصور التاريخية، نزهة في الحقل..

**مركز الأنشطة في الهواء الطلق:** ينطلق العمل فيه من مركز التسلية ويُعد برامج لأيام العطلة الطويلة. فتنقل السيارات الكبيرة التلاميذ من المدرسة أو من مركز التجمع إلى الحدائق العامة، أو المواقع الأثرية، أو إلى أماكن أخرى مشهورة. كما قد يجمع المدربون التلاميذ للقيام بأنشطة متنوعة: العمل في مشغل، زيارة المتاحف، نزهة في الريف..

**دور الأهل:**

قد يُظهر الأهل اهتمامًا بعمل الطفل ونشاطه إلى حد المبالغة، كما قد يبدي بعضهم عدم اكتراث ولامبالاة. إلا أن التوسّط يبقى أمرًا مفضلاً ويقضي بأن يطّلع الأهل على أنشطة الصف حتى ولو أنهم لا يريدون الانتماء إلى جمعيات خاصة

بأهالي التلاميذ. ويستحسن أن يُظهر الأهل اهتمامًا بالأنشطة المتنوعة التي تقوم بها المدرسة، لكي يحث هذا الاهتمام الطفل على العمل. يجب على الأم (أو الأب) أن تطلع على لوح الإعلانات، وأن تفتح كل يوم محفظة كتب ولدها لتلقي الرسائل المدرسية من حين إلى آخر، وأن تحاور الطفل وتسأله عن مختلف الأعمال والأنشطة، والعلاقات مع رفاقه ومعلميه. ويستحسن كذلك أن تلبى الدعوة إلى الاجتماعات والحفلات التي تنظم داخل المدرسة إذ سيُسر الطفل بذلك، وأن يبادر الأهل إلى الاستعلام عن عمله من الإدارة أو المعلم. ويجب أن تثق الأم (أو الأب) بأساليب التعليم المتبعة، فلا تطبق مع ولدها أساليب أخرى مختلفة، لئلا يضيع الطفل بين المتناقضات. وأفضل ما يمكن القيام به هو الاطلاع على الأعمال المُنجزة داخل الصف، ومساعدة الطفل على إتمام ما يعطى من واجبات في البيت في جو هادئ ولطيف، مع تشجيعه على الاستمرار.

**التحصيل الأكاديمي:**

يجب أن يكون الطفل قد بلغ مرحلة معينة من النضج العقلي والجسدي والعاطفي، لكي يصبح قادرًا على تعلم القراءة والكتابة والعد. وهي تختلف بين طفل وآخر، وتتراوح إجمالاً بين الخامس والسابعة من العمر.

بعد دخوله المدرسة الابتدائية، يتجاوز الطفل الأساليب الأولية التي تلقّاها في مجال القراءة على أيدي والديه أو في رياض الأطفال، ليباشر تدريبًا فعليًا على ذلك. فيكتشف شيئًا فشيئًا طرق عمل تؤمن له دخولاً مباشرًا وحرًا إلى عالم رحب. وإذا ما صادف الطفل بعض الصعوبات، يمكن تقديم الدعم له بمساعدته في المساء على مراجعة ما تعلّمه خلال النهار.

**1- تعلم القراءة:**

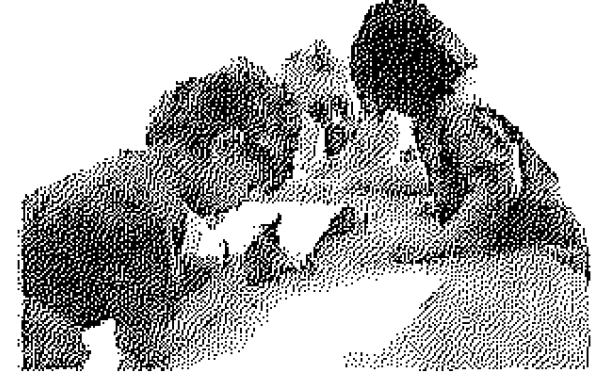
**المرحلة الأولى:** وهي مرحلة شبه القراءة؛ في هذه المرحلة الأولى من التدرب على القراءة لا يتعلم الطفل تفكيك أجزاء الكلمة، ولكنه يُخمّنها تخمينًا انطلاقًا من شكلها ومما يحيط بها. يحفظ بعض الكلمات بفضل السياق الذي توجد فيه فهو يتعرّف مثلاً إلى أنواع بعض السلع من خلال الدعايات. إن مرحلة شبه القراءة هذه لا تفيد أبدًا في مرحلة تعلّم الكتابة لاحقًا.



**المرحلة الثانية:** وهي مرحلة قراءة الأشكال. في هذه المرحلة يتعرف الطفل إلى عدد من الكلمات التي غدت معروفة لديه، ومنها اسمه ولفظتا بابا وماما. ولكنه لا يكون قادرًا بعد على التمييز بين الحروف ولا يتوصل إلى تفكيك كلمة غريبة عنه.

**المرحلة الثالثة:** هي المرحلة الألفبائية الصوتية الكلامية. يتعلم فيها الطفل تفكيك الكلمة، وقراءة الكلمات التي لا يعرفها. ويصبح قادرًا على التعرف إلى الحروف والمقاطع، وعلى الجمع بين الحروف لتشكيل الصوت المناسب (ل+ي = لي، ب+و = بو).

**المرحلة الأخيرة:** هي مرحلة القراءة الإملائية، وفيها يتعرف الطفل، بشكل مباشر، إلى الكلمة كاملةً، لا لأنه يحدد شكلها (كما كانت الحال في مرحلة





قراءة الأشكال)، وإنما لأنه يصبح قادرًا على فكّ رموز أحرفها بشكل سريع. وفي هذه المرحلة، يستطيع أن يُهجّي بشكل صحيح كلمات صعبة نسبيًا وبالتالي يتوصل إلى الكتابة.

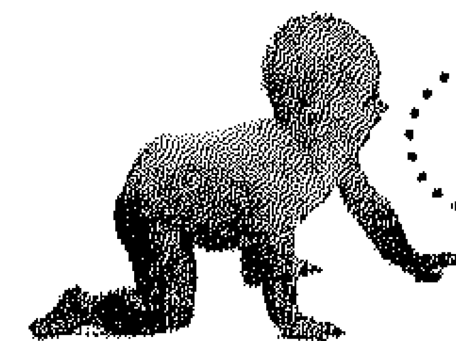
**الصعوبات:**

قد يبرز عدد من الصعوبات أحيانًا، منها أن طفلك يشعر بالغم عندما يبدأ بتمارين القراءة، التي يعتبرها بمنزلة ضريبة فُرضت عليه. ومنها أنه يُقبل على قراءة التمارين غيبًا، ويعجز عن التعرف إلى الحروف أو الكلمات بالنظر إليها. كما قد يجد الطفل صعوبة في التمييز بين الحروف المتشابهة (ب، ت، ث، ج، ح، خ)، ولا يلفظ جيدًا عددًا من الحروف المتصل (مَلْ بدلاً من لَمْ، مَدْ بدلاً من دَمْ..) بالإضافة إلى أنه لا يفهم أحيانًا معاني الكلمات التي يقرأها.

**الرغبة في القراءة**

يستطيع الوالدان، بحكم موقعهما، أن يوفرا لولدهما الرغبة في القراءة. وإذا كانا معتادين على القراءة، فإن الطفل يميل بدوره إلى تقليدهما.

باشري العمل معه عن طريق حثّه على معرفة بعض الكتابات على علب المواد الغذائية ولوحات الإعلانات. وإذا كنت لا تقرأين بشكل متواصل، يمكنك، مع ذلك، حثّ ولدك على القراءة، وإخباره الحكايات التي ترويها الكتب المصورة، كما يمكنك إشراكه في مجلة مختصة تناسب عمره من دون انتظار الوقت الذي يصبح فيه قادرًا على القراءة بسهولة. ففي البداية، تقرأين له مجلته، وستلاحظين أنه، بعد ذلك بقليل، سيغرق في مجلته وحده.



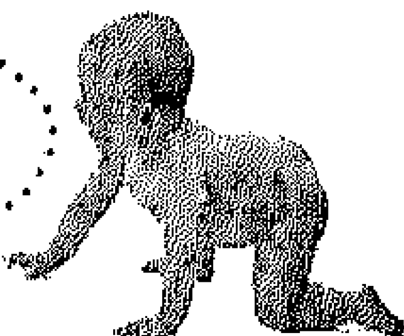



**2- تعلم الكتابة:**

لا يعتبر تعلم الكتابة أمرًا ضروريًا، في نظر الطفل، خلافًا لتعلم الكلام الذي هو حاجة طبيعية ووسيلة للتعبير. ولا يرى الطفل، في الغالب، فائدة في التمارين الكتابية التي تُعطى له، لأنه لا يلاحظ مباشرة تطبيقاتها العملية. وهو يجد أن والديه يتحدثان شفهيًا ويتكلمان على الهاتف، ونادرًا ما يراهما يكتبان. ثم إن التعبير الكتابي يتطلب، من جهة ثانية، كدًا وتنبهًا، مما لا يستوجبه التعبير الشفهي الذي تساعد على فهمه حركات اليدين ونبرة الصوت. والتعبير الكتابي أمر يتسم بالتجريد في نظر الطفل، لأنه يتوجه إلى شخص غير حاضر أمامه. ويجب ألا ننسى أنه ، في الإطار المدرسي، يكون في وضع غير طبيعي، إذ يُنجز واجباته الكتابية بناءً على طلب معلّم يصحح له أخطاءه، وقد يؤنبه أو يُنزل به القصاص. هذه الصورة لا يراها ملائمة للتواصل الذي هو هدف التعبير الكتابي، وتبدو له عبثية وغير معقولة.

**مراحل تعلم الكتابة:**

يمكن أن ينقسم تعلم الكتابة إلى ثلاث مراحل أساسية، مع العلم أن القدرة على الاكتساب تختلف بين طفل وآخر. خلال السنة الأولى من التعلم (بين السادسة والسابعة من العمر)، تكون الكلمات متقطعة والجمل قصيرة نادرًا ما تكون متصلة فيما بينها ولا وجود لعلامات الوقف. كما أن العمل الذي يُعطى يكون قليلاً (خمس جمل أو ستًا) والأفكار غير منسّقة. وخلال السنوات الثلاث التالية (من الثامنة إلى العاشرة)، تصبح الجمل أطول ويشمل التركيب المفاعيل

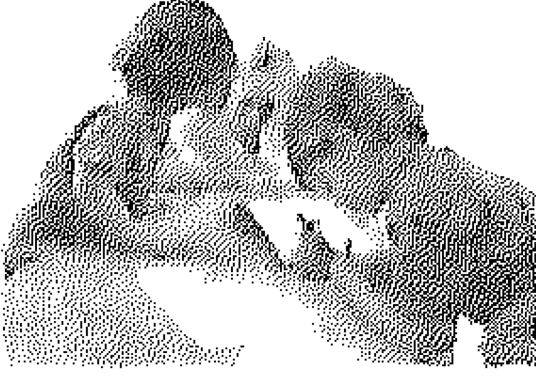



والإضافات. وتزداد الأعمال خلال السنة الخامسة (بين العاشرة والحادية عشرة)، ويتوصل الطفل إلى تركيب جمل صحيحة وإلى التعبير بوضوح عن أفكار متنوعة. فيما بعد يتمكن من وضع أفكار شخصية منطقية ويصبح لديه أسلوبه الخاص.

غالبًا ما يُطبق نوعان من التمارين لتعليم الكتابة. يقضي النوع الأول بأن يتعلم الطفل الكتابة الصحيحة، منذ البداية، فيتدرب على احترام قواعد اللغة وتطبيقها وعلى اختيار الكلمات الصحيحة. ويقضي النوع الثاني بأن يعبر الطفل بحرية وبالطريقة التي يراها مناسبة. وقد تكون الطريقة التربوية التقليدية التي تقترح على الطفل نصوصًا راقية ليقرأها ويقلدها، مناقضة للطريقة الحديثة التي تعتمد كتابة النصوص الحرة. إلا أن الطريقة الفضلى هي في التقريب بين الطريقتين والموازنة بينهما.

**عسر القراءة والكتابة:**

إن الطفل الذي يتميز بذكاء عادي، والذي يكون قد عرف نموًا حركيًا نفسيًا طبيعيًا، يمكن أن يشعر باضطراب خاص في عملية اكتساب القراءة والكتابة. وهذا الاضطراب قد يظهر في إحدى مراحل تعلم القراءة، فلا يتوصل مثلاً إلى اجتياز مرحلة قراءة الأشكال، أو لا يتمكن من استيعاب القراءة الألفبائية الصوتية الكلامية في المرحلة الثالثة، كما قد يجتاز المراحل الأولى بسهولة، ولكنه يتعثر عند وصوله إلى مرحلة القراءة الإملائية. وفي بعض الحالات، يظهر عسر القراءة في السنة الثانية، إذ يتوصل فيها الطفل إلى القراءة المقبولة، وإنما يكون بطيئًا. ويرتكب أخطاء في حل رموز عدد من الكلمات أو تفكيك حروفها، ولا سيما إذا كان النص طويلاً، كما يجد صعوبة في فهم ما يقرأ.

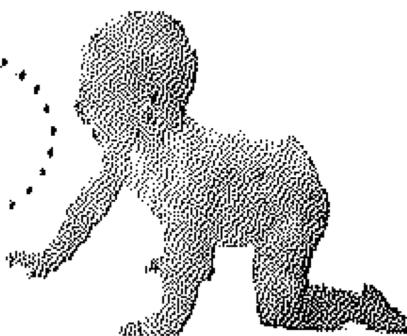


بموازاة ذلك، قد يقع الطفل في أخطاء إملائية تبين أنه لم يستوعب القواعد بشكل جيد، وأنه لم يتوصل بعد إلى التمييز الصحيح بين أصوات الحروف. والدليل على ذلك الأخطاء التي يرتكبها في الإملاء، ولا سيما ما يتعلق منها بحسن السمع، كأن يكتب الطفل: "عريد" بدلاً من "عريض"، أو "سَيْف" بدلاً من "صَيْف". ومن الأخطاء البسيطة دمج كلمتين في كلمة واحدة، أو جعل الكلمة الواحدة كلمتين، فيكتب مثلاً "لَعِبَلْوَلَد" بدلاً من "لَعِبَ الوَلَد"، "لي زيارة نا" بدلاً من "لزيارتنا". ومنها أنه قد لا يحسن الربط والفصل بين الكلمات، أو يخطئ في كتابة آخر الكلمة (كتابُن بدلاً من كتابٌ). أما التاء المربوطة والتاء الطويلة فيخطئ في كتابتهما عدد من الأطفال. ثم إن عسر القراءة والكتابة يظهر في عدم فهم الجملة، فيضع الطفل الكلمات كيفما اتفق وكيفما سمعها.

## ما هي أسباب عسر القراءة والكتابة؟



لا نعرف بالتحديد بعد أسباب عسر القراءة والكتابة عند الطفل. فيرد بعض الباحثين ذلك إلى وجود خلل ما في التكوين الدماغي، ويُرجع بعضهم الآخر



هذه الأسباب إلى عوامل وراثية، أو إلى مشاكل نفسية. ويُلاحظ أن هذا العسر يبرز عند الذكور أكثر مما يبرز عند الإناث، كما يظهر على الأخص عند الأطفال الذين تأخروا في عملية اكتساب النطق الصحيح، وعند الذين كان أهلهم قد عانوا من صعوبات مماثلة.

**العناية بالطفل الذي يعاني من عسر القراءة والكتابة**

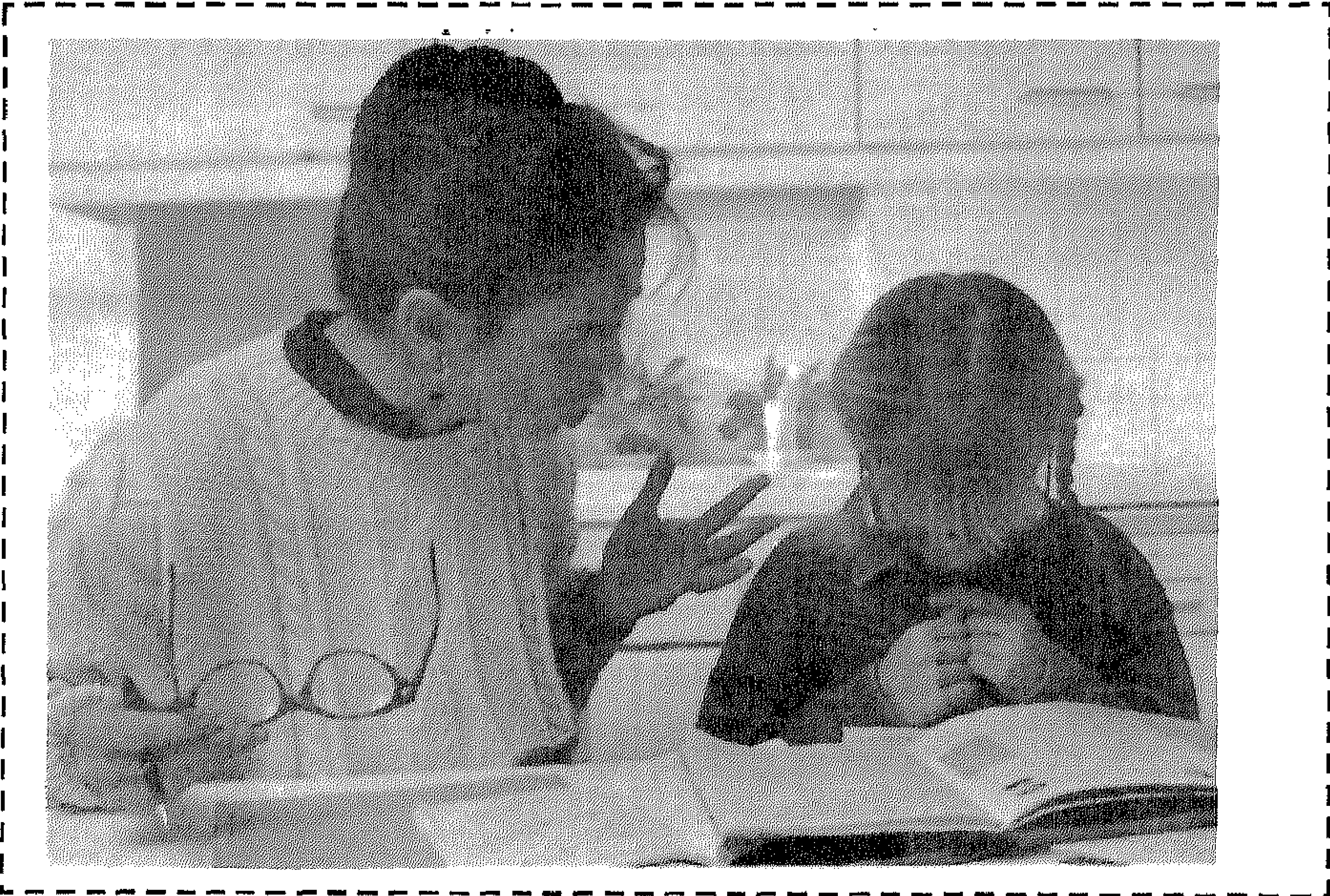
إذا واجه طفلك صعوبات خلال تعلمه القراءة والكتابة، وعجز عن تجاوزها خلال الفصل الثاني من السنة الأولى المدرسية، فإنه يستحسن عند ذلك، بعد بحث الأمر مع المعلم، استشارة الطبيب. فقد ينصحك هذا الأخير باستشارة طبيب العيون أو متخصص بتقويم النطق. يظهر في المجتمعات كلها أولاد يعانون من عسر القراءة والكتابة، ولا يمكن حسر السبب في كسل الطفل، أو رده إلى أساليب التعليم المتبعة. وبدل إلقاء اللوم على الطفل الذي يعاني من صعوبة القراءة والكتابة، يجب تشجيعه ودعمه ومساعدته على حل الصعوبات التي يواجهها.

يجب ألا يقيم الطفل طويلاً في حالة من الفشل المدرسي المُذلّ، وهي حالة متعبة لها ردات فعل سلبية على علاقاته، العائلية منها والاجتماعية.

والمتخصصون في تقويم النطق يلجأون اليوم إلى وسائل تهدف إلى حل مشاكل التعبير (الشفهي أو الكتابي)، فيخضعون الطفل لجلسات تدوم الواحدة منها بين نصف ساعة وثلاثة أرباع الساعة، بمعدل جلسة أو جلستين في الأسبوع.

### 3- الحساب:

لاشك في أن تعلم العد وامتلاك العمليات الحسابية (الجمع، الطرح، الضرب، القسمة)، من العوامل التي تنمي القدرة على التفكير وعلى تحليل المجردات عند الطفل. وهي تعلمه أيضًا كيف يُبت ما يتقدم به كما تساعده على أن يكون دقيقًا ويكتسب طريقة أو منهج عمل. وكما أن عددًا من الأطفال يصادفون صعوبات في القراءة والإملاء، فإن عددًا منهم يعاني من مصاعب جدية في الرياضيات. وتعود هذه المصاعب أحيانًا إلى تطور ذهني غير كافٍ، أو إلى ضعف في حقول التفكير المنطقي بينما يكون ذكاء الطفل طبيعيًا. إنما يجب أن نعلم أن هذه الاضطرابات يمكن أن تظهر في الاختبارات ويمكن بالتالي معالجتها من خلال إعادة التدريب.



في بعض الحالات، يجد الطفل صعوبة في فهم بيان المسألة الحسابية، ويصبح بإمكانه حل العملية عند فهم معطياتها لدى شرحها له. لذلك يجب إزالة عائق لا علاقة له بالرياضيات وإنما بالقراءة والفهم. ثم إن الصعوبات التي يعاني منها الطفل في حقل الرياضيات غالبًا ما تعود إلى أسباب نفسية، ذلك أن الأهل يعتقدون أن النجاح يقضي بأن يبرع الطفل في هذا الحقل. بدل التشجيع، يمارسون عليه ضغوطًا تُفقِد الطفل لذة التعلم، لتغدو الرياضيات همًّا. إن ما ينبغي القيام به هو إقناع الطفل بسهولة هذه المادة التي هي في متناول فهم معظم الناس، وبأن فهمها يجعل عملية حل المسائل أشبه بالألعاب التي يمارسها.

2

# المراهقة



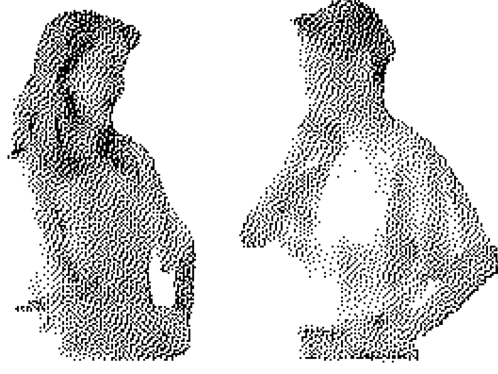
الفصل

9

# التطور الجسدي والفكري

التغيرات البيولوجية - التطورات الفكرية





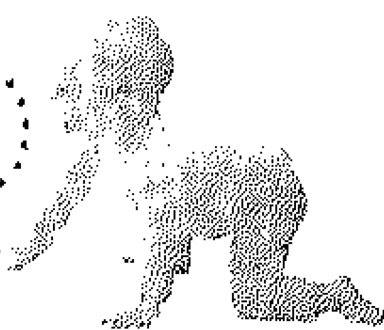
# الفصل التاسع
# التطور الجسدي والفكري

إن معظم الأهل يتوقعون الأسوء من سنوات المراهقة عند أبنائهم، ففترة المراهقة مقرونة بالعديد من المعاني السلبية، إذ أنها وصفت بالمرحلة الصعبة، العاصفة، مرحلة التمرد، مرحلة الأزمات المتتالية.. وهذه النظرة الشائعة في معظم المجتمعات تعود في جذورها إلى قرون مضت. والجدير بالذكر أن القرن العشرين عجّ بالدراسات العلمية التي أُقيمت على أعداد هائلة من المراهقين، والتي برهنت أن النظريات التي طُرحت آنفًا فيها الكثير من المبالغة، إذ أنها لا تأخذ العوامل البيئية والاجتماعية بعين الاعتبار، مركزة فقط على العوامل الشخصية البيولوجية والنفسية.

أما اليوم فتجمع الدراسات على التأكيد بأن المراهقة هي نتيجة تفاعل بين العوامل البيولوجية والعوامل الاجتماعية، فالتغيرات الداخلية مع التوقعات الاجتماعية المرافقة لها تخلق عند المراهق لحظات من التردد والشك الذاتي والخيبة.

إن الفترة الزمنية التي تسمى بالمراهقة تختلف من حضارة إلى حضارة، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة جدًا، ولكن في معظم البلدان تكون طويلة جدًا. لدرجة أن الخبراء قسموها إلى ثلاث مراحل هي:



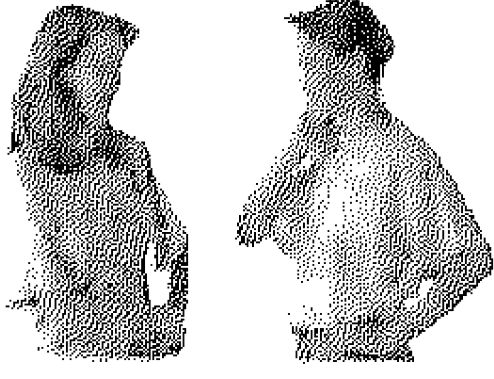


- **مـرحلة المـراهقة الأولى:** مـن عمـر 11 سـنة إلى 14 سـنة، وتتمـيز بـتغيرات بيولوجية سريعة.
- **مـرحلة المـراهقة الوسطى:** من عمر 14 سنة إلى 18 سنة، وهي مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.
- **مـرحلة المـراهقة المتأخرة:** مـن عمر 18 سنة إلى 21 سنة، حيث يصبح الشاب أو الصبية إنسانًا راشدًا بالمظهر والتصرفات.

## أولاً - التغيـرات البيـولـوجيـة

### 1- النمو الجسدي:

إن البلوغ الجنسي يشكل المرحلة الأكثر تفرقة بين الجنسين، فالقفزة السريعة في النمو، طولاً ووزنًا، تختلف بين الذكور والإناث، فالبنات إجمالاً يبلغن في سن مبكر، حوالي الأحد عشر عامًا، مقارنة بالصبيان الذين يبلغون في عمر الأربعة عشر عامًا. وتبدو الفتاة، خلال المراهقة الأولى، أطول وأثقل من الصبي، ويكتمل نموها في عمر الستة عشر عامًا، بينما يتم اكتمال النمو عنده في عمر السبعة عشر عامًا. كذلك نذكر أن النمو الجسدي خلال فترة المراهقة يأخذ الاتجاه المعاكس عما كان عليه خلال الطفولة (من الرأس إلى الأعضاء ومن الوسط إلى الأطراف)، فترى أولاً اليدين والساقين والقدمين تنمو بسرعة ومن ثم الجذع، ما يفسر لماذا يكون مظهر المراهق إجمالاً غير متكافئ وأخرق، ويبد أن المراهق نفسه لا يتلاءم مع شكله هذا، وكأنه منزعج من صورة جسده لا يدري كيف يتفاعل مع ساقيه الطويلتين ويديه وقدميه العملاقتين !



في المـراهقة أيضًـا، تـبرز الفـروقات الجنسـية في مجـال المقاييس الجسـدية، فعـند الذكـور يتسـع الكـتفان بالنسـبة إلى الوركـين، وعـند الإنـاث، يتسـع الوركـان بالنسبة للكتفين والخصـر، وهـذه الفـروقات ناتجـة عـن مفعول الـهرمونات الجنسية علـى الـنمو العظمي، هذا وعند الذكور تكون الساقان طويلتين بالنسبة لبقية الجسد وهذا يعود إلى سنتي ما قبل المراهقة حيث تنمو الساقان بسرعة كبيرة.

## 2- النضوج الجنسي:

إن النضـوج الجنسـي عـند البـنات يتحدد بظهـور الطمـث، وهـذا الحدث يأتي بعـد قفـزة الـنمو الـتي تحدثـنا عنها آنفـًا، فبينما النمو الجسدي يحصل عند الفتاة ابتداءًا مـن العاشـرة أو الحـادي عشـر، يظهـر العـادة إجمـالاً في حوالي العام الثالث عشـر، علمًا بـأن هـناك فـروقات شاسعة بين البنات أي إن ظهور الطمث قد يحصل في عمـر العشـر سـنوات والنصـف في بعض الحـالات كمـا في عمـر الخامسة عشرة في حـالات أخـرى. هـذا وإن الطمـث لا يطلـق النضـوج الجنسـي، أي ظهـور الخصـائص الجنسـية الـثانوية (مـثل نمـو الـثديين ظهـور الشـعر تحـت الإبطـين وعـلى الأعضـاء التناسلية) بل تتبعه.

أمـا عـند الذكـور، فالعلامـة الأولى للنضـوج الجنسـي هـي زيـادة حجـم الخصـيتين، وظهـور الشـعر حـول الأعضـاء التناسـلية لاحقـًا، مـع زيـادة في حجـم القضـيب. إن ظهـور الشـعر علـى الوجـه والجسـد يتـبع قفـزة الـنمو الجسـدي، أي في حوالـي العـام الـرابع عشـر. وعندما تحصل يجد الفتى صعوبة في ضبط صوته بشكل متجانس.

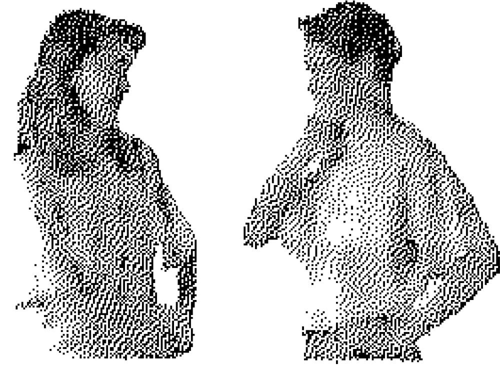
ويحصل قذف السائل المنوي للمرة الأولى في العام الخامس عشر تقريبًا، ولهذا الحدث معنى نفسي عميق لدى الصبيان كما هو الطمث بالنسبة للبنات.

**الحيض الأول عند الفتاة:**

> **سؤال**
>
> **هل يجب إعلام الفتاة باقتراب بدء الحيض عندها؟**
>
> نعم من دون تردد، إذ يكفي أن يأتيها الحيض داخل الصف أو خلال التمرين الرياضي، من دون أن تكون محضّرة له، لكي تشعر بالحيرة والارتباك. فعلى الأم أن تُعلم ابنتها بأن الحيض سيأتيها بين يوم وآخر، وأن يشرحوا لها معنى هذه الظاهرة التي تتكرر فيما بعد كل شهر، إلى أن تبلغ سن اليأس.

سواء أكان ظهوره في عمر العشر سنوات أم في الست عشرة سنة، فإن الحيض الأول يعتبر حدثًا مهمًا في طور البلوغ عند الفتيات. وابنة الثلاث عشرة سنة، الحائض، لا تكون طبيعية أكثر من غيرها، لأنها أوفر حظًا، في الحصول على صديقات اختبرن هذه التجربة في الفترة عينها. وهذه حسَنة لا تخلو من الأهمية، ففي العمر الذي يعرف الحيض الأول، تشعر الفتاة بالحاجة إلى أن تتبادل مع غيرها ما تركه هذا الحدث من مؤثرات، وإلى مقارنة مواعيدها الشهرية مع رفيقاتها. إلا أن الفتاة الحائض في عمر مبكر، لا يمكنها أن تقاسم رفيقاتها هذا الاختبار، كما أن الفتاة الحائض في عمر متأخر، تشعر أنها بعيدة عن مجادلات الكبيرات" ومشاغلهن.

وتثير الدورة الشهرية عند المراهقة الفتية تساؤلات عدة تتعلق بانتظامها، وبالآلام التي قد تصحبها وباختيار وسيلة الوقاية الصحية أيضًا. فمن أجل إيجاد



الأجوبة عن هذه الأسئلة، ينبغي أن تجد الفتاة في طرقها شخصًا عارفا واعيًا لإعطائها النصائح، كأمها أو صديقتها أو أحد الأطباء.

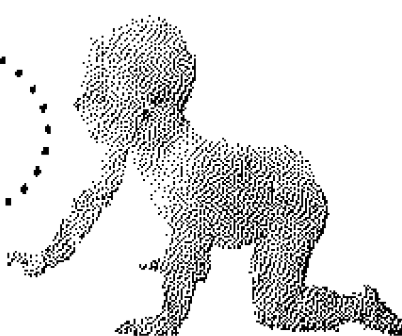
**الفوارق الشكلية بين الفتيات والفتيان:**

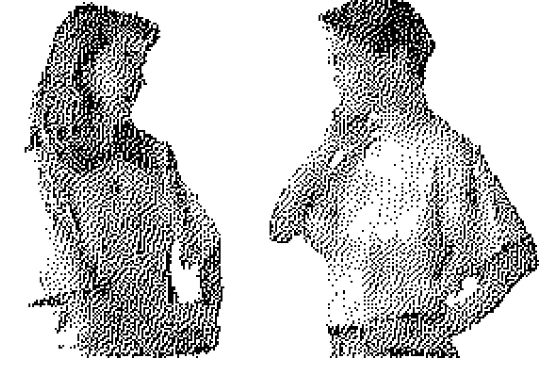
إن الفوارق الأساسية التي تُلاحظ بين الفتيات والفتيان، فضلاً عن الفوارق الجنسية البديهية، تتعلق على الأخص بالكتلة العضلية، والكتلة الدهنية، والهيكل العظمي.

1- **الكتلة العضلية:** في مرحلة الصغر، تنمو الكتلة العضلية بشكل متماثل لدى الجنسين. وخلال مرحلة البلوغ، تُكمل نموها المنتظم عند الفتيات، ولكن هذا النمو يتسارع بشكل ملحوظ عند الفتيان. وفي وقت قصير، يصبح معدل قوة الفتى العضلية أهم بكثير من معدله عند الفتيات. وبين 5 سنوات و15 سنة، ينتج الفتيان من الخلايا العضلية ضعفاً ونصف الضعف مما تنتجه الفتيات.

2- **الكتلة الدهنية:** تتطور هذه الكتلة، بشكل متماثل أيضًا، عند الصبي والبنت، قبل مرحلة البلوغ. ثم تتضاءل عند الصبي، لإفساح المجال أمام التطور العضلي. إلا أنها تتزايد عند البنت، بنسب كبيرة أحيانًا، ولا سيما في الذراعين والذراعين والوركين والردفين.

3- **الهيكل العظمي:** يتسبب البلوغ، على صعيد الهيكل العظيم باتساع الكتفين عند الفتيان، والوركين عند الفتيات.





هذا التطور المختلف بين الجنسين، في الهيكل العظمي والكتلتين الدهنية والعضلية، يبين كيف أن شكل الجسم العام، خلال مرحلة المراهقة، يتخذ طابع الأنوثة عند الفتيات والرجولة عند الفتيان.

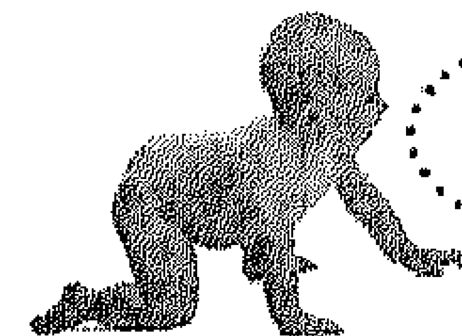
**ملاحظة**

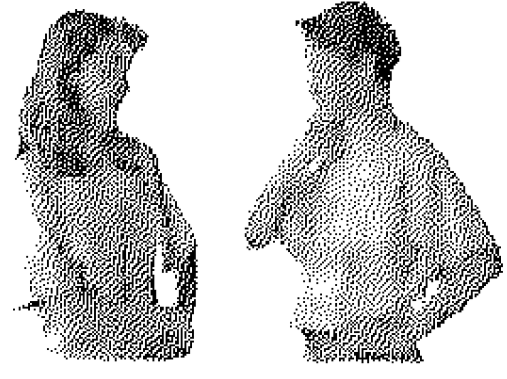
لا تقلقي إذا وجدت أن ابنك قد بلغ الثالثة عشرة من عمره ولم يدخل بعد مرحلة النمو، في حين أن ابنتك، وعمرها إحدى عشرة سنة ونصف، قد بدأت تنمو بشكل ملحوظ. فدفعة النمو تحصل في المرحلة الأولى من البلوغ عند الفتيات، ولا تحصل إلا في المرحلة الثانية عند الفتيان، مع العلم أن النمو يكون إجمالاً متقاربًا عند الجنسين في مرحلة الصغر. لذلك فإن الفتيات يبدأن بالنمو قبل الفتيان بنحو سنتين (حوالي 11 أو 12 سنة) وأقوى دفعة نمو لديهن تتناسب غالبًا مع أوائل الحيض، بغض النظر عن العمر. وفي النصف الثاني من مرحلة البلوغ، يتوصل الفتيان إلى اللحاق بالفتيات في النمو، وغالبًا ما يتجاوزونهن.

## أعراض جانبية نتيجة البلوغ:

1- **مشاكل العظام:** لا يكون النمو بحد ذاته سببًا للأم، إلا أن التنبه إلى إمكانية التواء العمود الفقري أثناء طور المراهقة ضروري، لئلا يزداد خطر الالتواء.

من جهة أخرى، يعاني بعض المراهقين من التهاب في أمكنة نمو الفقرات. هذا المرض الذي يُعرف باسم داء المُشاشة تكون أعراضه آلامًا محدد في العمود الفقري، وقد يؤدي تفاقمه إلى حَنَف - ميلان جانبي في العمود الفقري. ولا يمكن



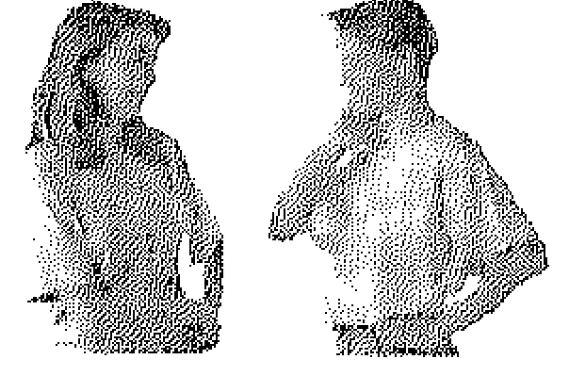


تشخيص هـذا الـداء إلا بالتصـوير الشـعاعي. والواقـع أن المـراهقين، في غالبيـتهم، يتخذون وضعيات سيئة في الجلوس، فيقوّسون الأكتاف، ومع ذلك لا يتعرضون لهذا النوع من المشاكل. وفي حالات أخرى، يتحدد الالتهاب على موضع عظمي تحت الرَّضفة وفي أعلى الظنبوب (عظم الساق)، ويُعرف باسم التهاب نتوء عظم الساق. والذكور إجمالاً يعانون من ذلك أكثر من الإناث، وبخاصة لاعبو كرة القدم. في هذه الحال، يستحسن إيقاف النشاطات الجسدية العنيفة.

2- التعب: إن انطلاقة النمو لا تكون بحد ذاتها سببًا لتعب المراهق، وإن كان صحيحًا أن نوعية النوم تتبدل خلال مرحلة البلوغ، كما أن تزايد الشعور بالنعاس بعد الظهر يبدو طبيعيًا في هذه المرحلة. مع ذلك، إن عددًا من المراهقين يتذمرون من التعب محاولين إخفاء بعض الحزن والكآبة، وحتى بعض القلق.

وقد يترافق هذا التعب مع تدني النتائج المدرسية، وهذا ما يقلق أهل المراهق. لذلك يستحسن عرض المشكلة، سواء أكان على المدرِّس، أم على الطبيب الذي يتتبع أوضاعه، أم على الفتى نفسه. ويجب أن يصغي الأهل لولدهم أكثر من أي وقت آخر، وأن يساعدوه على التعبير عن قلقه. لاشك في أن الصعوبات التي يواجهها المراهق تكون طبيعية، ولكن تصعب معايشتها، وينبغي ألا نقلل من أهمية تأثيرها عليه. من هنا ضرورة الاهتمام بها، من دون إعطائها طابعًا مأساويًا.

3- حب الشباب: يعتبر حب الشباب نتيجة غي مباشرة لاضطرابات هرمونية تحصل في طور البلوغ. بتأثير أحد مشتقات التستوستيرون، تُنتج الغدد

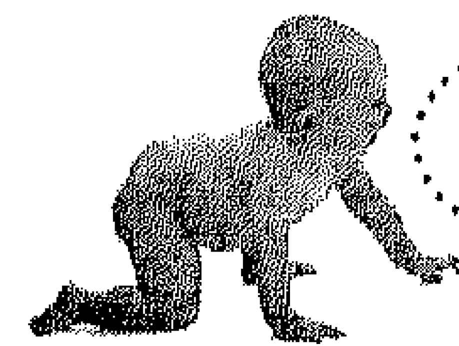


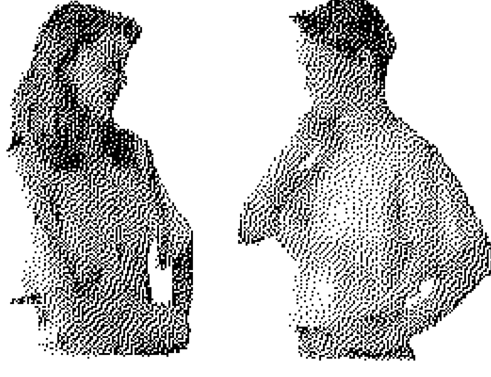
الدهنية التي تكثر على مستوى الوجه، فائضًا من الإفرازات صعوبة في التحرر، مما يجعل الغدد الدهنية تتمدد فيتكثف محتواها فيشكل بثورًا في الوجه.



قد يكون حب الشباب على شكل نقط بسيطة في نواح محددة من الوجه، كما قد يعاني المراهق من بثور على شكل جروح غالبًا ما تكون ملتهبة. إن الأشكال المتفاقمة بفعل امتدادها (خصوصًا على الظهر)، أو بفعل اتخاذها شكل الدمّل، هي حالات نادرة لحسن الحظ. وسواء أكانت خفيفة أم متفاقمة، فإن ظاهرة حب الشباب يمكن أن تعالج جيدًا. لذلك يجب ألا يتردد المراهق في استشارة طبيب أو متخصص بالأمراض الجلدية.

**4- تثدي المراهق:** بعد بداية مرحلة البلوغ، يلاحظ المراهق، بمعدل واحد من اثنين، بأن حلمتيّ ثدييه تنتفخان وتصبحان حساستين، لدى احتكاكهما مثلاً بالثياب. ويزول هذا الانتفاخ الذي يُسمى لتثدّي، تلقائيًا بعد مرور سنة أو سنتين. والمعروف أنه يكون نتيجة اضطرابات هرمونية مرتبطة بالبلوغ، ولا علاقة له بأي مرض.



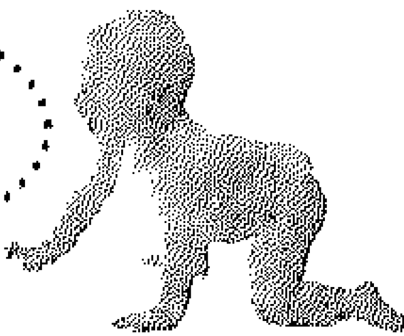


**المراهق وحب الشباب**

غالبًا ما يكون حب الشباب باعثًا لمأساة يعيشها المراهق، خصوصًا عندما يصيب الوجه، الذي هو قسم من الجسم لا يمكن إخفاؤه. فالفتيات والفتيان المصابون بحب الشباب لا يستطيعون التوقف عن تفحص الوجه أمام المرآة، وقلما يقاومون الرغبة في فقء البثور، وهذا ما يؤدي إلى تهيج البثور وتفاقم الوضع. ويجب أن نعرف أن حب الشباب يمكن أن يعالج، وغالبية الأدوية توضع مباشرة على الجلد. وقد يكون العلاج طويلاً، كما يتعلق نجاحه ونتائجه الإيجابية بانتظام أخذ الدواء وبالمثابرة في العناية. ويُنصح بتناول فيتامين أ حامض، في الحالات المتفاقمة، فهو ذو فاعلية قوية، إلا انه يستوجب متابعة طبية دقيقة.

ومن العبث، بل من الخطر اللجوء إلى أي علاج موضعي أو عمومي، إذ يكفي التأكد من أن عملية البلوغ تجري بشكل طبيعي، ومن أن نتيجة فحوصات سائر الجسم طبيعية. ولا يُنصح باللجوء إلى الجراحة التقويمية إلا عندما يتفاقم انتفاخ الثديين ولا يتناقص بشكل تلقائي، وهذا النوع من العمليات الجراحية يعطي عادة نتائج أكيدة. ولا خطر من عواقب مرضية يسببها تطور الغدد الثديية عند المراهق، إلا في حالات نادرة حينما يظهر هذا التثدي بعد انتهاء عملية البلوغ.

إلا أن هذه الظاهرة، وإن لم يكن لها أهمية من الناحية الطبية، تعتبر مصدر إزعاج للمراهق، الذي قد يجد نفسه سيئ الحظ بسببها. وهو قد يعيش

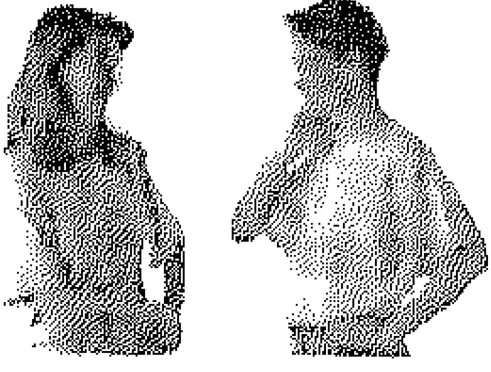



حالة قلق من جرّائها، أو قد يشعر بالخجل إلى حد أنه يرفض إظهار صدره عاريًا، في المسبح مثلاً. لذلك لا ضرر من استشارة الطبيب في هذه الحالة، فهو يوضح له بأن هذه الظاهرة طبيعية وعارضة. بهذه الطريقة، تزول وطأة القلق ويشعر المراهق بالاطمئنان.

5- **حيض مؤلم وغير منتظم:** خلال السنوات الأولى من حياة الفتاة، بعد إدراكها سن البلوغ، لا تكون دورات الحيض لديها منتظمة، لأن عملية الإباضة (خروج البويضة من المبيض) لا تتم بانتظام مع كل دورة.

وأكثر من نصف دورات الحيض يتم من دون إباضة في السنة الأولى، ثم تتناقص هذه النسبة تدريجيًا فيما بعد. فعدم انتظام الحيض ليس أمرًا شاذًا، والمراهقات إجمالاً يبقين مدة طويلة عاجزات عن تقدير تواريخ الحيض. وفي السنة الأولى التي تعقب الدورات الشهرية الأولى، تمر الفتاة بثماني دورات حيضية، ويستقر انتظامها الحيضي في السنة الثانية أو الثالثة (ولا تكون مدة الدورة بالضرورة 28 يومًا). ويمكن أن ننصح الفتيات باقتناء روزمانة لتدوين التواريخ، لأن عدد منهن ينسى مواعيد الحيض الأخيرة.

إن الدورات الحيضية الأولى لا تكون إجمالاً موجهة. وهذا لا يعني أن الدورات التالية تمر من دون ألم. وأكثر المسكنات الخفيفة تزل آلام الرأس والبطن المتعلقة بالحيض. وتعطى أحيانًا مضادات للالتهاب من أجل تسكين آلام عنيفة قد تُضطر معها الفتاة إلى ملازمة الفراش.

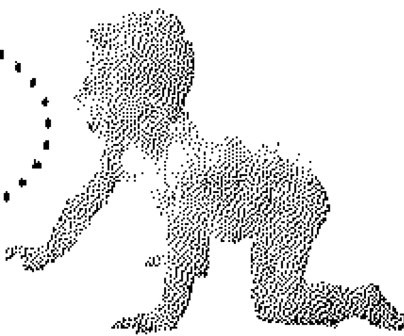


## ثانيًا - التطـورات الفكرية

تجلب المراهقة معها قدرات فكرية موسعة، فمن المنطق الملموس المرتبط بـ "الآن" والـ "هنا" الذي ميز السنوات الماضية، يتخذ التفكير تدريجيًا صفات مجردة، فتختلط المفاهيم عند المراهق ضمن تركيبات معقدة، ويفكر بظروف غير مكشوفة في عالمه الواقعي أو حتى غير موجودة بتاتًا. إن هذا النوع من التفكير، الذي يشبه تفكير الإنسان الراشد، يجعله قادرًا على حل العديد من المسائل التي لم يكن قادرًا على حلها سابقًا، كما أنه يفتح أمامه آفاقًا جديدة للتعلم، فالمراهق يستطيع الآن فهم مبادئ علمية معقدة، وتحليل أمور اجتماعية وسياسية غامضة، وكشف المعاني الباطنية في النصوص التي يقراها، والتلاعب بلغته بطرقة أكثر مرونة وأكثر إبداعًا من السابق. هذا وإذا قارنا المراهق بابن التسع سنوات، نرى أن القدرات الذهنية عنده أصبحت أكثر خيالاً، وتنويرًا وعقلانية.

إن هذا التطور الفكري عند المراهق (من المادي إلى المجرد، من الحدث إلى المنطق) ينعكس بشكل حاد على نظرة المراهق لنفسه وللمجتمع حوله. فالتكيف مع هذا النوع من التفكير المجرد يشمل نفس التحديات التي يواجهها المراهق بتكيفه مع التغيرات الجسدية خلال هذه الفترة من النمو. ومثلما يكون المراهق أحيانًا أخرق في التعاطي مع جسده المتغير، كذلك فهو يبدو متلعثمًا مترددًا في التعاطي مع المفاهيم المجردة.

والآن لنتطرق لتصرفات المراهق نتيجة تفاعله مع هذه التحولات الجسدية والذهنية.



## 1- الجدل والمناقشة:

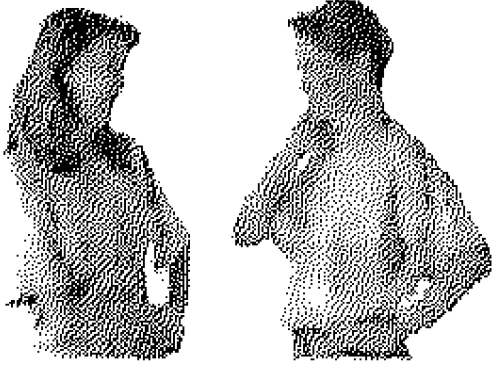
إن جميع الأهل يلاحظون أن ابنهم الذي كان في صغره "يسمع الكلام"، ويطيع كل أوامرهم دون عذاب، ويقتنع بكل سهولة بما يقولونه له، أصبح الآن مراهقا مناقشًا ينظم المعطيات والأفكار وكأنه محامٍ يقيم قضية، فلا يكتفي بجواب بسيط ومباشر لأسئلته بل يريد ألف حجة، وغالبًا ما لا يقتنع بها بل يناقضها جميعًا. ومعظم الأهل يفيدون أيضًا أن ابنهم يناقش فقط للمناقشة، وبالفعل فإن اعتقادهم هذا بمحله.

على الأهل أن يدركوا أنه طالما هذه المناقشات تبقى مركزة على المبادئ، وأنها لا تنتهي بشجار أو عراك يؤذي كلاً من الفريقين، فإنها قد تساهم في تسريع عملية التطور عند الشاب أو الصبية، فمن خلال هذه المناقشات للقوانين والقيم العائلية، يصبح المراهق أكثر إدراكًا لهذه القيمة ولأسباب وجودها، وأكثر تقديرًا لهذه المعتقدات، حتى أنه يصل إلى تبني الكثير منها لاحقًا في حياته.

كما نذكر بأن قدرة المراهقين على الجدل الفعال تفتح الباب أمام نشاطات فكرية مثيرة، فالمناقشات الجماعية في الصف أو مع الأصدقاء تعطيهم فرصة مهمة للتدرب على التفكير الناشط حول كل جوانب القضايا المثيرة للجدل، مثل القضايا الأخلاقية، والاجتماعية والسياسية.

## 2- الذاتية:

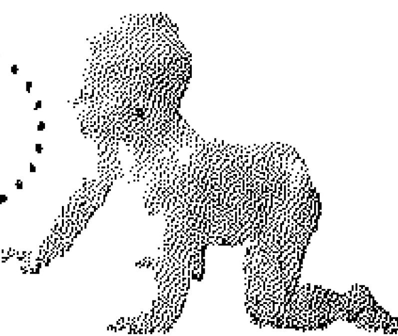
إن التطور الفكري الحاصل عند المراهق والمرفق بالتغيرات النفسية والجسدية يجعله أكثر تمحورًا على ذاته، فالمراق يصبح مهتمًا بشكل مبالغ بأفكاره ومظهره وتصرفاته.

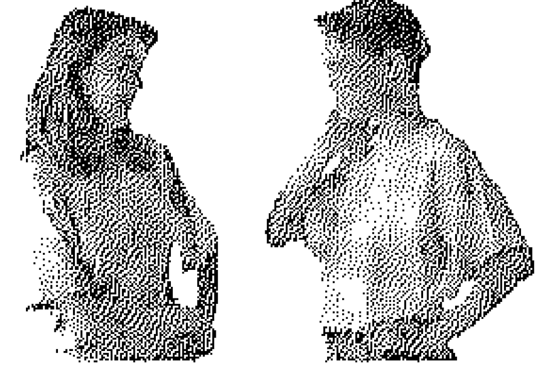


**التأثـر الحـاد**

يكون المراهقون شديدي التأثر بالنظرات التي توجه إليهم وبالملاحظات التي تُعطى لـهم، وهـم يخفـون أمام محيطهم أضعاف ما يظهرون من التأثر. وردات فعلـهم علـى الانفعالات تكون بالأعمال أكثر مما تكون بالأقوال، وغالبًا ما يكون مزاجهم المتقلب داعيًا لقلق محيطهم وحيرته وعدم فهمه. ويوصل بعضهم إلى إخفاء المراحل الضاغطة بعناية، إلا أنها، مع ذلك، تترجَم بعلامات متنوعة: هـبوط مفاجئ في النـتائج المدرسية، عـزلة اجتماعـية، صـعوبة الحـوار داخـل الأسـرة، اضـطرابات في النوم، مـيل غـير طبـيعي ودائم إلى التقلـيل مـن قـيمة الـذات. لذلـك ينـبغي التعرف إلى صعوباتهم وتفهـم التقلبات التي تسبب لـهم الغـم والكآبـة. يجـب أن يتوصـل المراهق إلى اعتبار والديه المرجع الذي يمكـن الاعتماد عليه في هذه المرحلة الدقيقة.

هـذا ويتصـرف المـراهق وكأنـه دومًـا علـى خشـبة المسـرح، مقتـنعًا بأنـه محـط أنظـار واهـتمام الجمـيع، ففـي وجـه هـذا الجمهـور المتخـيل يتضـخم وعـيه الذاتـي ويمضـي وقـته في تجنـب الظـروف المحـرجة، مـن هـنا نفهـم لمـاذا يمضـي المـراهق سـاعات في الحمـام مستكشفًا بدقـة كل تفصـيل مـن تفاصـيل مظهـره، رابطـًا ذلـك بتصـوراته حـول ردة فعـل الجمهـور. في الإطـار نفسـه، نفهـم أيضًـا سـرعة انفعـالاتهم لانـتقادات الآخـرين، وظهـور الخجـل الشـديد في بعـض الظـروف الاجتماعـية. هـذا ونذكـر بـأن عـددًا كـبيرًا مـن المراهقين، ومعظمهم من الإنـاث، يطـورون نوعًـا جديـدًا مـن الخـوف، هـو الخـوف مـن الاحمـرار أمـام الآخـرين، ممـا يشـمل تصـرفاتهم، وأحيانًا يشوه طريقة تفكيرهم.



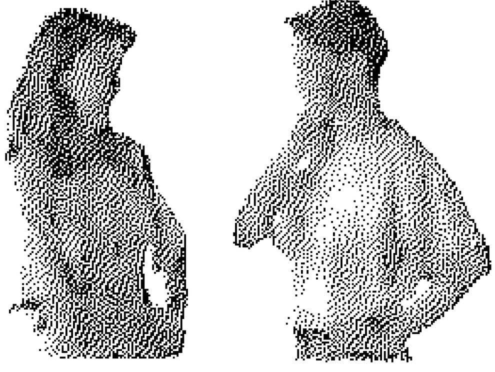


فالمراهق يعتقد أن كل شخص في محيطه يراقبه بحذر، فأية ملاحظة سلبية من قبل والديه أو معلميه أو حتى الأصدقاء تؤلمه بشدة. لذلك ننصح الأهل بأخذ ذلك بعين الاعتبار، وعدم توجيه اللوم أو الانتقاد اللاذع له أمام الآخرين، بل التحدث معه على انفراد بترو وصراحة.

إن المحورية الذاتية عند المراهق تتميز أيضًا بالشعور المضخم حول أهميته، إذ أنه يشعر بأنه مميز وفريد، ويستطيع أن يرى نفسه في أعلى قمم المجد كما في أدنى مستويات اليأس، وكلها بنظره خبرات لا يمكن لأحد فهمها. ويعيش حياته وكأنه بطل لحكاية خاصة به، يستطيع القيام بأعمال لا يستطيع الآخرون القيام بها، أو يتخيل أن حالات اليأس والتعاسة التي قد يمر بها خاصة به فقط، ولا يوجد أحد على وجه الأرض يعاني من نفس المرارة والألم.

إن هذا التحليل يفسر طموحات المراهقين التي تتناقض مع الحياة العائلية الاعتيادية الروتينية والمملة بنظرهم. كذلك، فعند الشعور بالحزن بعد خبرة عاطفية مؤلمة (مثل الفتاة التي تقع في غرام رفيق لها ولكنه لا يبادلها الحب)، لا يتجاوبون مع محاولات المحيط لتطمينهم أو التخفيف عن حزنهم، إذ أنهم يعتقدون أن لا أحد يستطيع فهم هذا الحزن العميق.

لسوء الحظ، فإن هذا الوضع الذي يبتكره المراهق في مخيلته حول حياته ومغامراته ومشاعره قد تؤدي أحيانًا للمخاطرة في سلوكيات ونشاطات غير محبذة اجتماعيًا، مثل سرقة سيارة والده للقيادة بسرعة هائلة برفقة الأصحاب على الطرقات المزدحمة، أو إقامة العلاقات الجنسية في عمر مبكر، أو الانحراف في عالم المخدرات.



ولحسن الحظ، فإن هذه الفترة المليئة بالتناقضات العاطفية والتمرد لا تدوم إلى الأبد، بل نلاحظ أنه ابتداءً من منتصف مرحلة المراهقة، تنحسر هذه الموجة الحادة لتحل مكانها نظرة إيجابية تجاه المجتمع، مما يساعد المراهق على الانفصال بسلاسة عن أهله، وإقامة علاقات مهمة مع الآخرين، وتكوين هوية مستقلة.

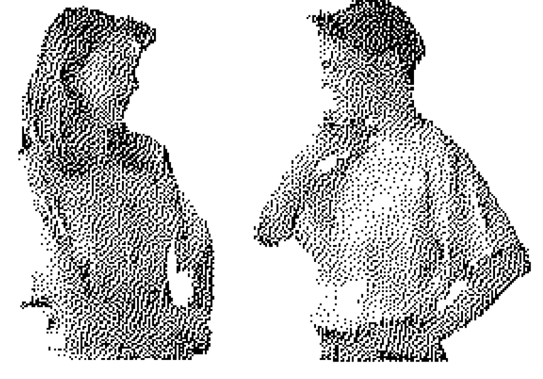
### 3- المثالية والنقد:

إن تطور التفكير المجرد الذي يميز مرحلة المراهقة يفتح الطريق أمام المراهقين لعالم من المثاليات والكمال، فالمراهق يتخيل عائلة بديلة، وأنظمة دينية وسياسية وأخلاقية مختلفة، ويريد أن يكتشف كل هذه الاحتمالات الجديدة. عبر هذه الطريق يصل المراهق إلى تحديد قيمه وهواياته وميوله الشخصية.

فمثالية المراهق تجعله يبني تطلعات سامية نحو عالم كامل من دون ظلم، ولا بؤس، ولا تمييز، ومن ثم يصر على أن يتطابق الواقع مع هذا العالم المثالي، لذلك تراه لا يتحمل نواقص الحياة اليومية. هذا هو ما نسميه الفجوة بين الأجيال، جيل الوالدين وجيل المراهق، وهذه الفجوة تخلق الكثير من التوتر في العائلة. فيصبح دائم الانتقاد لأهله وأخوته الذين لا يطابقون العائلة المثالية التي يحلم بها.

إن كل الملاحظات المؤلمة التي يوجهها المراهق لأهله قد تبدو لنا، في انطباع أول، بغيضة وغير حساسة ومتطلبة، ولكن يجب أيضًا أن ندرك أن لها محاسن في المدى البعيد: عندما يتعلم المراهق أن للناس حوله نقاط ضعف ومواطن قوة،



يصبح قادرًا على العمل نحو التغيير الاجتماعي، وعلى بناء علاقات اجتماعية إيجابية قادرة على البقاء.

فعلى الأهل مساعدة أولادهم في صياغة توازن أكبر بين المثالي والواقعي، ويتم ذلك من خلال تحملهم الصبور لهذه الانتقادات مهما كانت لاذعة، وتذكيرهم أن كل الناس، بمن فيهم المراهقين، هم مزيج من الفضائل والنواقص.

**4- التصميم وأخذ القرار:**

من الطبيعي أن يصبح المراهق قادرًا على التعاطي بالنشاطات الفكرية بطريقة فعالة أكثر مما كان عليه في السنوات السابقة، فهو الآن يستطيع تنظيم وقته عند الدرس لإنهاء فروضه المنزلية بالتصميم السليم لما يجب تنفيذه أولاً، ماذا يتبع، ماذا يستطيع تأجيله، ما الذي يجب تعديله، ما الذي يأخذ أولوية ... الخ.

لهذا السبب، نرى في معظم الأحيان أن تقنيات الدرس تتحسن في المراهقة مقارنة بالسنوات السابقة. لكن هذه القدرة على التصميم التي نلمسها في المجال الفكري، لا نجدها في أمور الحياة اليومية، إذ أن المراهق يبدو ضائعًا حائرًا مترددًا أمام كل الخيارات المتوفرة أمامه، والنتيجة هي أن كل الجهود المبذولة لاختيار احتمال واحد تنهار، ويلجأ المراهق بالنهاية إلى ما هو مألوف، أو يوتر، أو حتى لا يأخذ أي قرار.

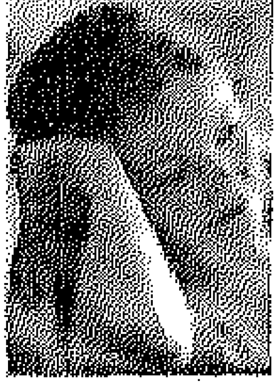
الفصـل

10

# المراهق في مواجهـة الحياة

الذات - القلق النفسي أثناء المراهقة - الحاجة إلى مثل أعلى





# الفصل العاشر
# المراهق في مواجهة الحياة

يحاول الإنسان البالغ أن يفهم مشاعر الطفل وأحاسيسه عندما يبكي أو يضطرب. ويجد نفسه، فيما بعد، مضطرًا إلى بذل نفس الجهد لفهم تصرفات المراهق، وإن كانت محيرة. والواقع أنه لا شيء يخدع كالمظاهر. ففي عمر المراهقة، لا يكون التعبير أو الكلام موافقًا بالضرورة لما هو في قرارة النفس. ومقابل ذلك، قد يلزم المراهق الصمت باستبداد فلا يبوح بما يشعر به، أو يرفض بعنف ما يرغب به أكثر من سواه. لذلك يجب ألا يتعاطى الإنسان البالغ مع المراهق انطلاقًا مما يُظهر، وإنما عليه أن يكتشف حاجاته، وأن يتعرف إلى ما يقلقه وما يحاول إخفاءه وراء تصرفات فظة واستفزازية.

## أولاً - الذات

لابد لنا لفهم المراهق من دراسة مظاهر سلوكه دون نسيان ذلك الجانب العميق من حياته الداخلية، أي معاناته لوجوده كذات مستقلة. ومفهوم الذات من المقومات الأساسية اللازمة لفهم المراهق ليس فقط لأن الذات المتفاعلة مع العالم هي مصدر السلوك بل لأنها البُعد الداخلي الخفي والأكثر أهمية من كل أبعاد

شخصية الناشئ. تقوم إحدى المهمات النمائية الأساسية للمراهق في سعيه الدائم لإيجاد نفسه وتحقيق "من سيكون"، وبصدد إمكانات المراهق وتصوراته وتوقعاته وآماله.

الذات مركب من عدد من الحالات النفسية، والانطباعات، والمشاعر، وتشمل إدراك المرء لنفسه أي انطباعاته عن جسمه، وصورته عن مظهره العضوي، وعن كل ما هو خاص ومحسوس فيه كشخص، إضافة لمفهوم المرء عن نفسه، أي سماته، وقابلياته، ودوره، وإمكاناته، والأرضية التي يعيش عليها. تشكل اتجاهات المرء حول نفسه، ومعتقداته، وآرائه، وقيمه، أهم مقومات مفهومه عن ذاته.

**أي صورة للذات؟**

يحتاج المراهقون بصورة دائمة إلى الوقوف أمام المرآة والنظر إلى الذات للحكم عليها بشكل واقعي تقريبًا. وهذا الحكم يكون له تأثيره الكبير على تقديرهم لأنفسهم، وعلى كيفية تصرفهم، وأساليب علاقاتهم بالغير. فهذا يرى جسمه صغيرًا ويحمله ضعفه على التساؤل عن حجم عضوه الجنسي، وتلك ترى ضخامة جسمها فتقلق من حجم ثدييها وكبر ردفيها. ثم إن الجلد، ونسق الشعر، ورائحة الجسم، والانتصابات الفجائية عند المراهق، ودورات الحيض غير المتوقعة عند المراهقة، كلها أمور تدعو إلى القلق والتفكير الجدي.

وتتسع اتجاهات المرء حول نفسه لتشمل مشاعره وأفكاره ودوره في أن يمارس انتقاءاته الخاصة وحقه في أن يكون حرًا ومسؤولاً. ينجم مما سبق أن الذات تشمل كل ما تضمه كلمات أنا، لي، ذاتي، وتمثل في كل منا الجوهر الذي يقبع في أساس معاناة الإنسان وتجربته ككائن إنساني مدرك.



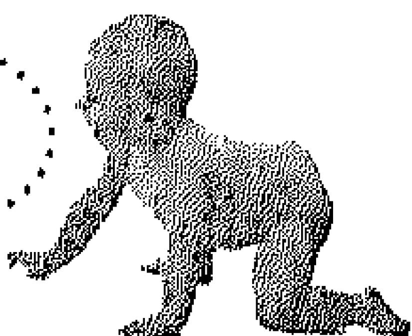
### تقبل الذات ورفضها:

لابد لمن يدخل المراهقة متقبلاً لذاته، أن يكون قد تعلم منذ صغره أن يتقبل ذاته، وأن يكون قد اعتاد العيش براحة مع نفسه إلى جانب تطلع دائم نحو التغير. والمراهق الذي يتقبل ذاته يتقبل مجابهة الحياة ببعديها السلبي والإيجابي بواقعية، ويشعر بتحرره وقدرته على فعل ما يراه ملائمًا دونما خوف أو تردد. ويشعر من يتقبل ذاته أن له الحق في أن يتكلم، ويعيش، ويستخدم طاقاته، وينمي اهتماماته دون الإحساس بالندم أو العار. وهو بالإضافة إلى ذلك إنسان عفوي يمتلك القدر الكافي من الحرية الداخلية التي تمكنه من المغامرة والجرأة والفعل وممارسة تجربته الانفعالية بحرية والتمتع بالأشياء.

أما الرافض لذاته فهو نقيض المتقبل لها، غير مرتاح لنفسه، يلومها ولا يقيّمها أو حتى أنه يكرهها. يبدو رفض المرء لذاته في التقليل من أهمية ما يحققه من نجاح، وفي الشك بقدراته وعدم الثقة بالآخرين من حوله. غير أنه لا علاقة لرفض الذات بنقدها أو بتقليل نقد الآخرين لها. والواقع أن متقبل ذاته ينتقدها ويتساهل في سماع انتقاد الآخرين لها.

### كيف يرى المراهق نفسه وكيف يراه الآخرون؟

قد لا يتطابق العالم الداخلي الذاتي للمراهق مع ما يراه الآخرين.. فقد يعتقد الآخرون أن المراهق جذاب المظهر في حين أنه يعد نفسه قصيرًا، سمينًا، ويزداد الأمر تباعدًا وخطورة بالنسبة للجوانب المجردة من الذات. ولاشك أن



وجهة نظر المراهق عن ذاته قد تكون واقعية ومتوافقة إلى حد كبير مع المعايير السائدة، إلا أنها قد لا تكون على أية درجة من الواقعية إذا ما قورنت في إطار المعايير الخارجية. وينطبق الأمر نفسه على مشاعر المراهق واتجاهاته وآرائه ومعتقداته.

يختلف المراهقون في درجة وعي ذواتهم ومقوماتها، فبعضهم يعرف عقله ويعرف ما يريد، أما بعضهم الآخر فقد يجهل رغباته الخاصة ومعتقداته وما يريد، وما لا يريد. يظهر أثر معرفة الذات، أو عدم معرفتها، واضحًا في النواحي الانفعالية وما تحمله من نتائج تنعكس في مجمل حياة المراهق، فقد ينسحب المراهق من الحياة الزاهرة بسبب جهله لحقيقة مشاعره وانفعالاته، ويرجع غضبه، مثلاً، إلى الآخر الذي أثاره وليس إلى ذاته التي سوّغت الانفعال وفجرت الغضب. وهذا كله يؤكد أن استواء السلوك، أو شذوذه، يتحدد بدرجة وعي الذات والتعرف الواضح على مقومات السلوك. ولابد من الإشارة إلى أن مقاومة التغير هي صفة ملازمة للشذوذ، وأن تقبل التغير، أي التكيف مع الأوضاع الجديدة ومتغيراتها هي صفة ملازمة للاستواء.

وعلى هذا الأساس، فإن الشذوذ والاستواء لا يتحددان فقط بدرجة الوعي، بل بدرجة تقبل التغير أيضًا. وتشتد مقاومة التغير والتعلق المطلق بالأوضاع القديمة الثابتة باشتداد ملازمة صفتي الشذوذ والبُعد عن العقلانية لاتجاهات الفرد.

**البحث عن المعنى:**

يحاول الطفل منذ أن يرى ويلمس ويسمع، أن يتعرف على الأشياء من حوله. وعندما يكبر الطفل يضيف العبارة لماذا يحدث عبارة لماذا يحدث ما يحدث. ثم ينطلق الطفل في سؤاله الكبير ماذا يجدي حدوث الشيء بهذا الاتجاه أو بذاك، وما الغاية من حدوثه؟ ويختلف موقف الراشدين من أسئلة الصغار، الأمر الذي يسوق بعضهم إلى المراهقة مشحونًا بالخوف من السؤال عن معاني الأشياء. لهذا السبب الأخير ينجح المراهقون في دراسة المواد التعليمية دون أن يغوصوا في دلالاتها ومعانيا وهذا ما يُفقر عملية التعليم عندهم ويجعلها محدودة وسطحية.

**الاختيار:**

لاشك أن حرية المراهق في الاختيار هي تجربة واقعية زاخرة بالمعنى، وتوجهه لفعل الصواب والابتعاد عن فعل الخطأ أو ما يعتقد أنه كذلك. وعلى الرغم من اعتقاد بعض العلماء أن كل ما يحدث في حياة الفرد إنما هو تتابع للأحداث في نسق موضوعي من السبب والنتيجة، وأن الحرية قد تكون مجرد وهم من وجهة النظر المنطقية والعملية وذلك على أساس أن كل شيء محدد من قبل ويسير في اتجاه لا يملك المرء القدرة على تغييره، على الرغم من ذلك كله فإن المراهق، من وجهة نظره الخاصة، يؤمن بالحرية وبإمكانية أداء أفعاله الخاصة بإرادته والتخطيط لمستقبله. من هنا فإن للاختيار أهميته الخاصة في وعي المراهق لنفسه وتحقيق ذاته كشخصية حرة مستقلة وفاعلة. تفسح حرية الاختيار المجال أمام

المراهق ليتعلم ويعدل اتجاهاته وأنماط سلوكه ويغير قيمه ومواقفه ويؤكد استقلاليته و"ذاته" النامية.

**البحث عن القيم:**

القيمة الملصقة بالشيء أو بالفعل جزء أساسي من معناه، لذلك فإن البحث عن القيمة يشكل جانبًا جوهريًا في سياق عملية البحث عن المعنى. فالمرء يبالي بالأشياء التي لها وزن أو تترك أثرًا، ويهمل كل ما هو تافه وغير مؤثر. والإنسان بطبعه يميل لجانب دون آخر ويرى الخير في جانب من الشيء والشر في الجانب الآخر أو الشيء الآخر. وليس المرء، بتعبير آخر، حياديًا في سلوكه أبدًا، بل إنه يطلق دائمًا أحكامًا قيمة على الموجودات من حوله.

تبدأ عملية البحث عن القيم بالنسبة للناشئ مع محاولات الأهل الأولى في مطلع الحياة تعزيز بعض ضروب السلوك وكف بعضها الآخر. يضفي العقاب والمكافأة من جانب الأهل صفات الجودة أو السوء والخير أو الشر على تصرفات الناشئ، وهذا ما يضع اللبنة الأولى في تكون وجدان الفرد ويمكنه من إطلاق أحكام قيمة على الأشياء والأشخاص والحوادث. يكون الوجدان خارجيًا وإلزاميًا في البدء، ثم يتحول داخليًا واختياريًا. تمثل المراهقة أولى بوادر الاختيار في وجدان الناشئ الجامع لمنظومة قيم عن الحياة والأشياء والأشخاص. والفرد، طفلاً كان أم مراهقًا، يبحث عن الجيد المستحسن والخيِّر من الأشياء، الأمر الذي يجعل البحث عن القيم من ملازمات الطبيعة البشرية. ولكن المراهقة تضفي على عملية

البحث عن القيم نزعة المراهق لأن يختار ما لـه معنى بالنسبة لـه بدلاً من خضوعه لما يفرضه عليه المربون كما هو الحال في مرحلة الطفولة.

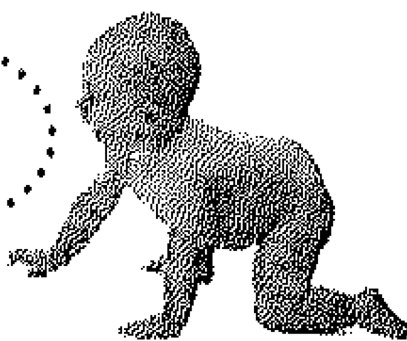
ملاحظـة
قد تكون القيم التي يحملها المراهق مزيفة أو حقيقية، مفيدة أو مؤذية، إلا أنها تبقى قيمًا غرضية وذات معنى بالنسبة له.

## ثانيًا - القلـق النفسي أثنـاء المراهقـة

إن المراهق يبدأ غالبًا في الانسلاخ من صداقاته القديمة. إنه يبدأ في اختيار أصدقاء جدد، يبني عالمًا جديدًا. وهذه الأنواع من السلوك تؤكد أنه يعيش في قلق عصبي شديد. وهو في معظم الأحيان يحتاج إلى صداقة الأب والأم. وهو يشعر في الوقت نفسه أن أسرته لا تعطيه كل ما يطلبه من الحرية ويتأكد لديه إحساس بأن واجباته أكبر من حقوقه، رغم أن أي إنسان موضوعي يمكن أن يقول عن الأسرة العادية أنها تحاول أن تمنح الابن الفرصة كاملة للتعبير عن نفسه وعن حريته.

**الغضب والفشل وجرح الكبرياء:**

يميل المراهق، مثله في ذلك مثل الطفل الصغير أو الراشد، لمقاومة أي نوع من التهجم ضد كبريائه لذاته. لابد أن يكون أكثر المراهقين قد عرف الشعور بالعار عندما يحط الآخرين من قيمتهم يوم كانوا أطفالاً، ولابد أن تدفع محاولة الآخرين للإقلال من قيمة المراهق في أعينهم على تعزيز ميله للغضب ولو بصورة مقنعة.



من المؤكد أن تجارب الفشل التي قد يمر بها المراهق في حياته، تعمل على تعزيز إحساسه بالعار وتمسه في صميم كبريائه. لا ترتبط تلك التجارب بالمطالب التي يلقيها الآخرون على المراهق فقط، بل بالمطالب التي يلقيها هو على نفسه. فالمراهق الذي يحشر نفسه أو يحشر في مواقف تجره إلى الفشل يتعرض حتمًا لضرب من الإحساس بالعار. قد يواجه بعض المراهقين تلك المواقف يوميًا في المنزل أو المدرسة أو كليهما.

وما من شك في أن التجارب التي يمارسها الفرد بحرية ويشعر بمسؤوليته الكاملة عنها تؤدي، إذا انتهت بالفشل، إلى نتائج مأساوية مدمرة قد تجعل صاحبها نزقًا سريع الغضب. لهذا الفشل طعم مر مما دعا بعضهم إلى تسميته بالسم النفسي القاتل. فالمراهق نفسه يعي أنه هو المسؤول وحده عن فشله بعد أن قرر السير في طريق مسدود. على ضوء تجربة الفشل المُرّة هذه يمكن أن نفهم الكثير من حالات الغضب، كما يمكن أن نفهم لماذا يندفع بعض المراهقين في أعمال السطو والعنف ولماذا يقبع بعضهم الآخر في صمتهم الرهيب كما لو أن الحقد قد أتى على كل جودهم وطاقاتهم النفسية.

**التعبير عن الغضب والكراهية:**

ليس من السهل علينا إدراك غضب المراهق أو كراهيته بصورة دائمة. فقد يعمد المراهق إلى إخفاء غضبه أو التعبير عنه بطرق مضللة، وقد يتجلى الغضب بصورة مباشرة، كما هو الحال في الضرب والعض والصراخ، وبصورة غير مباشرة، كما هو الحال في الممازحة والنميمة وغيرها من الأساليب اللغوية.

**1- التعبير المباشر للغضب:**

يتم التعبير عن الغضب بصورة مباشرة بالضرب والعض وغيرها من الصيغ الهجومية المتنوعة. يمر هذا النوع من الغضب عبر عدد من المراحل، فقد يعمد الغاضب إلى ضرب قدميه وإطلاق صراخه أولاً ثم يعمد إلى رفس الأشخاص والأشياء التي أغضبته أو عضها، متيحًا لنفسه حرية التعبير عن غضبه بصورة مكشوفة عنيفة.

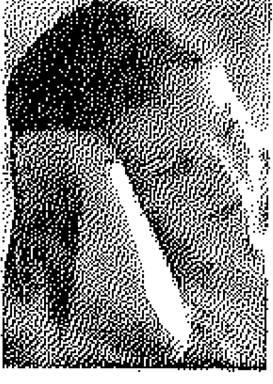
وليس مألوفًا على المراهق الذي تربى وفق معايير الطبقة المتوسطة أن يستمر في التعبير المادي الصريح عن غضبه، فنادرًا ما يبدي أغلب مراهقي وراشدي تلك الأسر غضبهم بالطريقة المباشرة.

**الصراخ:** يتناقص استخدام الصراخ كوسيلة للتعبير عن الغضب بازدياد عمر المراهق، وتكون الإناث أميل من الذكور إلى استخدام الصراخ كوسيلة للتعبير عن الغضب في مرحلة المراهقة وغيرها من مراحل العمر اللاحقة. تعطى البنات عادة حرية أكثر من الصبيان لإقامة مشاهد البكاء كوسيلة للتعبير عن الغضب. وما من

شك في أن تناقص استخدام العنف من قبل الصبيان والصراخ من جانب البنات يسهل الحياة عليهم وعلى الناس المحيطين بهم، إلا أن استمرار الوسيلتين المذكورتين قد لا يكون ضارًا أحيانًا، إذ ربما أمكن إزالة الكثير من ضروب التوتر من حياة المراهقين وإرساء الفهم الواعي لمشكلاتهم عن طريق ضروب التعبير المباشر عن الغضب. ولهذا السبب بالذات يسمح المعالج النفسي لبعض ذوي المشكلات بممارسة العنف أو البكاء خلال جلسات العلاج دونما تأنيب أو تجريح، الأمر الذي يمكنهم من التعبير عن انفعالات كبتت أثناء الطفولة.

**العدوان اللفظي:** يعبر الأطفال عن الكثير من غضبهم بالكلمات مع بداية ظهور قدرتهم على الكلام، ولا يبلغ المراهق مراهقته إلا ويكون قد اكتسب الكثير من مهارات التعبير اللغوي عن الغضب التي تشمل التنابز بالألقاب والتعابير اللاذعة، والاستخفاف ونقل الأخبار السيئة عن الشخص المكروه وإشاعتها بين الناس. تعد الإشارة إلى محاسن شخص ثالث أكثر الطرق اللفظية إيلامًا للمغضوب عليه. ويلجأ بعض المراهقين إلى النميمة وغيرها من الأساليب اللغوية غير المباشرة. وتستخدم الممازحة أحيانًا للتعبير عن الكراهية، ويمكن جعلها "فنًا جميلاً" يفيد في وضع اللوم على الشخص المغضوب عليه، إلا أنه قد تكون لها آثار سيئة أو قد يفقد الآخر هدوءه وينفلت مزاجه فيرد على الممازح بالضرب.

أخيرًا، قد يعمد المراهق أحيانًا إلى التهديد والوعيد، وإلى القسَم كوسيلة لإطلاق الغضب المتراكم. ومنهم من يقيم واجهة مزيفة حول البذاءة فيلجأ إلى استخدام منظومة كاملة من المفردات المهذبة في قسَمه. وقد يجد المراهقون



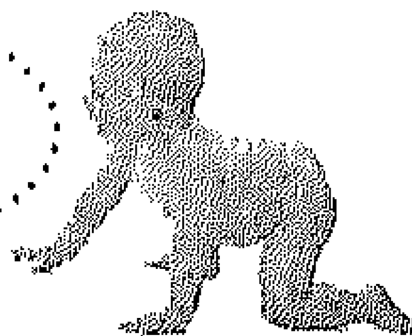

الصبيان في القسَم نوعًا من التحرر، وهو نفس ما تجده الفتيات المراهقات في البكاء.

## 2- التعبير غير المباشر للغضب:

يعد تدريب المراهق على قمع غضبه من أهم مقومات التربية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق. ويشير الباحثون إلى أن الضغط الذي يلقى بوجه الطفل للسيطرة على غضبه لا يقل عن الضغط الذي يلقى بوجهه للسيطرة على الرغبات الجنسية. يتعلم الناشئ تبعًا لذلك عددًا كثيرًا من السبل غير المباشرة لقمع الغضب والكراهية وإخفائهما. إلا أن قمع الغضب يبقى في الغالب مزيفاً ويكلف صاحبه الكثير، ويظهر فشل المراهق في السيطرة على غضبه عندما لا يستطيع إخفاءه بسبب إزعاج تافه يحل به، إذ يلامس الإزعاج البسيط الغضب المتراكم. ويلجأ المراهق إلى تمويه غضبه بعدد من الأساليب:

1- **التخيل:** قد يعبر الغضب عن نفسه بالتخيلات والأحلام النهارية التي تصور شخصًا ما يسير إلى نهايته، أو ترفع المتخيل أو الحالم نفسه إلى ذرا النصر وتجرف المغضوب عليه إلى الهاوية.

2- **الكراهية المتحولة:** عندما لا يشعر المراهق بحريته في التعبير عن غضبه بصورة مباشرة ضد الأشخاص أو الأشياء، فإنه قد يقلب الأشياء نفسها ويحطمها. فالمراهق الذي تضايقه والدته ويخشى أن يرد عليها ينزل غضبه بأي شيء يصادفه فيحطمه. يعتقد أن ميل المراهق إلى إيذاء المخلوقات الضعيفة قد يكون تحولاً



لغضبه من الناس الذين يقيدون حريته بصورة ما، إلى تلك المخلوقات. ليس من المستبعد، نتيجة لذلك، أن يلجأ المراهق إلى تعذيب قطة عاجزة أو طفل صغير في جواره.

3- **الكراهية المسقطة:** يستخدم المراهق وسائل متعددة لتخفيف الآثار السيئة لمعاناة الغضب. من بين تلك الوسائل تحويل أو رمي الكراهية والغضب خارج الفرد لجعل الآخرين يبدون غاضبين ظالمين، بحيث يبدو غضب المرء، إن ظهر، دفاعًا مشروعًا عن النفس. هكذا يخفي المراهق غضبه من شيء ما أو شخص ما ليجد تعبيرًا له في غضب الآخرين من هذا الشيء أو الشخص. يمثل هذا الفعل تخليًا عن المسؤولية وإلصاقها بالآخرين، لأن فشل المراهق في إيجاد المصدر الخارجي الذي يمكن أن يحمله مسؤولية إطلاق الغضب يتركه هو نفسه مسؤولاً، في الوقت الذي قد يعجز هو عن تحمل مثل تلك المسؤولية. بقي الغضب المسقط على الآخرين بهذا المعنى الفرد من مواجهة الوقائع المرتبطة بذاته والتي قد تجعله ضحية ضعيفة أمام مشاعر الإثم واتهام الذات.

4- **الشعور بالكآبة:** يعبر الغضب عن ذاته بالكآبة في كثير من الأحيان. والغالب أن يبدو المراهق الغاضب مثقلاً بالكآبة، فيتكلم ويسلك كما لو أنه اضطهد من بين باقي الناس. تتخذ الكآبة صورة الشكوى والتذمر الدائم من المدرسة أو الجيران أو بعضهم، والواقع أن المراهق قد يكون محقًا في توجيه اللوم للآخرين الذين يعاندونه ويضطهدونه، إلا أن الموقف السلبي من الآخرين يتضمن عنصرًا





غير منطقي ويعكس مشاعر الكراهية والعدوان والغضب المترسبة في قرارة نفس المراهق.

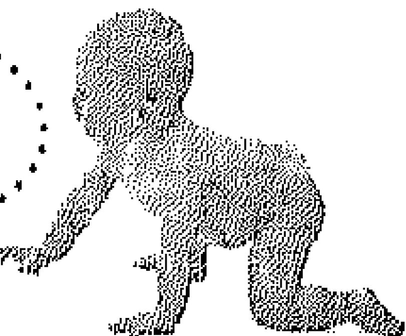
ومن المؤكد أن كآبة المراهق، سواء أكانت معقولة الأساس، أم وهمًا تؤثر فيما يراه أو يسمعه، فتنقلب الابتسامة البريئة اتهامًا أو سخرية ويتحول العمل المدرسي الذي يفرضه المعلم ظلمًا وتحديًا، وتفسر المعاملة الودية من جانب الزملاء بأنها نفعية وانتهازية. فالمراهق في تلك الحالة يبحث عن الكراهية، ولا يكتفي بالعثور على ضالته فحسب، بل إنه يثير ضد ذاته الكراهية الحقيقية من جانب الآخرين.

يميل الأهل والمعلمون والزملاء لمجادلة ذوي الكآبة المزمنة ولا يُلامون في ذلك، إلا أن الجدال يساعد من يحس أنه مضطهد في رؤية نور الصواب. وقد يكون بالإمكان مساعدة المضطهد عن طريق تبصيره بذاته قليلاً وذلك عبر إدراكه لصدى غضبه في نفسه.

**الخوف والقلق:**

تتأثر مخاوف المراهق لكونها جانبًا من حياته الانفعالية بالكثير من محرضات النمو وعقباته. وتختفي في مرحلة المراهقة بعض المخاوف وتظهر مخاوف أخرى. تظهر المخاوف الجديد بسبب التهديد الذي تطلقه طبيعة النمو ذاتها، فجميع المراهقين يتعرضون لدرجة من الخوف في فترة ما. وتعترض بعضهم المخاوف في مناسبات معينة يشحنها الخطر. ويعاني بعضهم الآخر من مخاوف مزمنة تتفجر بملامستها لبعض حوادث الحياة اليومية أو الأحلام، أو السياقات الفكرية الشخصية، وقد يبقى تحت تجربة الرعب أيامًا أو أسابيع.





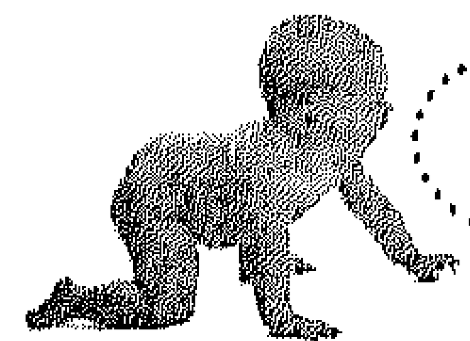



لا ترتبط مخاوف المراهقة ارتباطاً وثيقاً بمشكلات الحياة التي يعيشها المراهق، إذ لا يقوى من يقذفه تيار الحياة على منع احتمالات تعرضه لمخاوف متباينة في شدتها. وقد يقوم أسوأ سبيل لتجنب الإحساس بالخوف في الخضوع الأعمى له، كما يحدث عندما تشتد مخاوف الفرد بحيث يعجز عن مد يده لتناول ما يقدمه الحاضر أو يعد به المستقبل.

ومن الأمور التي يخافها المراهق: الحيوانات، المواقف المؤلمة، جروح وعوارض وأخطار جسمية، مخاوف أثناء الحلم، السخرية، الفشل، الناس الأشرار مثل اللصوص والمختطفين، أخطار مرتبطة بالظلام أو العزلة في الظلام، المخلوقات الخيالية كالأشباح، بالإضافة إلى مخاوف طلبة المرحلة الثانوية والجامعية، مثل الحصول على العمل، والإعداد المهني، ومشاكل الحرب، والمشاكل المدرسية والمشاكل الاجتماعية. هذا مع العلم أن قول المراهق أنه قلق، أو مشغول البال بصدد أمر ما، لا يعني بالضرورة أنه خائف.

**التعبير عن الخوف وإخفاؤه:**

يتعلم المراهق منذ الطفولة أساليب إخفاء مخاوفه، الأمر الذي يجعلها تتخذ أشكالاً عديدة ببلوغه المراهقة. قد يكون بالإمكان اكتشاف الجزء المموه بصورة أسهل من اكتشاف سائر المخاوف المموهة عند المراهق، إذ أن للجزء المموه أعراضاً واضحة مثل الركض، والتصلب، واستجداء العون، والارتجاف. والجهود الواضحة لمحاولة المراهق تجنب الهرب.

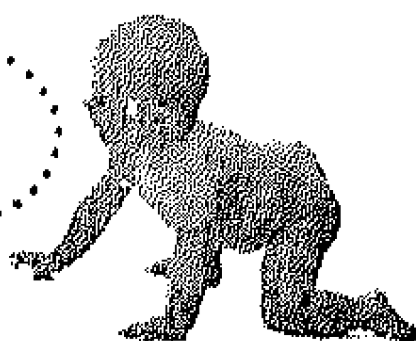


وعلى العموم، فإن الخوف قد يختفي وراء واجهة سلوكية مضادة للعناصر السلوكية المميزة له. فقد ينفجر المرء غاضبًا عندما يرتعد في أعماقه خوفًا، ويكون الغضب في تلك الحالة وسيلةً للاحتجاج أو الهجوم المضاد. وأوضح مثال على ذلك، هو حال المراهق الذي يخشى مراجعة طبيب الأسنان، فيعبر عن غضبه الشديد لمجرد تذكيره بموعد المقابلة. ثمة الكثير من التداخل بين الخوف والغضب في الحياة اليومية للمراهق، فلكي نعرف ما يخافه المراهق، لابد من ملاحظة إمارات الجزء الواضحة في غضبه، والمواقف المثيرة لذلك الغضب، والتعارض بين تفجر الغضب والتقلبات المزاجية للخائف.

قد يتجلى الخوف، أيضًا، في النعومة المفرطة والخضوع، فالمراهق المفرط النعومة والطيبة قد يكون إنسانًا فزعًا يستخدم طيبته وسيلة لوقاية نفسه من خوف القصاص، والاستهجان والرفض.

**القلـــق:**

من الصعب دراسة الحياة الانفعالية في المراهقة دون التعرض للقلق لكونه يشكل جانبًا هامًا من جوانبها يمكن في ضوئه تعليل الكثير من ضروب السلوك، واكتشاف الخلفية النفسية التي تقع وراء السمات والملامح الظاهرة لشخصية المراهق. ويعاني المراهق القلق كضرب من الخوف والاكتئاب والاضطراب والحيرة إلا أنه قد يشعر بالغضب وبخطر الانزلاق إلى الهاوية أو بأمور أخرى غامض يعجز عن وصفها أو تسميتها.

تكون الحالة المسببة للقلق تهديدًا غامضًا يلوح فوق عنق المراهق القلق ويطغى على حياته برمتها. ولا يسلم المراهق الذي يتمتع بالاستقرار في حياته من الإحساس بالقلق وعدم الاستقرار عندما يُذكّر بصورة ما بانتشار المرض والحوادث والموت، بحيث يشعر أنه ليس سيد حياته ومصيره.

يظهر القلق من ناحية وكأنه إشارة إلى وجود خطر يتهدد الشخص. وهو في هذه الحال يثير طاقة الشخص لتعمل في الدفاع عن ذاته من أجل سلامتها والمحافظة على ما تعتبره أساسيًا لها. قد تنجح الذات هنا وتوفر السلامة نفسها وبذلك تسير بالشخص نحو تكيف مناسب. لا يكون استعدادنا للقلق في تلك الحالة دليلاً على الشذوذ، بل وسيلتنا في سعينا وراء التكيف. ينبعث القلق بصورة خاصة بسبب حالات الزعزعة أو المآزق والأزمات المرتبطة بفترة خاصة من فترات النمو الإنساني. والمراهقة بالتعريف هي فترة الزعزعة والمآزق والصراعات الداخلية الحادة. وما من شك في أن المآزق المولدة للقلق قد ترتبط بمشاكل الماضي المعقدة التي لم تحل.

ومن الممكن، أن نفترض أن المراهق يعاني من القلق إن هو شعر بالكآبة دونما سبب واضح، أو بالغ في تذمره من أشياء تافهة، أو إن هو شعر بالإثم دون أن يأتي في الواقع بما يسيء لأحد. في أحيان كثيرة يتوقع المراهق القلق أن يفشل ويعتقد أنه يستحق الفشل في موقف مشحون بمقومات نجاحه، كما أنه قد يكون مفرطًا في حساسيته فيبدي ضيقه من مديح أو تودد بسيط. والعادة أن يتوقع المراهق القلق الكثير أو حتى المستحيل من نفسه. ويبدي قدرًا كبيرًا من عدم

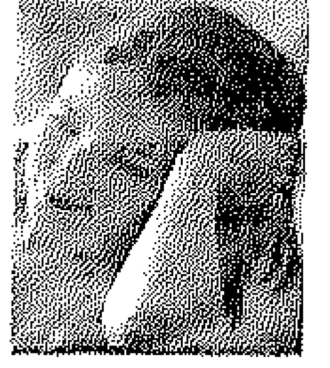
الاستقرار والاضطراب السلوكي. بالإضافة إلى ذلك يعبر المراهق عن قلقه إذا تفاقمت أزماته الشخصية وانتقل من مشكلة إلى مشكلة، أو عادى الناس دوما مسوغ أو انقلب من الود إلى القسوة أو من الأمانة إلى اللصوصية. وعلى أية حال فإن لسلوك المراهق القلِق منطقه الخاص على الرغم مما يبدو عليه من التفكك والبُعد عن المنطق.

**المراهق.. يحتاج إلى الإرشاد:**

إن الأب والأم مطالبان في القيام بإرشاد الأبناء في عمر المراهقة إلى ما هو صواب وما هو خطأ. ولابد للآباء من الالتزام بضرورة إرشاد الابن أو البنت إلى السلوك المعقول، لا لأن الآباء يريدون السيطرة ولكن لأن الآباء يعرفون جيدًا بأن المراهق تنقصه الخبرة. ويرى المراهق في الوقت نفسه أن إرشاد الوالدين هو نوع من السيطرة مهما كان هذا الإرشاد ضروريًا. ويقع بعض الآباء في الخطأ عندما يتشددون في بعض الأمور ويتساهلون في بعض الأمور دون منطق ما. وهكذا يجد الشاب ما يمكن أن يتهم به الآباء بعدم المعقولية في الإرشادات.

إننا يجب أن ننظر إلى المراهق كإنسان له جوانب قوة وله جوانب ضعف، لأن هذه النظرة الإنسانية يمكن أن تضمن لنا فهم المراهق كإنسان يعاني من حقيقتين متناقضتين.

الحقيقة الأولى هي: إحساس المراهق بأهمية اعتماده على الأب والأم.. والحقيقة الثانية هي: عدم الثقة في نفسه كإنسان يمكن أن يكون ناضجًا رغم رغبته التامة في الاستقلال عن الكبار.



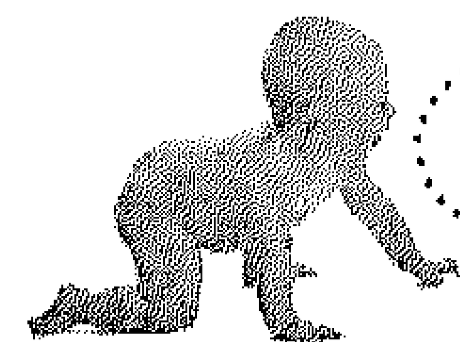

وما أن يبدأ الطفل في ولوج سن المراهقة حتى "نفاجأ" نحن الآباء والأمهات بأنه يقدم لنا أكثر طلب يومي لاعتباره كائنًا ومستقلاً له كرامة وأنه جدير بذلك وأن الاستقلال حق له وأن احترامه مسألة مقدسة وأن له قرار اختيار المستقبل.

إن المراهق إنسان يصر على الحرية والاستقلال ويعامل الوالدين كمعاملة حركات المقاومة للدولة الاستعمارية. إنه يناقش ويفاوض يحارب على جبهتين في وقت واحد. الجبهة الأولى هي جبهة عدم استقراره على الثقة بنفسه وتردده والمخاوف التي تملأ أعماقه من الحرية، والجبهة الثانية ضد الكبار.

وإذا لزم الأمر - فإنه يطلب الاستقلال. وإذا قررنا نحن الكبار أن نعطيه الاستقلال فجأة، فإننا نلاحظ أنه يرفض هذا الاستقلال لأنه "ممنوع" وليس "مغتصبًا". إن يفضل أن "يغتصب" استقلاله منا. ويفضل أن يكون بطل حرب تحرير محدودة على أن يكون إنسانًا يمنح الاستقلال فجأة ودون سابق إنذار. وعندما نعطيه الاستقلال المفاجئ يبدأ في الخوف وفي التساؤل عن المساعدة، وإذا قلنا لنا: "أنت في حاجة إلى مساعدتنا"، فإنه ينكر ذلك بشدة وبعنف. وعلى الأم أن تلاحظ أن ابنها في الخامسة عشر يعتمد عليها في إعداد الإفطار وفي غسيل الملابس. رغم أنه يصر في كل دقيقة على أنه قادر على الاعتماد على نفسه. وكذلك الفتاة بنت الخامسة عشرة.

**ملاحظة**

المراهق إنسان.. يبحث عن النضج ومهمتنا هي توضيح الطريق والإرشاد. فالمراهق يحتاج إرشادنا ويتمناه.. بشرط أن نقدمه له بصداقة.



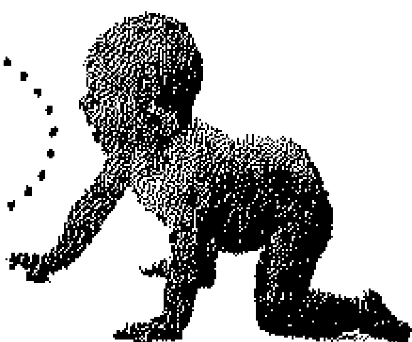


فالمراهق دون سن العشرين "يظن" أن الكل لابد وأن يكون في خدمة رغباته وخدمة استقلاله. وهذا تعبير عن القلق العظيم الذي يعيشه المراهق. إنه قلق بين ضرورة تحقيق الاستقلال وبين رغبته الدقيقة في أن يعامله الأبوان كطفل صغير.

إن المراهق يملك إحساسًا عميقًا بضرورة التأثير المنهمر من المجتمع، وهو لا يتقبل نفسه بحسناته وسيئاته كما يحدث بالنسبة للطفل، ويحاول بكل جهده أن يعرف رأي الآخرين في صفاته الحسنة أو صفاته الرديئة. وهو يريد أن يكون مثاليًا، باهرًا، لامعًا، ويرغب في أن يعرف الجميع أنه جذاب وقارئ ذو بصيرة نافذة، يجيد أكثر من مهارة. إنه باختصار يريد أن يصعد إلى أكثر من قمة في وقت واحد. ويريد المراهق أن يكون بلا عيوب، فالواحد منهم يشعر أنه إنسان مثالي له أهداف عالية وسامية ويريد أن يفرض نفسه إنسانًا قادرًا على تطبيق المثل العليا. ولهذا نجد الإنسان تحت العشرين يحاول أن يظهر للآخرين أنه محيط بالعالم وأنه يعرف الكثير، لكن الحقيقة هي أنه لا يعرف كثيرًا.

**مكــان خــاص**

في هذه المرحلة من حياته، يُظهر المراهق حياءً بارزًا، وغالبًا ما يُطالب بمكان حميم خاص به، يستطيع فيه أن يواجه وحده جسمه الذي يُدهشه أو يُقلقه. وينبغي أن يحترم الأهل رغباته التي تكون طبيعية. ويجب ألا يتعجب الوالدان من تمضية ابنهما أو ابنتهما نصف ساعة في الحمام. مقابل ذلك، عليهما أن يحرصا على احترام مكانه الحميم، وأن يمنعا الأخوة والأخوات الصغار من دخول غرفة أخيهم الكبير أو أختهم الكبيرة في كل وقت.



إنه دائمًا يكتشف أن له مشاعر وليدة، تتفجر فيه دائمًا أحاسيس جديدة. ولا تظهر هذه المشاعر والأحاسيس إلا بالمناقشة. وتتفجر لديه الطاقة الجنسية. ويحاول أن يضبط هذه الطاقة ولا يجد في نفسه سوى الحزن لئلا يفشل في ضبط هذه الطاقة الجارفة أو يسعد ويمارس اللذة بهذه الكآبة لكنه أيضًا لا يستطيع أن يضبط مسارها.

إن القلق الذي يصاحب فترة المراهقة هو قلق عظيم وقاس، لأنه يخاف من عدم القدرة على النضج. أعماقه تنادي الأبوين طالبة المزيد من الرعاية وأعماقه أيضًا تطالب بالاستقلال. ويخفي قلقه بالشكوى التي تكون بدون سبب واضح، تلك الشكوى التي يقول فيها المراهق عادة: "أسرتي لا تمنحني حريتي كاملة". فالمراهق لا يريد أن يقول أنا خائف من عدم اعتراف المجتمع بي كإنسان ناضج. ولا يريد أن يقول أنني أعاني من الخجل لأني أخاف اقتحام المجتمعات. ومن الصعب على أي إنسان أن يتهم نفسه، لذلك يتهم المراهق الكبار، والكبار دائمًا. ويحاول أن تكون له بعض الطلبات التي لا يمكن أن يوافق عليها الكبار، كأن تسهر الفتاة خارج المنزل أو أن يسوق المراهق سيارة الأسرة بمفرده، وعندما

**المراهق يعرف**

- أنه ما زال إنسانًا في طريقه إلى النضج لكنه لم يصل بعد إلى النضج.
- أن التصرف المتزن يؤكد احترام الآخرين له ويحقق له راحة الضمير والثقة بالنفس.
- أن مظاهر الحب بينه وبين والديه تأتي عن طريق وضع الآباء لبعض القواعد التي يجب أن يلتزم بها المراهق نفسه.

يـرفض الوالـدان ذلـك تكون النتيجة النهائية هي أن يجد المراهق هدفًا لثورته على الأبوين.

قد يقـول بعض الآبـاء والأمهات أليس هناك حل يمكن أن يحول بين المراهق والثورة على والديه؟

وأنا أقول أن عليهم أن يعرفوا أن هذه الثورة عادة بدون أسباب حقيقية وأنها مجـرد تطـرف ولذلك لابد للآبـاء والأمهـات مـن الإصرار على مواقفهم في ضرورة التمسك بأساليب التصرف المتزنة دون أن يدخل الأهل في دوامة القلق والتشتت.

## ثالثا - الحاجـة إلى مثـل أعلـى

إن الطفـل مـن عامـه الثالث إلـى الخامس يمر برحلة استكشاف لعاطفته حين ينظـر إلـى الجـنس الآخـر. إنـه يلعب دور الأب أو الأم. وتلعب الفـتاة مع دميتها على أسـاس أنهـا طفلتها. يجلس الولد مـع طفلـه الوهمي ليحدثه عن المستقبل والألعاب الـتي سيشـتريها لـه. تتعلق البنـت بوالدهـا وتعده بـأن تتزوجه عـندما تكبـر. يتعلق الطفـل بأمـه ويعدهـا بأنـه سيتزوجها عـندما يكبر. والأولاد والبنـات يحـاولون أثناء اللعب أن يكتشفوا دور الجنس في الحياة. وتقـول الدراسات النفسية أن الأطفال في عمـر الخامسـة أو السادسـة يعـانون بعـض القلـق والإحسـاس بالذنـب مـن أجـل الاهـتمامات الجنسـية، لأن الآبـاء يقولـون أن "هـذا عيـب وهـذا حـرام" وأيضًـا لأن الطفـل يشـعر بنوع من المنافسة مع الأب وتشعر الفتاة بمنافسة الأم. وهناك السبب الثالث والـهام وهو أن الولد يتساءل بينه وبين نفسه لماذا تلد المرأة والفتاة تسأل



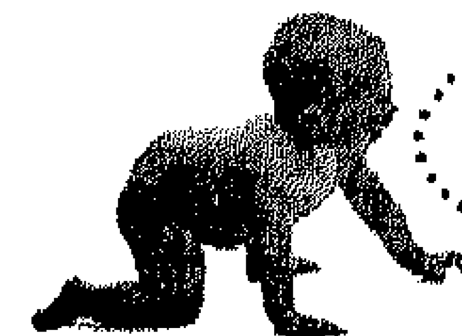


بينها وبين نفسها لماذا ينعم الولد بقضيب وهي لا تنعم بمثله؟ ويرى الأطفال أن الجنس خطير نوعًا ما وتدور في رؤوسهم آلاف الأسرار الضارة. لذلك لابد من طرد مثل هذه الأفكار. وطبعًا يتم كبت هذه الأفكار من العام السادس حتى العام الثاني عشر من العمر عند اقتراب البلوغ عند الفتاة. وتم قهر هذه الأفكار حتى العام الثالث عشر عند الولد. وفي التاسعة أو العاشرة نجد أن رأي كل جنس في الآخر أصبح سيئًا. البنات يثرن نفور الأولاد والعكس بالعكس. والولد يبدو خشنًا والفتاة تبدو رقيقة.

**ظاهرة التشبه والمماثلة**

يشعر المراهق، على أثر مجابهته مواضيع كثيرة محيِّرة ومشككة، بحاجة ماسة إلى المماثلة، وهذا ما يحمله على الإعجاب والشغف بشخصيات بارزة من عالم الفن أو الرياضة مثلًا يتخذها له مثالًا، وهذا المثال يكون بعيدًا عن المراجع العائلية. ويجب أن نفهم أن هذا المراهق يخضع، بفعل عملية البلوغ، لطائفة من التغيرات لا يختارها في الواقع. وهذا الأمر يضطره إلى اتخاذ أدوار متنوعة، أو إلى التشبه بعدة شخصيات. وينتهي في آخر المطاف باختيار الذي يناسبه.

ويؤكد هذا التنافر أن الجنسية في النضج حتى يصاحبها انفتاح ذهني عميق وينهار حاجز الكبت في أعماق كل جنس رغبة في استكشاف الجنس الآخر. وما أن تبدأ الغدد الجنسية في النضج حتى يصاحبها انفتاح ذهني عميق وينهار حاجز الكبت في أعماق الشباب أو الفتيات ويحاول الشاب أن يتجاهل مشاعر الجنس، وكذلك تحاول الفتاة ولكن بلا طائل. إن الإحساس متوتر والانفعالات مثيرة والإحساس بالذنب يلاحق الأعماق، وهكذا نرى أن الجنس ليس عامل سعادة عند



المراهق بل إنه يسبب المشاعر المتناقضة. المتعة والقلق، السرور والذنب. ونجد أيضًا هذه المشاعر تعزل الرغبة في الحب الناضج والاستكشاف الحقيقي للجنس الآخر ومدى القدرة على أن يكون هناك مستقبل مشترك.

نجد أن كل هذه الرغبات لا تنمو بالوتيرة نفسها في أعماق المراهق إنما هي تنمو بصورة غير متكاملة.. فنجد الشاب يحاول العثور على الراحة في الصداقة مع فتاة ثم نجد في الوقت نفسه هذا تزاحم البنات المراهقات حول مطرب إنما هو تعبير صامت عن الأنوثة. إن الأنوثة تبدأ في اكتشاف نفسها من خلال أحلام اليقظة. ممثل صامت قوي. ممثل مليء العضلات ممشوق الجسد. شاب حالم وآخر يتفجر بالطاقة. إنها تترك كل شيء للحلم. إن هذا "البطل الوهمي" لا يمكن أن يقاومها في الخيال. وهكذا الأمر أيضًا بالنسبة للشاب. ويلجأ المراهق إلى تفضيل أسلوب الرواية على أسلوب الواقع إلى أن ينضج ويدخل في تجارب حقيقية.

المراهق أو المراهقة يقدسان الصداقة.. إن الصداقة تنمو من خلال الهواية في هذه الفترة من العمر. تجد الشاب يختار صديقات له يشاركنه القراءة أو الرياضة ويوجه النقد نفسه إلى المدرسين وأن مستقبل كل منهم محدد ومتشابه.. وتختار الفتاة أيضًا صديقا لها يشاركها الهوايات والميول ذاتها. ويثير ذلك قلق الآباء ولكن لماذا لا نحاول أن نؤكد في نفوس الشباب والبنات المعاني الجميلة للصداقة.

والحقيقة الأساسية الواجب تفهمها: أن المراهق يحتاج إلى التوجيه والصداقة وأن نرسم معه الحدود وأن نحاول دائمًا تشجيعه على النجاح والانطلاق.



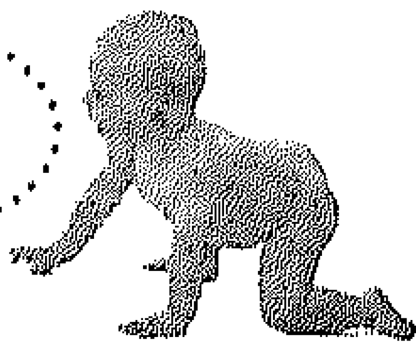
فليس الخوف على المراهق أو المراهقة من الإعجاب بمطرب أو نجم، ولكن الخوف من أن يهمل واجبه ونموه وأن يتغاضى الآباء عنه ليتركوا له الحبل على الغارب تحت اسم الحرية أو أن يتزمت معه الآباء فيقتلوا موهبته.

إن المراهق يختار المثل الأعلى في البداية من جنسه نفسه. ثم يتدرب على الحب ثم ينتقل إلى التمرد على الكبار ثم يحاول أن يكتسب ثقة أبناء جيله. ثم




يعرف أن الحياة هـي تفوق في أحد الميادين ثم ينتصر أخيرًا على معاركه الوهمية ليكون إنسانًا واقعيًا يملك الخيال ويملك الواقع معًا.

لذلك أقول للآباء والأمهات، لا داعي للارتباك أو الخوف أو اليأس ولكن المطلوب هو الكثير من الفهم، والكثير من الصبر لنقتل اليأس، وسنتقبل بالثقة مستقبل الأبناء.



الفصل

11

# الحياة الاجتماعية للمراهق

الأسرة - الأصدقاء - مشاكل المراهقة



# الفصل الحادي عشر
# الحياة الاجتماعية للمراهق

تتزايد أهمية العلاقات الاجتماعية للمراهق بتقدمه من الطفولة إلى المراهقة، وذلك بسبب تشعب تلك العلاقات من جهة وازدياد تأثيرها في مجمل حياته وسلوكه الشخصي من جهة ثانية. فالمراهقة باعتبارها جسر الانتقال من الطفولة إلى الشباب، ومرحلة التحولات النمائية الحاسمة، تكسب علاقات المراهق بأقرانه، وعلاقاته الاجتماعية بصورة عامة، طابعًا خاصًا وتجعلها أكثر شمولاً وعمقًا.

## أولاً - الأسـرة

تشغل مسألة إقامة علاقات سليمة مع الأهل والراشدين مكانًا بارزًا بين المهمات النمائية الأساسية للمراهق. وليس من السهل على المراهق الذي اعتاد طيلة حياته السابقة أن يكون اتكاليًا، واستغرق مع أهله في علاقات أعطته دورًا ثانويًا، أن يتحول إلى ذات مستقلة قادرة على تحريك الأشياء بإرادتها. ولابد للمراهق، من أجل ذلك، أن يحقق أولاً استقلاليته عن والديه وعن الراشدين وأن

يقيم تقييمه المتكامل لذاته أن عليه بلغة مجازية، هجر أرض والده، والبحث لنفسه عن أرض جديدة يبني عليها وجوده الخاص.

إنه من الطبيعي جدًا أن يمر المراهق بمرحلة يكفّ خلالها عن النظر إلى والديه وكأنهما مثاله الأعلى، بل يصبحان مجرد أناس مثل بقية الناس، وعندما يحصل الاحتكاكات السلبية والتشنجات بين الأهل والولد، وهي ناتجة عن اختلاف جذري في وجهات النظر: فالوالدان يتطلعان إلى أمور عديدة (مثل ترتيب الغرفة أو الذهاب إلى حفلة أو تحديد ساعة العودة إلى البيت أو القيام بالفروض المنزلية) كأمور ذا أهمية مشتركة لكل الأسرة، بينما يتطلع المراهق إلى هذه الأمور كأمور شخصية بحتة ولا يحق لأحد أن يتدخل بها.

كذلك فإن الأزمة القائمة بين الجيلين تعود أيضًا إلى طبيعة التغيرات الحاصلة في كل من الجيلين: فبينما يقف المراهق أمام مستقبل من دون حدود ومتعدد الخيارات، يقف الوالدان أمام أمر يتطلب التكيف وهو أن نصف حياتهما انتهى ومستقبلهما أصبح محدودًا والخيارات تقلصت.

وهكذا، فإن الضغوطات المفروضة على كل من الجيلين تعمل في اتجاهين معاكسين: فالوالدان لا يفهمان لماذا لا يرغب ابنهما بالمشاركة في النشاطات العائلية ويفضل رفقة أصحابه، إنهما لا يفهمان أن المراهق لا يقدّر أن والديه يرغبان بالمحافظة على الروابط العائلية القوية لأن وقت الأبوة أو الأمومة سوف ينتهي قريبًا بالنسبة إليهما، من المهم أن نتذكر أن عبور الطفل فترة المراهقة واقترابه من سن الرشد ليس مجرد عملية انفصال عن الأهل، بل هي عملية تمزج

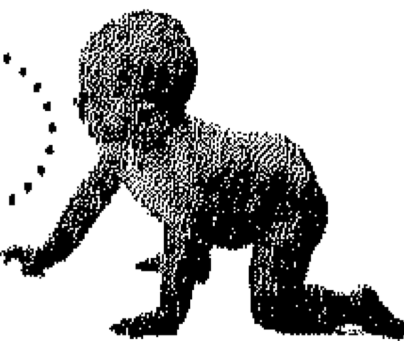


بين المشاركة والاستقلالية، وتتميز بتدن تدريجي لسلطة الوالدين من دون أن تنقطع الروابط بين الأهل والأولاد.

**الاهتمامات المشتركة بين المراهق والأهل:**

يستمر المراهق في طلب النصح والمشورة من والديه في الوقت نفسه الذي يجهد فيه للاستقلال عنهم. وعلى الرغم من رغبة المراهق في تأكيد استقلاليته، فإنه لا يظل يسعى إلى الراشد يطارحه همومه وآماله ومشاكله. ويبدو أن الاستقلالية الحرة تتكامل مع قدر من الدعم النفسي من جانب الآخرين. وإنه لمن دواعي الغبطة للوالدين أن يريا مخلوقًا جديدًا يتفتح بعيدًا عنهما تفتحًا يحتفظ بالكثير من سمات الماضي، فيسعد الوالد إذ يرى طفل الأمس النحيل القصير يطول بحيث تزيد قامته الآن عن قامة والده وقد تشتد سعادة الوالدين على وجه الخصوص عندما يلح المراهق على تأكيد حقوقه وامتيازاته وعلى أن يكون له صوت مسموع في الأمور المالية للأسرة، وعلى أن يطرح خططًا للمستقبل تقذف به بعيدًا عن جو الأسرة.

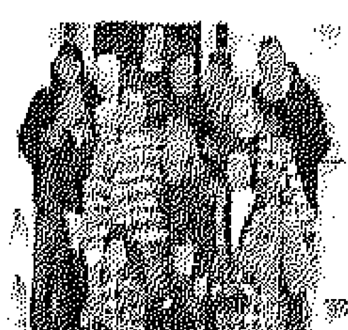
تجدر الإشارة إلى أن نزعة المراهق إلى تأكيد ذاته قد تبعث السرور في قلب الوالد الذي تتصف شخصيته بواقعية تدفعه لتقبل مجريات الحياة. إلا ن بعض الأهل، أو جميعهم أحيانًا يشعرون بالضيق والقلق ويعجزون عن تقبل التغيرات الكبيرة في شخصية المراهق. فقد يخصص الوالدان المال لإرضاء الحاجات المتزايدة للمراهق لكنهما يجدان نفسيهما في حال من التمزق والعجز عن إفساح المجال له لشراء الأزياء الجديدة. قد لا تخلق تلك التفاصيل المتاعب المالية

للأسرة، لكنها قد تجر الأسرة إلى القلق بصدد القيم الخلقية التي تخشى تدهورها. إن بعض الراشدين الذي يضعهم القدر في موقع الإشراف على المراهق مراهقون أنفسهم، ويعانون الكثير من ضروب الصراع والمشاكل المعلقة المترسبة من مرحلة طفولتهم ومراهقتهم هم. فقد يجد الوالد نفسه أن عليه في فترة مراهقة ابنه، التساؤل عما إذا كان هو استقلالي الرأي والتفكير، أو عما إذا كان يشك بصحة أحكامه ويحس بالحاجة للتعلق كالأطفال بالآخرين، أو يسعى إلى دعم الآخرين. وعلى الراشد في محنته مع ناشئه أن يحاول فهم نفسه بعد أن كان قد أغلق أبوابها فترة طويلة. وعلى أية حال فإن محاولة التعرف على مشكلات المراهق الواقعية وتجربته في تحقيق الذات قد تمكن الراشد من رؤية نفسه في مرآة جديدة وتعمق فهمه لذاته وللآخرين من حوله.

**أثر الرفض والقبول:**

يلقى تقبل الوالدين للمراهق أو رفضهم له أثرًا كبيرًا على شخصيته. وقد يكون تقبل المراهق خير غذاء لنمو ذاته على حين أن الرفض يعرقل عملية النمو وقد يقضي على تطلعات المراهق ومطامحه الشخصية. إلا أن التقبل ليس بلسمًا يشفي كل مشاكل الطفل. فالكثير من المعلمين والأهل يرغبون في تقبل المراهق لكنهم يجهلون كيف يحققون التقبل المشار إليه. وقد ينتهي الراشد في محاولته لتقبل المراهق، إلى الوقاية المفرطة أو التدليل المفرط اللذين يعبران في جوهرهما عن تسلط أعمى ورفض أخرق. للرفض أكثر من سبيل أخطرها التدليل المفرط الذي يعطي المراهق الحق في أن يكون دومًا على صواب، وفي أن يدير شؤون البيت.



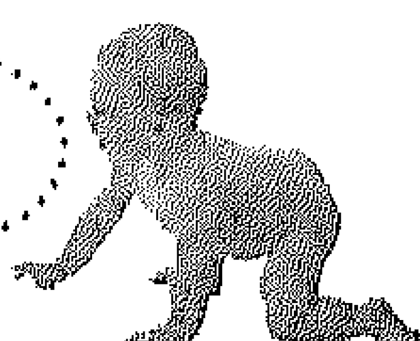
يعيق التدليل المفرط تصحيح أخطاء المراهق ويؤدي بالنتيجة إلى خضوع الوالدين لنزوات طفلهم المدلل. وما من شك في أن التعاطف الذي يقبع في أساس التدليل المفرط هو تعاطف مزيف يجده الأهل ذريعة للتسلط على المراهق والتحكم بمصيره. وهذا التسلط يحير المراهق المدلل وينزل به أبشع صنوف الغبن. فإن رفض الأهل طفلهم صراحة أو تسلطوا عليه تجبرًا، وجد المراهق مسوغًا للثورة عليهم، أما إن ارتبط التسلط بالتقبل المزيف والحب المرضي، كان من الصعب على المراهق محاربته.

**تحاشي الأحكام الجاهزة**

طبيعي أن يستمر الأهل في التعبير عن آرائهم حول أعمال ولدهم ومواقفه. إنما من الخطأ إصدار الأحكام بالنظر إلى مظهره أو مسلكه أو ردات فعله اليومية. فالمراهق الذي يختلس شيئًا زهيد القيمة من مخزن، لا يصبح بالضرورة سارقًا، وكذلك التلميذ الذي فشل في الامتحان، قبل بضعة أسابيع، لا يكون بالضرورة كسولاً. إن إطلاق مثل هذه الصفات والأحكام على شاب يحاول البحث عن ذاته ويتساءل من يكون، يمكن أن يولّد استنتاجات مؤذية، ويحمل المراهق على أن يُردد: "أنا سارق إذًا، وكسول؟ فليكن". وهكذا يقع سوء التفاهم بسرعة.

## فطام المراهق:

إذا كان مهمًا لطفل الأمس أن يفطم من اتكاليته العضوية على ثدي الأم، فمن المهم أيضًا لمراهق اليوم أن يفطم من اتكاليته النفسية والعاطفية على والديه.



ويسمى الفطام النفسي الأخير بالخروج، وهو من المهام الصعبة التحقيق سواء بالنسبة للآباء أو للأبناء. فمن الأبناء من لا يرغب في الفطام والتخلي عن اتكاليته السابقة، ومن الآباء من لم يفطم بعد، فبقي رشده يتكل على الدعم العاطفي للراشدين الآخرين، ويسعى إلى جذب انتباههم واستحسانهم. ومن لم يفطم من الآباء عاجز في كل الأحوال عن مجابهة مشكلة فطام ابنه وتحوله إلى شخصية مستقلة قادرة على اتخاذ القرارات الصعبة عند تعرضها للمآزق والمشكلات.

يختلف الفطام اختلافًا كبيرًا عن الثورة والتمرد. فقد يثور الناشئة ممن لم يفطموا بعد، ويتمردون على والديهم ويفعلون نقيض ما يعتقدون أن والديهم يرغبون منهم أن يفعلوه بهدف التعبير عن رفضهم لتسلط الوالدين وغضبهم منهم. ليس من يثور ليغضب والديه رجلاً استقلاليًا على الإطلاق.

والخروج الحق يتمثل بالاستقلالية والقدرة على اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية وليس بالثورة على الوالدين أو بالفعل الذي تشوبه مشاعر الإثم والندم ويتعارض مع المعايير والقيم الاجتماعية. وعلى الوالدين أنفسهم أن يعملوا على تنمية الاتجاهات الاستقلالية لدى أبنائهم لكي يتمكن هؤلاء من الخروج إلى ساحة المجتمع الكبير ومجابهة المشكلات التي تعترضهم بصلابة وحزم.

**مصاعب الأهل في خروج المراهق:**

لا يعد الخروج مشكلة للمراهق صبيًا وبنتًا فحسب، بل إنه يؤدي إلى قلق الوالدين أيضًا. فمن العسير على الوالدين ترك الطفل يخرج وحده ويختار طريقه

في الحياة بعد سنوات من السيطرة بدأت بالرضاعة، خاصة وأن عادة الأهل في مراقبة المراهق قوية عميقة الجذور، لا يقوى الأهل على مغالبتها إن هم لم يفكوا تدريجيًا القيود التي وضعوها على المراهق بحيث يتدرج الأخير في تحقيق الحرية والتوجه الذاتي.

تعمل ظروف الوالدين الشخصية على زيادة مصاعبهما فيتقبل خروج المراهق. فالأم التي كرست كل وجودها لولدها ينتابها القلق عندما تشعر أنها فقدت رسالتها في هذه الحياة. والوالد الذي حقق أسمى لذاته في تنشئة ولده يضطرب عندما ينطلق هذا الأخير في دربه وحيدًا. يصعب الأمر نفسه على الوالد الذي يلاحقه شعور مرير بالإثم لاعتقاده أنه كان مقصرًا تجاه ولده ولم يتمكن من تلبية مطالبه. وستسوء حال الوالدين اللذين اعتادا أن يتلقيا الدعم العاطفي من ولدهما كثيرًا من جراء خروجه وسيتعرضان للضياع والتمزق بعد أن فقدا أملهما الوحيد في هذه الحياة.

أخيرًا، تجدر الإشارة إلى أن من الوالدين من يحس بتدهور شبابه إزاء تفتح شباب ابنه فيأكل الحسد قلبه دون أن يجرؤ على التصريح بذلك. يؤدي خروج الولد عن إرادة والده في تلك الحالة وخضوعه لإرادة الشريك من الجنس الآخر إلى ازدياد خيبة الوالد بولده.

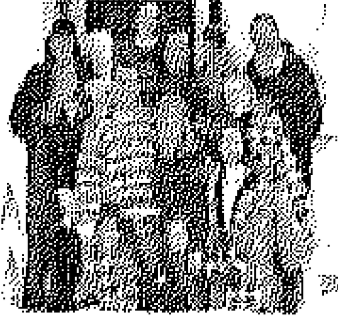
### ماذا يحب المراهقون وماذا يكرهون في أهلهم:

لا تختلف الصفات التي يحبها المراهق في والديه عن نظيرتها التي أحبها فيهم في عمر مبكر. فالمراهق يحب أن يتقبله والده كما هو، وأن يعامله بعدل

ويحترم شخصيته المستقلة. وعلى الرغم من تشعب اهتمامات المراهق خارج المنزل، وتعدد خططه المستقبلية والخاصة، فإنه يتلهف إلى المناسبات التي يستطيع فيها أن يؤكد ولاءه العائلي ويحققه بشكل حي مشخص كالمشاركة في الاحتفالات العائلية وتبادل الهدايا مع أفراد الأسرة وغيرها. إلا أن المراهق قد يرفض أمورًا كثيرة في أهله. أشارت إحدى الدراسات التي تناولت الصراع بين المراهقين وأمهاتهم إلى أن 60٪ من المراهقين قد اعترضوا أو كرهوا في الأم:

1. تأنيبها للولد لعدم مراعاته آداب المائدة.
2. انتقادها للعادات الشخصية.
3. مقارنتها أحد الأخوة بالآخر ودعوته إلى التشبه به.
4. متابعة نتائج امتحانات ولدها وتوبيخه بسبب نقطه المنخفضة.
5. اعتراضها على السهرات الليلية مع الزملاء.
6. تدخلها في الشؤون المالية لولدها.
7. إكراهها الولد على تناول أطعمة لا يحبها.

هذا بالإضافة إلى صراعات أخرى بصدد تدخل الأم في اختيار مهنة المراهق، وإصرارها على متابعة دراسته. والطريف في هذه الدراسة أن تذمر الفتيات من الأمهات فاق تذمر الفتيان. فبالإضافة إلى النواحي المذكورة تذمرت الفتيات من تدخل الأم بطريقة لباسهن وبعلاقاتهن الشخصية مع الأصدقاء والصديقات.



تشير الدراسة السابقة إلى ميل الأمهات للاهتمام بمشاكل البنات أكثر من اهتمامهن بمشاكل الصبيان. ربما رجع قلق الأمهات على بناتهن إلى خوفهن من عجز الفتيات عن اختيار الزوج الملائم، أو عجزهن عن الهرب من المآزق التي تعترض مسلكهن مع الصبيان. وعلى العموم، لا تبدي الأمهات ثقة كبيرة ببناتهن ولا بقدرتهن على تحمل مسؤوليات ذواتهن بحرية، وهو أمر يتعارض مع الحركات الاجتماعية والسياسية التي حققت قسطًا كبيرًا من حرية المرأة وما زالت تدعو إلى تحقيق المزيد منها.

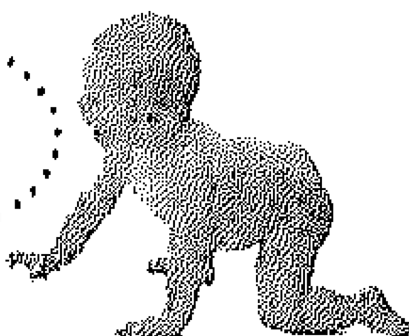
**ملاحظة**

ينبغي أن تقبلي بأن يكون ابنك (أو ابنتك) مختلفا عن الشخص الذي تمنيت أن يتجسد به. فكل أم (وكل أب) تغذي خفية ولاشعوريًا مجموعة من الخطط والمشاريع لأولادها. ولكن يجب أن تدرك بأن المراهق يميل إلى تحقيق مشاريعه الخاصة به، ويتمنى أن يكون مقبولاً ومحبوبًا بما هو عليه.

## علاقة جيدة مع الآباء... كيف؟

يندهش الآباء من نقد الأبناء، أن الأب قد يثور وقد لا يتقبل انتقاد ابنه له. وقد يتفجر الأمر بين الاثنين فيخرج الابن من المنزل. وهذا ما قد يحدث بالفعل.

والأبناء يرفعون الصوت بالشكوى من جمود الآباء عندما يرون أن الآباء لا يدرون بحركة العصر الحديث. والأبناء يتهمون الآباء بقائمة طويلة من الاتهامات. يقول الأبناء مثلاً إن الآباء متسلطون ويرغبون في التحكم في كل تفاصيل الحياة

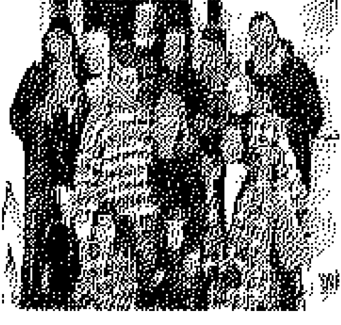


وإنهم فاقدو الثقة في قدرات الأبناء على التعامل مع كل أزمات الحياة بدءًا من أزمات الدراسة مرورًا بأزمات الصداقة إلى أزمات العلاقة مع الجنس الآخر. كما يتهم الأبناء الآباء بأنهم كثيرو الإلحاح بدون داعٍ على موضوعات معينة، وهم دائمو التهجم والعبوس وخصوصًا في أي أمر يخص العلاقة بين الأب والابن.

ودعوني أقول إن جزءًا من اتهامات الأبناء للآباء صحيح، هذا إذا ما درسنا الواقع جيدًا. فالواقع يقول إن الوالدين نادرًا ما يمنحان التقدير الكافي لقدرات أبنائهما المراهقين. ودعوني أقول إن الآباء ينسون في معظم الأحيان كيف كانوا يشعرون هم أنفسهم أيام الشباب، ولابد من الاعتراف أن السبب الأول لعصبية الوالدين تجاه ما يفعله الأبناء المراهقون هو عدم تذكر الآباء والأمهات للمشاكل التي عانوا منها وكيف انتصروا عليها فهم يتذكرون فقط المشاكل التي عانوا منها وفشلوا فيها ويريدون تجنيب الأبناء مثل هذا الفشل.

والآباء، تحت ضغط وسائل الإعلام المعاصرة، صاروا يعرفون الكثير عن انحرافات الشباب، لذلك قد يضغطون بعنف على الأبناء بالمخاوف. وينسى الآباء أن الأبناء الذين ينشأون في أسر متحابة لا يقعون في انحرافات العصر الحديث، وأن الأبناء هم في عمر التفاؤل بقوة العمر والآباء هم في عمر التشاؤم تحت ضغط العمر.

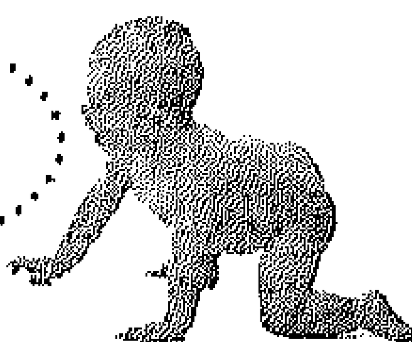
إن سلوك الأبناء مختلف بالتأكيد عن سلوك الآباء. فالشباب يحبون أن يفعلوا بعض الأفعال بارتجال لإظهار قدرتهم على التحدي وتحمل مسؤوليات هذا التحدي والآباء يخافون من غدر الزمن، لذلك تراهم يخططون لكل شيء لأنهم



يخـافون أن يباغتهم شيء صعب. إن حياة الآباء تسير أمام أعينهم كنهر هادئ ولا يـريدون لحـادث مـا أن يعكـر الصفو. ولذلك أتوجه للشباب بالقول: "إذا أردت شيئًا مـن الكبار فعليك بالتمهيد لـه، فإذا أردت أن تقـترض سيارة الأسرة مثلاً، فلابد مـن المقدمـات، وغالـبًا مـا سـوف تـنجح. صحيح أن والـدك سيقول لـك إن كل مـن يعـرفهم مـن الشـباب يقود السيارة بسرعة تزيد عن المائة، ولكن الصحيح أيضًا أنه يسعد عـندما تـأخذ السـيارة وتعـود بهـا سليمة. إنـك بذلـك تـنمي ثقته فيك بشـكل كبير".

والآبـاء أيضًـا يـنزعجون عـندما يقـول لـهم أحـد الأبـنـاء: "لن أدخل الامتحان الـذي سـتجريه المدرسـة أو الكلـية في منتصـف العـام، لأنـه امـتحان لا تعطـى علـيه درجـات ولـن يؤثـر علـى نتيجة آخـر السـنة". إن الأب بذلـك يـرى أن الابـن لم يقـم بواجـبه كـاملاً لذلـك يخـاف مـن الامـتحان. وعـلى الابـن ألا يتمسـك بعـدم بعـث الاطمئـنان في قلـب والديه لأنـه بذلـك يوجـه لـهمـا الدعـوة للتدخل في حياته بشـكل مزعج لـه ولـهمـا أيضًـا.

وعلى الآبـاء أيضًـا أن يتعاملوا بـرقة مـع أسـلوب اختيار الأبـنـاء للزي أو قص الشـعـر بشـكل معـين أو سمـاع الموسـيقى الحديـثة. هـذه الأمـور لا يـنـبغي أن يـتوقف عـندهـا الآبـاء كـثيرًا لسـبب بسيط هـو أن الدافـع الـذي يحـرك الأبـنـاء للبحـث عـن التمـيـيز في أسـلوب قـص الشـعـر أو اسـتعمال ملابـس معيـنة عـلى أحـدث موضـة أو سمـاع موسيقى صاخبة هـو الرغبة في الاسـتقلال، هذا التمـايز وراءه رغبة الأبـنـاء في



أن يقولوا لنا نحن الكبار، لذلك نحن نؤسس مجتمعنا الصغير بموسيقاه وزيه المميز وموضات قص الشعر الجديدة.

وفي بعض الأحيان يفتعل الأبناء التمرد والكبرياء تجاه وجهات نظر يعتقدون أنها صحيحة لكنهم يرفضونها لمجرد أنها صادرة من الكبار. إن الابن يتمرد هنا حتى لا يظهر أمام نفسه كخائن لأفكار جيله الذي ينتمي إليه.

ولكني أقول لمثل هذا الابن: "دع عنك هذا الإحساس واحتفظ بتمردك لما هو أكبر من التفاصيل. إنك تستطيع أن تضيف لمجتمعك وجيلك بأن تبحث في تحديات علوم العصر. وإذا جاءك رأي تراه صائبًا من والدك فاشكره عليه. إنك بذلك تمتلك القدرة على أن تقول لأبيك أن رأيه في هذا الأمر يعجبك، لكن رأيه في الموضوع الآخر لا يعجبك وأنك غير مقتنع به". ودعني أقول لك إن تمردك سببه سنوات طويلة من الطفولة قضيتها تحت سيطرة والديك. ومن الطبيعي من بعد ذلك أن تظهر درجة من التمرد. ولكنك إذا نظرت إلى الواقع بعمق ستجد أنك تقضي على الأقل من ثماني ساعات إلى اثنتي عشر ساعة كل يوم بعيدًا عنهما وفي احتكاك مع عالم الكبار من مدرسين وأناس كبار آخرين، وهؤلاء الكبار الذين تتعامل معهم يحترمون آراءك إذا ما كانت صائبة. وأنت بتعاونك مع الكبار تتدرب على أن تكون ناضجًا بالفعل. صحيح أن الكبار الذين حولك يوجهون لك النصح أحيانًا والنقد في أحيان أخرى، لكن الكبار يرضخون أخيرًا لرأيك إذا كان صائبًا. ووالدك ووالدتك سيفرحان لذلك، إنهما يفرحان بالتعامل مع الجزء الناضج منك أكثر مما تتخيل، لأن معنى ذلك أنك فارقت الطفولة ولم تعد كثير الشكاوي.

ولذلـك لا يجـب أن تفكـر في والديـك كسلطة يجـب أن تـتمرد عليها في كل صـغيرة وكبيرة، ولكن اجعل التعاون جزءًا من خطتك للوصول إلى مسؤوليتك عن نفسك. وستفاجأ بأن أهلك هم أكثر الناس فرحًا بقدرتك على تحمل المسؤولية، وستجد أنهم يسلمون لك بالسلطات التي تطلبها لنفسك.

والمسؤولية الدراسية هي أحد المعايير الهامة لتقدير الآباء للأبناء، فإذا كان الابن قادرًا على أن يؤدي مسؤولياته الدراسية دون إزعاج، فهذا أمر يعطيه أمام الكبار الفرصة الكاملة لإعلان أنه إنسان مسؤول عن ذلك وإذا كان الأمر في دراستك عكس ذلك، فهذا يعني أنك توجه الدعوة إلى الكبار ليتدخلوا في شؤونك لأنك تفتقد التقييم السليم لنفسك.

وهناك مسألة يعتبرها بعض المراهقين دليل حريتهم: إنه أمر العودة إلى المنزل في ميعاد محدد.

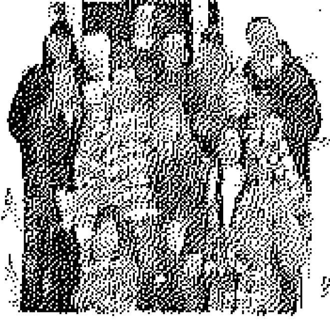
إن احترام ميعاد العودة إلى المنزل أمر مقدس بالنسبة للمراهق أولاً وأخيرًا، لأنه يوضح بما لا يقبل مجالاً للجدل أنه إنسان مسؤول عما يقول. وهو طريق متميز ليكسب ثقة من هم أكبر منه. قد يعتبر أنه من السخف أن يعتقد الكبار أن الإنسان الحسن هو الذي يعود في الميعاد وأن الإنسان السيئ هو الذي يتأخر عن الميعاد. ولكن ماذا إذا أخلف أحد الأصدقاء موعدًا معه؟ إنه يغضب منه ويعتبره إنسانًا غير مسؤول، فلماذا يجرد الكبار من هذا الحق الذي يعطيه لنفسه؟ ثم إن إخباره للكبار بميعاد يعطيهم الثقة في أنه إنسان مسؤول بشكل أو بآخر.

وهناك خلاف جوهري ينشأ بين الكبار والمراهقين: إنه خلاف التصور للأمور. فالمراهق الشاب – وكذلك المراهقة الشابة – تعيش تحت ضغط الرغبة في إثبات أنه على دراية كاملة بكيفية التعامل الاجتماعي وأنه يسيطر على واقعه تمامًا. إنه يعلن ذلك مع علمه بأنه يفقد بعضًا من المهارة في كثير من المجالات، وهو يحلم يوميًا بأن يكون منتصرًا وقادرًا لذلك يكره تمامًا أن يعلن أنه يعاني من افتقاد المهارة في مجال مَا. ولذلك فهو يكثر من اتهام الآخرين بأنهم السبب في فشله في المجال الذي فشل فيه. وأول هؤلاء "الآخرين" الوالدان بطبيعة الحال.

في حالة الحزن التي تصيب المراهق في بعض الأحيان نراه يلقي باللوم على والديه فهما السبب المباشر – من وجهة نظره في رفضه للتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، مع أن السبب المباشر هو حنينه إلى أيام الطفولة التي يفتقدها، ولكنه لا يجرؤ على مواجهة نفسه بذلك لأنه يكره أن يسلك سلوك الصغار.

أحيانًا يرغب المراهق في رفض دعوة ما لحضور حفلة أو للذهاب إلى رحلة ولذلك يجد العذر الفوري بأن يقول "لقد رفض والداي ذهابي إلى الرحلة أو الحفلة". إن سيطرة الآباء عذر جاهز لدى الأبناء. ولو أن الابن أراد الحضور فعلاً ومنعه لملأ الدنيا بالتذمر والضيق.

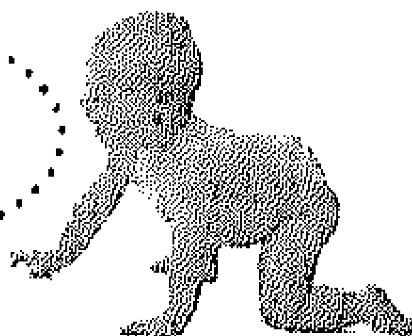
وهناك خوف آخر لدى المراهق: إنه الخوف من التحدي، فهاهو ذا أحد الشباب يذهب إلى والده ليقول له: "إنني أطلب الإذن بالذهاب إلى البحر لتعلم الغوص. إن المدرسة سوف تذهب إلى هناك، إلى نفس المكان الذي افترس فيه سمك القرش أحد الغواصين".



وبطبيعة الحال فإن الأب سيرفض، والحقيقة أن المسؤول عن هذا الرفض هو الابن الذي اختار كلمات معينة تدفع الأب إلى الرفض. لقد ذكر الرحلة منسوبة إلى حادث افتراس سمكة قرش لغواص!!

ويظل الحديث عن الأمور العاطفية والجنسية أمرًا شائكًا بين الآباء والأبناء، والنظريات تقول أن من مسؤولية الأب أن يحدث الابن منتهى الصراحة والهدوء، وأن يختار ألفاظًا واضحة وصريحة في كلامه عن العلاقة، بين الرجل والمرأة، والمسؤولية الناتجة عن تلك العلاقة. وفي الغرب يفترض العلماء أن يحدث الأب ابنه وأن تحدث الأم ابنتها ومعظم الآباء يجدون صعوبة في فتح مثل هذه الموضوعات مع الابن، لأن الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة مليء بمحاذير اختيار الكلمات المناسبة كما أن الابن قد يشمئز في أغلب الأحوال من أن يتحدث إليه والده في مثل هذا الأمر، لأن الابن يعيش وفي عقله الباطن روح التنافس التي كانت بينه وبين والده على حب الأم في الطفولة، وهو يخاف أن يكشف لأبيه أي شيء متعلق بسلوكه الجنسي. كما أن المراهق يقاوم بشدة فكرة أن والده قد احتضن والدته وأنجباه. إن الآباء في نظر الأبناء مخلوقات لا علاقة لها بالجنس، وهذا بطبيعة الحال ليس من الحقيقة في شيء.

والأب الذكي هو الذي يتخذ من مائدة الغداء فرصة للحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة وكيف يجب أن تكون، يتناول ذلك من خلال القصص المنشورة في الصحف أو من خلال أخبار الجيران أو العائلة.

والأم أيضًا قد تجد صعوبة في التحدث في مثل هذه الأمور مع ابنتها، ولكن عندما تختار الأم الكلمات المناسبة وتعلم الفتاة كيفية الاهتمام بنظافتها، والحديث عن الدورة الشهرية، فهذا يعطي الأم الفرصة الكاملة لتناول كل الموضوعات بمنتهى الصراحة.

وعلينا أن نعرف أن آذان الأبناء والبنات تكون مفتوحة عن آخرها لتلقي التعليمات التي تنزلق أحيانًا من أفواه الكبار عن العلاقة بين الرجل والمرأة. وعلينا أن نعرف أن الأبناء يكتسبون في عصرنا الكثير من المعلومات من خلال الكتب العلمية المباشرة، بالإضافة إلى تبادل الأحاديث مع الأقران.

وأريد أن أقول أن أعظم ما يتعلم منه الأبناء هو السلوك العلمي بين الأب والأم، فإذا كانت العلاقة بين الأب والأم مليئة بالمحبة والتفاهم رغم ظهور بعض من المعارك في بعض الأحيان، فإن الأبناء يتشربون روح الأسرة بلا أدنى شك. إن الحديث عن الأخلاق والقيم أمر سهل، لكن الأبناء لا يتشربون القيم من الكلمات فقط، ولكن يتشربونها ويطبقونها في حياتهم إذا رأوا ذلك في أسرهم. وإذا كان العصر الحديث قد أكثر من المعلومات عن التشريح ووضع أمام الشاب والفتاة أكثر من فرصة للتعرف العلمي على الجسد، فإن الأسرة عليها - من خلال سلوك الأب والأم - أن تعلم الابن الكثير من القيم من خلال السلوك اليومي أن التعاون المتفاني الذي يمارسه الأب الحنون والأم الطيبة هو خير معلم للأبناء.

أما بالنسبة للعلاقات بين الأخوة داخل الأسرة فهي تمامًا كما العلاقة بين الأهل والأولاد، فالأخوة المراهقون يتعاملون مع بعضه بعضًا بمساواة أكبر من ذي

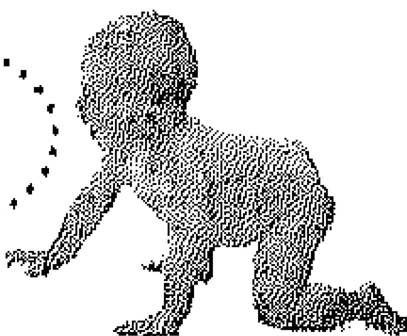
قبل، وهـذا أمـر طبيعي إذ أن الفروقات في الكفاءة والجدارة تتقلص مع العمر، ومع نضـوج الأخ الأصـغر واكتسـابه المـزيد من الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، يصعب على الأخ الأكبر إعطاء الأوامر وفرض ديكتاتوريته على أخوته. نلاحظ أنه كلا أصبح الأخـوة متسـاوين بـالقوة والقـدرة، قلّت النـزاعات بينهم، وخفّت حدتها. نفهم ذلك بسهولة إذ أن المراهق أصبح الآن يستثمر وقته في علاقات صداقة عادية أو عاطفية بدلاً مـن إمضـاء الوقت مع أخوته، كما أنه لا يرغب كثيرًا بذلك، فالأخوة هم جزء من العائلة التي يحاول الانفصال عنها لتحقيق استقلاليته.

ولكن بالرغم من هذا التقلص في العلاقات الأخوية، يبقى التعلق بين الأخوة، كمـا التعلق بـالوالدين، قويًا عند معظم المراهقين، وإحدى الدراسات في هذا المجال أشارت إلى أن 77٪ من المراهقين يرون أن لأخوتهم تأثيرًا كبيرًا في حياتهم.

وأخيرًا نذكر بـأن الجـو التربوي الدافئ والداعم يؤدي إلى علاقات إيجابية، الأخوة مصدر دعم قوي وتعويض عاطفي مهم في حياته.

## ثانيًا - الأصـدقـاء

بمـا أن المـراهقين يمضـون وقـتًا أقـل مـع أعضـاء أسـرتهم يكتسـب الأصـدقاء أهمـية كبيرة في حياتهم، وهـذه العلاقـات خـارج نطـاق العائلـة قد تكون إيجابية أو سـلبية. في أفضـل الحـالات تسـاهم علاقـات الصـداقة في الـتطور النفسـي وتطويـر المهـارات الاجتماعـية، وتقـدم دعمًـا عاطفـيًا لعملية النضـوج. إن المـراهق يبحث في صداقاته عـن الـثقة والـتفهم المتبادل والوفـاء، كذلـك فإن روح المشاركة تطغى على

العلاقة بدلاً من روح المنافسة التي كانت تميز سنوات الطفولة، وهذا التحول يعني أن هناك مجهودًا فعالاً من قبل المراهق للمحافظة على العلاقة مع تحسس متزايد لمشاعر الصديق واحتياجاته ورغباته.



يميل المـراهق إجمـالاً إلى اختيار أصـدقائه مـن بيـئة مشـابهة لبيئـته بالقـيم العائلية، والطموحات التربوية، والاعتقادات السياسية، ... الخ. إن منافع الصداقة خلال فـترة المـراهقة عديدة، وأهمهـا أنهـا تسـاعد على الـتفاعل مـع ضـغوطات المـرحلة، وبالـتالي تسـاهم في تخفيف القلق والشعور بالوحدة. هـذا وإن الاتصـال الصـريح والصـادق مـع الآخـر يسـاعد عـلى تطويـر الهـويـة وتقدير الـذات. وأخيرًا، تشـير الدراسـات إلى أن المـراهقين الذيـن يـتحلون بصـداقات حمـيمة ومُرْضـية يتميزون بإنجـاز مدرسي جيد، إذ يبدو أن شعور المـراهق بالسعادة والارتياح مع أصـدقائه في المدرسـة يؤثـر إيجابيًا عـلى كـل نواحـي الحياة المدرسية، بمـا فـيها التحصيل المدرسي.

**زمـن الأصحاب أولاً**

إن مـا لا يبوح به المراهق أمامه أهله، في هذه المرحلة، يَعرضه أمام أصـدقائه. فالصداقة تؤدي دورًا أساسيًا في حياته وفي تأمين التوازن لشخصـيته. إنـه زمـن تمضـية السـاعة الطويلـة عـلى الهـاتف، والضـحك المتواصل الـذي لا يقـاوَم، وأنـواع اللبـاس الـرائحة، وزمـن تبـادل لغـة خاصـة مليئة بالرموز (رموز متعارف عليها بين الرفاق). فعندما يكون ولـدك (أو تكون ابنـتك)، مـع "زمـرته"، يطمـئن إلى هويته الذاتية وإلى أن التغيرات التي يمر بها طبيعية. فالرفاق (أو الرفيقات) متشـابهون، وهـم إذًا في وضـع طبيعي. هذه المرحلة التي تبدو مقلقة بالنسبة إلى الأهل، ضرورية للمراهق. فهي تأتي لتكمّل تدربه على الحياة الاجتماعية.

يتجمع أحيانًا الأصدقاء ضمن مجوعة صغيرة أو "شلّة" تتضمن خمسة إلى سبعة أعضاء، يتجمعون تحت اهتمامات واحدة، فيتبنون أسلوبًا واحدًا في مظهرهم الخارجي، في حديثهم وفي سلوكهم.

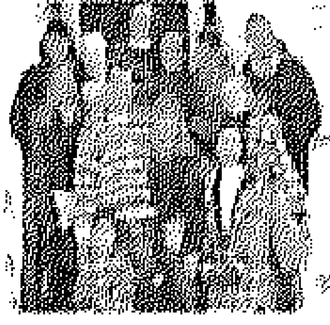
إن "الشلّة" تلعب دورًا أساسيًا في حياة المراهق الاجتماعية، وشعور الانتماء يدعم تطوير الهوية بعيدًا عن تأثير العائلة، وتوفر "الشلة" المحيط الملائم للمراهقين ليكتسبوا قيمًا وسلوكيات مستقلة في غياب إشراف الراشدين، فعندما يكون المراهق مع رفاقه يضطر لأخذ القرارات معتمدًا على مبادئه الخاصة. لكن "الشلة" سرعان ما تنحل عندما يشعر المراهق بالحاجة إلى الانسجام في علاقة حميمة مع الجنس الآخر، وهكذا تفقد "الشلة" ضرورتها في حياة المراهق وتختفي مع الوقت.

## ثالثا - مشاكل المراهقة

مع أن معظم الشباب يجتازون مرحلة المراهقة بسلامة بالرغم من الصعوبات التي تواجههم، فإن البعض منهم ينجرف في تيارات سلبية تجعل الرسوم المدرسي حتميًا، وتؤدي بهم إلى الانجرار في سلوكيات قد تشكل خطرًا كبيرًا عليهم وعلى من حولهم. في هذا الجزء من معالجتنا لموضوع المراهقة.

### 1- الرسوب المدرسي:

تشير الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن 15٪ من الشباب الأمريكي لم يكملوا تحصيلهم المدرسي، وأن نسبة كبيرة من هؤلاء ينتمون لطبقات



اجتماعية متدنية. كما نعلم أن قرار ترك المدرسة في عمر مبكر له تأثير فادح على مستقبل الإنسان من ناحية التوظيف في العالم المهني كما من ناحية النمو الشخصي. وهناك عدة عوامل متعلقة بالرسوب المدرسي، منها:

**العوامل المتعلقة بالتلميذ:** حضور غير منتظم، عدم انتباه في الصف، مشاكل سلوكية (خاصة العدوانية)، عدم القدرة على التواصل الإيجابي مع الأستاذة، تحصيل مدرسي ضعيف، كراهية للمدرسة، طموحات تربوية متدنية، عدم الثقة بالذات، اختيار رفاق راسبين مدرسيًا، عدم الانخراط في نشاطات ترفيهية المنهجية، تعاطي المخدرات.

**العوامل العائلية:** لامبالاة الوالدين في تربية الأبناء أو الكشف على تطورهم المدرسي، عدم تواجد قيم عائلية في البيت تحفز على التعلم وتحث الأبناء على الإنجاز والتفوق، كون الوالدين أنفسهم راسبين في المدرسة، تفكك أسري ناتج عن طلاق أو ظروف اقتصادية رديئة جدًا، اللجوء إلى العقاب الصارم والغضب الشديد بوجه رسوب الأبناء في المدرسة مما يجعل الولد يتمرد أكثر فأكثر ضد العالم الأكاديمي، وأخيرًا عدم توفير الفرص التربوية الملائمة داخل المنزل (تشجيع الولد على القراءة والإبداع) من جراء الفقر والبؤس.

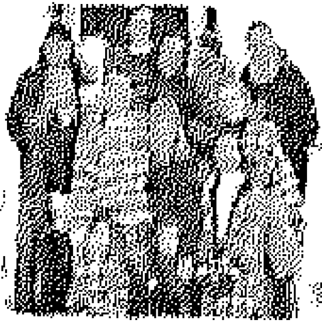
**العوامل المدرسية:** عدم تواجد الحوافز والمثيرات الكافية داخل الصف، عدم تواجد الفرص لإقامة علاقات سليمة مع المدرسي، عدم توافق المنهج المدرسي مع احتياجات واهتمامات التلامذة، سلطة إدارية تركز على المعلم بدلاً من التلميذ،

عدم تشجيع لإنجاز الطلبة، عدد هائل من التلامذة في المدرسة عمومًا وداخل الصف بشكل خاص.



## كيف نعالج مشكلة الرسوب المدرسي؟

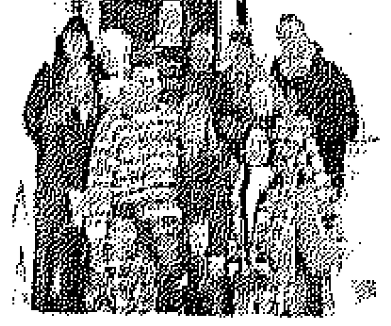
- حثّ المراهق الراسب مدرسيًا على الانخراط في الحياة الجماعية من خلال تشجيعه على ممارسة نشاطات لا منهجية برفقة أصدقاء من المدرسة حيث يشعر أنه عنصر فعّال ضمن المجموعة، وأن مساهمته في العمل الجماعي ذات أهمية بالنسبة للآخرين، مما يعطيه ثقة بالنفس ويجعله يبقى في المدرسة حتى التخرج.



- توفير البديل المناسب لهؤلاء المراهقين وذلك من خلال ضمهم إلى برامج مدرسية خاصة تركز على تدريب مهني ذي مستوى عال. فالتربية المهنية، مع تشابهها الشديد للحياة الواقعية، تريح المراهقين الذين يعانون من مشاكل مدرسية وتبدو لهم أكثر فعالية من العمل الأكاديمي المحض. لكن من المهم أن تدمج هذه البرامج الخاصة الناحيتين الأكاديمية والمهنية بشكل يحث المراهق على إدراك الصلة الوثيقة بين ما يتعلمه في الصف وأهدافه المستقبلية.
- توفير التعليم "العلاجي" المركز لهؤلاء المراهقين ضمن مجموعات مصغرة تسمح بإقامة علاقة دافئة ومتفهمة بين التلميذ والمدرس. إن هذا النوع من التعليم يعوض عن خبرات الفشل التي تعرّض لها المراهق الراسب ورواسبها السلبية على شخصيته من خلال إطار منتظم من المساندة الأكاديمية والدعم الاجتماعي والإرشاد التربوي من شأنه حثّ المراهق على تحقيق ذاته.

## 2- حب المخاطرة:

في غالبية الحضارات القديمة، كان الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ، مجالاً للاحتفال أو لإحياء طقوس خاصة، غالبًا ما كان تتخذ طابع اختبار المبادرة. ولا تزال مجتمعات تقليدية في أفريقيا وآسيا تحافظ على ممارسات من هذا النوع، وهذه الممارسات تتيح أمام الشاب مجال توضيح الصعوبات التي قد تنتظره في حياته القادمة. خلال هذه الطقوس، يتعين على المراهق أن يثبت للرأي العام أنه أهل للانخراط في عالم الكبار.

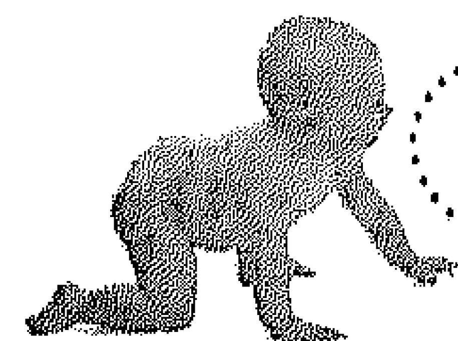


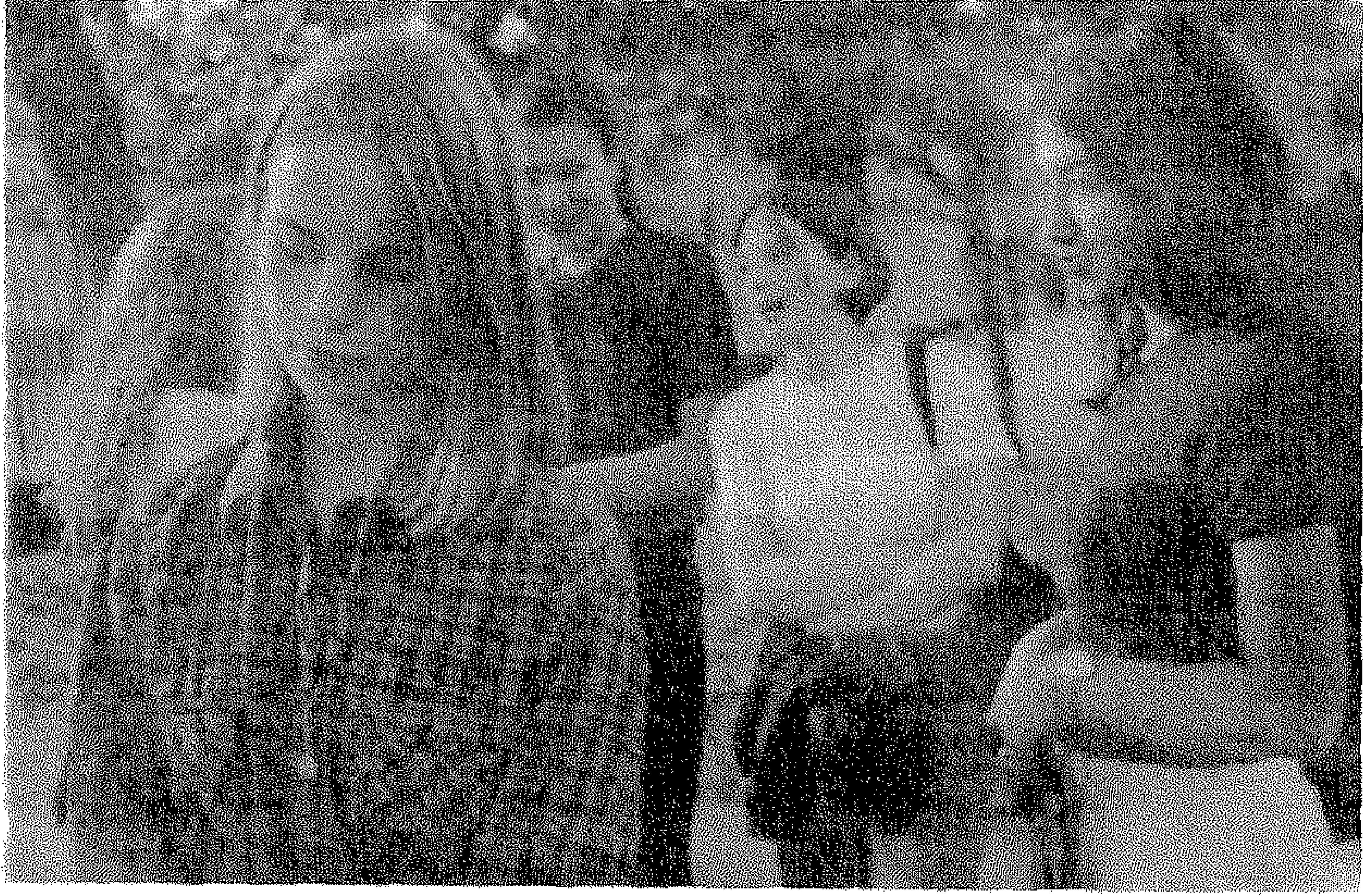

انطلاقًا مما سبق، قد تطلب الجماعة رسميًا من المراهق أن يُقدم على عمل خطير، كأن يعارك حيوانًا مفترسًا، أو يقفز من مكان عالٍ. فالمهم أن يجابه الخطر ويتغلب على الخوف، إذا كان يطمح في أن يصبح واحدًا من الكبار. أما مجتمعاتنا المتطورة فهي بعيدة عن هذه التقاليد، وهي، خلافًا لما كانت تجتهد في المجالات كلها للحد من المخاطر أكثر ما يمكن. ولكنها تنسى بأن مواجهة المخاطر حاجة طبيعية عند كل مراهق يريد اختبار كفاءاته الجديدة الجسدية والنفسية.

لا يعود أمام المراهقين من حل إلا أن يبحثوا، في الغالب، عن مخاطر في الخفاء، فيتخلصوا من كل حماية. إن تزايد الحوادث المتعلقة بالسرعة البالغة في القيادة على الطرق، وبمحاولات الانتحار، لا يحصل صدفة. من أجل تفادي هذه التصرفات المتطرفة، ينبغي أن يقبل الأهل بتعرض ولدهم لبعض المخاطر، للتعبير عن كفاءاته وتطوير قدراته. ومع الاستمرار بالسهر عليه بعض الوقت يجب أن يقتنعوا بأن عليه أن يختبر بذاته. وليتذكر الأهل أن ولدهم قد تُرك يواجه المخاطر عندما كان طفلاً يحاول القيام بخطوات المشي الأولى أو عند تعلّمه ركوب الدراجة.

## 3- الاكتئاب:

تشير الإحصاءات إلى أن 30٪ من المراهقين يشعرون بالاكتئاب الخفيف، و 15٪ منهم يشعرون بالاكتئاب المعتدل، و 5٪ يشعرون بالاكتئاب الشديد المتميز بالمزاج التشاؤمي وانتقاد الذات والابتعاد عن النشاطات الترفيهية مع فقدان الحيوية، وتغير في القابلية ونوم مضطرب.





إن معالجـة الاكتئاب خلال فترة المراهقة أمر ضروري، لأن عدم معالجته في حينه قد يؤدي إلى تفاقم المشكلة في سن الرشد. ولسوء الحظ، فإن الأهل كما المعلمين يميلون إلى تجاهل عوارض الاكتئاب عنده، والعديد من الناس يتطلعون إلى اكتئاب المراهق كمرحلة عابرة وطبيعية. علمًا بأنه يصعب على المرء إجمالاً أن يكتشف الاكتئاب عند المراهق وذلك ناتج عن تعدد الطرق التي يلجأ إليها لإظهار اكتئابه (نظرة تشاؤمية للحياة، وسواس مبالغ تجاه الأمور الصحية، صعوبات في التركيز، سلوك مستاء وغير موجه، تمرد على القيم الراهنة، ... الخ).

أما بالنسبة لأسباب الاكتئاب، فهناك شق بيولوجي، وشق متعلق بالمحيط الذي ينشأ فيه الولد. تشير الدراسات في مجال العلاقات العائلية أن الوراثة تلعب دورًا مهمًا جدًا، إذ أن الجينات تساهم في تطوير الاكتئاب من خلال تأثيرها على

توازن المواد الكيميائية في الدماغ، إلا أن المحيط أيضًا له دور في تفعيل الاكتئاب: يأتي أحيانًا الاكتئاب نتيجة خبرة عاطفية حادة، مثل طلاق الوالدين أو انتهاء علاقة صداقة حميمة، أو علاقة حب عميقة. أحيانًا أخرى، يؤدي الفشل في مهمة أو مشروع رئيسي في الحياة إلى الاكتئاب، وأخيرًا قد يكون الاكتئاب متعلقًا بتراكم لضغوطات نفسية عديدة على المدى الطويل. نذكر أيضًا أن الفقر والوضع الاجتماعي المتدني يعرضان المراهق لخطر الاكتئاب.

كذلك فإن هناك عاملاً جنسيًا يلعب دورًا مهمًا في هذا الإطار، إذ أن نسبة الاكتئاب أعلى عند الإناث منها عند الذكور، قد تكون الفروقات الجنسية في هرمونات النمو خلال المراهقة هي المسؤولة عن ذلك، فالارتفاع في مستوى الإفرازات الهرمونية يؤدي إلى الغضب وحدة الطبع عند الذكور، والغضب والاكتئاب عند الإناث. إلا أن البيئة التي يترعرع فيها المرء لها تأثير كبير على سلوكياته، فنحن إجمالاً نتصرف مع أولادنا على أساس التمييز الجنسي من دون أن ندرك ذلك، فمثلاً نشجع بناتنا على الاتكال على الغير بدلاً من إثبات وجودهن، ونحثهن على الرضوخ للتقاليد والقيم الاجتماعية، نقمع تسجيل المواقف المناقضة أو إبداء الآراء المتمردة بهدف المحافظة على الأخلاق وخوف من أن ينجرفن بتيارات منحرفة تشوه سمعتهن وتعيق مستقبلهن.

إن مثل هذه الممارسات من قبلهن تؤدي، عند المراهقة، إلى الشعور بالقلق والعنف أمام ضغوطات وتحديات الحياة من خلال تكوين صورة ذاتية سلبية

ومحبَطة. نشير في هذا الإطار إلى أن البنات اللواتي يتميزن بشخصية "ذكورية" هن أقل عرضة للاكتئاب من غيرهن.

4- الانحرافات:

يمكن أن نعتبر هذا العصر بمثابة عصر الخوف على الأبناء المراهقين. فالصحف تطل علينا كل يوم بأخبار الجرائم القاسية التي ارتكبها الشباب. ويقرأ الآباء هذه القصص ويفاجئون أنفسهم بالسؤال التالي: "من أي بيئة ينحدر هؤلاء الشباب" ونجد أن الآباء من مختلف الأوساط، بل إن بعض هؤلاء الشباب المتورطة في جريمة، من له والد يشغل وظيفة محترمة وأمه سيدة طيبة. ونجد الآباء والأمهات يقعون في الخوف.. إنهم يخافون أن يصبح الابن مثل هؤلاء الشباب الجانحين.

الظروف الاجتماعية:

بدءًا بالتحرش بالجيران ومشاكستهم والكتابة على الجدران وثقب عجلات السيارات وسرقة بعض الأشياء التافهة والهرب من المدرس وعدم احترام قواعد المرور... هذه المشاكل الصغيرة تظهر عند الشباب لكن الذي نراه دائمًا في قاعات المحاكم أن الأحداث المنحرفين هم أبناء الفقراء، لأن أبناء الأسرة القادرة يجدون من يحبهم، ومن يعتذر عنهم ومن يدفع التعويض المناسب. لذلك لا تتجه الأمور إلى التعقيد الذي يقود إلى الشرطة. وحتى عندما يصل الأمر إلى الشرطة أو القضاء تتغلب "الرأفة" استجابة لوعود الأسرة بأنها ستربي الابن وتعاقبه أو

تعالجه نفسيًا. لكن الأمر يختلف بالنسبة للفقراء. ورغم أن البعض يقول بوجود علاقة بين "الفقر" وضعف القدرة على الضبط الأخلاقي، لكن هذا ليس صحيحًا. فالصحيح هو أن الفقراء لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم وليس عندهم من يدفع عنهم التعويض ويسكنون في أحياء مزدحمة وعادة ليس لهؤلاء مستقبل واضح. لهذا فهناك إحساس بوجود حاجز بين الفقراء والأغنياء.

وعادة ما تنتشر بين الشباب فكرة تكوين "جماعة" تتولى ارتكاب أعمال ضد القانون أو لا يسمح بها القانون. هذه الجماعة قد تدخل في خلاف مع جماعة أخرى. ونحن نجد أن هؤلاء الفقراء يشعرون في بعض الأحيان أنهم أقل شأنًا من الآخرين وأن هناك من يحتقرهم، لذلك يكونون هذه الجماعات كنوع من الحماية.

**المسببات النفسية:**

هناك فروق بين كل حالة وأخرى من حالات الانحراف التي تكون المسببات فيها نفسية. وبعد وقوع أي جريمة خطيرة فإن القاضي في أغلب الأحيان يستشير الطبيب النفسي ليتعرف على أعماق الشاب.. هل نضجت عنده قوة الضبط الاجتماعي أم لا.. هل اكتمل ضميره أم لا.

وعلى أية حال هناك ثلاث أنواع من الشباب يقعون في الانحراف لأسباب قاهرة.. مثل الذين يعانون من جنون السرقة دون أن يسرقوا ما يفيدهم، وفي معظم الأحيان تكون هذه المسألة منتشرة بين البنات. وفي أغلب الأحيان يوجد اختلاف بين هؤلاء الذين يعانون من جنون السرقة وبين اللصوص المحترفين.

فالنوع الثاني هم الذين يهوون التلصص على المسائل الجنسية وهم عادة يعانون من كبت شديد لتوترات جنسية. وهؤلاء أيضًا يعاملهم الآخرون بنوع من القسوة رغم أن هذه المسألة منتشرة بين الشباب.

والنوع الثالث هو الذي يرتكب جريمة صغيرة محاولاً أن يترك لها أثرًا دون أن يشعر لينبه الكبار إلى أنه في حاجة إلى العقاب.. والسبب بسيط جدًا يكتشفه الأطباء عند هذا النوع. وهو أن هناك خلافات حادة بين الشاب ووالديه وكلما استسلم والداه له كلما تمادى هو في الإساءة لهما بطريقة تفضحهما في المجتمع وينال بها هو العقاب.

أما النوع الذي أتحدث عنه الآن فهو الخلل في تكوين الضمير.. إن بعض الآباء يشجعون الأبناء دون أن يدروا على الانحراف والجنوح. مثل الأم التي تضبط في حاجات ابنها سكينًا مسروقة فتحقق معه وحصل منه على الاعتراف بالسرقة ثم تسأله بسرعة: هل رآه أحد وهو يسرقها، ومن المؤكد أن الابن سيقول: لا.. لكن سؤال الأم ينبه الابن إلى أنه يمكن أن يسرق دون أن يراه أحد. مثال آخر: عن الأب الذي يشكو من الابن الذي يهرب من المنزل لكنه يحكي هذه المسألة بنوع من الفخر عن جرأة الابن في أن يهرب طوال هذه المدة.. هذه الحكاية أمام الابن يمكن أن تنمي في الابن نزعة الإعجاب بما يفعل.

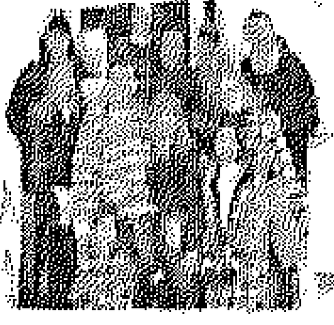
مثال ثالث: عن الأم التي تثور على ابنتها لأنها تخرج مع شاب معين وتعاير ابنتها متهمة إياها بقسوة بأنها قد فرّطت في شرفها مع هذا الشاب.. ولأن الفتاة

تفعل دائمًا ما يمكن أن تتوقعه الأم فإنها تعمد في اللقاء القادم مع صديقها إلى تنفيذ ما ألمحت إليه أمها.

إن الأب والأم عندما يخلقان عند الابن أو البنت درجة من الشك في النفس يسمحان للابن بأن يفعل ما يشكان فيه. وعندما يؤكدان للابن أنه ينحرف، فإنه سينحرف.

هناك نوع آخر: وهو ما يعرفه العلماء باسم "الشخصية السيكوباثية" أي التي لا ضمير لها. كأن يقتل شاب إنسانًا آخر دون سبب ويقول كنت أبحث عن شيء مثير أفعله.. وعندما نتعمق في حياة مثل هذا الإنسان الذي لا ضمير له سنكتشف أنه يخفي إحساس التبلد والرغبة في إيذاء الآخرين وأن والديه كانا يعاملانه في الطفولة بالأسلوب القاسي نفسه، وأنه يرتكب جريمته بنوع من التبلد التام. وهذا النوع ينقاد دائمًا إلى فقدان العقل والجنون. وإن حياته غالبًا تمتلئ بعدم تقدير المسؤولية والاندفاع الأهوج وعدم القدرة على الاستفادة من تجاربه. ويطالب الآخرين بالتزام احترامه دون أن يلتزم هو باحترامهم.

وعندما نقوم بتحليل العلاقة بين هذا النوع وبين والديه نجد أن الأب إنسان تخلى عن الابن أو الأم تخلت عنه.. ويعاني في طفولته من إحساس بالإهمال التام.. وليس معنى ذلك أن كل من مات أبوه أو فقد أمه ينحرف لكن معناه أن كل ابن تهمله أسرته يمكن أن يصل إلى الانحراف حتى لو لم يتم طلاق بين الأب والأم.. إن الطفل يفتقد بذلك صورة المثل الذي يتبعه. ويفتقد أيضًا الإحساس بأنه



إنسـان يمكن أن يعيش في أسرة تحيطه بالحب والحنان. إنه يفتقد طعم الإحساس بـالأمن ولا يجعلـه العقـاب يشعـر بالخطأ. ولا يعمل من أجل أن يحبه أحد ويحترف الخداع الدائـم.. ويهرب من المستقبل.. ولا يستطيع أن يعتمد عليه أحد.. ولا تنتشر صورة السيكوبائي في البيوت المفككة فقط، ولكنها تنتشر أيضًا في البيوت التي تلبي كل طلبات الابن ولا تعلمه فن الاعتماد على النفس.

وباختصـار، الانحـراف لا يـأتي دون سبب. ولكـن عـلاج مـن ينحرف دائمًا في الوقت المناسب.

هـنـاك فـارق بـين انحـراف الأبـنـاء وجـنوح البـنـات. والأولاد يرتكـبون الانحـرافات الخشنة التي فيها قدر من القسوة. أما انحراف البنات فهو غالبًا ما يكون جنسيًا.

تنحرف الفتاة أحيانًا بسبب عدم إحساسها بالحب لذلك تنتقم من الأب أو الأم بالانغماس في الانحـراف. لأن فترة المـراهقة تجعل الفتاة حساسة جدًا. إنها تملـك الإحسـاس بالمنافسـة مـع أمهـا. وفي الوقـت نفسـه ترغـب في الحصـول عـلى منـافس لأبيها فإذا لم تكن من أسرة لهـا قواعد وتقاليد فإنهـا تخشـى أن تطبق الأسلوب الطبيعي في التعامل مع الرجال. إن البنت التي ترتبط بأسرتها بالحب لا تفضل أن تهرب من المنزل في علاقة مع أحد..

هـروب الشاب أو الفتاة من المنزل تكمن وراءه رغبة في البحث عن أسرة أكثر حنـانًا. ورغبة الابن في الاستقلال يجـب أن نحترمها ويجب أيضًا أن نضع القواعد

التي تطلب منه أن يحترمها. والشاب الذي يرتبط بالأسرة في علاقة صداقة يستطيع أن يتكيف اجتماعيًا مع الفتيات وتكون نزعة الانحراف عنده أقل خطورة.

أما الفتاة التي ترتبط بالأسرة في علاقة صداقة فإنها تستطيع أن تستمع لنصائح الأم والأب وأن تنفذها حتى وإن كانت تعارضها ظاهريًا.

الآباء والأمهات لا بد وأن يتفانوا في حب الأبناء دون أن يكونوا لهم عبيدًا.

والمراهقة هي فترة استكشاف من الشاب لمستقبله واستكشاف من الفتاة لمستقبلها، إنها رحلة تحرر في الأسرة وارتباط بها في الوقت نفسه. إن الشاب يجرب أكثر من هدف وأكثر من فكرة وكذلك الفتاة.. إلى أن يستقر كل منهما على هدف يتيح له تكوين شخصيته المتميزة. إنه يستمد الإصرار والطاقة من والديه حتى ولو اختار مستقبلاً مناقضًا لمهنة الأب أو الأم.

ولا يجب أن يتردد الآباء في وضع مقاييس واضحة للسلوك أمام الأبناء، لأن الأبناء يسيرون في النهاية على الطريق الذي يرسمه الوالدان.

يبدأ منع الانحراف من الطفولة. فالأم تدرب الابن على النظام واحترام الآخرين وعدم الاعتداء على الوالدين ومعاملة كل من حوله بأدب.

يجب ألا نسمح للابن في سن الثالثة إلى الخامسة بإساءة استخدام ممتلكاته، وأن يقدم الاحترام لكل من يقابله. من الخامسة إلى السادسة: لابد وأن يشترك في أعمال المنزل ويساعد الأسرة.

يمـيل الأطفـال بطبيعـتهم أثـناء الدراسـة الابتدائـية إلى احـترام القواعـد والأصول ويناقشون الآباء فيما هو مفروض ومباح.

يجب ألا نعامل الأبناء في أثناء سن المراهقة بنوع من التعالي أو التقاعس.. ولكن يجب أن نقول لـهم مـا نؤمـن به وأن نشـرح لـهم أوجه القـوة وأوجه الضعف فينا. إن المراهق يحتاج دومًا إلى التوجيه الواضح من الأب.

5- الانتحار:

في الولايات المتحدة الأمريكية يشكل الموت بالانتحار أهم ثالث سبب لوفيات الشباب بعد حوادث السير والجرائم، وخلال الثلاثين سنة الأخيرة زادت نسبة الانتحار ثلاثة أضعاف، ويرجع الباحثون أن تكون الأسباب لـهذا التزايد كثرة الضغوطات في حياة المراهقين وقلة الخدمات الداعمة. هذا وإن نسبة الذكور في حالات الانتحار أعلى من نسبة الإناث (خمسة ذكور مقابل أنثى واحدة)، وقد يبدو ذلك متناقضًا مع ما قلنا سابقًا، والسبب هو أن الإناث إجمالاً يقمن بمحاولات فاشلة للانتحار من خلال اللجوء إلى وسائل انتحارية تؤمن النجاة في اللحظة الأخيرة (تناول كمية كبيرة من المسكنات مثلاً)، بينما يلجأ الذكور إلى وسائل تؤدي إلى الوفاة الحتمية (مثل استعمال الأسلحة أو الشنق).

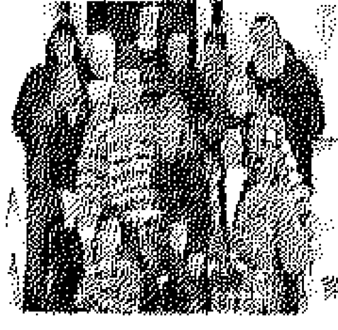
يلاحظ الخبراء أن هناك نوعين من الأشخاص المقبلين على الانتحار: النوع الأول يضم أشخاصًا يتميزون بدرجة ذكاء عالية لكنهم منعزلون، وغير قادرين على التوافق مع طموحاتهم الشخصية أو التجانس مع توقعات الناس المهمين في

حياتهم. أما النوع الثاني، فيشمل الأشخاص ذوي الميول السلوكية المضادة للمجتمع، وهم يعبرون عن اكتئابهم من خلال المشاجرات مع الآخرين، والسرقة وتعاطي المخدرات، ويخاطرون في سلوكيات تشكل خطرًا كبيرًا على حياتهم.

لكن في كلا النوعين، هناك عوامل مشتركة في المحيط: مشاكل عائلية، اضطرابات عاطفية ونفسية عند الأهل، طلاق، ... الخ. مما يؤدي بالمراهقين إلى الابتعاد عن الأهل والأتراب. ويضعف تقدير الذات عندهم وينحلّ كليًا بوجه الخبرات الحياتية الضاغطة، ويبدو أن هناك دائمًا حدثًا معينًا قبل عملية الانتحار (إنهاء علاقة صداقة أو علاقة حب مهمة، أو شعور عميق بالذل نتيجة افتضاحه في نشاط منحرف).

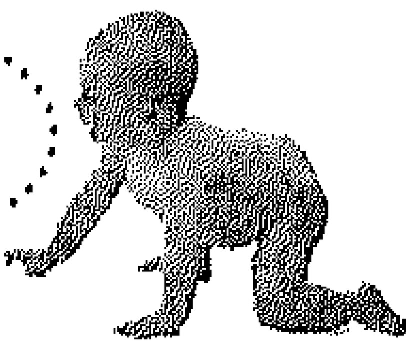
إن تزايد الانتحار خلال المراهقة مقارنة بشبه غيابه خلال الطفولة، يعود إلى قدرة المراهق على تصميم عملية انتحاره: فالقليل جدًا من العمليات الانتحارية الناجحة تكون عفوية وتلقائية، بل العكس صحيح؛ فإن المراهق يتخذ إجمالاً خطوات مدروسة للقيام بمثل هذه العملية، وهناك العديد من الإشارات التي قد يرسلها لنا كنداء للمساعدة يجب علينا أن نأخذها بكل جدية، وأهمها:

- شعور بالحزن والاكتئاب واللامبالاة.
- إرهاق، وملل ونقص في الحيوية.
- عدم الرغبة في إقامة علاقات اجتماعية مع انزواء شديد.
- سرعة الانفعال عند القهر أو الإحباط.



- انفجارات عاطفية (نوبات بكاء أو ضحك).
- عدم القدرة على التركيز، وسرعة الالتهاء.
- تدهور في التحصيل المدرسي، وتغيّب عن المدرسة، ومشاكل سلوكية.
- إهمال للمظهر الخارجي.
- تغيّر في نمط النوم (أرق أو نوم مفرط).
- تغير في القابلية (انعدام القابلية أو الشهية بشكل مفرط).
- شكاوي جسدية (آلام في المعدة، أو في الظهر، أو في الرأس).
- مجهود لترتيب الحاجات الشخصية (مصالحة لعلاقات متدهورة، أو إهداء بعض الممتلكات ذات القيمة الشخصية المهمة للآخرين).
- إرسال بعض الإشارات الكلامية (توديع الأقارب والأصدقاء، والتحدث بشكل مباشر أو غير مباشر عن الانتحار: "أتمنى لو كنت ميتا"، أو "لن أزعجكم بعد اليوم"، أو "لن أفكر بهذه الأمور بعد اليوم"، ... الخ).

على الأهل كما على المدرسين أن يتدربوا على قراءة مثل هذه الإشارات، فباستطاعة المدرسة أن تساعد بتوفير الإرشاد المتعاطف وتأمين مجموعة دعم من الرفاق، والمهم ذكره هنا هو أنه فور ملاحظة هذه الإشارات عند المراهق، لا يجب تركه بمفرده بل مساندته وتقديم العطف والإصغاء له حتى تأمين المساعدة على يد الاختصاصيين.



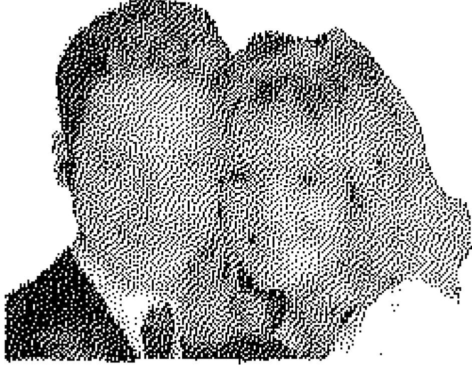
إن التدخل ضروري قبل فوات الأوان، وأنواعه كثير، وتشمل المعالجة بالأدوية المضادة للاكتئاب، إضافة إلى العلاج الشخصي والعائلي. يتطلب العلاج أحيانًا الإدخال إلى المستشفى للتأكد من سلامة المراهق والمباشرة في العلاج في أقرب وقت ممكن. أما في البيت، فمن المفضل أن يخفي الأهل كل الأدوات التي قد تساعد المراهق على الانتحار، من أسلحة، وسكاكين، وشفرات، ومقصات وأدوية.

الفصل
12

# الحياة الجنسية

مفهوم الحب والجنس - الحديث عن الجنس ... صعب - الخوف من الجنس







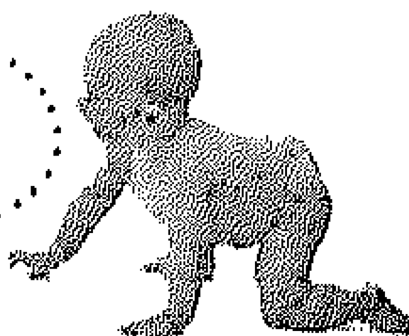
# الفصل الثاني عشر
# الحيـــاة الجنسيــــة

إن النشاط الجنسي عند الذكور والإناث خلال فترة المراهقة مرتبط بعوامل عديدة، أهمها:

- النضوج الجسدي المبكر.
- الاستعداد للخوض في خبرات مهشمة، مثل تناول المخدرات أو استهلاك الكحول.
- تفكك الأسرة (انفصال الوالدين أو الطلاق).
- حجم العائلة الكبير.
- أصدقاء ناشطون جنسيًا.
- تحصيل مدرسي رديء مع اهتمامات وطموحات تربوية متدنية.

كما نلاحظ أن معظم هذه العوامل مرتبطة ببيئة اقتصادية - اجتماعية متدنية، إذ تشير الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن النشاط الجنسي المبكر يكون أكثر شيوعًا في الطبقات الاجتماعية الفقيرة. تضيف الدراسات في هذا المجال إلى أن المراهق الناشط جنسيًا قد يعاني من اضطرابات نفسية إذا كان أساسًا يشعر بالنقص وعدم التكيف، ويفتقر للحوافز التربوية أو

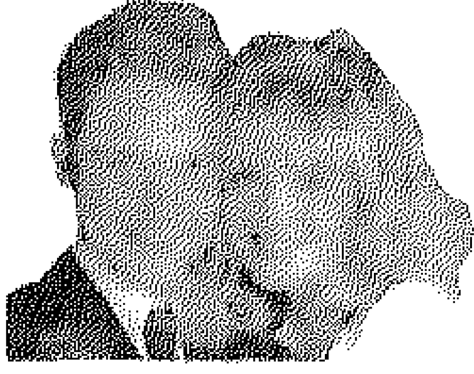




المهنية البناءة، ويستخدم نشاطه الجنسي كوسيلة للتباهي أمام الآخرين، وأمام نفسه. ويكون هذا النشاط الجنسي إجمالاً موزعًا بين عدة شركاء، فعند الشاب يتخذ قيمة استغلالية محضة من دون أي التزام عاطفي، وعند الفتاة يأتي النشاط الجنسي كتعويض لحرمان عاطفي تعيشه ضمن عائلتها أو مع رفاقها، أو بديلاً لمستوى متدن جدًا في التحصيل المدرسي، فتعتقد أنها من خلال ممارستها للجنس - ولو تعدد الشركاء - تستطيع أن تبرهن عن تفوقها حتى ولو كانت فاشلة مدرسيا.

## أولاً - مفهوم الحب والجنس

يعيش المراهق ألوانًا متباينة من الصراع، لا مفر منها يجب عليه أن يواجهها في مجالات عديدة. ولكن هذه المقاومة تزداد حدة وعنفًا بصفة خاصة فيما يتعلق بالجنس. فالشهوة، أو الرغبة الجنسية، قد جاءت فجأة وهي أكثر إلحاحًا، خصوصًا في الفتيان لكن عندما يتقدم العمر بالشاب نحو المزيد من النضج فسيكون أكثر فهمًا وإدراكًا لنوع الشخص من الجنس الآخر الذي يناسبه فعلاً. ولهذا فإن الشهوة الجنسية تمتزج بنواح أخرى من العلاقات بين الرجل والمرأة وسوف تخضع لاعتبارات أخرى من الضبط والتحكم مثل الصداقة العميقة والمعاشرة والزمالة والاحترام والميول والمثل العليا المشتركة وخطط وآمال المستقبل، ولكنها في بداية المراهقة تهاجم الشاب فجأة بدون أن تكون مرتبطة باهتمامات أو ميول أخرى. إنها تعلن عن نفسها بطريقة محرجة، وكأنها صفعات ظالمة تلطم الفتى الساذج العديم الخبرة والبنت الساذجة العديمة التجربة وليس هناك شك



في أنها شهوة لذيذة جزئيًا، ومثيرة، ولكنها في نفس الوقت يمكن أن تجلب معها اهتمامًا خاصًا بالذات يخالطه فقدان الثقة والقلق والإحساس بالذنب. ولعل من أمور الجنس المحيرة بصفة خاصة للمراهق في أمريكا مثلاً، هو أن الكبار كثيرًا ما يظهرون اتجاهات متناقضة أمامه ومعه. ففي بعض الأحيان يتحدثون عن الجنس كأنه شيء مقدس. وأحيانًا أخرى يتحدثون عن الجنس وكأنه عار كبير وذنب لا يغتفر. وأحيانًا ثالثًا يتكلمون عنه كما لو كان نكتة تفرض الابتسام المكبوت المتكلف.

وهذه الاتجاهات المتناقضة توحي طبعًا إلى المراهق بأن الكبار منافقون، ثم إنها تجعل فهم المراهق للجنس أكثر صعوبة وتعقيدًا.

ويظهر أنه من العسير على الكبار أن يفكروا في الجنس على اعتبار أنه أمر طبيعي ونبيل ولعل ذلك راجع جزئيًا إلى أن معظم المجتمعات في أول تاريخها نشأت كأمة شديدة التمسك بمذهب ما، وما زالت فيها رواسب من سوء الظن بالطبيعة الإنسانية ومن النظرة الخاطئة لمفهوم الجنس التي لا تزال عالقة في هذا العصر العلمي.

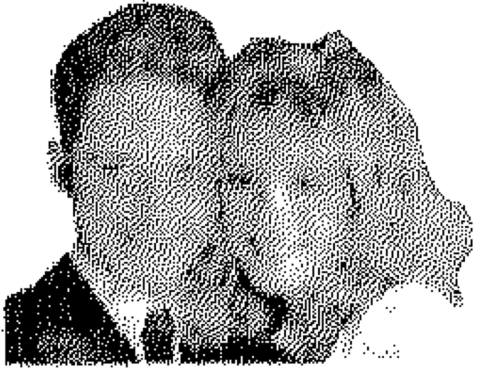
ولقد رأينا منذ زمن قريب أن بعض المراهقين حاولوا حسم هذا الصراع في أعماقهم بنوع من الشطط انتهى بهم إلى أن الجنس والحب ليسا سوى مسألة بيولوجية في أعماقهم. وهذا صحيح فقط بالقياس إلى حيوانات مثل الحشرات والأسماك والأرانب والفئران والكلاب. ونحن نعلم - كحقيقة لا جدال فيها - أن بعضًا من أسمى درجات السلوك عند الأبناء والبنات ومثلهم العليا وما يهم من

ابتكار وروح خلاقة إنما هو نتيجة لمقدرتهم على تبادل الحب الحقيقي السليم فيما بينهم.

فإذا حاولوا إنكار النواحي الروحية للحب، فإنهم يقينًا سوف يقعون في هوّة الحيرة وفي المزيد من الارتباك، الأمر الذي يقودهم في النهاية إلى مرارة الإحساس بخيبة الأمل في أنفسهم وفي غيرهم، سواء في علاقاتهم وصداقاتهم وما بينهم من الاختلاط قبل الزواج، أو بعد الزواج. ومن الأفضل أن نوضح لهم من أول الأمر الفروق بين الذكر والأنثى فيما يتعلق بطبيعة حوافزهم الجنسية. وفي القرن التاسع عشر كان من المعتقدات التي جرى عليها العُرف أن الرجال وحدهم هم الذين عندهم الدوافع الجنسية، أما النساء الصالحات الطاهرات فقد كن مخلوقات بدون هذه الرغبة ثم حدثت بعد ذلك ثورة التمرد ضد الحياء والمغالاة في التدقيق والنفاق الذي يؤدي إلى المنطق المزدوج وإلى تراوح المؤشر في الاتجاه المضاد. فلقد جاهر البعض بأن للنساء نفس الحوافز والرغبات مثل الرجاء سواء بسواء.

وفي هذا العصر أخذ البعض يتحدث عن الفروق والاختلافات بين الجنسين ثانية. وبصفة عامة، فإن الرغبة الجنسية في الفتيان والرجال أكثر إلحاحًا بدرجة كبيرة تفوق ما هي عليه عند البنات والنساء. وهي في الوقت نفسه رغبة أقل تمييزًا في اختيارها، ثم إنها سريعة الاستجابة للجنس اللطيف إذا كان جذابًا ومتجاوبًا.

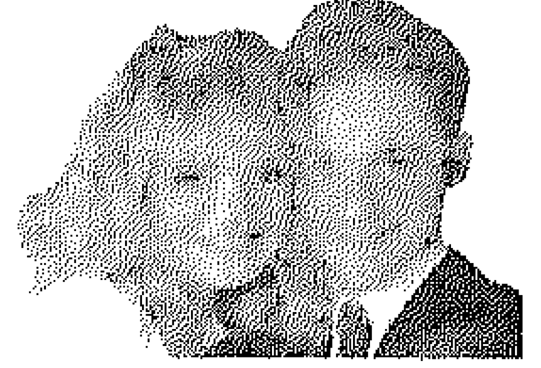
لكن الرغبة الجنسية عند الفتى يمكن أن يثيرها وجه جميل فقط، أو قوام جميل حتى ولو لم تكن شخصية الأنثى ذات جاذبية خاصة.



إن المراهق يمكن أن تثيره مجرد الصورة أو مضمون القصص أو حتى الفكرة الخيالية وليس معنى هذا أن المراهق يفتقر إلى النواحي الأخرى من الحب الرومانتيكي فذلك أمر يتوقف إلى حد كبير على نوع الأسرة التي ينشأ فيها. فإذا كان أبوه من النوع الذي يبدي الشوق والحرارة والرقة والرعاية والحماية والحنان للأم، فإن ذلك يبني أماني الولد لما سيمنحه هو ويعطيه ويبذله من ذات نفسه وعاطفته للمرأة عندما يكبر. ولنعلم أيضًا أن قدرة الأم على الحب روحيًا تنمو وتنشأ منذ بداية طفولته الأولى عن طريق حبه الشديد للأم الحنون الطيبة عندما كانت عنده أهم إنسان في الدنيا. وهذا هو ما يلهمه، بعد ذلك بسنوات في مرحلة المراهقة، الوقوع في حب فتاة تشبه أمه تمامًا في كل الصفات. وتعبير "يقع في الحب" يعني أن موقفه يصبح أمام هذه الفتاة موقفًا رومانتيكيًا يتسم بالشهامة والتبتل كما يتميز أيضًا بالرغبة الجسدية.

وهو على استعداد لأن يعيش معها في عالم مثالي وأن يحيطها بهالة من الصفات الرائعة والتي قد يصعب أن تكون موجودة فيها وأعظم ما يتمناه هو أن يجعلها سعيدة في كل ناحية، وأن يبلغ النجاح في المدرسة وفي الحياة من أجلها وأن يحميها.بل إن رغبته الجسدية كلما نضج تهدف إلى حد كبير وبصفة عامة إلى لذتها الحسية وهو لا يشعر بأقصى سعادة إلا عندما تستجيب وتوافق.

وكل ما يعنيه من ذلك هو أنه عندما يبدأ فتى الانجذاب العاطفي نحو فتاة (وتنجذب هي إليه) فهو مستعد لأن يمنحها أكثر ما يستطيع من ألوان الحب

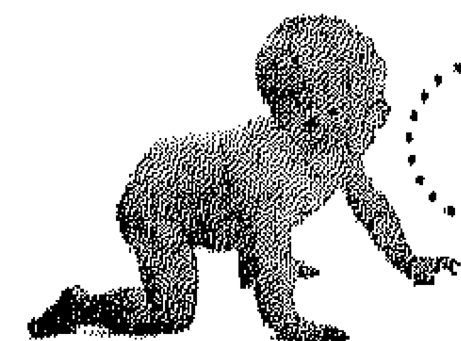




وفنون الغرام والهيام والولاء، فإذا كانت فتاة طبيعية، فهي تريد أن تكون جذابة، من حيث شكلها ولكنها أكثر من ذلك تريد أن تكون محبوبة جذابة عنده كشخصية جذابة ولكن الأمر يتطلب وقتًا طويلاً في مرحلة المراهقة حتى يكتشف كلاهما حقًا الصفات التي ترضي حاجاتهما ومثلهما العليا فإذا ما فعلا ذلك فسيزداد شعورهما بالحب ارتباطًا وقوة.

ولكن في أثناء ذلك فإن المشكلة هي أن الرغبة الجسدية قد تبلغ من القوة والاندفاع حدًا كافيًا لدرجة أنه بمجرد أن يجد الفتاة التي تلائمه وتناسبه فإنه سرعان ما يريد التعبير عن حبه لها وهيامه بها. فإذا كان فتى طائشًا يحاول أن يمضي إلى غايته وهذه الظاهرة صحيحة بصفة خاصة في المرحلة المبكرة من المراهقة عندما تكون الرغبة الجنسية في قوة اشتعالها وتكون منفصلة عن العاطفة.

فإذا سمحت الفتاة للفتى بالتمادي في التدليل والملاطفة بحيث تسبق اللذة الطارئة النمو الصحيح للحب سرعان ما تصبح اللذة هي الهدف الرئيسي من لقاء الفتى والفتاة وخصوصًا للفتى وقد يقف ذلك كحاجز في سبيل بلوغهما مرحلة الحب والاحترام بعضهما البعض أكثر فأكثر. والشبان والبنات الذين يملكون إحساسًا بالمسؤولية يشعرون بذلك ويحاولون ضبط النفس وقمع الرغبة الحسية حتى يتجنبوا التورط في الإثم والعار. والبنات بصفة خاصة هن عادة أكثر قدرة من الأولاد في هذا المجال وأكثر ضبطًا لأنفسهن، والرغبة الجسدية عند معظم الفتيات أقل حدة وإلحاحًا.



ذلـك أن استجاباتهن الجسـدية تظـل كامـنة نسـبيًا حـتى تحـركها وتوقظهـا المحـاولات المبذولة للاقتراب من قبل الشاب. ثم إن الفتاة في الغالب أقل من الفتى شغفًا إلى انسياق في تيار ما يتمناه الشاب.

قـد يجذبهـا وجـه الشـاب مـن أول نظـرة ولكـن سـرعان مـا تـبدأ بصيرتها في العمـل والـرقابة ثم بعـد ذلـك تستجيب إلى جاذبية شخصيته بكاملها، وأهم شيء على الإطـلاق إلى ملاءمته لهـا كشريك وزوج على المدى الطويل. وكل ذلك لا يعني أن الفتيات لا يملكـن الاهـتمام الشـديد أو الشـغف الحـاد، بـل في الواقـع توحـي كل الـدلالات علـى أنهـن ينفقـن ساعات أكثر من الشبان، في تبادل الحديث والتفكير مع بعضـهن عـن أعضـاء الجنس الآخر ونقدهم وتصنيفهم جزئيًا على أساس الجاذبية الرومانتيكية الغرامية ولكن على نحو واقعي جدًا أيضًا.

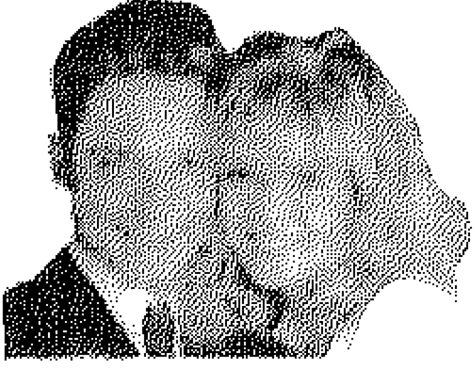
ومـن الطـريف أن نعـرف أن الدراسـات الإحصـائية قد أثبتت أن النسـاء، علـى عكـس الـرجال، يحكمـن علـى المرشـح للزواج، علـى أسـاس أي نـوع من الزوج والأب ورب الأسـرة هـو أكثر ممـا يحكمـن عليه على أساس موقفه بشأن القضايا الأخرى وذلك لأن الاعتبار الأول أرجح في التقدير.

وفي السـنوات الأولـى مـن مـرحلة المـراهقة، يكـون اهـتمام الفتـيات بالفتـيان المناسبين كبيرًا جدًا، في حين أن خجل وحياء وإحجام الفتيان مخيب للآمال جدًا لدرجة أن بعض الفتيان يأخذن بزمام المبادرة في كثير من الجرأة والإقدام إلى حد مدهـش في مطـاردة مـن يـروق لـهن مـن الفتـيان، أو في الـتدبير المـتعمد لإظهـار مشاعرهن بطرق ملتوية.

على أنه من اللازم بالنسبة للفتاة أن تعرف منذ بداية المراهقة أن لديها قدرة على الرغبة الجنسية الجسدية القوية. فإذا ما قضت هي وفتى رقيق المشاعر بضع ساعات معًا في خلوة على مدى فترة أسابيع وشهور، فإن ذلك يزيد الرغبة في الصلة الجسدية المشتعلة بالحدة والعنف معًا.

وكل مرحلة من مراحل هذه الصلات الوثيقة التي تتجاوز فيها العواطف إلى الأجسام تخلق مزيدًا من الرغبة الشديدة في الخطوة التالية. تلك سُنّة الطبيعة البشرية وذلك حتى يمكن للضوابط اللازمة في الجنس البشري، أن تكسر حواجزها تدريجيًا بين شخصين يستعدان للزواج. والمشكلة هي أن الطبيعة تهيئ الشاب أو الفتاة للزواج في حوالي الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر. لكن ظروف النضج العقلي والعملي والاجتماعي تتأخر عن ذلك عشر سنوات أخرى.

والاختلاط المبكر والصداقات وأواصر الموجة بين الفتيان والفتيات، واستمرار العلاقات على نحو مستمر، يمكن أن يشجع التآلف القوي حتى قبل سن الخامسة عشر. ولكن المجتمع المتحضر يفرض على كل شخص أن يتعلم بالمدرسة حتى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة على الأقل، وهذه الفترة تطول بالنسبة لكثير من الناس. ولهذا فإن هذه العلاقات المبكرة بين الجنسين يجب أن يغلب عليها الاختلاط السليم وبإشراف الكبار حتى نجنب أولادنا وبناتنا الانزلاق إلى ما لا يمكنهما أن يتحملا مسؤولياته.



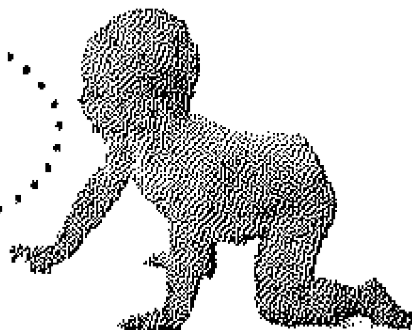
إن هناك نوعًا من حب الاستطلاع الذي يتسم بطابع القلق ثم يتحول إلى الألم وهو يسعى إلى معرفة ماذا يعني الجنس حقًا وهو يزداد حدة على نحو مستمر خلال المراهقة.

والشبان والبنات الذين يتصفون بالجرأة والصراحة يشكون من أن المحاضرات في المدارس والكليات وأحاديث المشرفين والآباء والأمهات والكتب، ليست كافية ولا وافية. وهذه الشكاوى غالبًا ما تكون صحيحة.

لكني أعتقد، أنه حتى عندما تكون هذه المصادر أو الأصدقاء أصحاب الخبرة في غاية الوضوح تمامًا، فإن الفتى، أو الفتاة، لابد أن يشعر بأنه يخدع أو يغش إلى أن يقدر له أن يمارس بنفسه علاقة جنسية مقنعة مشبعة. وعند كل فتى كما هو في كل رجل نوع من القلق الدائم الباحث عن معرفة ما يؤكد رجولته بصفة عامة وإلى شعوره بأن فيه من الصفات والقدرات ما يجعله محبًا كفؤًا لمن يحب. ويتفاوت ذلك تفاوتًا كبيرًا في الأفراد.

وهذه المسألة لا تظهر على سطح الوعي بشكل واضح في المرحلة المبكرة من المراهقة ولكنها لا تلبث أن تصبح ملحة بصفة خاصة طوال بقية هذه المرحلة حتى يثبت الشاب أن في استطاعته أن يفوز بالمرأة ويرضيها.

والرجال والشباب ينطوون طوال حياتهم على قلقهم هذا، بالنسبة لألوان من المبالغات أو الكذب، أو التفاخر والاختيال أمام النساء، أو صنوف الغرور التي تجعل الشاب أو الرجل يتيه عجبًا، وكأنه يريد أن يبرهن للعالم على رجولته وشبابه



في حين أنه يجب عليه أن يكون قد نضج وكبر بحيث يجدر به أن يكون أكثر إدراكًا من ذلك.

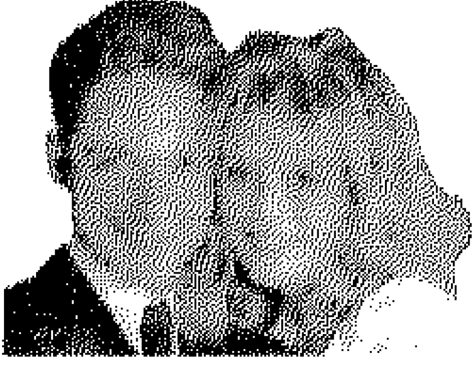
أما القلق عند الفتيات والنساء فهو بسبب الرغبة في التأكد من أنهن يتمتعن بالقدر الكافي من الأنوثة لجذب الرجل الذي يتمنينه ولمعرفة هل ستكون لديهن القدرة على الاستجابة الكاملة له.

والنصيحة التي يجب على الأب العاقل أو الأم العاقلة أن يوصيا الابنة أو الابن بها يجب أن تكون دائمًا:

لا تجعل قلبك كالريشة في مهب الريح. إياك أن تنساق وراء قلة خبرتك لتحقق الشهرة أو البطولة المزيفة لكسب إعجاب الجنس الآخر. فإذا خفق قلبك بالحب أو الإعجاب وساورك الشك فيجب أن تناقش نفسك وعقلك لأن المناقشة عادة ما تكون هي الصحيحة السليمة التي تقود إلى الاختيار السليم في المستقبل.

## ثانيًا - الحديث عن الجنس ... صعب

ليس سهلاً أن نتحدث مع مراهق عن الحب أو علاقة الشاب بالفتاة أو في مسائل الجنس. إن الذين يظن أن هذه المسألة سهلة يخدع نفسه والأب الناضج الذي يعتبر نفسه واسع الأفق إلى الدرجة التي يمكنه فيها التفاهم مع ابنه المراهق قد يجد صعوبة في ذلك. ومعظم المراهقين يعترفون بوضوح وصراحة بأنهم يتعلمون كل أسرار الحياة من الأصدقاء ومن قراءة الكتب ومن الخبرة المباشرة.

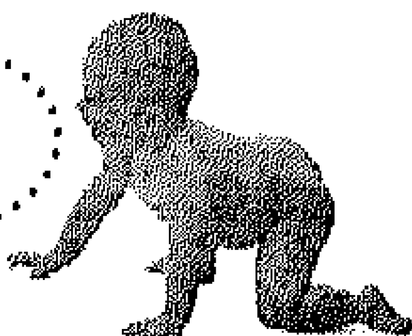


وهناك أسباب حقيقية لصعوبة التفاهم بين الوالدين والمراهقين. فالإنسان يختلف في نواح كثيرة عن كافة المخلوقات الأخرى، فإن العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى من بني الإنسان، تتضمن قدرًا من الحياء ومشاعر الارتباك والشعور بالذنب حتى في أقطار الدنيا التي تختلف فيها العادات والتقاليد اختلافًا بيّنًا عما هي عليه في غيرها.

وفي كل الكائنات الأخرى باستثناء الإنسان فإن فترة اعتماد الطفل على أسرته هي فترة قصيرة نسبيًا، ثم إنها تؤدي مباشرة إلى النضج الجنسي الكامل. وليس هناك خطر أو تحريم بحكم الدين، أو التقاليد، أو العُرف في مرحلة الكبر يفرض على الحيوانات قيودًا أو يعلمها أن الجنس مسألة يحوطها الخجل، أو أن العلاقات الجنسية بين بعض الحيوانات عمل خاطئ أو آثم.

إن الإنسان بالمقارنة بينه وبين المخلوقات الأخرى، يقطع مسيرة طويلة ومتعرجة من النمو الوجداني. فهناك عام بأكمله من العجز الكامل في بداية الطفولة، ثم هناك عامان يكتشف الأطفال أثناءهما أنهم مخلوقات أو كائنات منفصلة قائمة بذاتها، وإن كانوا في حالة اعتماد مطلق على الأهل، ومع ذلك يؤكدون استقلالهم الضعيف غير الكامل.

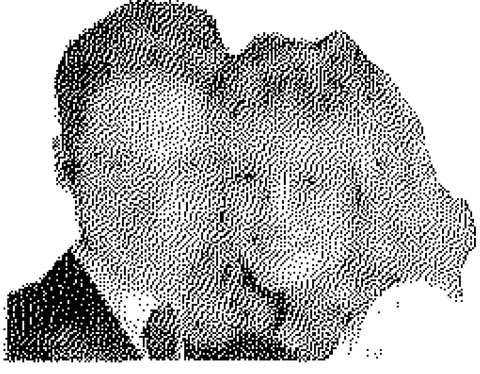
وبين الثالثة والسادسة يصبح الأطفال على درجة من الإيجابية في علاقتهم بآبائهم. فالولد في هذه المرحلة ينمي مثله العليا الخاصة بالرجولة عن طريق حبه وولائه لأبيه. وينمي مثله العليا الأساسية الخاصة بالنساء والزواج بأن يصبح مرتبطًا بأمه ارتباطًا رومانتيكيًا وثيقًا. لكن الحب الإنسان الرومانتيكي يتميز

بالغيرة والرغبة في التملك. ونحن نعتقد أنه يثير في الولد الصغير في سن الرابعة أو الخامسة مشاعر خفية من المنافسة مع أبيه ويجعله يقلق إذ يدور بخلده أن أباه يضمر له نفس المشاعر من المنافسة والغضب عليه. أما البنت الصغيرة، التي تساور نفسها مشاعر المنافسة مع أمها لجذب انتباه الأب، فإنها تتصور أن أمها في حالة ضيق بها واستياء منها. وإعلان الأبوين لاستنكارهما لملامسة الطفل لأعضائه التناسلية، وهو أمر ينتشر بين الأطفال في هذه السن، يقوي فكرة الطفل بأن الأب أو الأم غاضب عليه بشأن كل ما يتعلق بأفكاره الروماتيكية أو الجنسية. وهذه الأفكار ترهق الأطفال الصغار وتقلقهم جدًا لدرجة أنهم لا يريدون أن يفكرون فيها وإنما يكبتونها بسرعة في أغوار العقل الباطن حيث تكمن في أعماق اللاشعور.

ونحن نعتقد، نتيجة التحليل النفسي للآلاف الكبار والصغار، ومن مواقف اللعب والتمثيل التي يخلقها الأطفال لأنفسهم ولما يلعبون به من دمى ومن الأحلام المزعجة التي كثيرًا ما تقض مضاجع الأطفال في هذه السن أن هذا الخوف من غضب الأبوين بخصوص مظاهر الذكورة والأنوثة من الناحية الجنسية، أمر منتشر في جميع الأطفال في سن الرابعة والخامسة.

وكلما ازداد الخوف والحيرة والقلق، فإنها في آخر الأمر تجعل كل طفل يكبت مشاعره الرومانتيكة والجنسية. يحدث ذلك في حوالي سن الخامسة والسادسة والسابعة وخصوصًا بالنسبة لأفراد أسرة الطفل.



وهـذه المشاعر تظل دفينة في اللاشعور حوالي السنوات الست التالية. فهذه هي السن التي يدعي فيها الطفل أن البنات منفرات وكريهات بحيث يحتقر أي حديث أو أفلام سينمائية عن الحب. ولا يقبل المعاملة الرقيقة من أمه ويحول اهتماماته وشغفه نحو عمله المدرسي.

وهناك مقارنة تحدث في البنات ولكنهن عادة لا يشعرن بنفس الدرجة من الخوف ولا يكبتن ميولهن الرومانتيكية كبتًا عميقًا دفينًا مثل الأولاد. ونحن نعتقد أن حدوث هذا الكبت ضرورة بيولوجية في جنس يحب بكل هذه القوة، ومروض فيه على الأطفال أن يعتمدوا على آبائهم وأمهاتهم حوالي خمسة عشر أو عشرين عامًا وهم يتعلمون كيف يمضون في الحياة ويتخذون فيها سبيلاً إلى النجاح. ثم إن الأسر يصيبها التصدع والتمزق بسبب ما يحدث فيها من ألوان الحقد والحسد والغيرة قبل أن يستعد الأطفال لتولي مسؤوليات حياتهم بأنفسهم دون مساعدة من أحد.

إن التغيرات التي تحدث في الغدد في بداية المراهقة هي التي تتكفل بإزالة هذا الادعاء الكاذب المميز لمرحلة الطفولة المتوسطة بالادعاء بأن مشاعرنا نحو الجنس الآخر يمكن تجاهلها.

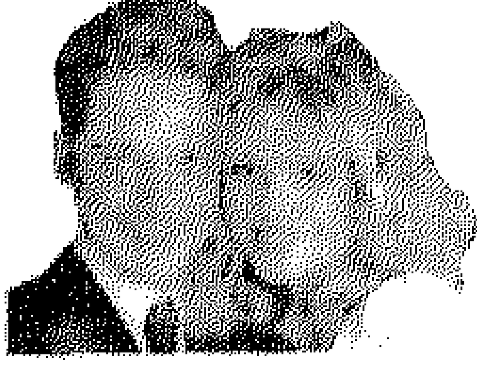
وتميل المشاعر الرومانتيكية والجنسية الجديدة إلى الاتجاه نحو الأبوين مرة أخرى، لا شعوريًا، ولكن المراهق يرفض الاعتراف بذلك ويقاوم، بل ويكون أحيانًا في غاية القسوة والمشاكسة مع أمه بصورة لا تطاق إن كان صبيًا. ومن الملاحظ أن

الصبي بصفة خاصة يكون اكثر ميلاً للنفور الشديد من حنان الأم إذا كان التعبير عنه بالضم أو التقبيل.

والبنت قد تتوسل إلى أمها بألا تذكر لأبيها إن بلغت مرحلة المحيض وتتجدد مرة أخرى المنافسة القديمة مع الأب إذا كان الطفل ذكرًا ومع الأم إذا كانت بنتًا وهي تتجدد بشكل قوي شديد وحاد. والطفل في هذه المرحلة يقترب حقاً من النضج ومن المنافسة مع الكبار على نحو جديد. والصبي، مهما يكن وقورًا ومنطقيًا في الظاهر، لا يطيق في الحقيقة مطلقاً أن يقف أبوه موقف الآمر أو الناهي الذي يجب أن تنفذ أوامره ويشعر الصبي في الأسرة المقتدرة بأن من حقه أن يستعمل سيارة الأسرة ويقودها عندما يحتاج إليها. وتشعر البنت أن دورها قد حان كي ترتدي الملابس الجميلة وتتزين وأن تكون الملكة الرومانتيكية، وأنه قد آن الأوان لأمها لكي تتراجع إلى مقاعد الشيخوخة.

وعندما كان الطفل في سن الثالثة أو الرابعة، فقد كان لديه حب استطلاع بالنسبة لأسئلة معينة مثل: من أين يأتي الأطفال؟ وكان للأب أو الأم أن يشرح ويفسر ويجيب. وبين السادسة والثانية عشرة من العمر، أصبحت اهتمامات الطفل الرومانتيكية ذات تعبير قوي، كما أصبح قادرًا على أن ينظر إلى النواحي البيولوجية للتكاثر بطريقة علمية تمامًا، مثل نظرته للكرة الأرضية مثلاً وأن ذلك مما يساعد الأب أو الأم على اتباع نفس الأسلوب.

ثم بعد ذلك عندما تجبره المراهقة على أن يصبح واعيًا وعيًا شديدًا بمقدرته السابقة الجنسية، فإن التحريمات الشديدة التي كان العُرف والتقليد



يفرضها عليه في السنوات الست السابقة تجعله يشعر بالضيق شعورًا حادًا. ثم إنها في نفس الوقت تجعلـه يـرفض بعنف وشدة أن أبويه يمارسان الجنس معًا مثل بقية الأزواج.

فمثلاً نجد البنت المراهقة تشعر بالخجل عندما تكون أمها حاملاً. وتكاد تستنكر حدوث ذلك لأنه من المخجل جدًا أن تتخيل أن والدها قد أنجب هو وأمها طفلاً جديدًا بالطريقة المألوفة لممارسة الحب.

وعلى هـذا فـإن الأب، أو الأم، هـو مـن بعض الوجـود، آخر شـخص يـريد المـراهق أن يعترف لـه باهتماماته الجنسية، أو يسمع منه تفسيرًا لها وخصوصًا في حالة الصبي. وكثير من الآباء وجدوا، عندما يحاول الأب أن يقترح مناقشة، أن الابن سرعان ما يقول: إني أعرف كل شيء عن الموضوع، ثم ينظر حوله ليعثر على طـريق للهـرب يخـرج بـه مـن هـذا "المـأزق" الأمـر الـذي يجعل الأب في حالـة مـن الإحساس الذي يعاني منه عادة من يروي نكاتًا جارحة على مسمع من أصدقائه.

وكل مـا أريـده مـن ذلـك هـو تحذيـر الآبـاء بـأن عليهم أن يتذرعوا بالصبر والجلد كما لو كانوا يعطون دواءً كريهًا لطفل صغير يتجرعه، ولا يستسيغه.

ومن البديهي طبعًا أنه من الأفضل أن تتحدث الأمهات مع البنات، والآباء مع الأبناء في هـذه المسائل ولكن عندما يعجز الآباء عن التحدث مع الأبناء في هـذه الأمـور، وكثير منهم أكثر خجلاً وحياءً من الأمهات في هذا الأمر، فجدير بالأمهات أن يأخذن بزمام المبادرة ويتولين الحديث، فذلك خير من لا شيء.

وهناك فئة من الناس تدافع عن وجهة النظر القائلة بأن الأمهات يجب أن يتحدثن مع الآباء والآباء مع البنات. ومن الواضح أن الأسر تختلف وتتفاوت وخير ما يقال في هذا المجال هو أن أحسن سبيل هو ما يناسب ويريح كل أسرة على حدة.

وليس من المهم عدد المرات التي تتناول فيها الأسرة الحديث الجاد عن الحب والجنس. إن الأكثر أهمية هو أسلوب الحياة الذي يعيش الآباء والأطفال في ظله معًا طوال حياتهم، فهذا الأسلوب وما يحتويه من عواطف وانفعالات وتفاعلات هو العامل المؤثر الفعال في المدى الطويل.

وهناك سؤال أساسي يزعج، طبعًا، كل المراهقين ذوي التربية السليمة، وهو هل كل علاقة جنسية في أي شكل من أشكالها تعتبر "عارًا". إنهم يشاهدون بأعينهم مواقف واتجاهات في غاية التناقض من جانب عالم الكبار.

ومن السهل طبعًا على الآباء أن يجيبوا بأن العلاقة الجنسية في ظل الزواج الحلال لا عيب فيه ولكن المراهق لا يعيش في ظل زواج وهو بالتأكيد يستطيع ممارسة الجنس وعنده توتر حاد من المشاعر الجنسية.

وأعتقد أنه مما يزيد المراهق قدرة على الانضباط، أن يسمع أباه يقول أن علماء النفس يرون أن العار بسبب الجنس جزء راسخ في الطبيعة الإنسانية يحس به ويمارسه ويجربه كل الناس في كل مكان. وأن هذا الإحساس بالحياء، أو الخجل أو العار مركب في الطبيعة الإنسانية بقصد ضبط الجنس والتحكم فيه في هذا

العالم المعقد الوثيق الصلات والروابط الذي يتحتم على الناس أن يعيشوا فيه، لكننا نعرف أن الإحساس بالذنب يكون قويًا بصفة خاصة في مرحلة المراهقة، لأن الذكورة أو الأنوثة تأتي فجأة.

وجدير بالأبوين أن يوضحا أيضًا على سبيل التفسير أن مثلنا العليا الدينية ومثلنا العليا الخاصة بحياة الأسرة، هي التي توجهنا وترشدنا فيما يتعلق بأي ناحية من نواحي الجنس تعتبر صحية وسمية أو خاطئة وآثمة بمعنى أنها ضارة ومؤذية للآخرين وللفرد ذاته.

## ثانيًا - الخوف من الجنس

إذا كانت المجتمعات الأمريكية والأوروبية والمجتمعات ذات الثقافة الغربية تعيش الآن فترة ارتجاج بين معتقدات أباحت الجنس منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة وحتى ظهور مرض فقدان المناعة المكتسب، فإن ظهور مرض فقدان المناعة المكتسب المسمى بالإيدز صار نقطة تحول بالغة في السلوك الجنسي.

إن الشاب يركز اهتمامه منذ البلوغ على شكل جسده، وهل ينمو بانتظام أم لا. ويميل إلى الإحساس بالذنب تجاه الجنس منذ اللحظة التي يصل فيها إلى قذف الحيوانات المنوية سواء من خلال الأحلام الليلية التي يفاجأ بها، أم بممارسة العادة السرية - تلك العادة التي مهما قيل عن عدم أضرارها، فإن القول بعدم وجود أضرار لها غير صحيح.

إن الشاب الذي لا يتمكن من الزواج في سن مبكرة، والذي يحفظ نفسه من ممارسة العادة السرية، معرّض للقذف الليلي، وهذا القذف لا يسبب له الضعف وتكراره لا يدعو إلى القلق.

لكن الشاب الذي يمارس العادة السرية أو يلجأ إلى علاقات غير سليمة أو مقبولة اجتماعيًا يعيش في خوف مبهم وعميق، هذا بالإضافة إلى القلق من افتقاده لتدليل الأسرة أثناء طفولته المبكرة وحيرته البالغة لأنه لم يصل إلى الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي.

وغالبًا ما يسمع من أصدقائه أن ممارسة العادة السرية تؤذيه جسديًا ونفسيًا، وأنها تقود إلى العصبية أو الجنون. ورغم معرفة أن مثل هذه الأقوال ليس صحيحًا علميًا إلا أن ذلك لا يحل مشكلة المخاوف من ممارسة العادة السرية.

إن هناك تخيلات كثيرة تداهم الشاب من خلال قراءته للقصص المثيرة أو رؤيته للأفلام التي تمتلئ في بعض الأحيان بمشاهدة الإثارة. ويتبع ذلك أن يحاول الشاب استكمال ما بدأته المشاهد المثيرة بلجوئه إلى الاستمناء.

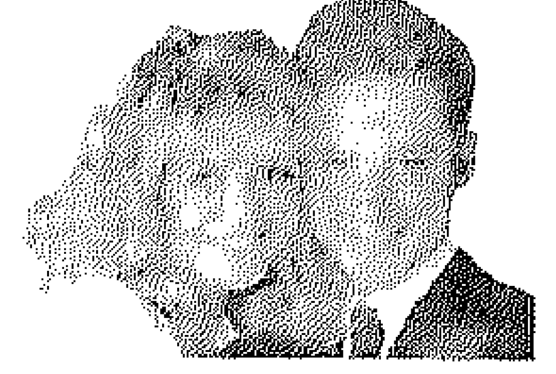
ونعلم أن زماننا صار يطيل أمد الإعداد للزواج، فالتعليم المعاصر يزداد صعوبة، كما أن قدوة العفاف والطهارة تضعف في المجتمعات المعاصرة. ثم هناك الخوف الدائم من الارتباط بالشخص الخطأ وهناك الخوف من الحمل. ومعظم الشباب له طموح عالٍ وكبير لبناء المستقبل. وبعضهم يمارس العادة السرية كوسيلة بديلة من اللقاء الجنسي الكامل. ومع تعقد الأمراض التناسلية وانتشار

وسائل الإعلام بها فإن أعدادًا كبيرة من الشباب بدأت في الامتناع عن ممارسة العادة السرية. صحيح أن الأعوام الخمسة والعشرين الماضية في الحضارة الغربية المعاصرة قد أزالت الكثير من الغموض ومن الإحساس بالذنب تجاه الجنس، ولكن الصحيح أيضًا أن اكتشاف مرض فقدان المناعة المكتسب صار حافزًا جديدًا على التطهر والعفة.

والبعض من الشباب ذوي الطموح العالي يقلقهم تمامًا أمر العادة السرية، فهم قد نشأوا في عائلات ذات مثل عليا، تجعل جزءًا كبيرًا من اهتماماتهم وطاقاتهم الجنسية تتسام في إنجاز طموحاتهم ونجاحاتهم، ولكن أمر العادة السرية يظل مقلقًا، لأن الجسد بطبيعته في هذا العمر فوّارًا بالرغبات.

والشباب – أو الشابات – يحلمون بزواج مثالي، ولذلك فالواحد – أو الواحدة – منهم يتردد بشدة قبل التورط في علاقات طارئة، وهكذا نرى صراعًا حادًا في أعماق هؤلاء الشباب لأنهم لا يجدون وسيلة للتعبير المباشر عن مشاعرهم الجنسية، ويقعون أحيانًا في شبكة من الخيالات المثيرة مما يدفعهم إلى ممارسة العادة السرية ليقعوا من بعد ذلك في الإحساس بالذنب.

ويتساءل الكثيرون عن مضار العادة السرية وأقول ببساطة ووضوح: إن العادة السرية مؤذية ولا يوجد ما يدعم القول المنتشر حاليًا بأنها غير مؤذية إذا ما تمت ممارساتها باعتدال. ولكن يجب أن نعلم أن الغالبية العظمى من البشر تتكيف حياتهم مع وجود نسبة ما من الإحساس بالذنب بسبب ممارستهم للعادة السرية.



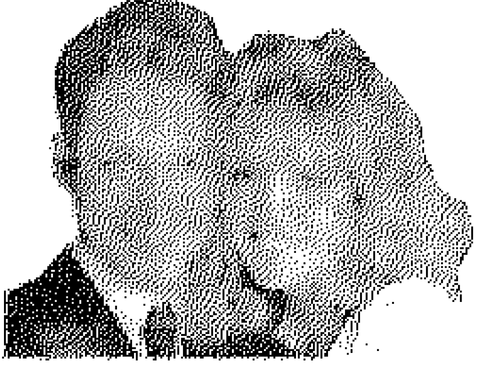
إن أصحاب القيم الملتزمة لابد أن يشعروا أن أي شكل لممارسة أي نشاط جنسي خارج الزواج يعرض الشخص للإحساس بأنه غير جدير بالإعجاب، لأن ذلك النشاط لم يتم في إطار علاقة طبيعية وفي إطار الزواج.

وطبقًا لبعض الأبحاث الميدانية في الولايات المتحدة وجد الباحث الأمريكي المعروف "كينز" على سبيل المثال، أن الشباب من أصحاب الطموح العالي يكبحون في معظم الأحيان مشاعره ولا يمارسون أي علاقة مع الجنس الآخر إلا بعد التخرج ومن خلال علاقة الزواج، وقد يقعون أحيانًا في ممارسة العادة السرية بنسبة بسيطة.

ولكن الشباب الذين لا يملك طموحًا علميًا أو فنيًا أو مهنيًا قد يغرق إما في ممارسة العادة السرية أو في ممارسة العلاقة الجنسية الكاملة وينجرف في تيار حياة قد لا يرضاها لنفسه لو نظر إليها بدقة وتمييز.

وقد تسبب الإثارة الجنسية المتجددة للشاب ألمًا ما بين الفخذين. وهذا الألم ناتج من تكرار الانتصاب والانقباض الذي يؤدي إلى احتقان بعض من الأوعية الدموية الآتية من الخصيتين، والحويصلات المنوية. والأمر الطبيعي أن يتم القذف بعد الإثارة الجنسية، أما عكس ذلك فيسبب مثل هذا الألم.

وتنتشر بين بعض من الشباب مخاوف عن العجز الجنسي الكامل دون أدنى مبرر اللهم إلا سماعهم لبعض الأقاويل عن ذلك.



ونقـول بوضـوح: لـيس هـناك شـاب معـرض للعجـز الجنسـي إلا إذا تعـرض لحـادث جسيم مثل إصـابة أي جزء من العمود الفقري بالشلل، أو التعرض لتجربة جسيمة الأثر من الناحية الجنسية أثناء الصغر.

ولابد لنا من أن نعرف العجز الجنسي. إن العجز الجنسي هو عدم قدرة الذكر على الانتصاب والقذف. ويجب أن نفرق بين العجز الجنسي وبين العقم، فالعقم هو أن تكون الحيوانات المنوية للرجل غير قادرة على إخصاب البويضة الأنثوية، وهذا لا يثبت إلا بالتحليل المخبري.

وبعض الرجال أو الشباب لديهم قدرة ضعيفة على الانتصاب غير المكتمل مع لقـذف السـريع، وهـؤلاء يمكـن أن يعرضـوا أنفسـهم عـلى طبيـب أمـراض تناسـلية لتلقي العلاج الصحيح.

والشاب قد يتعرض للعجز المؤقت إذا كان صاحب قيم ومثل عليا ووجد نفسه مدفوعًا من مجموعة من الأصدقاء إلى ممارس الجنس مع إحداهن. وهذا لا يمكن أن يسمى عجزًا على الإطلاق، بل إنه أمر طبيعي لإنسان يحترم نفسه ويعرف أن مشاعره يجب أن تسبق جسده.

والرجل في غالبية الأحيان لا يصاب بالعجز الجنسي، ولكن تقل رغبته في التواصل الجسدي بعد عمر الستين تدريجيًا.

وإذا ما تعرض الشاب لخبرة جنسية مؤلمة للغاية تنعكس من بعد ذلك على حياته بالعجز الجنسي، فإن العلاج النفسي كفيل بعلاجها.

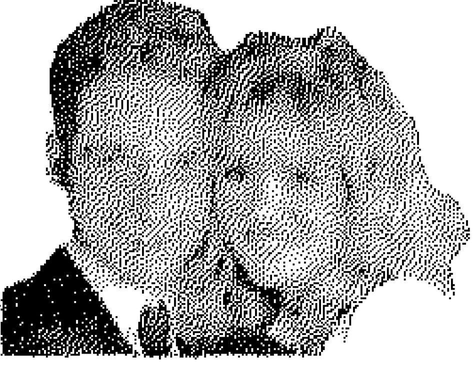
وبعض الرجال الذين يقعون في تجربة حب مثيرة قد يصابون بالعجز مع أي امرأة غير المرأة التي يحبونها. إن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يصف نفسه بالعاجز جنسيًا.

وأغلب الرجال يفضلون الإصابة بأي مرض على الإصابة بالعجز الجنسي، لأن ذلك يطعن الرجل في كبريائه وطموحه. وعلى ذلك فليس هذا الخوف نابعًا من فقد متعة الجنس ولكنه نابع من الخروج من دائرة الرجولة.

ويختلف معنى ذلك من رجل إلى آخر، فهناك من الرجال من يرغب في المنافسة وإظهار الشجاعة، والقدرة على الانتصار في المعارك، والرغبة في امتلاك المال أو السيارة القوية، وفوق كل ذلك يرغب في إرضاء زوجته جنسيًا. وكل هذه المشاعر مرتبطة ببعضها في أعماق كل رجل.

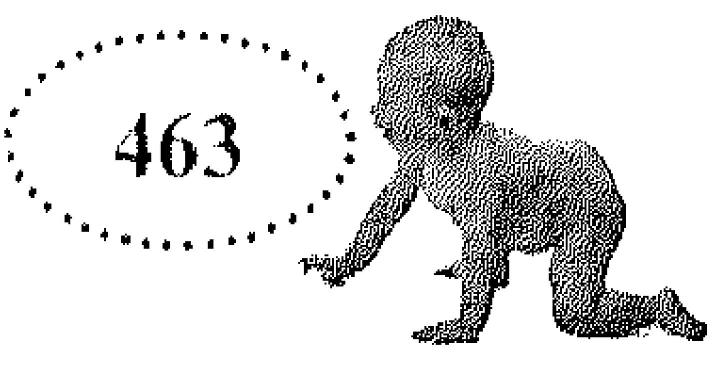
ولابد لي من أن أقول هنا أن بعضًا من الرجال الذين أصيبوا فعلاً بالعجز الجنسي أظهروا عبقريات غير عادية في مجالات تخصصاتهم وعاشوا مع زوجات راضين بذلك. وعلى ذلك فالعجز الجنسي ليس كارثة.

وإذا كان الشاب يخاف من العجز الجنسي، فالفتيات يخشين الاتهام بالبرودة وعبارة "امرأة باردة" عبارة حادة لا تحب أية امرأة أن تسمعها، لأن معنى ذلك أنها غير قادرة على الشعور بالمتعة في الاتصال العاطفي أو الجسدي مع من تحب. وبعض النساء يجدن مثل هذا الاتصال أمرًا منفرًا بالفعل بل ومؤلمًا في بعض الأحيان.



والبرودة يمكن أن تتسبب فيها تجربة عاطفية أو جسدية غير ناضجة، أو أن تكون الفتاة قد اكتسبت من الطفولة قيمًا متزمتة تمامًا تجاه الجنس، ومثل هذه الحالات يمكن علاجها نفسيًا.

وهناك عدد قليل من النساء ممن نشأن في أسر محافظة لا يستجبن بسرعة للإثارة الجنسية، ولكن مع الزواج الناجح المتوافق تبدأ مثل هذه الفتاة بتجاوز هذا الأمر.



لقد راعينا في ترتيب مواد هذا الكتاب التدرج العملي العلمي في نمو الطفل البدني والحركي وأيضاً النطق والقدرات الذهنية والعلاقات و المهارات الإجتماعية.
وقد تناول الكتاب المورثات الجينية والبيئية و الأساليب التربوية وأهمية اللعب وتأثير كل ذلك على سلوك الطفل ونمو بعض الحالات لديه كالعدوانية والغيرة والكذب والسرقة وألحق بكل موضوع طرق المعالجة وكيفية التعامل مع كل مشكلة لذا يعد هذا الكتاب مرجعاً ومرشداً عملياً نافعاً في هذا العالم الملئ بالضغوط التي تواجه الأطفال يومياً .

الناشر

والآن يسعدني أن أكون جدة وأن أرى إبني يعتني بطفله , ما زلت أتعلم من خلال المراقبة يجد كل من ولدي وزوجته طرقاً سهلة للحفاظ على حياة متوازنة حتى أنهما مستعدان للإستماع إلى بعض مقترحاتي .

فيكي لانسكي

إن الحمل حدث سعيد والفرح الكبير يرافق ولادة الطفل وتترافق تربيته بمتعة وحماسة على الرغم من التعب الذي يفرضه ،وقد أعطى المؤلفون كل مايملكون من توجيهات تزيل القلق وتخلق جواً من الطمأنينة والإرتياح .

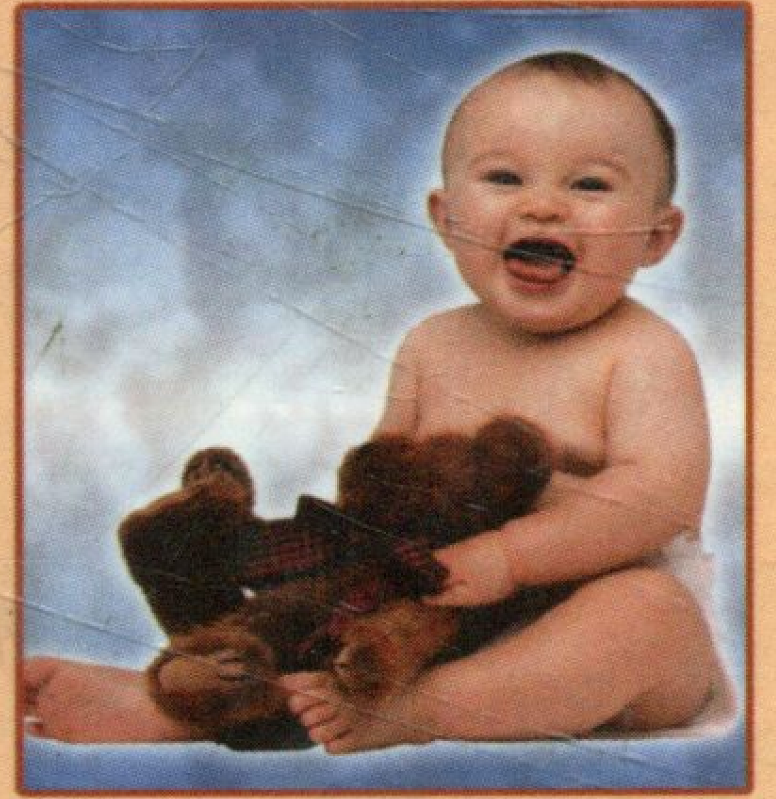
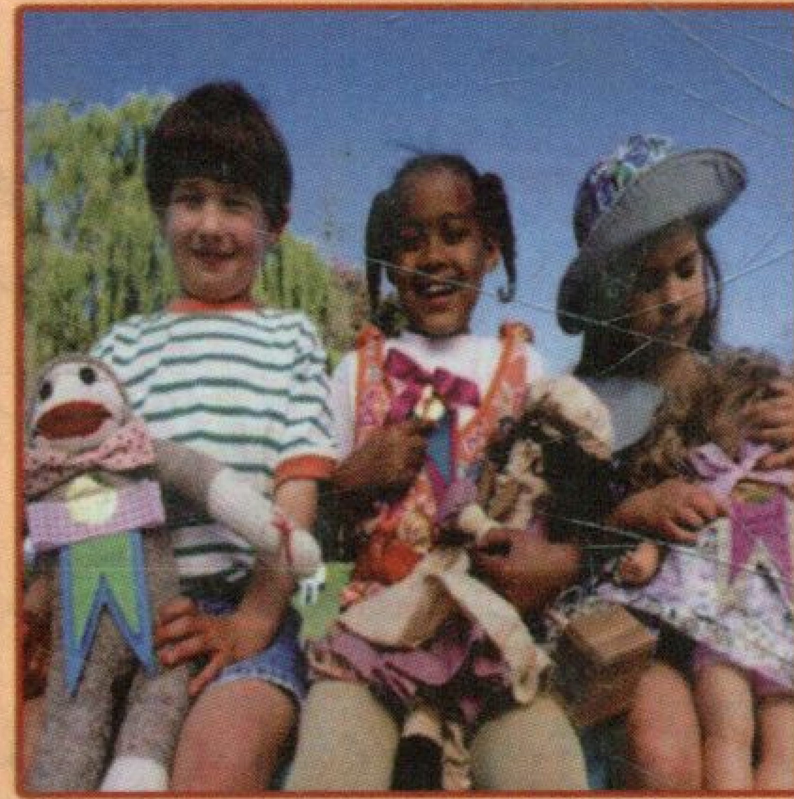
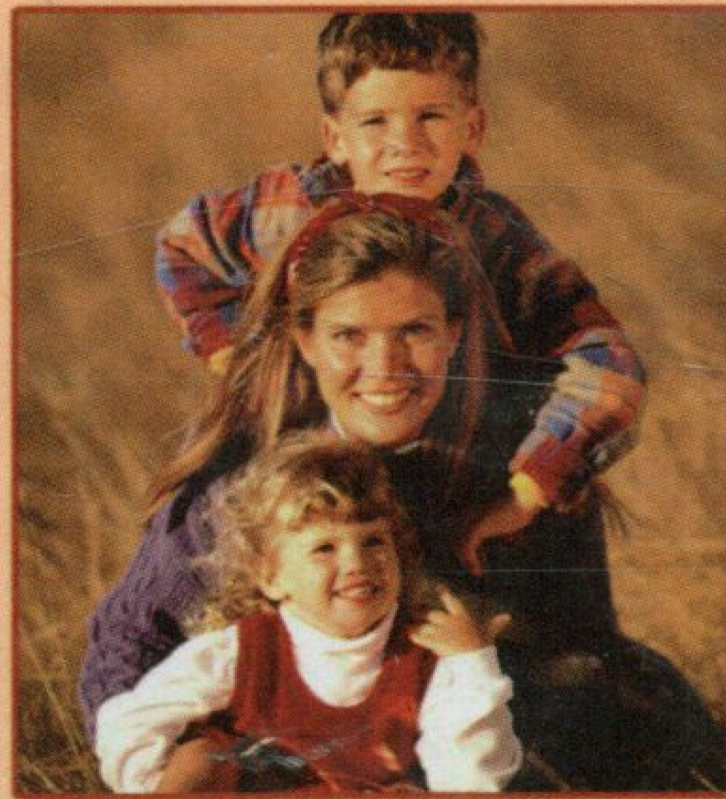
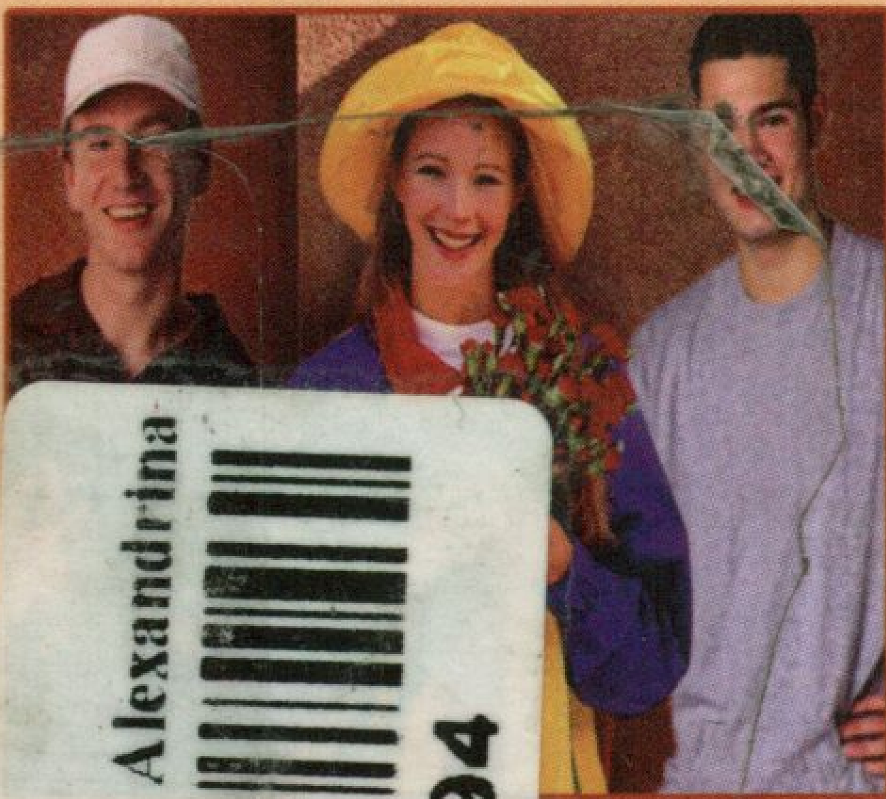
بروفسور جاك شميتز

إن الطريقة التي يرى بها الأطفال أنفسهم هي من خلال مشاركتهم في هذا العالم والملاحظ أن أهم الفروق بين الفائزين والخاسرين هي أن الفائزين يؤمنون بأنفسهم ويشعرون بأحقيتهم في الدخول في مضمار الفائزين أن إحدى أفضل الهدايا التي قد يقدمها الآباء لأبنائهم هي مساعدتهم على أن يحبوا أنفسهم وأن يمتلكوا صورة إيجابية عن أنفسهم إن الأطفال لا يخترعون تقدير الذات لأنفسهم وإنما يتعلمونه من الكبار وهم الآباء في الغالب .

روبرت د. رامسي

إنني أؤمن أنه نوع من الظلم يقع على الأطفال عندما ننسى نحن الآباء أن نزرع فيهم بذور الأخلاق القويمة ولابد للآباء أن يغرسوا في الأبناء الإحساس بإحترام الغير ، إن تعليم الطفل قواعد السلوك يجب أن يتم وسط إحساس الإبن بالصداقة مع الأسرة ويتحول التأديب بذلك من واجب يجبر الطفل عليه الى إحساس داخل الطفل بأنه حتى يكون صديقاً لنا فأنه يجب أن يكون مؤدباً .

د. سبوك




الأهلية للنشر والتوزيع
e-mail:alahlia@nets.jo
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان/وسط البلد
خلف مطعم القدس/ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ منشوراتنا في العام ٢٠٠٤م